القرآن الكريم

ماذا يقول :

هل الإنسان مسيّر أو مخيّر ؟ ؟

هل كلّ آيات الله مفهومة للقارئ ؟ ؟

تأليف

الشّيخ الدّكتور محمّد بن حامد حواريّ

دار طيبة

القسم الأول

هل الإنسان مسيّر أو مخيّر؟

القسم الثاني

هل كل آيات الله مفهومة للقارئ؟

الشيخ الدكتور
محمد بن حامد حَوَارِيّ

١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م

القسم الأول

هل الإنسان مسيّر أو مخيّر؟

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

لقد وردت كلمات الإيمان والكفر والشرك والنفاق، والهدى والضلال، والفلاح والخسران، والنفع والضر، والخير والشر، في القرآن الكريم بصورة متكررة، وبشكل يوحي أحياناً بأنها من فعل الله تعالى، وأن الإنسان مجبرٌ عليها، وأحياناً بأنها من فعل الإنسان نفسه وأن الله تعالى لا يجبره عليها، وأحياناً بأنها بين الله تعالى والإنسان، وأنه تعالى يضعها بين يدي الإنسان فيبينها له بما ينزله من وحي على رسله وأنبيائه، ويترك له الخيار في الأخذ أو الترك، أو يجبره على بعضها ويترك له الخيار في بعضها الآخر.

وخير جلاء لحقيقة معاني هذه الكلمات نجده من خلال تتبع ورودها في القرآن الكريم، وقد وردت فيه بمعانٍ متعددة، ولا سيما أنها تتحدث عن الصلة الأساسية بين المسلم ودينه، إذ لا ارتباط له به دون التزامه بمعاني هذه الصلة وتحمله لمسؤولية الأخذ بها أو تركها.

وعليه؛ لا بد أن نتتبع هذه الكلمات كلمةً كلمةً، وذلك بتتبع النصوص القرآنية التي وردت فيها، وأن نقف مع كل نص لبيان مقدار صلة الإنسان بالواحد منها، الأمر الذي يعرّفه بمسؤوليته عن مدى التزامه بها، بحيث لا يقع في نسبة الواحدة منها إلى الله تعالى وأنه سبحانه يجبره عليها، فيخرج من دائرة المسؤولية عنها، أو أنه ينسبها للإنسان الذي يفعلها أو يقوم بها دون أدنى صلة بالله تعالى، فيتحمل كامل المسؤولية عنها كلها، أو أنه يجعلها بين الله تعالى وبين الإنسان، فيحمله من المسؤولية بقدر علاقته بفعلها.

إنني أدرك تماماً ما قاله الأولون والمعاصرون من أفراد وجماعات، ومن مسلمين وغير مسلمين حول هذه الموضوعات، وقد حاولت أن أقف عندها في كتابي (**أئمة الشريعة الإسلامية**)، ولذلك فإنني أحرص على تجنب ذكر كل ما قالوه

هنا، حتى لا أشغل ذهن القارئ الكريم بها، وإنما ليعمل تفكيره في النصوص القرآنية التي أوردتها، والتي بالعادة يعيش معها المسلم في تلاوته القرآن الكريم صباح مساء، متعبداً ومتقرباً إلى الله تعالى، فيمر بها وهو يتساءل عما تعنيه في حقه.. فيردد أحياناً مع الآخرين مقولة: كله من الله وليس لنا من الأمر شيء.. مقرراً بذلك بأنه غير مسؤول عن كل ما يعتقد ويفعل، وناسياً بأن الجنة والنار لا يدخلها أحد إلا بعد الحساب على ما يعتقد وما يفعل.. وإذا نبهته إلى ذلك قال: نعم ولكن، فما أسرع ما يعود ويكرر مقولة: كل شيء بيد الله، ويعني بذلك بأن وقوع كل فعل أو وجود كل شيء هو من فعل الله تعالى العالم بكل شيء وكل فعل، والقادر على إيجاد كل شيء وكل فعل، مع أن فعله تعالى إما أن يكون من قضائه وقدره الذي يجبر عليه الإنسان، ولذلك لا يتحمل أي مسؤولية عنه، وإما أن يكون من إذنه تعالى ومشيئته التي تملك بعلمه تعالى وقدرته أن تمنعه أو توجده لو كانت من القضاء والقدر، وتملك أن تتركه لاختيار الإنسان وإرادته إذا لم تكن من القضاء والقدر، وعندها تجزيهِ على اختياره بالحسنى عند الاختيار الحسن وبالسوء عند الاختيار السيئ.

وأما مقولة: المكتوب ما منه مهروب، ومقولة: المكتوب على الجبين لازم تشوفه العين، فإنهما تعنيان علم الله تعالى وإحاطته بكل شيء وكل فعل، والذي بناء عليه يحاسب الإنسان إن كان من جانب الاختيار من أعماله، ولا يحاسبه عليه إن كان من جانب الإجبار منها.

ولذلك على الإنسان ألّا يكون غافلاً عما تعنيه هذه المقولات، من أنها تبعد عنه المسؤولية عما يعتقد ويفعل، إذا قصد أن الله تعالى يجبر على كل شيء وكل فعل، وأن الإنسان ليس له خيار في ذلك بشكل شامل لكل شيء وكل فعل.

إن هذا القول بالجبرية عقيدة يرددها كثير من الناس دون تنبه لخطورتها، فالواحد منهم؛ بدافع من روحانيته العالية يسند فعل كل شيء أو عدم فعله إلى الله تعالى، ظناً منه أنه بذلك يكتمل إيمانه، وما درى أنه بذلك يطعن في إيمانه هو بمحض إرادته واختياره.

ولا بد هنا من الإشارة إلى أن الخلط بين مشيئة الله تعالى وإرادته، وإذنه وعلمه

وكتابته، وبين تلك الخاصة بالإنسان، يوقع بتلك الجبرية التي تلغي مسؤولية الإنسان عن معتقداته وأعماله. . ذلك أن تلك الأمور في حقه تعالى ما هي إلا من صفات الكمال المطلق التي تليق به تعالى، فمشيئته تعالى لا تحد بحدود كما هي الحال في حق مشيئة الإنسان المحدودة، وكذلك إذنه وإرادته وعلمه. . ومعنى هذا أن الإنسان لا يستطيع أن يعقد مشيئة ويقوم بها إلا إذا شاء الله تعالى ذلك له، وأذن له، لأنه سبحانه بعلمه المطلق وقدرته المطلقة قادر على التدخل وتعطيل مشيئة الإنسان تلك في أية لحظة. .وهكذا فمعنى ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ﴾ أنكم أيها البشر لا تستطيعون أن تعقدوا أي مشيئة وتنفذوها إلا إذا أذن الله تعالى بها، سواء كانت هذه المشيئة جبرية أو اختيارية. .

وتبقى النقطة الحساسة بهذا الشأن وهي ما يبادر إلى الذهن بأنه ما دامت مشيئة الإنسان مرتبطة في وجودها وعدمها بمشيئة الله تعالى وإذنه، فإنه مجبر عليها، وأنه لا خيار له بمشيئة شيء أو فعل إلا أن يأذن الله تعالى له بذلك. . فهل هذا الفهم سليم، أم فيه خلل بسبب عدم وضوح معنى المشيئة والإذن في حقه تعالى وصلتها بأفعال الإنسان؟

ومن ناحية أخرى: لماذا أدخلنا المشيئة والإذن والإرادة والعلم والكتابة والقدرة في هذه الأمور؟

لا شك أن مشيئة الإنسان وإرادته للإيمان والكفر، للهدى والضلال، للفلاح والخسران، للنفع والضر، للخير والشر، مستحيلة الوجود والعدم دون أن يشاءها الله تعالى ويأذن بها، وأنها مما يحيط به علمه سبحانه ومشيئته وإذنه. . ومما تسمح به قدرته المطلقة على التدخل أو المنع، لأن كماله المطلق سبحانه يوجب أنه لا يقع في ملكه إلا ما يشاء ويعلم ويأذن، ولأن العقل السليم يوجب أنه إذا وقع شيء من ذلك دون علمه تعالى ومشيئته وإذنه فقد سقط الكمال المطلق في حقه سبحانه وتعالى. .

وبالرغم من هذا التوضيح الفكري السريع لهذا الأمر، فإن فكرة الجبر على الاعتقاد السليم أو الخطأ، وعلى الأفعال الحقة أو الباطلة، تبقى تلاحق الإنسان

في جميع تلك الأمور.. وهذا مما يقتضي ما ذكرناه من وجوب متابعة جميع النصوص القرآنية المشتملة عليها..

صحيح أن هذه الأمور قد تدخل ضمن موضوع القضاء والقدر، مما يسقط مسؤولية الإنسان عنها، وهذا مما بيناه في كتابنا (**الإيمان يغير الإنسان**) ولكن لعل هذه المتابعة القرآنية في كل ما يتصل بذلك لم يتم فعله من قبل بهذا الشكل كما أعلم، فنسأل المولى سبحانه أن يوفقنا في هذه المتابعة ليتحقق الكشف السليم عن مسؤولية الإنسان عن إيمانه أو كفره.. فتزول تلك الغشاوة عن عقيدته، ويطمئن لمعاني هذه الكلمات في جميع النصوص القرآنية، إنه سميع مجيب.

الكاتب

فمن المسؤول؟!

عن عقيدة الإنسان بالإيمان أو الكفر أو النفاق، وعن فعله بالهدى والضلال، بالفلاح والخسران، بالنفع والضر، بالخير والشر؟

هذا ما تخبرنا عنه النصوص القرآنية التالية، والتي تجيب عن هذا السؤال الصغير الكبير.. هل الإنسان مسيّر أو مخيّر؟!

من سورة الفاتحة (١)

تشمل هذه السورة المكية جميع مقاصد القرآن الأساسية: من عقيدة وعبادة وتشريع وإيمان بصفات الله الحسنى، وإفراده بالعبادة والاستعانة والدعاء وطلب الهداية وتجنب طريق المغضوب عليهم والضالين، ويبرز في الاستجابة لأوامر الله تعالى فيها الاختيار، فالإنسان يطلب الهداية للصراط المستقيم، وله أو عليه الاختيار متحملاً كامل المسؤولية..

فإن طلب الهدى للصراط المستقيم في الآية [٦] من هذه السورة جاء من الإنسان لرب العالمين، مما يدل على أن الإنسان لا يملك هذا الصراط، ولا يصل إليه دون الرب سبحانه، فله تعالى المسؤولية وليس للإنسان.

فالهداية بأنواعها الأربعة: الهداية العامة لجميع المخلوقات بحيث يعرف كل مخلوق ما خلق له ويسير به وله، وهداية التبليغ والإرشاد التي يؤديها الرسل والأنبياء بما نُزل إليهم، وهداية الدلالة والتوفيق لما عزم عليه الإنسان، وهداية المؤمن يوم القيامة إلى الجنة.

هذه الهداية بأنواعها وجوداً ومعايشة، ملك لله تعالى رب العالمين، ولذلك عَلَّمَ سبحانه المؤمنين من خلقه أن يطلبوها منه في كل ركعة من الصلاة ناهيك عن غيرها، وحدد لهم أن هذا الطلب منصبٌّ على نوع واحد معين من تلك الأنواع الأربعة، ألا وهو الهداية للطريق القويم الذي يلتزمه المؤمنون من خلقه وينكره من غضب عليهم من اليهود، ومن ضل من النصارى، إذ رفضوا اعتناق الإسلام والعيش عليه.. فتحملوا كامل المسؤولية..

من سورة البقرة (٢)

تشتمل هذه السورة المدنية على كثير من التشريعات المتعلقة بالعقيدة والعبادات والمعاملات والأخلاق، وقد بدأت بالحديث عن المؤمنين والكافرين والمنافقين، وقارنت بين أهل السعادة وأهل الشقاء، ثم تحدثت عن بدء الخليقة بذكر قصة أبي البشر آدم عليه السلام، ثم انتهت في الحديث عن أهل الكتاب و بخاصة بني إسرائيل لمجاورتهم للمسلمين في المدينة، وأظهرت مدى مكرهم وخبثهم وكيدهم ضد الإسلام و المسلمين، وتناولت بقيةُ السورة الكريمة التشريعَ؛ لأن المسلمين كانوا في بداية تكوين الدولة الإسلامية، وهم بأمسّ الحاجة للتشريع لتسيير حياتهم في العبادات و المعاملات معاً: فتحدثت عن أحكام الصيام والحج والعمرة، وأحكام الجهاد، وشؤون الأسرة، ثم تحدثت عن جريمة الربا التي تهدد المجتمع بالدمار، وانتهت السورة الكريمة بتوجيه المؤمن إلى التوبة و الإنابة، وطلب النصرة على الكافرين من رب العالمين.

فقد بدأت هذه السورة بخمس آيات عن المؤمنين، ثم بآيتين عن الكافرين، ثم بثلاث عشرة آية عن المنافقين. فهل المؤمنون آمنوا باختيارهم أم مجبرين، وهل الكفار كفروا باختيارهم أم مجبرين، وهل المنافقون نافقوا باختيارهم أم مجبرين؟ و بالتالي هل كل فئة منهم مختارة في عقيدتها أم مجبرة، و بالتالي مسؤولة عنها أو غير مسؤولة؟

إن الآيات الخمس الأولى تسند الإيمان إلى الإنسان، فالثانية تقرر أن في القرآن هداية لمن أراد أن يكون من الأتقياء، وتبين الثالثة أن هؤلاء الأتقياء هم الذين يؤمنون بالغيب بمحض إرادتهم واختيارهم. . ويؤمنون بما أُنزل على محمد عليه وآله وصحبه السلام من القرآن والسنة، وما أُنزل على الرسل السابقين من الكتب [آية ٤] ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ وَبِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾﴾، وأن هؤلاء المؤمنين هم من أخذوا بالهداية الربانية بإرادتهم و اختيارهم، وبالتالي هم الفائزون برضى ربهم [آية ٥] ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدٗى مِّن رَّبِّهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴿٥﴾﴾فالإيمان والهدى والفلاح

أخذوا بها وتحققت لديهم بمحض إرادتهم واختيارهم وليس جبراً على أي منهم، فهم المسؤولون عنها كامل المسؤولية.

وأما الآيتان التاليتان فإنهما تسندان الكفر إلى الكافرين أنفسهم، بل تؤكدان أنهم مصرون عليه كامل الإصرار، حتى قال المفسرون أنهم بكثرة ذنوبهم طمسوا على نور بصيرتهم وأبصارهم، فأصبحوا لا يرون الحق ولا يسمعونه ولا يفقهونه، وهذا معنى الختم والطبع على العقول والأسماع، والتغشية على الأبصار.

وأما إسناد الختم إلى الله تعالى فهو من باب ما لا يتم في ملك الله تعالى من شيء أو فعل إلا في إطار مشيئته تعالى، وليس جبراً عنه، لأنه سبحانه بقدرته المطلقة يملك منع ذلك في أي وقت ومكان.. فالختم والغشاوة إذن من رفضهم للحق... ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ۝٦ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ وَعَلَىٰ سَمۡعِهِمۡۖ وَعَلَىٰٓ أَبۡصَٰرِهِمۡ غِشَٰوَةٞۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ۝٧﴾.

وأما الآيات الثلاثة عشرة التالية [من ٨ ـ ٢٠] فإن [الآية ٨] ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَمَا هُم بِمُؤۡمِنِينَ ۝٨﴾ تسند الإيمان المزعوم بشكل صريح للإنسان المنافق وتنفي هذا الزعم عنهم، ثم تبين في الآيات التالية [من ٩ ـ ٢٠] صفات المنافقين: من المخادعة والكذب في زعمهم الإيمان، إلى الإفساد مع الزعم بالإصلاح، إلى قذف المؤمنين بالسفه، إلى السخرية بالمؤمنين والتواطؤ مع شياطينهم من الكفار، إلى اختيار الضلالة بدلاً من الهدى، واختيار الظلام بدل النور، واختيار الصمم بدل السماع، واختيار الخرس بدل النطق، واختيار العمى بدل الإبصار. فالآيات تسند إليهم ذلك كله بمحض اختيارهم، ثم تتهددهم في نهاية [الآية ١٩] بقوله تعالى ﴿وَٱللَّهُ مُحِيطُۢ بِٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ أي إنه تعالى قادر عليهم بهذا النفاق، ولكنه سبحانه يتركهم لاختيارهم، وهذا المعنى أكدته [الآية ٢٠] في نهايتها إذ تقول:

﴿وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمۡعِهِمۡ وَأَبۡصَٰرِهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾ أي إنه تعالى لو شاء لأخذ سمعهم وأبصارهم، وفرض عليهم الإيمان جبراً عليهم، ولكنه سبحانه لم يشأ ذلك مع قدرته عليه وعلى كل شيء.. ولذلك عليهم أن يتحملوا مسؤولية اختيارهم.

وأما أن الله تعالى قد زادهم مرضاً إلى ما في قلوبهم من مرض النفاق، وأنه

تعالى يستهزئ بهم لاستهزائهم بالمؤمنين فيجازيهم على ذلك، وأنه تعالى قد أخمد النار التي أشعلوها في الظلمة، فكل ذلك من باب المشيئة والجزاء، ولذلك نجده سبحانه يتهددهم في نهاية [الآية ١٩] كما سبقت الإشارة ﴿وَٱللَّهُ مُحِيطُۢ بِٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ بأنه عالم بأحوالهم وضلالاتهم، وقادر على إيقاع الجزاء المناسب لأفعالهم وأقوالهم، ولكنه سبحانه يطمئنهم بأنه ﴿وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمۡعِهِمۡ وَأَبۡصَٰرِهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾ [الآية : ٢٠] يطمئنهم بأنه سبحانه يؤخرهم ليوم تشخص فيه الأبصار، وأنه لذلك لن يُنزل عليهم بقضائه وقدره ما يأخذ منهم أسماعهم وأبصارهم، ولكنه سبحانه يتركهم لاختيارهم مرض النفاق لينالوا جزاء ما اقترفت أيديهم وألسنتهم وعقولهم..

ثم ذكرت السورة في الخمس آيات التالية [٢١ ـ ٢٥] الأدلة على وحدانيته سبحانه، وعرّفتِ الناس بنعمه عليهم وجزاء الجاحدين منهم فقالت: ﴿فَإِن لَّمۡ تَفۡعَلُواْ وَلَن تَفۡعَلُواْ فَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِي وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُۖ أُعِدَّتۡ لِلۡكَٰفِرِينَ ﴿٢٤﴾﴾ مقابل المؤمنين الذين بشرّهم في الآية التالية ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنۡهَا مِن ثَمَرَةٖ رِّزۡقٗا قَالُواْ هَٰذَا ٱلَّذِي رُزِقۡنَا مِن قَبۡلُۖ وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَٰبِهٗاۖ وَلَهُمۡ فِيهَآ أَزۡوَٰجٞ مُّطَهَّرَةٞۖ وَهُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥﴾﴾، فنال كل فريق جزاء ما فعله واعتقده بمحض إرادته واختياره.

ثم تتحدث السورة في الآيات الأربع التالية [٢٦ ـ ٢٩] عند ضربه تعالى للمثل بالبعوضة المخلوق الحقير، ليؤكد إيمان المؤمنين بذلك وأنه حق، وضلال الكافرين وبعدهم عن الهدى لإصرارهم بمحض اختيارهم على الباطل وبعدهم عن الحق فخسروا آخرتهم بما ينتظرهم من نار جزاء كفرهم وإنكارهم الحق.

وأما إسناد الهدى والضلال في الآية [٢٦] إلى الله تعالى بقوله ﴿يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرٗا وَيَهۡدِي بِهِۦ كَثِيرٗاۚ وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلۡفَٰسِقِينَ﴾ فهو من باب عدم خروجهم في فعلهم عن مشيئة الله تعالى وإذنه وليس من باب الإلزام به، ولذلك نجد الآية في نهايتها تقول: ﴿وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلۡفَٰسِقِينَ﴾ أي إن هذا الضلال من صفات من فسق عن أمر ربه وابتعد عن توحيده، ووقع في الخسران بنقضه للعهد مع الله، وببعده عن أوامره سبحانه، وبالإفساد في الأرض.

هذا وقد أسندت الآية [٢٨] الكفر إليهم بشكل صريح ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٨﴾﴾ مما يؤكد أن كل ما اشتملت عليه هذه الآيات من الهدى والضلال والإيمان والكفر هي من صنع الإنسان وأفعاله بإرادته واختياره، ولذلك نال جزاءه بالنار على كفره وضلاله، ولاسيما مع إصراره عليها وعدم التوبة عنها.

وفي الآيات الست [٣٤ ـ ٣٩] يذكر سبحانه إبليس بأنه رفض السجود لآدم عندما خلقه وأمره بالسجود له مع الملائكة، وأنه استكبر ﴿وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ باختياره.

كما يذكر سبحانه في الآيتين الأخيرتين [٣٨ و ٣٩] بأنه سيُنزل إلى الأرض ـ التي أُهبِطَ إليها أبو البشر مع زوجه ومعهما إبليس ـ سيُنزل هدى يهتدي به من يشاء من البشر ويكفر به من يشاء ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [من الآية ٣٨] فالكل بإرادتهم واختيارهم يلتزمون الهدى أو يرفضونه، فينالون جزاء الالتزام أو الرفض بالجنة أو النار.

وفي الآيات الأربع [٤٠ ـ ٤٣] أمر بني إسرائيل بالإيمان [الآية ٤٠] ﴿وَءَامِنُوا۟ بِمَآ أَنزَلْتُ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوٓا۟ أَوَّلَ كَافِرٍۭ بِهِۦ﴾ وليس جبراً عليهم، ولذلك جاء في الآية [٤١] بعد الأمر بالإيمان بما ينزله تعالى النهي الجازم عنِ الكفر به، مما يؤكد أن الإيمان والكفر هما من اختيار الإنسان لا جبرٌ عليه.

وفي الآية [٥٣] ﴿وَإِذْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿٥٣﴾﴾ تأكيد بأن ذلك قد أنزله تعالى على موسى من أجل أن يهتدوا بالتفكير به، والعمل بما فيه من أحكام، ولكنهم ما أسرع ما تنكبوا عن ذلك باختيارهم.

وتبدأ الخمس آيات التالية [٥٥ ـ ٥٩] بإعلان بني إسرائيل رفض الإيمان، ففي الآية [٥٥] ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٥﴾﴾ معلنين رفضهم للإيمان باختيارهم لا جبراً عنهم، متحملين مسؤولية ذلك من العذاب الذي نزل بهم من مثل ﴿فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ﴾ [الآية: ٥٥].

ثم تؤكد الآية [٥٧] في نهايتها بأنهم باختيارهم ذلك الكفر قد استحقوا ذلك

العقاب ﴿وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ﴾ وفي [الآية ٦١] تأكيد على أن ما حلّ بهم من عذاب كان بسبب اختيارهم الكفر ﴿ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ﴾.

ثم تأتي الآية التالية [٦٢] لتبين المؤمنين الذين اختاروا الإيمان من اليهود والنصارى. . فتسند ذلك الاختيار لمحض إرادتهم، إذ تقول بأنهم ﴿مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ﴾.

وتبين الآية [٦٤] بعدها بأنهم سيكونون من الخاسرين لولا قبول توبتهم وعفو الله عنهم، فالخسران من صنع أيديهم ومن محض اختيارهم.

وفي الآية [٧٠ التالية] يقول بنو إسرائيل عن البقرة ﴿قَالُواْ ٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ إِنَّ ٱلۡبَقَرَ تَشَٰبَهَ عَلَيۡنَا وَإِنَّآ إِن شَآءَ ٱللَّهُ لَمُهۡتَدُونَ ﴿٧٠﴾﴾ إشارة إلى أنه تعالى سيوفقهم ويدلهم على البقرة المطلوب ذبحها بأجوبة موسى على أسئلتهم.

وتكشف الآيتان [٧٥ و ٧٦] عن بعدهم عن الإيمان ورفضهم له ونفاقهم في التظاهر أمام المسلمين، مما ينتهي بهم إلى الخلود في النار، بينما تبين [الآية ٨٢] بأن أولئك الذين آمنوا باختيارهم وعملوا الصالحات بإرادتهم هم أصحاب الجنة الخالدون فيها.

وتأتي الآية [٨٥] لتبين الإيمان السليم الذي يجب أن يختاره المؤمن، وأنه الإيمان بجميع ما نزل من عند الله تعالى فتقول: ﴿ثُمَّ أَنتُمۡ هَٰٓؤُلَآءِ تَقۡتُلُونَ أَنفُسَكُمۡ وَتُخۡرِجُونَ فَرِيقٗا مِّنكُم مِّن دِيَٰرِهِمۡ تَظَٰهَرُونَ عَلَيۡهِم بِٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِ وَإِن يَأۡتُوكُمۡ أُسَٰرَىٰ تُفَٰدُوهُمۡ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيۡكُمۡ إِخۡرَاجُهُمۡۚ أَفَتُؤۡمِنُونَ بِبَعۡضِ ٱلۡكِتَٰبِ وَتَكۡفُرُونَ بِبَعۡضٖۚ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفۡعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمۡ إِلَّا خِزۡيٞ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلۡعَذَابِۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ ﴿٨٥﴾﴾.

وتوضح الآية [٨٨] ﴿وَقَالُواْ قُلُوبُنَا غُلۡفُۢۚ بَل لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفۡرِهِمۡ فَقَلِيلٗا مَّا يُؤۡمِنُونَ﴾ بأن بني إسرائيل قد رفضوا الإيمان فطردهم تعالى من رحمته لاختيارهم الكفر والجحود، كما توضح [الآية ٨٩] إنكارهم للإيمان بعيسى وبعده بمحمد عليهما السلام فاستحقوا اللعنة والعذاب الأليم.

ثم تؤكد الآية [٩١] ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ ءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ نُؤۡمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيۡنَا

وَيَكۡفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُۥ وَهُوَ ٱلۡحَقُّ مُصَدِّقٗا لِّمَا مَعَهُمۡۗ قُلۡ فَلِمَ تَقۡتُلُونَ أَنۢبِيَآءَ ٱللَّهِ مِن قَبۡلُ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿٩١﴾﴾ تؤكد فعلتهم المنكرة وإنكارهم الإيمان بمحض اختيارهم.

وعندما تقول الآية [٩٣] ﴿وَأُشۡرِبُواْ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلۡعِجۡلَ بِكُفۡرِهِمۡۚ﴾ فإنها تؤكد أن حبهم للعجل وعبادته قد كان بسبب كفرهم بعبادةِ الله تعالى وتوحيده؛ مما ترفضه الآية.

وعندما تبين الآية [٩٧] بأن ما أنزله تعالى من القرآن بأنه ﴿وَهُدٗى وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ فإنها ترفض عداوتهم لجبريل عليه السلام الذي ينزل من الله تعالى على محمد عليه السلام، وتؤكد الآية [٩٨] بأن ذلك من الكفر الذي يوقع في العداوة مع الله رب العالمين.

وتوضح الآية [٩٩] بعدها بأن الفاسقين الذين يخرجون عن طاعة الله تعالى هم من يكفرون بآيات الله تعالى التي أنزلها على نبيه محمد عليه السلام عندما تقول ﴿وَلَقَدۡ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ءَايَٰتِۢ بَيِّنَٰتٖۖ وَمَا يَكۡفُرُ بِهَآ إِلَّا ٱلۡفَٰسِقُونَ ﴿٩٩﴾﴾ مؤكدة بأن الفسق والكفر من صنع اختيارهم مما استحقوا عليها العذاب الأليم، ثم تبين الآيتان [١٠٠ و ١٠١] بأن أهل الكتاب باختيارهم رفضوا الإيمان، مما تؤكده الآيتان [١٠٢ و ١٠٣] بأنهم اتبعوا الشياطين الذين يُعلِّمون الناس السحر فيضرون بذلك أنفسهم وإن كان شيئاً من ذلك لا يجري منهم إلا بإذن الله تعالى، مما يعني أنه تعالى مما يعطي فيه الاختيار ليتحملوا مسؤوليته، ومما لا يفرضه على أحد ولا يمنع منه أحداً. .

وتسند الآية [١٠٤] وأمثالها بنداء ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ الإيمان إلى المؤمنين باختيارهم وإرادتهم، ولذلك تنبههم إلى نوع من القول يجب عليهم التقيد به حتى لا يقعوا في الكفر، فلا يقولوا للرسول عليه السلام ﴿رَٰعِنَا﴾ ولكن ليقولوا ﴿ٱنظُرۡنَا﴾ لأن اليهود حرفوا كلمة راعنا من المراعاة إلى الرعونة فأصبحت سبّاً للرسول عليه السلام.

والآية [١٠٥] أكدت اختيارهم للكفر، وأنهم يرفضون الاعتراف بما ينزله تعالى من قرآن هو الخير من الله تعالى.

ثم تنبه الآية [١٠٨] بأن سؤال اليهود لموسى عليه السلام أن يروا الله تعالى

بأعينهم يوقع في العناد الكافر، وأن على المسلمين ألا يقعوا في ذلك لأن ذلك من الكفر والضلال..

كما تنبه الآية [١٠٩] المسلمين بأن يحذروا اليهود الذين يريدونهم أن يعودوا للكفر من باب الحسد مما يؤكد فعل الإيمان والكفر من الإنسان نفسه.

وعندما تقول الآية [١١٠] ﴿وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ﴾ فإنها تسند أعمال الخير من صدقات وغيرها للإنسان، ليجد الثواب عند الله تعالى جزاء ذلك.

وتأمر الآية [١٢٠] الرسول عليه السلام ومن معه وبعده من المؤمنين أن يقولوا ﴿إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ﴾ لأهل الكتاب من اليهود والنصارى، أي إن هدى الله الإسلام هو الدين الحق، وغيره هو الباطل فخذوا به والتزموه ودعوا غيره. فالأخذ منكم والترك لكم ولا أحد يلزمكم بذلك..

وتصف الآية [١٢١] ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٢١﴾﴾ تصف طائفة من أهل الكتاب من اليهود والنصارى بالمؤمنين، لأنهم دخلوا بمحض إرادتهم في الإسلام، وأخذوا يقرؤون القرآن قراءة سليمة، وأما من كفروا به منهم فإنهم قد خسروا دنياهم وآخرتهم بمحض اختيارهم.

وتتحدث الآية [١٢٦] عن دعاء إبراهيم عليه السلام لأهل البيت الحرام، الحجاز، بالثمرات للمؤمنين منهم بالله واليوم الآخر، وأما الكافرون فإن الله تعالى سيرزقهم في الدنيا وهو المتاع القليل، ثم يكون مصيرهم يوم القيامة إلى النار رغماً عنهم، فتبين الآية أن من يؤمن باختياره أو يكفر فله الجزاء المناسب يوم الحساب، فالإيمان والكفر بالاختيار؛ والجزاء بالإجبار ولا خيار، كما أن الرزق بمقدار بيد الرزاق دون اختيار؛ اللهم إلا في البحث والوسائل..

وتؤكد الآية [١٣٤] ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ ۖ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ ۖ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٣٤﴾﴾ أن ما كسبته أمة إبراهيم عليه السلام وما بيّنه من خير أو شر لها وعليها، وكذلك أمة محمد عليه السلام فلها ما كسبته من خير أو شر، ولكنها لن تسأل يوم الجزاء عما فعلته الأمم السابقة، مما يبين موضع الجزاء بأنه ما تختاره الأمم أفراداً وجماعات من أعمال، وليس ما تجبر عليه.

وتـرد الآيـة [١٣٥] ﴿وَقَالُواْ كُونُواْ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ تَهْتَدُواْۗ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِـۧمَ حَنِيفًاۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٣٥﴾﴾ على زعم اليهود والنصارى بأن ما هم عليه هو الهدى مع أنهم مشركون إذ يزعمون البنوة لله سبحانه، فتدعوهم لرفض زعمهم، واختيار الوحدانية في الإيمان، والتزام ما نزل على محمد عليه السلام من أحكام، والإيمان بما نزل على الأنبياء السابقين، وأن هذا هو وحده الهدى وغيره هو الباطل.

ثم تكرر الآية [١٤١] ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْۖ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْۖ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ معنى المسؤولية الخاصة بكل أمة عما عملت سواء بالتزام أحكام الله تعالى التي أنزلت على أولئك الأنبياء أو برفضها، وكذلك حال أمة الإسلام ومسؤوليتها عما اختارت من التزام أحكام الإسلام أو تراخت في ذلك. فالكل مسؤول عن اختياره وكسبه هو فقط.

وأما الآية [١٤٢] التي تسند في نهايتها الهداية إلى الصراط المستقيم إلى الله تعالى ﴿يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ فإنها تؤكد أن هذه الهداية لتحديد القبلة ليست من اختيار الناس، لأن العقل لا يمكنه ذلك، فهي من قضاء الله تعالى وقَدَرِهِ الذي لا يسأل عنه أحداً، وإنما يسأل من يتبعه ويطيعه بالاتجاه لهذه القبلة في صلاته. ولذلك جاءت الآية التالية تؤكد قيمة هذه الطاعة بالتوجه لقبلة الكعبة بدلاً من بيت المقدس، وأن ذلك صعب إلا على الطائعين فقط ﴿وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۗ﴾.

ثم تؤكد الآية [١٥٠] في نهايتها ﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِى وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِى عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ بألّا يخافوا الكفرة المعاندين، ويجعلوا الخوف من الله تعالى وعقابه للعصاة فقط، لأنه بذلك تتم الهداية لهم لقبلة أبيهم إبراهيم عليه السلام والتوفيق لسعادة الدنيا والآخرة. فعليهم بمحض اختيارهم أن يخافوا الله تعالى وحده لتتم عليهم نعمة الله تعالى بذلك كله.

ومن الآية [١٥١] من هذه السورة بدأ الخطاب للمؤمنين بعد أن استوفى ذكر بني إسرائيل وجحودهم لنعمة الله تعالى في أكثر من ثلث السورة، فتبدأ الآية [١٥٢] ﴿فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُواْ لِى وَلَا تَكْفُرُونِ ﴿١٥٢﴾﴾ بدعوة المسلمين المؤمنين لذكر الله تعالى بالعبادة والطاعة، وشكر نعمة الله تعالى وعدم جحودها، وهذا معنى الكفر هنا مقابل الشكر، وكلها باختيار الفرد الكامل.

ولذلك نجد الآية التالية [١٥٣] تخاطب المؤمنين ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٣﴾﴾ مستثيرة هممهم في الاستعانة بالصبر والصلاة لأن الله مع الصابرين ولأن الصابرين على ابتلاءاته تعالى لهم هم ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾﴾ أي السائرون على طريق السعادة.

والآية [١٥٩] تشير إلى كتمان وإخفاء اليهود ما أنزله الله تعالى من بينات ودلائل على صدق محمد عليه السلام ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِي ٱلْكِتَٰبِۙ أُوْلَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ﴾ وأن اختيارهم لذاك الكتمان يوقعهم بطرد الله تعالى لهم من رحمته، وهذا هو حالهم وحال من اختار الكفر وأصر عليه حتى مات.

وتأتي الآية [١٦٤] بتعداد الدلائل والبراهين على قدرته تعالى وحكمته ورحمته، لتبصرها العقول الواعية، وتتدبرها، وترى فيها صنع الإله القادر الحكيم الذي جعل البحر ميسراً لسير السفن وما تأتي به من منافع للإنسان، إنها بصناعة السفن التي تأتي بذاك كله..

ثم تلفت الآية [١٦٥] نظر المؤمنين لتميزهم عن المشركين في شدة حبهم لله تعالى ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِۗ﴾ مزكية حسن اختيارهم.

وتشبه الآية [١٧١] الكفار الذين اختاروا الكفر بدلاً من الإيمان بالدواب السارحة التي لا تفهم ولا تفقه نداء راعيها أكثر من صوت زجر أو جلب فتقول ﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ كَمَثَلِ ٱلَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءًۚ صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٧١﴾﴾.

ثم تأمر الآية [١٧٢] المؤمنين الذين اختاروا الإيمان بدلاً من الكفر بحصر أكلهم في الطيب من الرزق ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَٱشْكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١٧٢﴾﴾.

ثم تحدد الآية [١٧٥] من باعوا الهدى بالضلال بمحض اختيارهم، بأنهم من يكتمون ما أنزل الله من اليهود وأمثالهم الذين ينكرون صفة النبي في التوراة ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ وَٱلْعَذَابَ بِٱلْمَغْفِرَةِۚ فَمَآ أَصْبَرَهُمْ عَلَى ٱلنَّارِ﴾.

وتجيب آية البر رقم [١٧٧] على سؤال عن البرّ الذي هو اسم جامع للطاعات وأعمال الخير، فتبيّن بأنه غير محصور بالتوجه في الصلاة للمشرق أو المغرب، وتقول ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ﴾ محددة ذروة الطاعات بأنها الإيمان بالله واليوم الآخر.. وبعدها تذكر اختيار قائمة من الخيرات.

ثم تخاطب الآية التالية [١٧٨] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ يا من اخترتم الإيمان ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِصَاصُ فِى ٱلْقَتْلَى﴾.

ثم تذكر الآية [١٨٠] ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا ٱلْوَصِيَّةُ لِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ بِٱلْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٨٠﴾﴾ الوصية التي كانت واجبة للوالدين والأقربين قبل نزول آية المواريث التي نسختها.

ثم تذكّرهم الآية [١٨٣] ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ﴾ بوجوب الصوم، وتحدد لهم الآية [١٨٥] شهر الصوم برمضان دون غيره فتقول: ﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾ لأنه فيه أنزل القرآن هدىً للناس لمن يؤمنون بذلك.

وتأتي الآية [١٨٦] بالأمر بالإيمان بالله تعالى لأن في ذلك الرشاد ﴿فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِى وَلْيُؤْمِنُواْ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾﴾.

وعادت الآية [١٨٨] وذكرت مجالاً آخر من البر، إنه التقوى بطاعة الله تعالى، ودخول المحرم بيته الحرام من بابه، وليس كما كانت تفعل الجاهلية من ظهره.

فقد أمرت الآية المحرمين من الأنصار بالتخلي عن هذه العادة الجاهلية، وتركت لهم كامل الاختيار في العمل بها وتنفيذها ليكونوا من المتقين الفائزين.

ثم ذكرت الآية [١٩١] ﴿وَلَا تُقَٰتِلُوهُمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَٰتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِن قَٰتَلُوكُمْ فَٱقْتُلُوهُمْ كَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ فأسندت الآية القتال لخيار المسلمين، وإن جاء الأمر بقتل الكفار إذا بادروا بالقتال، لأن هذا هو الجزاء المناسب لعمل من اختاروا الكفر وأصروا عليه وعلى أعماله.

وأما الهدى الذي ورد في الآية [١٩٦] ﴿فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْىِ﴾ فهو ما يهدى إلى بيت الله من النعم، من إبل وبقر وغنم. وأما ذكر الخير في الآية [١٩٧] ﴿وَمَا تَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ﴾ و ﴿خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ﴾ فهو إشارة لما يفعله الحاج من تقوى في الحج.

وأما الآية [١٩٨] فتأمر بذكر الله تعالى بطاعاته شكراً له تعالى على هدايتكم بعد أن كنتم في عداد الضالين فتقول ﴿وَٱذْكُرُوهُ كَمَا هَدَىٰكُمْ وَإِن كُنتُم مِّن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿١٩٨﴾﴾ فنعمة الهدى جاءت من فضل الله تعالى وليس من صنع الإنسان ولكن ذكره تعالى على هذا الفضل وشكره من صنع الإنسان واختياره.

وأما الآية [٢١٢] فإنها تسند تزيين شهوات الدنيا ونعمها للكفار لله تعالى، فإنه سبحانه يمتعهم في الحياة الدنيا كثيراً تلبية لسعيهم، فلا يمنع عنهم أي منكر اختاروه في متعهم ليجازيهم بما يستحقه اختيارهم.

فالشهوات والتزيين من فعله تعالى، وممارسة المنكرات بتلك الشهوات وتزيينها من فعل الإنسان واختياره، الذي يتركه تعالى لاختيار الإنسان لينالَ جزاءَهُ وفقاً لإرادته واختياره..

وتبيّن الآية [٢١٣] في نهايتها بأن الله تعالى هو الذي أنزل الهدى الذي آمن به المؤمنون وساروا عليه، فنالوا جزاء هذا الإيمان والسير عليه ﴿فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾، فسواء كان الإذن للهدى أم للاختلاف فهما لا يكونان دون إذن من الله تعالى، من باب أن شيئاً في ملكه تعالى لا يكون دون إذن منه سبحانه؛ سواء أكان قضاء وقدراً كإنزال الهدى، أم كان عملاً إرادياً كالاختلاف.

والآية [٢١٥] تصرح بإسناد فعل الخير للإنسان ﴿وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٢١٥﴾﴾.

ثم تبيّن الآية [٢١٦] بأن الله تعالى قد فرض القتال في سبيل الله، وأنه الخير مهما كرهوا له؛ وأنَّ الشر في تركه.

وتسند الآية [٢١٧] ﴿وَكُفْرٌۢ بِهِۦ﴾ الكفر بالله للإنسان، فهو المسؤول عنه، كما تؤكد الآية [٢١٧] مسؤولية الكفر على المرتدين.. وتأتي الآية [٢١٨] لتذكر وتخاطب المؤمنين وما لهم من طيب الجزاء لاختيارهم الإيمان والعمل به.

وتذكر الآية [٢١٩] ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ۖ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا ۗ﴾ بأن في التعامل بالخمر والميسر منافع مع ما فيهما

من إثم كبير، فهذا الاختيار للتعامل بهما يكسب المتعامل ذلك بمحض إرادته واختياره.

وتذكر الآية [٢٢٠] أن في رعاية اليتامى خيراً ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْيَتَـٰمَىٰ ۖ قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ ۖ﴾ فتسند الخير لهم بالرعاية والإصلاح لشؤونهم، كما تسند الآية نفسها الإصلاح والفساد للإنسان فتقول ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ ٱلْمُفْسِدَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِ ۚ﴾.

وأما الآية [٢٢١] فتحرم نكاح المشركات وتدعو لنكاح المؤمنات، وكذلك الرجال ﴿وَلَا تَنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكَـٰتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ ۚ وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ ۗ وَلَا تُنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا۟ ۚ﴾ فتسند الشرك للإنسان رجلاً كان أو امرأة.

وتجعل الآية [٢٢٣] البشارة بالفوز للمؤمنين الذين اختاروا الإيمان على الشرك وأطاعوا الرحمن ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٢٣﴾﴾.

وربطت الآية [٢٢٨] ﴿وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِىٓ أَرْحَامِهِنَّ إِن كُنَّ يُؤْمِنَّ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ۚ﴾ الطاعة والخوف من الله تعالى بالإيمان.

ونهت الآية [٢٣١] عن الإضرار بالمطلقة بمراجعتها أو تطليقها بإحسان ﴿وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّتَعْتَدُوا۟ ۚ﴾، وكل ذلك من فعل الإنسان المحاسب عليه.

وربطت الآية [٢٣٢] عدم منع الزوجة المطلقة من العودة لزوجها إذا تفاهما بالإيمان الذي عليه الزوج ليتحمل مسؤولية موقفه.

ونهت الآية [٢٣٣] عن الإضرار بالأم أو الأب عند الإنفاق على مولودهما بعد الطلاق، فالكل ومعهما الوارث مسؤولون عن ذلك.

وبيّنت الآية [٢٥٠] في نهايتها ما يلزم المسلمين من الدعاء عند مهاجمة العدو في القتال بالقول ﴿وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٢٥٠﴾﴾.

وتذكر الآية [٢٥٣] القتال بين الأمم بالمشيئة الربانية المعبّرة عن قدرته تعالى على منع القتال فيما بينهم، ولكنه تعالى ـ وهو العالم بهم ـ تركهم لاختيارهم ولم يمنعهم بقضائه وقدره من ذلك، فتحملوا كامل مسؤولية أعمالهم سواء من حيث اختيار بعضهم الإيمان وبعضِهِمُ الآخر الكفرَ، أو من حيث ما نشأ عن ذلك من خلاف أدى إلى القتال.

وربطت آية الكرسي [٢٥٥] الشفاعة للآخرين عند الله تعالى بإذنه، وذلك لأنه

سبحانه العالم بكل منهم وبمن يستحق أن يؤذن له بها، فكان هذا الإذن من قضاء الله تعالى المحتوم ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾.

كما ربطت علم البشر بشيء من الغيب بمشيئته تعالى، فكانت هذه المشيئة أيضاً من قضائه تعالى الجازم.

ولكن الآية [٢٥٦] ربطت الإيمان والكفر باختيار الإنسان ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ﴾، وأكدت الآية [٢٥٧] الجزاء الطيب للمؤمنين والقاسي للكافرين تبعاً لاختيارهم..

وتتحدث الآية [٢٥٨] عن النمروذ بن كنعان الذي جادل إبراهيم عليه السلام في وجود الله، فعجز عن الرد عندما دعاه ليأتي بالشمس من المغرب كما يأتي بها الله من المشرق.

وتؤكد الآية بأن الله تعالى لا يدل الظالم الجاحد للحجة في المجادلة، فتقول: ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥٨﴾﴾ فالهداية هداية دلالة ومعونة.

والآية [٢٦١] تقول ﴿وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ﴾ أي في الثواب جزاء الإنفاق في سبيل الله.

وتقول الآية [٢٦٣] ﴿قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَآ أَذًى وَٱللَّهُ غَنِىٌّ حَلِيمٌ ﴿٢٦٣﴾﴾ مؤكدة أن من يختار ذاك القول الطيب أفضل ممن يعطي صدقة معها المنة، ولذلك نجد الآية التالية [٢٦٤] تخاطب المؤمنين باختيار الصدقة الخالية من المنة والأذى، لأن ذلك من فعل الكفار الذين لا يدلهم تعالى على الخير مع إصرارهم على الكفر. ثم تؤكد الآية [٢٦٧] وجوب الإنفاق من الكسب الحلال لتقبل منهم فتقول ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنفِقُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّآ أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ﴾.

وتبين الآية [٢٦٩] ﴿وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ بأن من يختار العمل الصالح هو الأفضل أكثر بكثير من غيره.

وأخيراً تؤكد الآية [٢٧١] بأن إظهار الصدقات ممدوح لتشجيع الآخرين على العطاء، ولكن إخفاءها ممدوح أكثر خشية من الرياء والمنة ﴿إِن تُبْدُوا۟ ٱلصَّدَقَٰتِ

فَنِعِمَّا هِيَ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّـَٔاتِكُمْ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٧١﴾﴾.

وتأتي الآية التالية [٢٧٢] لبيان أن إلزام الناس بالهدى ليس لأحد ولا حتى للرسول عليه السلام ولكن عليه التبليغ فقط، فالله سبحانه وحده يملك أن يجبر الناس على الهدى، ويجعلهم كالملائكة، ولكنه سبحانه تركهم لاختيارهم بعد أن وضع الهداية بين أيديهم ﴿لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾.

وتنتهي الآية ببيان أن ما ينفقه المؤمن من خير سيجد جزاءه خيراً منه. . ﴿وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾.

كما تذكر الآية التالية [٢٧٣] بأن ما ينفقه الإنسان المؤمن من خير، مساعدة للفقراء المتعففين يعلمه تعالى وسيجازي عليه بأكثر منه.

وتتحدث الآية [٢٧٧] عن جزاء من اختاروا الإيمان والعمل الصالح ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٧٧﴾﴾ مؤكدة عظم ذلك عند الله تعالى.

وتأتي الآية التالية [٢٧٨] لتأمر المؤمنين بالتقوى وترك الربا ما داموا مؤمنين ملتزمين بمقتضى إيمانهم.

وتجعل الآية التالية [٢٨٠] التصدّق بمال الدين على المعسر من أفضل ما يقدمه الدائن، إذ من حقه أن يسترد ماله، وأن ينتظر المعسر، ولكن أن يسامحه فذاك الأفضل عند الله تعالى.

وتتحدث آية الدين [٢٨٢] عن كتابة الدين والإشهاد عليه برجلين أو رجل وامرأتين، موضحة أن ذلك خوف النسيان أو الخطأ الذي قد يُسببُ الضلال عن شهادة الحق ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَٱكْتُبُوهُ﴾، وتبيّن الآية أيضاً أنه لا يجوز أن يلحق صاحب الحق الضرر بالكتّاب والشهود بأن يضرهم في مصالحهم مثلاً.

وتذكر الآية [٢٨٤] بأن الإعلان عما في النفوس أو إخفاءه معلوم لله تعالى، وسيحاسب عليه إما بالمغفرة، وإما بالعذاب، لأن الله تعالى يعلم ذلك كله، وقادر على المغفرة والعفو عما يراه يستحق ذلك، وعلى العذاب عما يستحقه.

ثم تبيّن الآية [٢٨٥] موضوع إيمان الرسول عليه السلام والمؤمنين معه، وذلك بمحض إرادتهم واختيارهم إذ أسنده إلى فعلهم، وليس إلى إكراه أحد منهم على ذلك، فهم الذين آمنوا، وهم الذين قالوا سمعنا وأطعنا، وطلبوا المغفرة من ربهم على أي خلل في طاعتهم، كيف لا والمولى سبحانه لا يكلف نفساً إلا طاقتها، ودعاها لطلب عدم المؤاخذة على النسيان والخطأ.. وعلى طلب العفو والمغفرة والرحمة في نقص أعمالهم، وطلب النصر على الكافرين، مبيّناً لهم أن النصر ليس إلا له سبحانه.

من سورة آل عمران (٣)

اشتملت هذه السورة المدنية على ركنين هامين: ركن العقيدة الإسلامية، وركن التشريع بشأن المغازي والجهاد في سبيل الله تعالى.

وتناولت هذه السورة الزمرة الثانية من أهل الكتاب وهم النصارى، بعد أن تناولت سورة البقرة الزمرة الأولى منهم وهم اليهود.

وفي التشريع تناولت السورة الحج والجهاد وأمور الربا وحكم مانع الزكاة، وأسهبت في ذكر غزوة بدر وغزوة أحد وما فيهما من دروس وعبر.

كما تحدثت السورة بالتفصيل عن النفاق والمنافقين وموقفهم من تثبيط همم المؤمنين.

وانتهت السورة الكريمة بدعوة الناس بعامة والمؤمنين بخاصة للتفكر في ملكوت السماوات والأرض وما فيهما من إتقان وإبداع، ودعت المؤمنين للجهاد في سبيل الله تعالى..

وبرز كما يلي جانب الاختيار الحسن للإنسان في أعماله، والفرق الواسع بينه وبين الاختيار السيئ؛ ففي ذلك دعوة حارّةٌ لحسن الاختيار..

وتصرّح الآية [٤] بأن الله تعالى قد أنزل التوراة والإنجيل قبل القرآن ليكونا هدى لمن يتبعهما من الناس باختيارهم، ثم جاء القرآن من بعدهما ليكون الهدى

الخاتم للناس كافة بالإيمان به واتباع أحكامه، ولذلك تهددت كل من ينكر ذلك بالعذاب الشديد.

وتعلّم الآية [٨] المؤمنين بالقرآن الدعاء إلى الله تعالى أن يثبتهم على الإيمان، بعد أن نزل به القرآن كتاب الله تعالى الحق.

وتهددت الآية [١٢] اليهود عندما أصروا على إنكارهم القرآن بأنهم سيُغلبون كما غُلبت قريش في بدر، وتذكّرهم الآية التالية [١٣] بأن الله تعالى قد نصر المؤمنين وهم القلة على قريش وهم الكثرة، وأن عليهم ألا يخدعوا بِعَدَدِهم وَعُدَدِهم.

وتخبر الآية [١٥] المؤمنين بأن ما ينتظرهم في الآخرة من جزاء عظيم هو أفضل من كل متاعِ الدنيا وزينتها من النساء والأموال، وأن عليهم ألا يخدعوا بهذا كله..

وتهدد الآية [١٩] من يكفر بالقرآن ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ﴾ فالعذاب الشديد بانتظاره لأنه اختار الكفر على الإيمان.

وتصرّح الآية [٢٠] بهداية من يُسلم ﴿فَإِنْ أَسْلَمُوا۟ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ۖ﴾ فذلك بإرادتهم واختيارهم، ولذلك قالت ﴿وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَـٰغُۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ﴾ بأنهم إن رفضوا الإسلام فقد ضلوا، ولا يملك الرسول عليه السلام ولا غيره من أتباعه إلى يوم الدين غير التبليغ دون إكراه لأحد على الإيمان.

وأكدت الآية التالية [٢١] بأن العذاب الأليم بانتظار من يكفر بالقرآن من اليهود الذين يقتلون الأنبياء ودعاة الحق..

وتعلن الآية [٢٦] بأن بيد الله تعالى خزائن كل خير ﴿بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾﴾ وما على المرء إلا أن يسعى في البحث عن الرزق ﴿فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦۖ﴾.

ثم جاء النهي عن موالاة ومحبة الكافرين بدلاً من المؤمنين مهما كانت الأسباب ﴿لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَـٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَۖ﴾ اللهم إلا مجاملة لهم دفعاً لأذاهم وشرهم ﴿إِلَّآ أَن تَتَّقُوا۟ مِنْهُمْ تُقَىٰةًۗ﴾ وهذه هي التقية المشروعة.

وتأمر الآية [٣٢] ﴿قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَـٰفِرِينَ﴾

موضحة بأن الله تعالى لا يحب من كفر برفضه لطاعة أوامر الله وأوامر رسوله، مما يؤكد أن الطاعة باختيار الإنسان ويتحمل مسؤوليتها.

وتؤكد الآية [٣٧] ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٍ﴾ بأن الرزق قضاء من الله تعالى، ولا يملك المرء إلا السعي له.

كما تؤكد الآية [٤٠] ﴿قَالَ كَذَٰلِكَ ٱللَّهُ يَفۡعَلُ مَا يَشَآءُ﴾ بأن الأولاد من قضائه تعالى أيضاً ﴿يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثٗا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ﴾ عندما وهب الله تعالى زكريا ابنه يحيى عليهما السلام، وعندما وهب مريم ابنة عمران ولداً دون زوج.

وتكشف الآية [٥٢] عن كفر اليهود بعيسى إصراراً منهم على إنكار نبوته ورسالته ﴿فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنۡهُمُ ٱلۡكُفۡرَ﴾ وتآمراً منهم على قتله، ولكن الله تعالى أنقذه منهم برفعه إلى السماء دون أن يمسوه بسوء ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ الآية [٥٥].

ثم تتهدد الآية [٥٦] نصارى نجران الذين أصروا على الكفر بالقرآن ورسوله ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَأُعَذِّبُهُمۡ عَذَابٗا شَدِيدٗا فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ﴾ وتبشر المؤمنين منهم بالجزاء الطيب ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُوَفِّيهِمۡ أُجُورَهُمۡۗ﴾.

وتردُّ الآية [٦٧] على اليهود والنصارى بأن إبراهيم لم يكن مشركاً بادعاء البنوة لله تعالى ﴿مَا كَانَ إِبۡرَٰهِيمُ يَهُودِيّٗا وَلَا نَصۡرَانِيّٗا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفٗا مُّسۡلِمٗا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ٦٧﴾.

وتكشف الآية [٦٩] بأن من أهل الكتاب من كان يريد أن يبعدكم عن الحق يا محمد وأصحابه، ولكن ذلك كان دليل بعدهم عن الحق ﴿وَدَّت طَّآئِفَةٞ مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ لَوۡ يُضِلُّونَكُمۡ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمۡ وَمَا يَشۡعُرُونَ ٦٩﴾.

ثم تستنكر عليهم الآية التالية [٧٠] إنكارهم القرآن وهم يعلمون أنه الحق ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تَكۡفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَأَنتُمۡ تَشۡهَدُونَ ٧٠﴾ مما يجزم أن كل ذلك الشرك والكفر من إرادتهم واختيارهم وأنهم محاسبون عليهما.

وتكشف الآية [٧٢] لعبتهم بالتظاهر بالإيمان صباحاً والتراجع عنه مساءً ليغروا المؤمنين بذلك ﴿وَقَالَت طَّآئِفَةٞ مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ ءَامِنُواْ بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَجۡهَ ٱلنَّهَارِ وَٱكۡفُرُوٓاْ ءَاخِرَهُۥ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ ٧٢﴾.

وتوضح الآية التالية [٧٣] مكرهم بألّا يؤمنوا إلا لمن كان تابعاً لدينهم، ولكن

قل لهم يا محمد ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ﴾ أي إن الهدى من الله تعالى وليس منهم فليكفوا عن زعمهم الكاذب.

وتؤكد الآية [٨٠] إفراد الله تعالى بالعبادة ﴿وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُواْ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ أَرْبَابًاۗ أَيَأْمُرُكُم بِٱلْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿٨٠﴾﴾ مبيّناً أن الأمر إلى الله تعالى ولكن تنفيذه لاختيار المرء وإرادته.

وتبيّن الآية التالية [٨١] بأن الله تعالى قد أخذ العهد على النبيين بأن يؤمنوا بمحمد عليه السلام عندما يأتي يصدق ما معهم ﴿لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥۚ﴾.

ثم تبيّن الآية [٨٤] ما يجب أن يؤمن به المسلمون، مما أنزله تعالى على إبراهيم والنبيين من ذرية إسماعيل واسحق ويعقوب والأسباط وموسى وعيسى عليهم السلام، دون أي تفريق في الإيمان بهم ﴿قُلْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿٨٤﴾﴾.

ثم تبيّن الآية التالية [٨٥] الدين المقبول عند الله تعالى ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾ مما يوضح أن للإنسان ابتغاء الدين أي دين، وعليه تحمل الخسارة أو الفلاح.

ثم تتعجب الآية التالية [٨٦] وتستنكر على من يدّعون الإيمان ثم يرجعون عنه، بأنهم لا يستحقون هدايته تعالى التي أنزلت للناس كافة، لأنهم يظلمون أنفسهم بذلك الكفر مما يلحق بهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين.

وتؤكد الآية [٩٠] ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ ثُمَّ ٱزْدَادُواْ كُفْرًا لَّن تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلضَّآلُّونَ ﴿٩٠﴾﴾ عدم قبول توبة من أنكر الإسلام وأصرّ على إنكاره، لأنه من البعيدين عن الإيمان والإسلام، وأن هذا هو شأن من مات على كفره.

وتبيّن الآية [٩٥] بأن إبراهيم عليه السلام كان من الصادقين في إيمانهم، ولم يكن من المشركين كحال اليهود والنصارى.

كما تبيّن الآية [٩٧] بأن من يترك الحج منكراً لوجوبه كافرٌ جاحدٌ أَمْرَ الله تعالى بإرادته واختياره مما ينتظر عليه العذاب الأليم.

كما تبيّن الآية [٩٨] بأن أهل الكتاب من اليهود والنصارى يجحدون بالقرآن

فيقعون في الكفر بمحض اختيارهم، كما يصدون المؤمنين عن إيمانهم ليستووا معهم في الكفر الآية [٩٩].

ولكن الآية [١٠٠] تنبه المؤمنين وتحذرهم من الاستجابة لهم حتى لا يقعوا في الكفر، وبين أيديهم الرسول عليه السلام، وآيات الله تعالى البينات الآية [١٠١]، وما عليهم إلا أن يخشوا الله تعالى حق الخشية، ويموتوا على الإسلام الآية [١٠٢]، وأن عليهم أن يلتزموا القرآن الكريم والسنة المطهرة ليهتدوا إلى سعادة الدارين الآية [١٠٣].

وتخاطب الآية [١٠٤] المسلمين بأن يشكلوا من بينهم جماعة أو جماعات، أو حزباً أو أحزاباً للدعوة إلى الإسلام وفهمه، ليتحقق لهؤلاء الدعاة النجاح والفوز والفلاح، بشرط ألا يكونوا ممن تفرقوا واختلفوا في الدين، وإنما في الاجتهاد في آياته حتى يبقوا أمة واحدة الآية [١٠٥] لأن من يقع في الكفر منهم بالخروج عن جماعة الأمة، وإنكار أحكام الله تعالى له العذاب يوم الدين، ولا سيما أن الآية [١١٠] تبيّن مواصفات الأمة أو الجماعة أو الحزب بأنه من يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويؤمن بالله تعالى، ففي الأمر والنهي السياسة الشاملة، وفي الإيمان أساس تلك السياسة.

وتكشف الآية [١١٣] أن من أهل الكتاب من كان مؤمناً حقاً كعبد الله بن سلام، وأكثرهم كانوا منكرين للقرآن مما يجعلهم بمحض اختيارهم من أهل النار، وأن أموالهم وأولادهم لن تدفع عنهم شيئاً من العذاب، وأن عليهم أن يعلموا ﴿وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَٰكِنْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ الآية [١١٧].

وتحذر الآية [١١٨] المؤمنين من استخدام بطانة من أولئك الكفار الذين يمكرون ضدهم مهما تظاهروا بالمودة. .

وتتحدث الآية [١٢١] عن تبكير الرسول عليه السلام في توزيع المقاتلين في معركة أحد ﴿وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ ٱلْمُؤْمِنِينَ مَقَٰعِدَ لِلْقِتَالِ﴾.

وأن جماعتين من المسلمين كادتا تتراجعانِ لولا أن ثبتوا وساروا مع الرسول عليه السلام بعد تردد، فأمرهم تعالى بالتوكل على الله تعالى الذي بيده النصر، وأنه

سبحانه كما نصركم ببدر سينصركم في كل موقعة ما دمتم أهلاً للنصر، وليس النصر بعَدد ولا عُدد ولا ملائكة؛ الآية [١٢٦].

وتؤكد الآية [١٢٩] بأن ملك الله تعالى يشمل كل من في السماوات والأرض بمن فيهم المؤمنون والكافرون، وأن بيده تعالى المغفرة لمن يشاء من عباده والعذاب لمن يشاء، وذلك مرتبط بعلمه بكل ما يفعله ويختاره الناس من أفعال.

وتخاطب الآية [١٣٠] المؤمنين بأن يتجنبوا التعامل بالربا بجميع أشكاله، لما في ذلك التجنب من طاعةٍ لله ورسوله توفر شرطاً من شروط النصر والفلاح وتجنبكم النار وجزاء الكافرين الآية [١٣١].

وبعد أن تعرض صفات المتقين في الآيات [١٣٣ و ١٣٤ و ١٣٥] تذكر جزاءهم في الآية [١٣٦]، وتؤكد في الآية [١٣٨] ﴿هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٨﴾﴾ بأن في اتباع ذلك البيان هداية لطريق الرشاد، كما تؤكد الآية [١٣٩] صفات المؤمنين بأنهم لا يضعفون ولا يحزنون مهما تعرضوا للجراح أو للهزائم في المعارك لما في ذلك من ابتلاء واختبار لهم الآية [١٤١].

وعندما تذكر الآية [١٤٥] بأن الموت بإذن الله تعالى فهي تتحدث عن القضاء والقدر، وهذا من معاني الإذن حسب الآية.

وتعلّم الآية [١٤٧] المؤمنين الدعاء في المعارك ﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِىٓ أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ مما يجلب لهم الخير في الدنيا والآخرة ﴿فَـَٔاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ ٱلْـَٔاخِرَةِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ الآية [١٤٨].

وتحذر الآية [١٤٩] المؤمنين من طاعة الكفار والمنافقين في محاولة فتنتهم بعد ما حلّ بهم من هزيمة وجراح في أحد، فإن في هذه الطاعة وقوعاً في الخسران ﴿فَتَنقَلِبُوا۟ خَٰسِرِينَ﴾.

وتطمئن الآية [١٥١] بأن الله تعالى سيلقي الرعب والخوف في قلوب الكافرين بسبب شركهم ﴿سَنُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ بِمَآ أَشْرَكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا ۖ وَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ ۚ وَبِئْسَ مَثْوَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٥١﴾﴾، وتكرر الآية [١٥٢] التطمين للمؤمنين ﴿وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ ۗ﴾ مخالفتكم لأمر الرسول عليه السلام بالنزول اجتهاداً عن جبل أحد، فكان ما كان.

ثم تحذر الآية [١٥٦] المؤمنين من ترديد قول الكفار بأنهم لو كانوا بعيدين عن المعركة لما قتلوا لأن الموت والحياة قضاء من الله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يُحْيِۦ وَيُمِيتُ﴾.

ثم تتحدث الآيات عن حسن تصرف الرسول عليه السلام مع المقاتلين، مما جمعهم تحت قيادته بالرغم من هزيمة أحد ﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ﴾ الآية [١٥٩]. وأن الرسول عليه السلام كان مِنَّةً من الله على المؤمنين، لأنه طهرهم من كل الذنوب، وأنقذهم من الضلال والانحراف عن الحق.

وتبيّن الآية [١٦٦] ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ وَلِيَعْلَمَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ مما يؤكد خضوع كل شيء وفعل في ملكه تعالى لإذنه ومشيئته وليس رغماً عنه.

وتبيّن الآية [١٦٧] بأن قول المنافقين ﴿لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَّٱتَّبَعْنَٰكُمْ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَٰنِ﴾ بأن مثل هذا القول يقربهم من الكفر ويبعدهم عن الإيمان، مما يستدعي الحذر من مثل هذا القول، وإن كان ما يبطنه المنافق من كفر يكفي للحكم عليه عند ربه.

وتؤكد الآية [١٧١] البشارة بنعمة الله وفضله على الشهداء يوم يستشهدون ﴿يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٧١﴾﴾ ما داموا قد استشهدوا في سبيل الله تعالى.

كما تبيّن الآية [١٧٣] بأن من صفات الشهداء أن تخويفهم من الكفار لا يزيدهم إلا إيماناً ﴿فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا﴾ بينما القعود عن الجهاد والاستشهاد من أفعال الشيطان وأوليائه، لأنهم مهما سارعوا في اتباع الشيطان فإنهم لن يضروا الله تعالى شيئاً وإنما يضرون أنفسهم الآية [١٧٧].

وأما الآية [١٧٨] فإنها تحذر المؤمنين كما تحذر أتباع الشيطان من الظن بأن إمهالهم دون عذاب، بإطالة أعمارهم، من الخير لهم بل هو من الشر ﴿إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓاْ إِثْمًا﴾. وتؤكد الآية [١٧٩] بأن الله تعالى يميّز المؤمنين من المنافقين ﴿مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ﴾.

وتعلّم الآيات [من ١٩٠ إلى ١٩٤] المؤمنين الدعاء المستجاب من رب الأرباب، فتقول مؤكدة الاستجابة ﴿فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ﴾ الآية [١٩٥].

ثم تؤكد الآية [١٩٦] ﴿لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِى ٱلْبِلَٰدِ ﴿١٩٦﴾﴾ بأن تنقل

الكفار في البلاد طلباً للرزق لا يجوز أن يغر ويخدع أحداً، لأن ذلك كله من المتاع القليل في الحياة الدنيا.

كما تؤكد الآية [١٩٩] إيمان بعض اليهود والنصارى بحق، ثم تأتي الآية [٢٠٠] بالوصية الجامعة للمؤمنين بالصبر والمصابرة والمرابطة ليتحقق لهم الفوز.

من سورة النساء (٤)

تشتمل هذه السورة المدنية على الكثير من الأحكام الشرعية التي تنظم شؤون المسلمين الداخلية والخارجية.

فأوردت الكثير من التشريع المتعلق بالمرأة والبيت والأسرة والدولة والمجتمع، ونالت حقوق النساء والأيتام القسط الأكبر،

وتعرّضت إلى أحكام المواريث التي تحقق العدل والمساواة،

وتناولت العلاقات الزوجية وتنظيماتها من حق الزوج على زوجته وبالعكس.

وشددت على التكافل والتراحم في المجتمع والأمانة والعدل في بنائه،

وتعرضت للأمن الخارجي فأمرت بالاستعداد لمكافحة الأعداء مما يحفظ للأمة استقرارها، ووضعت بعدها بعض القواعد في المعاملات الدولية بين المسلمين وغيرهم من الدول المحاربة حكماً مما تسمى المحايدة والمحاربة فعلاً مما تسمى المعادية.

ثم حملت السورة بشدة على المنافقين، ونبهت إلى خطر أهل الكتاب وبخاصة اليهود.

وانتهت السورة الكريمة ببيان ما عليه النصارى من ضلال في حق السيد المسيح عليه السلام.

فتنهى الآية [٢] عن أكل مال اليتيم لأنه عمل خبيث ومال خبيث فكيف تفعلونه وتتركونَ أموالكم الطيبة، فالمال بنوعيه طيب وخبيث من تعامل الإنسان به، وليس

من ذاته مادام ليس نجساً كالخمر ولحم الخنزير. . كيف لا والآية [١٠] تقول إنَّ ﴿ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ نَارًا ۖ وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾.

وأما القول بعدم الإضرار في الوصية ﴿مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَىٰ بِهَآ أَوْ دَيْنٍ غَيْرَ مُضَآرٍّ﴾ أي بعدم قصد الإضرار بالورثة، بحيث لا تتجاوز الثلث لقوله عليه السلام: «الثلث، والثلث كثير» فهذا من اختيار الإنسان.

والتوبة في الآيات [١٦ و ١٧ و ١٨] هي للجاهل سريع التوبة ومحسنها (من أحسن) وليس لمن يتوب عند الموت ولا لمن يموت على كفره. . وهي ممن يرتكب المنكرات باختياره وإرادته ويتوب ويتراجع عنها باختياره وإرادته.

وفي الآية [١٩] ﴿فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ احتمال الخير في الزوجة المكروهة لدمامتها أو سوء خلقها، فقد تلد الكثير من الأولاد. وتبين الآية [٢٥] الصبر على العزوبة لمن لا يستطيع الزواج ﴿وَأَن تَصْبِرُوا۟ خَيْرٌ لَّكُمْ ۗ﴾ من الزواج بالإماء بدلاً من الحرائر.

وتخاطب الآية [٢٩] المؤمنين ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ﴾ أي بغير الطريق الشرعي، وهذا مما طلبته الشريعة ممن صدقوا الله ورسوله. .

وتبين الآية [٣٧] ﴿وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا﴾ بأن الله تعالى قد هيأ للجاحدين نقمة الله عذاباً أليماً من خزي وإذلال.

وعندما تذكر الآيات [٣٨ و ٣٩ و ٤٣] الذين آمنوا فإنها تسند الإيمان لإرادتهم واختيارهم، وكذلك شأن الذين كفروا في الآية [٤٢].

والآية [٤٤] تتحدث عن اختيار اليهود الضلالة على الهدى، وتفضيلهم الكفر على الإيمان بإنكار ما جاء به الرسول عليه السلام مما يعرفونه من كتبهم، ويجيبون قريشاً بأنها على الهدى من دون المسلمين.

كما أن الآية [٤٦] تكشف عن تهجمهم على الرسول عليه السلام بوصفه بالرعونة باستخدام كلمة مشكلة هي راعنا بدلاً من انظرنا، مما أوقعهم في الكفر واستحقوا لعنة الله بكفرهم ﴿وَلَٰكِن لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾.

والآية [٤٧] تأمر اليهود أن يصدقوا القرآن الذي يصدق ما معهم ﴿ءَامِنُواْ بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُم﴾.

وتضع الآية [٤٨] قاعدة للإيمان والشرك ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ مبينة أن هذه المغفرة عائدة إلى مشيئة الله تعالى بحق غير المشركين من أصحاب الذنوب ولا سيما الكبائر منها.

وتبين الآية [٥١] كيف يؤمن اليهود بالأوثان والأصنام، ويقولون لكفار قريش بأنهم أهدى من محمد وأصحابه ﴿وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ هَٰٓؤُلَآءِ أَهْدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ سَبِيلًا﴾ وهكذا كان أكثرهم كافرين والقلة منهم مؤمنين ﴿فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ بِهِۦ وَمِنْهُم مَّن صَدَّ عَنْهُۚ وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا ﴿٥٥﴾﴾.

وتبين الآيتان [٥٦ و ٥٧] مصير كل من الكفار والمؤمنين ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا﴾، ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ فالكفر باختيارهم والإيمان باختيارهم وكلٌّ جزاؤه حسب اختياره.

وتأمر الآية [٥٩] الذين صدقوا بالرسول والرسالة ﴿أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ﴾ أي أولي الأمر المطيعين لله وللرسول، ولذلك ربطتهم عند التنازع فيما بينهم بالله ورسوله أي بالكتاب والسنة لرفع النزاع، وبيّنت أن ذلك هو الأصلح لهم في الحال والمآل.

وتبين الآية [٦٠] بأن المنافقين لا يؤمنون بالقرآن ولا بالكتب السابقة ﴿يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓاْ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ﴾ عند الخصومة مع أنهم أمروا أن يكفروا به ﴿وَقَدْ أُمِرُوٓاْ أَن يَكْفُرُواْ بِهِۦ﴾ وما هم في الحقيقة إلا أتباع الشيطان ﴿وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا﴾.

وتؤسس الآية [٦٥] قاعدة في فض التنازع بين المؤمنين وتقول ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾.

وتذكر الآية [٦٨] جزاء المؤمنين ﴿وَلَهَدَيْنَٰهُمْ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٦٨﴾﴾ أي أرشدهم تعالى إلى الطريق القويم الموصل إلى جنة النعيم.

وخاطبت الآية [٧١] من اختاروا الإيمان بأن يحذروا من الكفار الذين اختاروا الجحود.

وتبين الآية [٧٦] بأن ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ﴾ بينما ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱلطَّٰغُوتِ﴾ مما يميز المؤمنين من الكافرين في اختيارهم القتال إما في سبيل الله أو الطاغوت.. فيستحق كل من الفئتين الجزاء المناسب الأوفى بصنع أيديهم.

وتكشف الآية [٧٨] زعم المنافقين ﴿وَإِن تُصِبۡهُمۡ حَسَنَةٞ يَقُولُواْ هَٰذِهِۦ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِۖ وَإِن تُصِبۡهُمۡ سَيِّئَةٞ يَقُولُواْ هَٰذِهِۦ مِنۡ عِندِكَۚ﴾ بأن ما يصيبهم من حسنة هي من عند الله لما يعلمه من حسن نواياهم وأعمالهم حسب زعمهم، وأما السيئة فهي من اتباعهم لمحمد عليه السلام، فهم كاذبون لأنه ﴿قُلۡ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِۖ فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلۡقَوۡمِ لَا يَكَادُونَ يَفۡقَهُونَ حَدِيثٗا﴾ لأن الرزق الكثير والقليل بيد الله تعالى وحده بقضائه وقدره.. وتؤكد الآية [٧٩] للمنافقين وللناس كافة بأن ما يصيبهم من رزق وفير هو من فضل الله تعالى عليهم، بينما الجدب والقحط ليس كما يزعمون أنه بسبب محمد عليه السلام، وإنما هو بذنب اقترفوه وجاء ابتلاء لهم. وتحرض الآية [٨٤] الرسول عليه السلام على الجهاد ولو كان وحده، ولكن ليشجع من آمنوا ليجاهدوا معه والله تعالى ناصرهم على من اختاروا الكفر.. ﴿فَقَٰتِلۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفۡسَكَۚ وَحَرِّضِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَكُفَّ بَأۡسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ﴾.

وتبين الآيتان [٨٨ و ٨٩] إصرار المنافقين على الكفر والضلال، وأن أحداً لم يستطع أن يخلصهم منها مع إصرارهم، لأنه سبحانه العالم بحالهم قد تركهم لاختيارهم فكانوا كذلك لأنفسهم، ولكنهم لم يكتفوا بذلك بل حرصوا على ترك المسلمين للإيمان وعودتهم مثلهم إلى الكفر.. ﴿أَتُرِيدُونَ أَن تَهۡدُواْ مَنۡ أَضَلَّ ٱللَّهُۖ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلٗا﴾ ﴿وَدُّواْ لَوۡ تَكۡفُرُونَ كَمَا كَفَرُواْ فَتَكُونُونَ سَوَآءٗۖ﴾.

وتوضح الآية [٩٢] القتل الخطأ بين المؤمنين، وديته ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤۡمِنٍ أَن يَقۡتُلَ مُؤۡمِنًا إِلَّا خَطَـٔٗاۚ﴾.

وأما القتل العمد فله شأن آخر [آية ٩٣].

وتبين الآية [٩٤] بأن على المؤمنين أن يتحققوا من إيمان الشخص الذي يلتقون

به في خروجهم للجهاد حتى لا يقتلوا مؤمناً ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبْتُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُواْ﴾.

ثم تحدد الآية [٩٥] الفرق بين المؤمن المجاهد في سبيل الله، وبين من ليس به ضرر وعلة تمنعه بصدق من الجهاد، لأن للمجاهدين فضلاً كبيراً على القاعدين ﴿لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِى ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ وأما من به ضرر كالعمى فهو معذور وله أجره العظيم لو جاهد بماله وكلماته.

وأما ما تشير إليه الآية [٩٨] من عجز المستضعفين عن الهجرة وعذرهم في ذلك بأن أولئك ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا﴾ بمعنى معرفة الطريق المنقذة من ذلك.

وتحدد الآية [١٠١] قصر الصلاة بسبب الخوف من الكفار، وإن كان الرسول عليه السلام قد جعل القصر رخصة ولو دون خوف ولمجرد السفر. والمهم الحرص على أداء الصلاة مهما كان الترخيص بقصرها.

وتبين الآية [١١٣] ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُۥ لَهَمَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ أَن يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِن شَىْءٍ﴾ بأن الله تعالى لولا فضله على نبيه ورحمته به لنجحت جماعة منهم أن يبعدوه عن الحق، عندما أرادوا أن يبرئ عليه السلام صاحبهم المدعو «طعمة» من تهمة السرقة، ويلصقها باليهودي، ولكن الله تعالى أطلع رسوله على الحقيقة، فرجع وبال بعدهم عن الحق إليهم، ورجع ضررهم عليهم لأن الله تعالى عاصمه عليه السلام من ذلك.

كما تبين الآية [١١٥] ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ﴾ بأن من يخالف أمر الرسول عليه السلام فيما نزل عليه من ربه مما كشف الحقيقة فله جهنم.

وأما الآية [١١٦] فإنها تبين ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا﴾ بأن اختار البعد عن الوحدانية وابتعد عن الحق بعداً شديداً.

وقد بينت الآية [١١٩] بأن الشيطان يقوم بإبعاد الإنسان عن الإيمان الحق والعمل الصالح ﴿وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ﴾ ومن يتبع الشيطان في ذلك ﴿فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا﴾ بخسارته الدنيا والآخرة مهما تمتع من الدنيا الزائلة.

كما بينت الآية [١٢١] مصير المؤمنين الذين اختاروا الإيمان وعمل الصالحات

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدۡخِلُهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ﴾ لأنهم رفضوا غواية الشيطان، واتبعوا أمر الرحيم الرحمن سواء كانوا ذكوراً أو إناثاً الآية [١٢٤].

وذكرت الآية [١٢٧] ﴿وَمَا تَفۡعَلُواْ مِنۡ خَيۡرٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِهِۦ عَلِيمٗا﴾ موضحة أن العدل والبر مع النساء واليتامى لهما أعظم الجزاء، فجعلت ذلك من الخير المعلوم عند الله تعالى والمجازي به أطيب الجزاء.

كما ذكرت الآية [١٢٨] ﴿وَٱلصُّلۡحُ خَيۡرٞۗ﴾ أي إنه أفضل من الفراق عند إنهاء النزاع بين الأزواج، بالإبقاء على الحياة الزوجية بمصالحة الزوجين بدلاً من الطلاق.

وتبين الآية [١٣٣] ﴿إِن يَشَأۡ يُذۡهِبۡكُمۡ أَيُّهَا ٱلنَّاسُ وَيَأۡتِ بِـَٔاخَرِينَۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ قَدِيرٗا ١٣٣﴾ تبين قدرة الله تعالى على الناس بقضائه وقدره، فإن مشيئته لو كانت من نوع القضاء والقدر لقضت على الموجودين من الناس وأتت بغيرهم..

وتأمر الآية [١٣٥] من اختاروا الإيمان بالله تعالى وصدقوا بكتابه بأن يجتهدوا في توفير العدل والاستقامة ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلۡقِسۡطِ﴾.

ثمّ تحدد الآية [١٣٦] عناصر الإيمان المطلوب ممن اختاروا الإيمان على الكفر ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِن قَبۡلُۚ وَمَن يَكۡفُرۡ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا ١٣٦﴾ بحيث يحرصون على هذا الإيمان، مع الإيمان بالقضاء والقدر خيره وشره من الله تعالى، وإلا بعدوا عن الحق بعداً شديداً.

وتؤكد الآية [١٣٧] ما يفعله المنافقون من تردد بين الإيمان والكفر مراراً، وأنهم بذلك يحرمون من المغفرة والوصول إلى الحق ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ ثُمَّ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ ثُمَّ ٱزۡدَادُواْ كُفۡرٗا لَّمۡ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغۡفِرَ لَهُمۡ وَلَا لِيَهۡدِيَهُمۡ سَبِيلَۢا ١٣٧﴾.

ثمّ تذكر الآية [١٣٩] ما يفعله المنافقون من موالاة الكفار ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلۡكَٰفِرِينَ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۚ﴾ وينسون أن ﴿ٱلۡعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعٗا﴾.

وتذكر بعدها الآية [١٤٠] ﴿إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱلۡكَٰفِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا﴾ مما يؤكد أنهم على حد سواء عند الجزاء.

وأما الآية [١٤١] ﴿وَلَن يَجْعَلَ ٱللَّهُ لِلْكَـٰفِرِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا﴾ فإنها تبين استحالة تمكينهم من المؤمنين، بحيث يسيطرون عليهم سيطرة تامة أبدية، بل ستكون مجرد ابتلاء ما أسرع ما يزول بزوال أسبابه، لتحل العاقبة للمؤمنين المتقين.

وعندما تقول الآية [١٤٣] عن المنافقين ﴿وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلًا﴾ فإنها تؤكد أن من اختار النفاق فإنه قد اختار الضلال والبعد عن الحق، والله تعالى مطلع عليه، وقادر على منعه من ذلك، ولكنه سبحانه يتركه لاختياره، وعندها لن يجد له من يبعده عن هذا الضلال.

ثمّ تشدد الآية [١٤٤] على المؤمنين بالبعد عن موالاة المنافقين والكافرين بدلاً من المؤمنين، اللهم إلا إذا تابوا عما هم عليه ﴿وَأَخْلَصُواْ دِينَهُمْ لِلَّهِ﴾ وعندها ﴿فَأُوْلَـٰٓئِكَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ وعندها ﴿وَسَوْفَ يُؤْتِ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾.

وتبين الآية [١٤٨] أن الله تعالى لا يحب إعلان الكلام السيئ من أحد إلا إذا كان مظلوماً، وعندها له أن يعلن الظلم الذي وقع عليه ﴿لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلْجَهْرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِمَ﴾.

وتقارن الآيات [١٥٠ و ١٥١ و ١٥٢] بين الجاحدين المنكرين لله تعالى ورسله، والذين يؤمنون ببعضهم ويكفرون بالآخرين، وبين المؤمنين بالله تعالى ورسله جميعاً دون تفريق فيما بينهم، وتؤكد أن النار جزاء المنكرين والجنة جزاء المؤمنين ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا﴾ ﴿أُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ حَقًّا﴾ ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَلَمْ يُفَرِّقُواْ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ أُوْلَـٰٓئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ﴾.

وتؤكد الآية [١٥٥] بأن إنكارهم الإيمان، وقولهم بأن قلوبهم مغطاة وعقولهم مقفلة فلا تعي ما تقول يا محمد، فهم بإصرارهم على الإنكار لا يؤمن منهم إلا القليل كعبد الله بن سلام وأصحابه ﴿وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ بَلْ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ﴾.

وكذلك بكفرهم بعيسى عليه السلام واتهام أمه مريم بالزنا وزعمهم أنهم قتلوه عليه السلام ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَـٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ﴾ [آية ١٥٧].

والآية [١٦٢] تؤكد إيمان بعضهم بالرسول محمد عليه السلام ورسالته القرآن

﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَۚ﴾ وهؤلاء ينتظرهم الثواب الجزيل بالخلود في الجنة.

وتؤكد الآية [١٦٧] ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ قَدْ ضَلُّواْ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا ﴿١٦٧﴾﴾ تؤكد أن من ابتعدوا عن الإيمان بمحمد ورسالته، ووقفوا في طريق نشرها هم من ضلوا وابتعدوا كثيراً عن الحق وطريقه، وهؤلاء الذين جحدوا وظلموا حرموا أنفسهم بسبب ذلك من مغفرة الله تعالى ومعرفة طريق الحق ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَظَلَمُواْ لَمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا ﴿١٦٨﴾﴾ [آية ١٦٨].

وتخاطب الآية [١٧٠] الناس عامة وتدعوهم للإيمان بالرسول والرسالة وهو الخير لهم ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُمُ ٱلرَّسُولُ بِٱلْحَقِّ مِن رَّبِّكُمْ فَـَٔامِنُواْ خَيْرًا لَّكُمْۚ﴾ وما عليكم أيها النصارى إلا الإيمان بالله ورسله، وعدم القول بالآلهة الثلاثة ﴿وَلَا تَقُولُواْ ثَلَٰثَةٌۚ ٱنتَهُواْ خَيْرًا لَّكُمْۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌۖ﴾ [آية١٧١] وأن المؤمنين العاملين بالصالحات فلهم الجزاء الطيب العظيم [آية ١٧٣] ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ﴾.

وتخاطب الآية [١٧٤] الناس كافة ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُم بُرْهَٰنٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا ﴿١٧٤﴾﴾ هو محمد عليه السلام وما معه من معجزات، وأن من آمن به وتمسك بالقرآن منهم فله الرحمة والفضل ومعرفة الطريق القويم إلى جنة النعيم.

من سورة المائدة (٥)

تناولت هذه السورة المدنية جانب التشريع كغيرها من السور المدنية.

وخصت أحكام العقود، والذبائح، والصيد، والإحرام، والزواج من الكتابيات، والردة، وأحكام الطهارة، وحد السرقة، وحد البغي، وأحكام الخمر والقمار، وكفارة اليمين، وحكم من ترك العمل بشريعة الإسلام، وغيرها من الأحكام.

وللعبرة والعظة ذكرت السورة بعض القصص بشأن بني إسرائيل، وتمردهم على موسى عليه السلام حتى حكموا بالتيه أربعين سنة.

ثم بشأن قصة الصراع بين الخير والشر، ممثلاً بولدي آدم عليه السلام وقتل قابيل أخاه هابيل، ثم بشأن قصة المائدة معجزة عيسى عليه السلام أمام الحواريين، وانتهت السورة الكريمة بذكر يوم الحشر وتقريع النصارى الذين عبدوا عيسى دون الله تعالى.

فقد بدأت السورة بمخاطبة من اختاروا الإيمان للوفاء بالعقود، وغيرها من الأحكام الخمسة من تحليل بهيمة الأنعام إلا ما استثني في الكتاب والسنة، واستثني بسبب الإحرام للحج، وإباحة الصيد لغير المحرم بالحج.. ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِۚ﴾.

ثم تكرر المخاطبة في الآية [٢] لمن اختاروا الإيمان لاستكمال بقية الأحكام الخمسة.

وأما الآية [٣] فتبيّن ما حرم من الذبائح، وتدعو المؤمنين لعدم الخوف من الكفار بعد أن قويت شوكة الإسلام ﴿ٱلۡيَوۡمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن دِينِكُمۡ فَلَا تَخۡشَوۡهُمۡ وَٱخۡشَوۡنِۚ﴾.

وأما الآية [٥] فإنها تحذر من الردة عن الدين والكفر بشرائع الإسلام ﴿وَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلۡإِيمَٰنِ فَقَدۡ حَبِطَ عَمَلُهُۥ وَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾ لأن في ذلك إنكاراً للشرائع التي يفرضها الله تعالى.

وتخاطب الآية [٦] من اختاروا الإيمان ليحرصوا على الوضوء كشرط أساسي لصحة الصلاة ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغۡسِلُواْ وُجُوهَكُمۡ وَأَيۡدِيَكُمۡ إِلَى ٱلۡمَرَافِقِ وَٱمۡسَحُواْ بِرُءُوسِكُمۡ وَأَرۡجُلَكُمۡ إِلَى ٱلۡكَعۡبَيۡنِۚ﴾.

ثم تخاطبهم الآية [٨] بأن يشهدوا بالحق دون ميل لقريب أو ضد عدو ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلۡقِسۡطِۖ﴾ وأن في التزام ذلك مغفرة وأجراً عظيماً، وأما إنكاره فهو الجحود والتكذيب والجزاء بالجحيم ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٌ عَظِيمٞ ۝٩﴾ ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَحِيمِ ۝١٠﴾.

ثم تعود السورة لمخاطبة من اختاروا الإيمان في الآية [١١] فتذكرهم بنعمة الله تعالى عليهم، فمثلاً عندما كف يد الأعرابي في غزوة ذات الرقاع عن الرسول عليه السلام عندما همّ بقتله، وعندما منع اليهود من قتله عليه السلام عندما همّوا بقتله وهو الذي ذهب إليهم للاستعانة بهم في دفع الدية وفقاً للعهد معهم ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَن يَبْسُطُوٓاْ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾﴾.

وتذكر الآيتان [١٢ و ١٣] ما حل ببني إسرائيل من لعنات، لأنهم كفروا بنقض ما أخذ عليهم من مواثيق، بإقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، والتصديق برسل الله تعالى وخاتمهم محمد عليه السلام المعروف لديهم، فأنكروا تلك العهود فابتعدوا عن الطريق السوي ﴿فَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾.

وتخاطب الآيتان [١٤ و ١٥] النصارى من أهل الكتاب بالذات، وتذكرهم بما أخذ عليهم من عهود التوحيد والإيمان بمحمد عليه السلام، ولكنهم أنكروا ذلك فوقعت بينهم العداوة والبغضاء ﴿وَمِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰٓ أَخَذْنَا مِيثَٰقَهُمْ﴾ ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾.

ولكنهم بدلاً من أن يجدوا في الإسلام الطريق إلى الجنة ﴿يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ﴾ [آية ١٦] أنكروا ذلك وزعموا بأن الله تعالى هو المسيح نفسه ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۚ﴾ وأكدت لهم أن المسيح من خلق الله تعالى ﴿يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [آية ١٧].

وعندما زعم اليهود والنصارى بأنهم أبناء الله وأحباؤه كذَّبهم بزعمهم ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُاْ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ ۚ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم ۖ﴾ [١٨].

ونبهت الآية [٢١] بأن ينفذوا أمر الله تعالى بدخول الأرض المقدسة لئلا يقعوا في العصيان والخسران ﴿وَلَا تَرْتَدُّواْ عَلَىٰٓ أَدْبَارِكُمْ فَتَنقَلِبُواْ خَٰسِرِينَ﴾.

وأكدت لهم الآية [٢٣] وجوب الدخول إذا كانوا على الإيمان بالله تعالى وعلى الطاعة لأوامره، ولكنهم رفضوا الدخول فحرمت عليهم أربعين سنة قضوها في التيه

في سيناء ﴿قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَآ أَبَدًا مَّا دَامُوا۟ فِيهَا﴾ [٢٤] ﴿قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً﴾ [٢٦].

وتشير الآية [٣٠] إلى جريمة القتل الأولى في تاريخ البشرية عندما قتل قابيل أخاه هابيل، وهُما ولدا آدم عليه السلام، وذلك من باب الحسد، فقاده ذلك لخسارة الدنيا والآخرة ﴿فَطَوَّعَتْ لَهُۥ نَفْسُهُۥ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾.

وبعد ذكر حكم قطع الطريق، وما تقود إليه من فساد، تذكر الآيتان [٣٥ و ٣٦] وجوب طلب الرزق بالطرق المشروعة، وأن على من اختار الإيمان أن يحرص على ذلك، وأما الذين أنكروا الإيمان فلن يستطيعوا أن يفتدوا أنفسهم لفسادهم في الأرض بكل ما في الأرض من خيرات لو أعطيت لهم ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱبْتَغُوٓا۟ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ وَجَٰهِدُوا۟ فِى سَبِيلِهِۦ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣٥﴾﴾ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لِيَفْتَدُوا۟ بِهِۦ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٣٦﴾﴾.

وتعقب الآية [٤٠] على حد السرقة بالقول ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ مبيّنة أن له سبحانه أن يعذب على التعدي في ملكوته سبحانه وتعالى بما يشاء من العقوبات، ويغفر لمن يشاء، وأنه سبحانه لا معقب لحكمه.

ثم تخاطب الآية [٤١] الرسول عليه السلام بألّا يحزن لإنكار اليهود لحكم الرحمن عندهم، ووقوعهم بذلك في الكفر ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِأَفْوَٰهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ﴾ وتنفي الآية [٤٣] عنهم الإيمان وهم ينكرون حكم الله الموجود لديهم في التوراة ﴿وَمَآ أُو۟لَٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ﴾.

وتؤكد الآية [٤٤] خروج من ينكر حكم الله تعالى من الإيمان ودخوله في الكفر ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾.

بينما تبيّن الآية [٤٥] أن عدم تطبيق حكم الله تعالى مع الإيمان به من أي حاكم يوقعه في الظلم ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾.

وتبيّن الآية [٤٦] بأن في الإنجيل الخالي من التحريف هداية للطريق المستقيم

الموصل للجنة في الآخرة، والسعادة في الدنيا لمن عمل به، قبل أن ينزل القرآن الذي جاء ناسخاً له ولغيره من الكتب الأخرى.

وتبيّن الآية [٤٧] بأنهم أمروا بالحكم بما في الإنجيل الذي أمر بالعمل بالتوراة وأحكامها، وأن من لم يفعل ذلك من الحكام فهو ممن تجاوزوا الحق إلى الباطل ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾.

وربطاً لهذه الآيات الثلاث التي جاءت بمناسبة ظلم وكفر وفسق حكام بني إسرائيل من يهود ونصارى، لإنكارهم ما جاء في التوراة والإنجيل من أحكام لا تعجب هواهم، فإنها تبقى عامة تشمل كل حاكم بعد نزول القرآن الناسخ لكتبهم وتحكيمه محلها، فمن لم يحكم من حكام المسلمين بأحكام الإسلام فهو كافر إن أنكرها أو أنكر صلاحيتها، وهو ظالم إن لم ينكرها ولكنه طبق غيرها، وهو فاسق إن لم ينكرها وأقرها ولكنه لم يحرص على تطبيقها.

[فالآية ٤٨] تؤكد الحكم بالقرآن وشريعة الإسلام بعد أن نزلت ونسخت ما سبقها من الكتب والشرائع ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ﴾ وتؤكد الآية [٤٩] ذلك ﴿وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ﴾.

وعندما تقول الآية [٥١] ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ فإنها تؤكد أن من اختاروا الاحتكام لغير شرع الإسلام، أو ساروا في طريق النفاق بموالاة اليهود أو النصارى، فإنهم منهم، وأنه قد حرم نفسه من الطريق السوي إلى الجنة لأنه قد ظلم نفسه وتعدى عليها بذلك.

وبعد أن تبيّن الآية [٥٣] خسارة من والى الكفار، تحذر من اختاروا الإيمان من الردة عن الإسلام بموالاة الكفار أو الرجوع إلى الشرك القديم ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [٥٤].

وبيّنت الآيتان [٥٥ و ٥٦] أن الولاية بالمحبة والنصرة هي فقط لله ورسوله والذين آمنوا، وأن من يفعل ذلك هم الغالبون ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ ﴿وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٥٦﴾﴾.

وتؤكد الآية [٥٧] تحريم موالاة الكفار من قبل المؤمنين ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَكُمۡ هُزُوٗا وَلَعِبٗا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكُمۡ وَٱلۡكُفَّارَ أَوۡلِيَآءَۚ﴾ وانتهت الآية إلى عبارة ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾ داعية من اختاروا الإيمان إلى الخوف من الله تعالى وعدم الخوف من أهل الكتاب من اليهود والنصارى.

وهنا نجد في الآية [٥٩] إسناد الإيمان بشكل صريح إلى المؤمنين ﴿هَلۡ تَنقِمُونَ مِنَّآ إِلَّآ أَنۡ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ﴾ كما تسند الآية [٦٠] ﴿وَأَضَلُّ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ﴾ الضلال إلى اليهود أنفسهم، وكذلك الآية [٦١] تسند الإيمان والكفر إليهم أنفسهم ﴿وَإِذَا جَآءُوكُمۡ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَقَد دَّخَلُواْ بِٱلۡكُفۡرِ وَهُمۡ قَدۡ خَرَجُواْ بِهِۦۚ﴾، وكذلك الآية [٦٤] ﴿وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرٗا مِّنۡهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ طُغۡيَٰنٗا وَكُفۡرٗاۚ﴾ بإصرارهم على إنكار القرآن، وكذلك الآية [٦٥] ﴿وَلَوۡ أَنَّ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوۡاْ لَكَفَّرۡنَا عَنۡهُمۡ سَيِّـَٔاتِهِمۡ﴾.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ الآية [٦٧] بألّا يوفقهم لطريق الرشاد، والآية [٦٨] ﴿وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرٗا مِّنۡهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ طُغۡيَٰنٗا وَكُفۡرٗاۖ فَلَا تَأۡسَ عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ وتكمل نهايتها مخاطبة الرسول عليه السلام ﴿فَلَا تَأۡسَ عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ وكلها تسند الإيمان والكفر إليهم دون أدنى جبر ولا إكراه. ثم تقول الآية [٦٩] ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ﴾ فكل أصحاب هذه الخيارات لهم الجزاء الطيب ما داموا على الإيمان الحق.

ثم تعلن الآية [٧٢] ﴿لَقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَۖ﴾ بأن من يقول ذلك وقع بمحض اختياره في الكفر.

وكذلك ما ورد في الآية [٧٣] ﴿لَّقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٖ﴾.

وتعلن الآية [٧٦] ﴿قُلۡ أَتَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمۡلِكُ لَكُمۡ ضَرّٗا وَلَا نَفۡعٗاۚ﴾ مبيّنة لهم أن المسيح لا يملك لهم الضر والنفع، كما لا يملك دفع ما يقضيه عليه ربه من ذلك، وهو الذي مر في بطن أمه جنيناً لا يسمع ولا يبصر ولا يعلم شيئاً.

ثم تخاطبهم الآية [٧٧] ﴿وَلَا تَتَّبِعُوٓاْ أَهۡوَآءَ قَوۡمٖ قَدۡ ضَلُّواْ مِن قَبۡلُ وَأَضَلُّواْ كَثِيرٗا وَضَلُّواْ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ﴾ بابتعادهم عن الحق عن سبق إصرار.

ثم تلعنهم الآية [٧٨] ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾ على لسان داود

وعيسى لإصرارهم على إنكار نبوة محمد ورسالته ﴿تَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ۚ﴾ مع أن ذلك محرم عليهم ﴿وَلَوْ كَانُوا۟ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلنَّبِىِّ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا ٱتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَآءَ﴾.

ثم تكشف الآية التالية [٨٢] من هم أشد عداوة للمؤمنين، ومن هم أقرب مودة لهم ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ۖ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّا نَصَٰرَىٰۚ﴾ ولاسيما أن هؤلاء النصارى كانوا لا يستكبرون عن الإيمان بما أنزل على محمد مما أثابهم عليه جنات النعيم، بينما كان جزاء اليهود لكفرهم وتكذيبهم نار الجحيم. ثم تدعوالآية [٨٧] بألّا يُحرِّم من اختار الإيمان الطيبات ﴿لَا تُحَرِّمُوا۟ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓا۟ۚ﴾ وأن يأكلوا من رزق الله الحلال الطيب ما داموا معتقدين الإيمان ﴿وَكُلُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلًا طَيِّبًاۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾﴾.

ثم وضعت الآيتان [٩٠ و ٩١] حكم التحريم النهائي للخمر بجعْلِهِ من المحرمات الثلاثة: الميسر، والأنصاب، والأزلام. وبيّنت أنه رجس من عمل الشيطان، وأن في تجنبه الفلاح والفوز في الدنيا والآخرة.. إنها جزاء الاختيار البشري ولا شك.

وأكدت الآية التالية [٩٣] بأن من يتجنب تلك المنكرات صادقاً مخلصاً لله تعالى هو ممن يحبهم الله تعالى من المحسنين، وأنه سبحانه لا يؤاخذ من شربها قبل التحريم ولو استشهد وهي ما زالت في بطنه.

ثم تبيّن الآيات [٩٤ و ٩٥ و ٩٦] لمن اختاروا الإيمان ما حرم عليهم وما أحل من الصيد، وأن المُحرِم بحج أو عمرة مُحرّم عليه صيد البر طيلة الإحرام وحلال له صيد البحر ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقْتُلُوا۟ ٱلصَّيْدَ وَأَنتُمْ حُرُمٌۚ﴾ ﴿أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ ٱلْبَحْرِ وَطَعَامُهُۥ مَتَٰعًا لَّكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِۖ﴾.

وقالت الآية [١٠٠] ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ فرتبت الفلاح والفوز في الدنيا والآخرة على طاعة الله تعالى والخوف من عذابه.

ونبّهت الآية [١٠١] من ارتضوا الإيمان إلى عدم كثرة الأسئلة للرسول عليه السلام عن الأشياء الصعبة، خشية أن يقود ذلك إلى الكفر والإنكار والجحود، بسبب ما يرونه

من مشقة العمل بها ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَسۡـَٔلُواْ عَنۡ أَشۡيَآءَ إِن تُبۡدَ لَكُمۡ تَسُؤۡكُمۡ﴾ ﴿قَدۡ سَأَلَهَا قَوۡمٞ مِّن قَبۡلِكُمۡ ثُمَّ أَصۡبَحُواْ بِهَا كَٰفِرِينَ ١٠٢﴾.

وذكرت الآية [١٠٣] ما كَذَبَ به الكافرون على الله تعالى من تصنيفاتهم للإبل بين بحيرة وسائبة والغنم بين الوصيلة والحام ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَۖ﴾.

ثم تأمرهم الآية [١٠٤] بأن يحتكموا في ذلك إلى الله ورسوله في التحليل والتحريم، وليدعوا أحكام الجاهلية ﴿أَوَلَوۡ كَانَ ءَابَآؤُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا وَلَا يَهۡتَدُونَ﴾.

ثم تضع الآية [١٠٥] قاعدة للمؤمنين بألّا يهتموا بضلال الكفرة، ولْيحرصوا على طاعتهم لله والقيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡۚ﴾ تبيّن الآية [١٠٦] الوصية قبل الموت بشهادة مؤمنيْنِ اثنيْنِ عدليْنِ أو غير مؤمنيْنِ لعدم وجود المؤمنين أثناء السفر مثلاً، وتبيّن الآية [١٠٧] استبدال الشاهدين، وتنتهي الآية [١٠٨] بـ ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ﴾ أي الخارجين عن طاعته؛ فإنه سبحانه لا يدلهم على طريق جنته ورحمته. فلمن اختار الإيمان بالله وطاعته أن يحرر وصيته إذا كان يملك شيئاً قبل الموت، وذلك كله سنة وليس فرضاً.

وتبيّن الآية [١١٠] بأن من أصروا على الكفر من بني إسرائيل قد اعتبروا كل المعجزات التي ظهرت على يد عيسى عليه السلام بأنها من السحر ﴿فَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡهُمۡ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا سِحۡرٞ مُّبِينٞ﴾.

ثم تبيّن الآية [١١١] بأن الله تعالى قد أمر الحواريين أن يؤمنوا بالله تعالى ورسوله عيسى عليه السلام، فأعلنوا الإيمان برضاهم وطاعتهم لربهم ﴿وَإِذۡ أَوۡحَيۡتُ إِلَى ٱلۡحَوَارِيِّـۧنَ أَنۡ ءَامِنُواْ بِي وَبِرَسُولِي قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَٱشۡهَدۡ بِأَنَّنَا مُسۡلِمُونَ ١١١﴾.

وعندما طلب الحواريون من عيسى عليه السلام أن ينزل عليهم ربه مائدة من السماء قال لهم ﴿ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾ فرتب مخافة الله تعالى على الإيمان، فلولا اختيارهم لما كان ذلك.

ولكن الله تعالى الذي استجاب لرسوله عيسى طلبه بإنزال مائدة من السماء على قومه حذرهم ﴿فَمَن يَكۡفُرۡ بَعۡدُ مِنكُمۡ فَإِنِّيٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابٗا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدٗا مِّنَ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾.

فهذه الأحكام التشريعية الشاملة لجميع جوانب هذه السورة، تبيّن إلى أي مدى يتحمل الإنسان مسؤولية الأخذ بها في تنظيم شؤون حياته مع نفسه ومع المجتمع ومع ربه سبحانه.

فهل أحسن الاختيار وابتعد عن تشريعات العقل والهوى، والتزم بتشريعات الله تعالى، أم أن هواه وتطلعه لمتع الدنيا قد غلب عليه، فطمس فطرته النقية وشوهها، كما طمست بصيرته فلم يعد يميز بين الهدى والضلال، إلا من باب منفعته الآنية العابرة؟

ألا يكفي الإنسان ما حصل بين ولدي أبيه آدم عليه السلام، ورؤية الباطل والشر كيف انتصرت تحت غواية الشيطان، فندم الشرير أشد الندم؟!

ألا يكفيه أن يرى هذا الحشد الهائل من التشريعات الربانية لإسعاده في الدنيا والآخرة، ويبحث معها عن التشريعات الوضعية؟!

من سورة الأنعام (٦)

تتحدث هذه السورة المكية الطويلة عن أمور العقيدة وأصول الإيمان، كغيرها من السور المكية، وليس عن أمور التشريع كالسور المدنية، فقد تناولت القضايا الإيمانية الثلاث:

قضية الألوهية، وقضية الوحي والرسالة، وقضية البعث والجزاء.

وقد استفاضت فيما يتعلق بأسس الدعوة الإسلامية، مركزة على أسلوب التقرير الذي يعرض أدلة التوحيد، وأسلوب التلقين الذي يلقن الرسول عليه السلام والمؤمنين الحجة ضد الخصوم.

هذا وقد نزلت هذه السورة دفعة واحدة لما فيها من تركيز بشأن الدعوة الإسلامية. فتذكر كيف أن الله تعالى أوكل عمارة الكون للإنسان، الذي ميّز الله تعالى بين مواهب أفراده لتحقيق حكمة الابتلاء والاختيار في أداء مهمات الحياة، لينال كل إنسان جزاءه حسب اختياره وجهده، فكيف يكون الإنسان خليفة الله في

الأرض، وتوكل له عمارة الأرض ولا يكون له الاختيار في الأعمال، وإلا فلن يكون من معنى للجزاء.

وتستنكر نهاية الآية الأولى من هذه السورة كيف يتحول من اختاروا الكفر عن الإيمان بالله سبحانه للإيمان بغيره ﴿ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾.

وتبيّن الآية [٦] أن عصيان الأمم السابقة وتكذيبهم لرسل الله تعالى وآياته كانت السبب في هلاكهم ﴿فَأَهْلَكْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ﴾.

وتشير الآية [٧] إلى تعنت الكفار في كفرهم، حتى إنهم لو لمسوا الحجة بأيديهم لنسبوها للسحر ﴿وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَٰبًا فِى قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧﴾﴾.

وتؤكد الآية [١٢] أن من اختاروا غير الإيمان هم الذين يعرضون أنفسهم بأيديهم لخسارة الدنيا والآخرة ﴿ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾.

وتبيّن الآية [١٦] أن الفوز الحق يوم القيامة هو في النجاة من عذاب الله ﴿مَّن يُصْرَفْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُۥ ۚ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٦﴾﴾.

وتوضّح الآية [١٧] أن الابتلاء الذي يتعرّض له المسلم، سواء كان بضر ما، أو خير ما، فإنه يحل به بقضاء وقدر لا ينزله ولا يصرفه إلا الله تعالى، أو بسبب فعل سيّئٍ من الإنسان، والله وحده الذي أذن به والقادر على إيقاعه أو منعه ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾﴾.

وتؤكد الآية [٢٠] بأن من اختاروا الكفر بإنكار كتاب الله تعالى هم أيضاً ممن خسروا أنفسهم ﴿ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾.

ثم تؤكد نهاية الآية [٢١] ﴿إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ بأن من ظلم نفسه بالكذب على الله تعالى، أو إنكار آياته، لا يمكن أن يفوز لا في الدنيا ولا في الآخرة.

وتؤكد الآية [٢٤] ﴿ٱنظُرْ كَيْفَ كَذَبُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ ۚ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ ﴿٢٤﴾﴾ لزعمهم أنهم لم يشركوا بالله تعالى، فتقفل يوم القيامة عيونهم لتشهد عليهم أيديهم وأرجلهم.

وتبيّن الآية [٢٥] بأن من يستمع للرسول عليه السلام منهم كان لا يفهم شيئاً، كمن حجب سمعه وعقله عن الوعي من شدة الإنكار، حتى إنهم كانوا لا يصدقون

ما تراه أعينهم من الآيات البينات، ويرددون بأن كل ما يرونه هو من قصص وخرافات الأمم السابقة ﴿يَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ﴾ ولكن الآية [٢٧] تكشف لهم حالهم يوم القيامة عندما يرون النار وعذابها ﴿فَقَالُواْ يَٰلَيۡتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾.

فيقول سبحانه وتعالى لهم ﴿قَالَ فَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَ بِمَا كُنتُمۡ تَكۡفُرُونَ﴾ ولا سيما أنهم كانوا قد أنكروا يوم القيامة ﴿قَدۡ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِلِقَآءِ ٱللَّهِۖ﴾ [٣١].

ويخاطب المولى سبحانه رسوله والمؤمنين من بعده بألّا ييتئس لإصرارهم على الكفر، وعدم استجابتهم له، حتى لو أتاهم بكل المعجزات الأرضية والسماوية، وأنه عليه أن يعلم بأن الله تعالى قادر على أن يكرههم على الإيمان جبراً عنهم بقضائه وقدره، ولكنه سبحانه يكلهم لاختيارهم لينالوا جزاءهم على صنع أيديهم ﴿وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَمَعَهُمۡ عَلَى ٱلۡهُدَىٰۚ﴾ الآية [٣٥].

وتؤكد الآية [٣٩] هذا المعنى بصورة أخرى ﴿مَن يَشَإِ ٱللَّهُ يُضۡلِلۡهُ وَمَن يَشَأۡ يَجۡعَلۡهُ عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾ بأن الله تعالى قادر أن يجبر أي إنسان أو قوم على الهدى أو الضلال، ولكنه تعالى يترك الكل لاختيارهم لينالوا جزاء أفعالهم.

وتبيّن الآية [٤٢] ما كان سبحانه يوقعه بقضائه وقدره على الأمم السابقة، من البؤس والأسقام ليرجعوا بالدعاء إلى الله تعالى: ﴿فَأَخَذۡنَٰهُم بِٱلۡبَأۡسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمۡ يَتَضَرَّعُونَ﴾.

وتضع الآية [٤٨] قاعدة أساسية في الإيمان بالرسل والرسالات فتقول ﴿وَمَا نُرۡسِلُ ٱلۡمُرۡسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَۖ فَمَنۡ ءَامَنَ وَأَصۡلَحَ فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ﴾.

وتبيّن الآية [٥٤] كيف يجب أن يقابل المسلم أخاه المسلم إذا التقيا ﴿وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِـَٔايَٰتِنَا فَقُلۡ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡۖ﴾.

كما تبيّن الآية [٥٦] كيف يحصل الوقوع في البعد عن الحق والهدى، وذلك باتباع ما هم عليه من الضلال ﴿قُلۡ إِنِّي نُهِيتُ أَنۡ أَعۡبُدَ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِۚ قُل لَّآ أَتَّبِعُ أَهۡوَآءَكُمۡ قَدۡ ضَلَلۡتُ إِذٗا وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُهۡتَدِينَ ٥٦﴾.

وتتهدد الآية [٧٠] من ارتضوا البعد عن الإيمان بالعذاب الأليم ﴿لَهُمۡ شَرَابٞ مِّنۡ حَمِيمٖ وَعَذَابٌ أَلِيمُۢ بِمَا كَانُواْ يَكۡفُرُونَ﴾.

ثم تبيّن الآية التالية [٧١] لمن الدعاء والحق، إنه لِمَنْ بيده النفع والضر ﴿قُلْ أَنَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا﴾ ثم تبيّن أن ما أنزل الله تعالى من هداية هو الهدى، وليس ما تغوي به الشياطين من منكر وضلال ﴿قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰۖ وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾.

كما تبيّن الآية [٧٤] بأن عبادة الأصنام من دون الله تعالى هي الضلال والبعد عن الحق الذي اختاره قوم إبراهيم عليه السلام ﴿إِنِّيٓ أَرَىٰكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾.

وهنا يخاطب أباه آزر ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً﴾.

وأكد إبراهيم عليه السلام لقومه ﴿قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ﴾ مبيّناً لهم أن الهدى هو ما ينزله الله تعالى على رسله من توحيد الله تعالى وعبادته، ثم ربط إبراهيم عليه السلام الأمن والأمان في الدنيا والآخرة لمن اختاروا الإيمان بالله تعالى وجعلوه خالصاً لوجهه الكريم ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾﴾.

وتبيّن الآية [٨٤] أن ما أنزله تعالى على رسله هو الهدى ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَۚ كُلًّا هَدَيْنَاۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُۖ﴾ وكذلك ما أنزله تعالى من الهدى على من اختارهم من الرسل جميعاً ﴿وَمِنْ ءَابَآئِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ وَإِخْوَٰنِهِمْۖ وَٱجْتَبَيْنَٰهُمْ وَهَدَيْنَٰهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٨٧﴾﴾ أي الذين اختاروا وحاربوا معه الإيمان وأهله.

وأن كل ذلك هو مما أنزله تعالى على رسله ﴿ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِي بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦۚ وَلَوْ أَشْرَكُواْ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٨٨﴾﴾.

وتهدد الآية [٨٩] كفار قريش إن كفروا بالتوحيد والطاعة اللذين أنزلهما على الرسل السابقين ﴿فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَٰٓؤُلَآءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُواْ بِهَا بِكَٰفِرِينَ﴾ وهم ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ﴾ أي اتبعوا هدايته التي أنزلها على رسله، ولذلك أُمروا هم والرسول محمد عليه السلام أن يؤمنوا بذلك ﴿فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْۗ﴾ [٩٠].

ثم وبخهم تعالى عندما أنكروا أن الله تعالى أنزل شيئاً على أحد قائلاً ﴿قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِي جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِۖ﴾ [٩١].

ثم أكدت الآية التالية [٩٢] بأن القرآن نزل من الله تعالى وأن من يؤمن بالآخرة يؤمن بالقرآن لما ينطوي عليه من تبشير وتهديد.

وتقول الآية [٩٧] ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهْتَدُوا۟ بِهَا فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾ أي لترشدكم وتدلكم على الطريق السليم.

وتؤكد الآية [٩٩] ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكُمْ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ بمعنى أن في ما يخلقه الله تعالى في الأرض، من فواكه مختلفة الأنواع والطعوم، دلائلَ على صدق إيمان من اختاروا الإيمان.

وتأمر الآية [١٠٦] النبي ﷺ ومن آمن به وبرسالته ﴿وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ أي: لا تلتفت لآرائهم.

وتحسم الآية [١٠٧] الموقف فتؤكد بأن الله تعالى قادر بقضائه وقدره أن يهديهم رغماً عن أنوفهم، ولكنه تعالى تركهم لخيارهم ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكُوا۟﴾.

وتؤكد الآية [١٠٩] كذبهم في حلفهم بأنهم سيتبعون أمر الله لو جاءتهم آية ﴿أَنَّهَآ إِذَا جَآءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾.

وتكمل الآية [١١٠] تصوير حالهم كأنهم لم يسمعوا ولم يروا الآيات إلا للمرة الأولى ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْـِٔدَتَهُمْ وَأَبْصَٰرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١١٠﴾﴾ فيدعهم تعالى سادرين في غيّهم.

وتؤكد الآية [١١١] كذبهم في ادعاء الدخول في الإيمان لو أنزل الله تعالى عليهم الملائكة، وأحيا لهم الموتى، لأنهم مصرون على الكفر والتكذيب.

كما تؤكد الآية [١١٣] بأن من اختاروا الكفر يستجيبون لغواية الشياطين ﴿وَلِتَصْغَىٰٓ إِلَيْهِ أَفْـِٔدَةُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ﴾.

ثم تؤكد الآية [١١٦] ﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿١١٦﴾﴾ بأنه لا يجوز الكفر مهما تكاثر الكفار وزادوا عن المسلمين، لأنهم لا يتبعون في إيمانهم المزعوم إلا الظن، والإيمان لا يجوز فيه الظن بل لا بد من اليقين والقطعية.

وتطمئن الآية [١١٧] الرسول عليه السلام ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَن يَضِلُّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١١٧﴾﴾ فعلم الله تعالى محيط بهم جميعاً ضالهم ومهديهم، فلا تلتفت يا محمد لكثرة الضالين أو قلة المهتدين. . وحددت الآية [١١٨] الحلال من اللحم لمن اختار الإيمان ﴿فَكُلُوا۟ مِمَّا ذُكِرَ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ إِن كُنتُم بِـَٔايَٰتِهِۦ مُؤْمِنِينَ ﴿١١٨﴾﴾.

كما حذرت الآية [١١٩] خطر اتباع الهوى البعيد عن الإيمان ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا لَّيُضِلُّونَ بِأَهْوَآئِهِم بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُعْتَدِينَ﴾ تأكيداً لقوله عليه السلام : «لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به».

كما حددت الآية [١٢١] بأن طاعة الشياطين وعصيان أوامر الرحمن توقع في الشرك ﴿وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾.

وتوضح الآية [١٢٢] ﴿كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَٰفِرِينَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ من المنكرات والشرك.

وأما الآية [١٢٤] فهي تبيّن مدى إصرارهم على الكفر مهما رأوا من علامات الإيمان وأدلته، محتجين بأنهم يريدون معجزات كما جاء الرسل ﴿وَإِذَا جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ قَالُواْ لَن نُّؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَآ أُوتِىَ رُسُلُ ٱللَّهِ﴾.

وتأتي الآية [١٢٥] لتبيّن لهم أنهم بكبرهم عن الحق، ورفض فتح عقولهم لأدلته، وعدم توسيع صدورهم للإسلام سيؤدي لعذاب الآخرة ولعنة الدنيا ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ﴾.

وفي تعامل الإنس مع الجن بالسحر وغيره ينتهي الطرفان إلى النار ﴿قَالَ ٱلنَّارُ مَثْوَىٰكُمْ خَٰلِدِينَ فِيهَآ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ الآية [١٢٨] ولا يستثنى من ذلك إلا من تاب وآمن وعمل عملاً صالحاً، فيكون ممن قضى له الله تعالى وقدر عدم دخولِهِ النار لأنه اختار الإيمان والعمل الصالح.

وكذلك حال من شهدوا على أنفسهم من الجن والإنس بالجحود والكفر ﴿وَشَهِدُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُواْ كَٰفِرِينَ﴾ الآية [١٣٠] وتقول الآية [١٣٥] في نهايتها ﴿إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ مؤكدة عدم فوز من ظلموا أنفسهم بالكفر والجحود.

ولو قضى وقدر سبحانه أن يمنعهم من منكراتهم لكان كما أراد، ولكنه سبحانه تركهم لاختيارهم، وهذا هو معنى هذه العبارة حيثما وردت ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾ الآية [١٣٧].

وتبيّن الآية [١٤٠] بأن ما كان يفعله مشركو العرب في الجاهلية من قتل

أولادهم، وتحريم بعض الإبل عليهم من مثل البحيرة والسائبة هو من الكذب على الله تعالى، والبعد عن الطريق المستقيم، والوقوع في الضلال، والبعد عن الهدى ﴿قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ قَتَلُوٓاْ أَوْلَٰدَهُمْ سَفَهًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُواْ مَا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ ٱفْتِرَآءً عَلَى ٱللَّهِۚ قَدْ ضَلُّواْ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ ﴿١٤٠﴾﴾.

وتنتهي الآية [١٤٤] بقوله تعالى ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا لِّيُضِلَّ ٱلنَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ مبيّنة كذبهم على الله تعالى في تحريم ما لم يحرم بغير دليل ولا برهان، وموضحة أنهم بذلك يضلون الناس بغير علم لأنهم يزعمون ذلك دون دليل.

وتؤكد الآية [١٤٨] كذبهم هم ومن سبقوهم عندما نسبوا شركهم إلى الله تعالى، بحجة أن هذا الشرك لا يخرج عن مشيئته تعالى، فالله تعالى يؤكد أن من يقول ذلك هو كاذب على الله تعالى، لأنه سبحانه أمر بفعل الخير وترك الشر، وأنهم ملزمون باتباع ذلك وعدم نسبة أفعالهم إلى المشيئة الربانية، لأنها تركتهم لاختيارهم ولم تجبرهم على شيء من ذلك.

وتؤكد الآية التالية [١٤٩] ﴿قُلْ فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُۖ فَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ مبيّنة أن الله تعالى لو قضى وقدر الهداية للجميع لتحقق ذلك، ولكنه الاختيار وليس القضاء والقدر.

وتحذرهم الآية [١٥٧] من الزعم بأنهم لو أنزل عليهم ما أنزل على موسى لكانوا أسرع في الهداية واتباع الصراط المستقيم ممن أنزل عليهم، وما هم إلا كاذبين بزعمهم هذا، بدليل أن الله تعالى قد أرسل القرآن ليكون هدى ورحمة ولكنهم كذبوه.. ﴿أَوْ تَقُولُواْ لَوْ أَنَّآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْكِتَٰبُ لَكُنَّآ أَهْدَىٰ مِنْهُمْۚ فَقَدْ جَآءَكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ﴾.

وتبيّن الآية [١٥٨] ﴿يَوْمَ يَأْتِى بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًاۗ﴾ تبيّن بأن التوبة عن المعاصي لا تنفع عند الغرغرة، كما لا بد للمشرك أو الكافر من الإيمان والطاعات قبل مجيء يوم الحساب.

وتعلّم الآية [١٦١] الرسول عليه السلام وأتباعه إلى يوم الدين، بأن يعلنوا أن

ما أنزله الله تعالى على رسوله الكريم هو الهدى وهو الصراط المستقيم ﴿قُلۡ إِنَّنِي هَدَىٰنِي رَبِّيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ دِينٗا قِيَمٗا مِّلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفٗاۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾.

فهل في هذا الحشد الهائل من الأدلة والبراهين على عقيدة التوحيد وأصول الإيمان، ما يكفي الإنسان العاقل المتدبر ويزيد أم لا؟!

وهل في هذا البيان التفصيلي لأسس الدعوة الإسلامية بالأسلوبين التقريري والتلقيني، ما يحتاج معه الإنسان إلى المزيد من البيان؟!

وهل في توكيل الله تعالى للإنسان مهمة عمارة الكون، والتمييز في المواهب بين فرد وآخر، ما يفرض عليه التفكير بمدى قيامه بتلك المهمة وفقاً لما منحه الله من المواهب؟!

من سورة الأعراف (٧)

تعرض هذه السورة المكية الطويلة قصص الأنبياء بشكل مفصل، مقررة أصول الدعوة الإسلامية من توحيد، وبعث وجزاء، ووحي ورسالة.

فقد عرضت أولاً معجزة القرآن الكريم، وأنها نعمة من الله تعالى على جميع البشرية.

وأبرزت تكريم النوع الإنساني، بتكريم أبيهم آدم عليه السلام عندما أمر الملائكة بالسجود إليه، وحذرتهم من كيد عدوهم الشيطان الذي أوقف مهمته على غوايتهم.

ثم عرضت السورة مشهد الحوار بين المؤمنين والكافرين وأصحاب الأعراف.

وتناولت السورة بإسهاب قصص الأنبياء: نوح وهود وصالح ولوط وشعيب وموسى، وما ناله كل رسول من تكذيب وإعراض قومه، وما نزل بهم من عقاب جزاء ذلك، محذرة أمثالهم من نفس الجزاء.

وأوردت صورة علماء السوء اللاهثين كالكلاب وراء حطام الدنيا دون اعتبار لما يحملونه من علم.

وانتهت السورة الكريمة بإثبات التوحيد مع التشنيع على عبدة الأوثان.

فهل أحسنوا الاختيار؟!

تفتتح السورة بالإشارة في نهاية الآية الثانية بوصف القرآن الكريم ﴿وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ الذين ارتضوا الإيمان وتخلصوا من الكفر. ثم تذكر الآية [٨] الذين يفوزون يوم القيامة ﴿وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ الذين ثقلت موازين حسناتهم يوم الدين.

ثم تحدد الآية [٩] الذين وقعوا بخسران أنفسهم بأنهم من خفت موازينهم يوم الدين ﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُم﴾.

ثم تكرر الآية [٢٣] بأن من ظلموا أنفسهم باتباع الشيطان وعصيان الرحمن بأنهم من الخاسرين ﴿لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾.

وتؤكد الآية [٢٧] ﴿إِنَّا جَعَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ لأنهم اتبعوهم من دون الله تعالى.

وتأتي الآية [٣٠] لتبيّن أن الناس عل فريقين: الفريق الذي آمن بالله وأطاعه، وهم من وصفتهم الآية ﴿فَرِيقًا هَدَىٰ﴾ والفريق الثاني ﴿وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلضَّلَٰلَةُ﴾ باتباعهم الشيطان ﴿إِنَّهُمُ ٱتَّخَذُواْ ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ﴾ فهم من ساروا في طريق الضلال، ومن أين يأتيهم هذا الطريق بالهداية!؟

وتتحدث الآية [٣٢] عن اللباس الزينة دون تحريم، بالإضافة لما يوسعه تعالى على المرء من الرزق الطيب، لأن ذلك كله حلال في الدنيا والآخرة ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ قُلْ هِىَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾.

ويأتي القسم الأخير من الآية [٣٧] ﴿قَالُواْ ضَلُّواْ عَنَّا وَشَهِدُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُواْ كَٰفِرِينَ﴾ ليكشف عن ضلال من يختارون التبعية للضالين، وأنهم لن يمنعوهم من عذاب الله تعالى يوم الدين، لأنهم هم يقرون بأنهم كانوا بعيدين عن الحق بذلك.

وتؤكد الآية التالية [٣٨] هذا المعنى وأن طلب التابعين لن ينفعهم بمضاعفة العذاب لمن أضلوهم، لأنهم هم أيضاً ساروا بنفس الطريق باختيارهم ﴿قَالَتْ أُخْرَىٰهُمْ لِأُولَىٰهُمْ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ أَضَلُّونَا فَـَٔاتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ ٱلنَّارِ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَٰكِن لَّا تَعْلَمُونَ﴾.

وتذكر الآية [٤٢] مصير من اختاروا الإيمان والتزموا الأعمال الصالحة ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٤٢﴾﴾.

وأخذ أصحاب الجنة يحمدون الله تعالى أن وفقهم للطاعات فالتزموها بمحض إرادتهم ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ﴾ ويؤكد نهاية الآية أن الجزاء كان لأعمالهم ﴿وَنُودُوا أَن تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.

وأما الظالمون لأنفسهم ﴿الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُم بِالْآخِرَةِ كَافِرُونَ ﴿٤٥﴾﴾ فهم من أصروا على اختيار أمور ثلاثة هي: الصد عن الإيمان بالله وطاعته، ودعوة الناس للبعد عن ذلك، وإنكار يوم القيامة.

وتحسم نهاية الآية [٥٠] أن الله تعالى قد حرم ماء الجنة وخيراتها على من اختاروا الكفر في الدنيا ﴿إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ﴾.

وتذكر الآية [٥٢] ﴿وَلَقَدْ جِئْنَاهُم بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾﴾ أن المولى سبحانه لم يتركهم لاختيارهم الذي قد يتبع الهوى المارق، بل أنزل القرآن هدى لكل مختار للإيمان، فلا حجة لأحد من بعد ذلك.

وتؤكد نهاية الآية التالية [٥٣] ﴿قَدْ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ تحديد مسؤوليتهم عن ذلك لاختيارهم الباطل دون الحق.

وتأمر الآية [٥٦] المؤمنين بالبعد عن الفساد في الأرض، ودعائِهِ تعالى خوفاً من عذابه وطمعاً في جنته.. ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾.

ومع ذكر نوح عليه السلام، وما فعله أشراف قومه من التهجم عليه بحجة أن رسالته هي الضلال وليس ما هم عليه هو الضلال ﴿قَالَ الْمَلَأُ مِن قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٦٠﴾﴾ [٦٠] فأكد لهم عليه السلام ﴿قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ وَلَٰكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦١﴾﴾ [٦١] فأصروا على تكذيبهم له فغرقوا في الطوفان.

ويتكرر نفس الموقف من هود عليه السلام لقومه عاد عندما دعاهم لعبادة الله تعالى وحده ﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٦٦﴾﴾ [٦٦] فنفى ذلك ودعاهم للإيمان والطاعة عسى أن يفوزوا

﴿فَٱذْكُرُوٓاْ ءَالَآءَ ٱللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [٦٩] فأصروا على الكفر والتكذيب فأنجى الله تعالى هوداً والمؤمنين معه ﴿فَأَنجَيْنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَقَطَعْنَا دَابِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا ۖ وَمَا كَانُواْ مُؤْمِنِينَ ﴿٧٢﴾﴾.

وتنتقل الآيات إلى مشهد آخر مع صالح عليه السلام وقومه ثمود، فدعاهم لعبادة الله تعالى ﴿وَلَا تَعْثَوْاْ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ [٧٤] وليتوقفوا عن الإفساد في الأرض، ولكنهم أصروا على شركهم، وقتلوا الناقة، فماذا كانت النتيجة ﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُواْ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٧٨﴾﴾.

وينتقل المشهد إلى لوط عليه السلام وهو يدعو قومه للتطهر من فاحشتهم واستخفافهم، بتهديده بعذاب الله تعالى إن أصروا على ذلك فنالوا جزاءهم ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٨٤﴾﴾.

وجاء المشهد إلى شعيب عليه السلام وقومه مدين وهو يدعوهم لعبادة الله وحده، والوفاء بالكيل والميزان، وعدم الإفساد في الأرض، لأن ذلك كما قال لهم هو الخير والعمل الطيب والنتيجة الطيبة لمن يختار الإيمان والعمل الصالح، فآمن جماعة من قومه وكفرت جماعة أخرى، وأخذ هؤلاء يكررون على أولئك بأنهم سيخسرون دنياهم وأخراهم، ﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُواْ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٩١﴾﴾ الآية [٩١] فكانوا هم الخاسرين، وكان هو ممن يحزن على مصيرهم وقد رفضوا الحق واتبعوا الباطل.

وقبل أن ينتقل المشهد إلى موسى عليه السلام وفرعون تأتي الآية [٩٦] ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوْاْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾﴾ لتضع قاعدة تشمل جميع الأقوام، وأنهم إذ رفضوا الإيمان مع رسلهم ورفضوا الطاعات والأعمال الصالحات، أخذهم تعالى بالعذاب جزاء كل منهم مما يستحقه من كسبه وصنع يده.

ولذلك تقول الآية [١٠١] ﴿فَمَا كَانُواْ لِيُؤْمِنُواْ بِمَا كَذَّبُواْ مِن قَبْلُ ۚ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ فلا يدلهم على الإيمان أكثر من إرسال الرسل والرسالات إليهم.

وعندما أصر فرعون على باطله، واستدعى سحرة ملكه ليهزموا موسى، ظهر

الحق وغُلِبَ السحرة ﴿فَوَقَعَ ٱلْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١١٨﴾ فَغُلِبُوا۟ هُنَالِكَ وَٱنقَلَبُوا۟ صَٰغِرِينَ ﴿١١٩﴾ وَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ﴿١٢٠﴾ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٢١﴾﴾ معلنين هزيمتهم أمام الحق، ولكن فرعون رفض إيمانهم بغيره، فعاقبهم بتقطيع أيديهم وأرجلهم من خلاف وصلبهم، ولكنهم أصروا على إيمانهم ﴿قَالُوٓا۟ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴿١٢٥﴾﴾.

وتفرغ الطاغية بعدها لإبادة بني إسرائيل، بقتل أبنائهم وترك نسائهم للاستخدام.. ﴿قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَآءَهُمْ وَنَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ﴾ [١٢٧] فضج بنو إسرائيل لموسى مما لحقهم من العذاب، فدعاهم للصبر على الإيمان ﴿قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴿١٢٩﴾﴾ فكان كلامه لتحريضهم على طاعة الله تعالى.

ويستمر المشهد يعرض قصة موسى عليه السلام مع فرعون وقومه، وكيف أنهم رغم الآيات التسع التي ظهرت لهم على يديه رفضوا الإيمان قائلين ﴿وَقَالُوا۟ مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِۦ مِنْ ءَايَةٍ لِّتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٢﴾﴾ وحاولوا التلاعب مع موسى بأنهم سيؤمنون له، ويرسلون معه بني إسرائيل إذا كشف عنهم ما كان ينزل بهم من عذاب جزاء أفعالهم، فكان مصيرهم الغرق، ونجاة بني إسرائيل، وتملكهم ما كان أعداؤهم يملكون كما ورد في الآية [١٣٧].

وتتابع الآيات عرض مشاهد بني إسرائيل مع موسى وأخيه هارون عليهما السلام، وما لاقياه من عنت منهم فتأتي الآية [١٤٦] لتؤكد بأن من يتكبر على الحق، فإنه لن يرى آياته ولن يؤمن بها بل سيسير في طريق الضلال ﴿وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلْغَىِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا۟ عَنْهَا غَٰفِلِينَ﴾ ومن عنتهم أنهم ﴿وَٱتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنۢ بَعْدِهِۦ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ﴾ [١٤٨] وعندما أدركوا خطأ ما فعلوه لجأوا إلى طلب الرحمة والمغفرة من الله تعالى لينجوا من خسارة الدنيا والآخرة ﴿وَلَمَّا سُقِطَ فِىٓ أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا۟ أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا۟ قَالُوا۟ لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿١٤٩﴾﴾ مما يؤكد ارتكابهم الضلال بمحض اختيارهم.

فأعلن سبحانه ﴿وَٱلَّذِينَ عَمِلُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ثُمَّ تَابُواْ مِنۢ بَعۡدِهَا وَءَامَنُوٓاْ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعۡدِهَا لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿١٥٣﴾﴾ مقدماً المغفرة والرحمة لمن تاب بإرادته عن سيئته وحسن إيمانه.

﴿وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى ٱلۡغَضَبُ أَخَذَ ٱلۡأَلۡوَاحَۖ وَفِي نُسۡخَتِهَا هُدٗى وَرَحۡمَةٞ لِّلَّذِينَ هُمۡ لِرَبِّهِمۡ يَرۡهَبُونَ ﴿١٥٤﴾﴾ هذه الآية تبيّن أن ما أنزله تعالى على موسى عليه السلام فيه الهدى والرحمة.

وقال موسى عليه السلام عندما حلت الرجفة بالسبعين من كبار قومه الذين اختارهم للذهاب معه في الموعد الذي حدده له ربه ﴿فَلَمَّآ أَخَذَتۡهُمُ ٱلرَّجۡفَةُ قَالَ رَبِّ لَوۡ شِئۡتَ أَهۡلَكۡتَهُم مِّن قَبۡلُ وَإِيَّٰيَۖ أَتُهۡلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآۖ إِنۡ هِيَ إِلَّا فِتۡنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَآءُ وَتَهۡدِي مَن تَشَآءُۖ﴾ [١٥٥] مبيّناً أن هذا هو ابتلاء واختبار من الله تعالى لهم ليثبت على الهدى من يريد، ويبتعد عنه من يريد، والكل تحت إذن الله تعالى ومشيئته، لأن شيئاً من ذلك لن يخرج عن قدرته سبحانه ومنعه أو السماح به.

وعندما أعلنوا طلب الحسنة في الدنيا، والعودة إلى هدى ربهم في الآخرة، أعلن لهم سبحانه ﴿وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤۡمِنُونَ﴾ [١٥٦] بأن رحمة الله تعالى تسعهم ما داموا أتقياء في حياتهم، ويؤتون الزكاة، ويؤمنون بجميع أوامر الله تعالى، والتي على رأسها اتباع الرسول محمد عليه السلام المعروف عندهم في التوراة والإنجيل، مما يقودهم إلى الفلاح في الدنيا والآخرة لأنهم هم ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلۡأُمِّيَّ﴾ [١٥٧] وهم ﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾ [١٥٧].

وتضع الآية [١٥٨] دعوة لجميع الناس، وليس لبني إسرائيل فقط، من الرسول محمد عليه السلام ومن بعده ليؤمنوا بالله ورسوله، لما في ذلك من هداية لهم ﴿فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِيِّ ٱلۡأُمِّيِّ ٱلَّذِي يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ﴿١٥٨﴾﴾ مؤكدة أن من يختار هذا الإيمان فإنه سيكون في طريق الهدى.

وتعود الآيات ثانية بعدها إلى قوم موسى عليه السلام فتقول الآية [١٥٩] ﴿وَمِن قَوۡمِ مُوسَىٰٓ أُمَّةٞ يَهۡدُونَ بِٱلۡحَقِّ وَبِهِۦ يَعۡدِلُونَ ﴿١٥٩﴾﴾ مبيّنة أنه كان من قوم موسى عليه السلام جماعة مؤمنة متبعون الحق ويرشدون الناس لاتباعه.

كما تضع الآية [١٧٨] قاعدة الهدى والضلال وصلة الله تعالى بهما فتقول ﴿مَن

﴿يَهۡدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلۡمُهۡتَدِيۖ وَمَن يُضۡلِلۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ١٧٨﴾ مبيّنة أن الهدى سواء كان بإنزال الله تعالى له على أنبيائه ورسله، أو بتوفيق المؤمن له، فإنه لله تعالى الذي أنزل ما أنزل من الكتب والرسالات، والذي يوفق من اختار الإيمان بالله وما أنزله سبحانه إلى المزيد من الهداية، وأما من اختار البعد عن الإيمان، فإن الله تعالى لن يوفقه للهداية وسيكون ممن خسروا أنفسهم في الدنيا والآخرة، فأمر الهداية المنزلة هو من قضاء الله تعالى وقدره، وأمر الهداية الموفقة هي من وضع الإنسان المؤمن الذي قال عنه ربه ﴿وَٱلَّذِينَ ٱهۡتَدَوۡاْ زَادَهُمۡ هُدٗى وَءَاتَىٰهُمۡ تَقۡوَىٰهُمۡ ١٧﴾.

وعندما تقول الآية [١٧٩] ﴿وَلَقَدۡ ذَرَأۡنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِۖ﴾ بمعنى خلقنا منهم لجهنم توحي بإكراههم ولكن بقية الآية توضح حقيقتهم ﴿لَهُمۡ قُلُوبٞ لَّا يَفۡقَهُونَ بِهَا وَلَهُمۡ أَعۡيُنٞ لَّا يُبۡصِرُونَ بِهَا وَلَهُمۡ ءَاذَانٞ لَّا يَسۡمَعُونَ بِهَآۚ﴾ بأنهم اختاروا إقفال قلوبهم وعقولهم وأعينهم وآذانهم عن إدراك الحق ورؤية أدلته وسماع آياته وأحكامه، فكانوا كما وصفتهم نهاية الآية ﴿أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلۡأَنۡعَٰمِ بَلۡ هُمۡ أَضَلُّۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡغَٰفِلُونَ﴾ أي فاقدو الإدراك والوعي للحق وأدلته وبيناته، فكانوا ممن أصروا على التشبه بالأنعام لغفلتهم عن الحق.

وتقول الآية [١٨١] ﴿وَمِمَّنۡ خَلَقۡنَآ أُمَّةٞ يَهۡدُونَ بِٱلۡحَقِّ وَبِهِۦ يَعۡدِلُونَ ١٨١﴾ بأنه كان في كل أمة من الأمم السابقة للأمة الإسلامية جماعة يتبعون ما أنزل عليهم من الحق بغض النظر عن قلتهم أو كثرتهم، وأن هذا هو حال المسلمين فيهم من يلتزم الحق ويدعو إليه وإلى العمل بأحكامه.

وتهدد الآية [١٨٥] من اختاروا البعد عن الإيمان إذا لم يعجلوا في تدبر السماوات والأرض قبل أن يوافيهم الأجل، ويخلصوا أنفسهم مما هم فيه من إنكار القرآن الكريم، لأنهم لن يجدوا غير الإيمان به منقذاً لهم يوم القيامة ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثِۭ بَعۡدَهُۥ يُؤۡمِنُونَ﴾.

وتؤكد الآية [١٨٦] ﴿مَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُۥۚ وَيَذَرُهُمۡ فِي طُغۡيَٰنِهِمۡ يَعۡمَهُونَ﴾ أن أولئك الكفار قد اختاروا البعد عن الإيمان، وأن الله تعالى يعلم ذلك، وأنهم

يرفضون الهداية، ولذلك فإنه سبحانه قد تركهم في كفرهم وتمردهم دون اطمئنان بل في حيرة وتردد.

وتوضح الآية [١٨٨] ﴿قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ﴾ أن المرء لا يملك أن ينفع نفسه أو يضرها إلا في إطار مشيئة الله تعالى، فإن كانت ضمن قضائه تعالى وقدره كالرزق أو الموت فلا راد لذلك من شيء، ولا اختيار للمرء في ذلك، وإن كانت ضمن اختيار الإنسان فإنه سبحانه يتركه لاختياره، ليتحمل مسؤولية ذلك بالجنة أو النار يوم الحساب، ناهيك عن خسران الدنيا، والآية تؤكد ذلك إذ تقول ﴿وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِىَ ٱلسُّوٓءُ﴾.

وتبيّن الآية [١٩٣] ﴿وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ لَا يَتَّبِعُوكُمْ سَوَآءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنتُمْ صَٰمِتُونَ ﴿١٩٣﴾﴾ بأن من أصروا على الضلال والبعد عن الحق لا يستجيبون لدعوتهم إلى الهدى مهما توجهت إليهم من دعوات، لذلك فهم كالأصنام التي لا تسمع ولا تعقل، ﴿وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ لَا يَسْمَعُوا۟ وَتَرَىٰهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿١٩٨﴾﴾.

وتدعو الآية [٢٠٣] ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ مِن رَّبِّى هَٰذَا بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ تدعو الرسول عليه السلام أن يؤكد للمشركين بأنه لا يأتي فيما يدعوهم إليه بشيء من عنده، بل هو القرآن بأدلته وآياته الواضحة البينة لكل ذي عينين وعقل، وهو رحمة لمن يؤمن به ويتبع أوامره.

فماذا في هذا الحشد الهائل من قصص الأنبياء من مواعظ وعبر أيها الإنسان العاقل؟

إنها تقرر لك الأصول التي تسير عليها في الدعوة الإسلامية من توحيد وبعث وجزاء، فهل رأيت أن في ذلك ما يبتعد عن مسؤولية الإنسان عن حسن الاختيار أو سوئه؟

وهل في ما بيّنته السورة من المشهد المخزي لعلماء السوء، ما يستدعي تكريمهم لعلمهم، أو الإشفاق عليهم إن لم يكن إهانتهم وتحقيرهم، مع سوء اختيارهم بإصرارهم على الحطّ من قيمة العلم والعلماء في الدنيا والآخرة؟!.

من سورة الأنفال (٨)

تعتني هذه السورة المدنية بجانب التشريع وبما يتصل بالغزوات والجهاد في سبيل الله تعالى، وقد نزلت هذه السورة عقب غزوة بدر فأسهبت في وصفها حتى سميت سورة بدر، وقد حذرت من الفرار من المعركة، وأمرت بالسمع لأمر الله وأمر رسوله، وبيّنت للمسلمين أن في دعوة الرسول عزتهم وسعادتهم في الدنيا والآخرة، وحذرتهم من إفشاء سر الأمة لأعدائها؛ ففيه الخيانة لله ورسوله والأمة أجمعين، ولفتت نظرهم إلى أن التقوى أساس الخير كله، وانتهت السورة الكريمة بذكر ولاية المؤمنين الكاملة فيما بينهم مهما اختلفت ديارهم وأخبارهم، كما بين الكافرين ولايتهم الواحدة على البغي والعدوان.

فهل ما اشتملت عليه هذه السورة الكريمة فيه التشديد والتأكيد على حسن الاختيار، أو تركه للإنسان دون حث ولا تشجيع؟

تبدأ السورة بحسم الخلاف في توزيع الغنائم بأن قسمها عليه السلام فيما بين المجاهدين بالسوية، وأمرتهم الآية الأولى بأن يلتزموا طاعة الله ورسوله، وينتهوا من هذا الخلاف ما داموا قد اختاروا الإيمان بالله ورسوله ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾.

ثم تبيّن الآيات [٢ و ٣ و ٤] محددة من هم هؤلاء المؤمنون ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ٢ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ٣ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗاۚ لَّهُمۡ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمۡ وَمَغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ٤﴾ فالآيات هذه تبيّن الأعمال التي يختارها المؤمنون ويقدمون عليها بمحض إرادتهم ليستحقوا ذلك الجزاء العظيم عند ربهم في الدنيا والآخرة.

ثم تبيّن الآية [٥] في نهايتها ما كان عليه فريق من المؤمنين ﴿وَإِنَّ فَرِيقٗا مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ لَكَٰرِهُونَ﴾ مؤكدة أن ما كانوا عليه من الكراهة للخروج والقتال دون استعداد هو من صنع أيديهم.

وبعد أن تؤكد الآية [١٠] ﴿وَمَا ٱلنَّصۡرُ إِلَّا مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ﴾ بأن النصر بيد الله تعالى بقضائه وقدره، يذكر المولى سبحانه ما أمر به ملائكته ﴿إِذۡ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّي مَعَكُمۡ فَثَبِّتُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۚ﴾ الذين اختاروا الإيمان ودعوا على الذين اختاروا الكفر ﴿سَأُلۡقِي فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلرُّعۡبَ﴾ الآية [١٢] فالنصر بيد الله تعالى الذي يثبت المؤمنين ويزلزل الكافرين، بالإضافة لما ينتظرهم من العذاب الأليم يوم الدين ﴿وَأَنَّ لِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ الآية [١٤].

ولهذا أمرت الآية [١٥] المؤمنين أن يثبتوا في المعركة ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ زَحۡفٗا فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلۡأَدۡبَارَ ١٥﴾.

وتشكل الآية [١٧] على المسلم إذ تقول ﴿فَلَمۡ تَقۡتُلُوهُمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمۡۚ وَمَا رَمَيۡتَ إِذۡ رَمَيۡتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ وَلِيُبۡلِيَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡهُ بَلَآءً حَسَنًاۚ﴾ كأن الله تعالى هو القاتل المباشر، والرامي المباشر، ولكن قضاء الله تعالى وقدره في النصر، إذ يعين المؤمنين في المعركة على الكافرين، ويسبغ عليهم العافية والقوة، فيضرب الضارب ويرمي الرامي بتلك القوة الربانية، وكأن الله تعالى هو الذي ضرب وهو الذي رمى، كيف لا وهو سبحانه الذي أوصل تلك الذرات من التراب التي رماهم بها الرسول عليه السلام إلى عيونهم، كما أنه هو سبحانه الذي يوهن الكافرين ﴿ذَٰلِكُمۡ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُوهِنُ كَيۡدِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ١٨﴾ الآية [١٨] ويسند المولى سبحانه المؤمنين ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [١٩] فأوصل العذاب برمية الرسول ﷺ إلى عيونهم جميعاً فولوا هاربين.

ثم تخاطب الآية [٢٠] جيش الرسول عليه السلام وتدعوهم لالتزام طاعة الله تعالى ورسوله، وتجنب التولي يوم القتال كما يفعل الكافرون ﴿وَلَا تَوَلَّوۡاْ عَنۡهُ وَأَنتُمۡ تَسۡمَعُونَ﴾.

وتدعو الآية [٢٤] من اختاروا الإيمان ليلبوا دعوة الرسول عليه السلام لهم للقتال، لأن فيه الحياة الحقة، بدفع الأذى عن البلاد والعباد، وبتحقيق العزة للإسلام ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمۡ لِمَا يُحۡيِيكُمۡۖ﴾.

ثم تأمرهم الآية [٢٧] بأن يبتعدوا عن أية خيانة لله ورسوله لا بقول ولا بفعل مهما كان المبرر من حماية الأموال والأولاد لأن ما عند الله تعالى أفضل من ذلك

بكثير ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٧﴾﴾ بأن يبتعدوا عن أي خيانة لله ورسوله لا بقول ولا بفعل، مهما كان المبرر، من حماية الأموال والأولاد لأن ما عند الله تعالى أفضل من ذلك بكثير ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾﴾ [٢٨] كما تأكدوا أنه سيتوفر لكم المخرج من كل ضيق ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا﴾ [٢٩].

وتؤكد الآية [٣٠] ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ بأنهم بإرادتهم رفضوا الإيمان، وأخذوا يمارسون المكر ضد الرسول عليه السلام وجيشه، ولكنهم نسوا أن الله تعالى فوق مكرهم.

وتربط الآية [٣٥] العذاب بالهزيمة والخزي في الدنيا والآخرة بكفرهم ﴿فَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ فلولا الكفر بأيديهم لما كان هذا الجزاء عليه.

كما تؤكد الآية [٣٦] مباشرتهم الوقوف ضد الإسلام بدافع كفرهم وحقدهم ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ فيكون جزاؤهم ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ﴾ وهناك يظهر الفرق بينهم وبين المؤمنين، فهم وخبثهم في جهنم، والمؤمنون وطيبهم في الجنة ﴿لِيَمِيزَ ٱللَّهُ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ﴾ [٣٧].

وتخاطب الآية [٤١] المؤمنين ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَىْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ ٱلْفُرْقَانِ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ﴾ مبيّنة لهم تقسيم الغنائم التي يكسبونها في القتال من العدو الكافر، وذلك بأن يقتطع منها خمس لمن ذكروا أعلاه ويوزع الباقي على المحاربين، مع تفصيل في ذلك.

ثم تخاطب الآية [٤٥] المؤمنين ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُواْ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٤٥﴾﴾ فرتب الفوز والفلاح على الثبات في المعركة، مع الإكثار في الدعاء إلى الله تعالى بقلوبهم، وألسنتهم وخاصة عند لقاء العدو لما في ذلك من إثارة الرعب فيهم.

وتبيّن الآية [٥٠] ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ

وَأَدْبَـٰرَهُمْ وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿٥٠﴾﴾ كيف كان الملائكة يشتركون في معركة بدر بضرب الكفار على وجوههم وظهورهم، فتظهر الضربات كالحريق بالنار.

والآية التالية [٥١] تقول ﴿ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّـٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿١٨٢﴾﴾ مؤكدة أن ذلك الجزاء على أفعالهم الاختيارية وليس بجبر ولا إكراه من الله تعالى الذي ﴿لَا يَظْلِمُ ٱلنَّاسَ شَيْـًٔا وَلَـٰكِنَّ ٱلنَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ وأن هذا ما حلّ بفرعون وقومه عندما كذبوا بآيات الله تعالى فنالوا جزاءهم، وهذا ما يحل بكل فرد وقوم وأمة.

وتقول الآية [٥٥] ﴿إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٥٥﴾﴾ محذرة المشركين بألّا يكونوا من أسوأ من يدب على الأرض بسبب كفرهم وعنادهم واستكبارهم.

وتتهدد الآية [٥٩] ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَبَقُوٓا۟ ۚ إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ ﴿٥٩﴾﴾ من أصروا على الكفر، ظناً منهم أنهم بنجاتهم يوم بدر قد أفلتوا من القتل، بل سيلحق بهم عاجلاً إن استمروا على تكذيبهم ومحاربتهم للحق.

وتؤكد الآية [٦٢] أن النصر بيد الله تعالى، فهو الكافي للمؤمنين والناصر لهم بجمعهم على كلمة الحق، واندفاعهم في القتال في سبيل الله تعالى، كيف لا والآية [٦٤] تؤكد هذا المعنى للرسول عليه السلام ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ حَسْبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٤﴾﴾ وما عليك أيها النبي إلا أن تحرض المؤمنين على القتال، وعندها سينصركم الله تعالى على الكافرين ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ حَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَى ٱلْقِتَالِ ۚ﴾ [٦٥].

وتبيّن الآية [٧٠] أمر الأسرى في بدر، وأنهم إن كان فيهم خير سيعطيهم الله خيراً أفضل منه، مشجعاً لهم على الدخول في الإسلام، ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّمَن فِىٓ أَيْدِيكُم مِّنَ ٱلْأَسْرَىٰٓ إِن يَعْلَمِ ٱللَّهُ فِى قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧٠﴾﴾.

ثم توضح الآية [٧٢] أصناف المؤمنين مع رسول الله، أن الصنفين منهم: المهاجرون المجاهدون، والأنصار المجاهدون، وهم أولياء بعضهم بعضاً، بينما المؤمنون الذين لم يهاجروا إلى المدينة ليس لهم ولاء إلا الانتصار ضد من ليس لهم عهد ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَـٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَوا۟ وَّنَصَرُوٓا۟ أُو۟لَـٰٓئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يُهَاجِرُوا۟ مَا لَكُم مِّن وَلَـٰيَتِهِم مِّن شَىْءٍ حَتَّىٰ

يُهَاجِرُواْۚ وَإِنِ ٱسْتَنصَرُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ فَعَلَيْكُمُ ٱلنَّصْرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمِۭ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٧٢﴾﴾.

ومن الناحية الثانية فإن الآية التالية [٧٣] تبيّن أن من اختاروا الكفر والتكذيب وأصروا عليهما فإنهم أولياء بعضهم بعضاً، فلا محبة لهم ولا نصرة على المؤمنين ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍۚ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِى ٱلْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ ﴿٧٣﴾﴾.

وتؤكد الآية [٧٤] بأن المؤمنين بصدق هم الفئتان الأوليان: الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا. . ، والذين آمنوا وآووا ونصروا. . ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّاۚ لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾.

وهذا كله للمهاجرين قبل الحديبية، وأما لمن بعدها وبعد بيعة الرضوان فقد انتهت هجرتهم عندما فتحت مكة لقوله عليه السلام: (لا هجرة بعد الفتح).

وتبيّن الآية [٧٥] الأخيرة من السورة ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنۢ بَعْدُ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ مَعَكُمْ فَأُوْلَٰٓئِكَ مِنكُمْۚ وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾.

تبيّن أمر تلك الموالاة في الميراث، فكانوا يتوارثون بالهجرة، فكان التوارث بين المهاجرين؛ وأما من لم يهاجر فليس له في الميراث، ثم نسخ الله تعالى ذلك بقوله ﴿وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾ فصار الميراث لذوي الأرحام من المؤمنين فقط ولا ميراث لغير المؤمنين.

فهل في هذا التشريع في الحرب والسلم ما يفرض حسن الاختيار، أم أنه من باب الإكراه والإجبار؟

من سورة التوبة (٩)

هذه السورة المدنية تعنى بالتشريع كغيرها من السور المدنية، وهي آخر سورة نزلت على الرسول عليه السلام عند مرجعه من غزوة تبوك في السنة التاسعة من الهجرة، وقد بيّنت السورة تشريع معاملة المشركين وأهل الكتاب، كما بيّنت ما كان في النفوس عند دعوتهم لغزو الروم، حتى سميت بالفاضحة لأنها فضحت المنافقين

الذين كان من شرهم بناء مسجد الضرار الذي أمر الرسول عليه السلام بهدمه وحرقه، فهدم وحرق.

وللسورة أربعة عشر اسماً كلها ضد المنافقين لخطرهم، فهل في ذلك دعوة لحسن الاختيار؟ فقد قررت ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ مُخْزِى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ الآية [٢] بعد أن تبرأت من المشركين وأعطتهم إنذاراً لمدة أربعة أشهر يأتي بعدها ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [٣] لأنهم ﴿لَا يَرْقُبُونَ فِى مُؤْمِنٍ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُعْتَدُونَ﴾ [١٠].

وتشدد الآية [١٣] على المؤمنين بألّا يخشوا الكافرين ﴿أَتَخْشَوْنَهُمْ ۚ فَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ فمن اختار الإيمان لا بد أن يعطي المولى سبحانه الأحقية في الخشية.

وتطلب الآية [١٤] ﴿قَٰتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ ﴿١٤﴾﴾ تطلب أن يبادروا لقتالهم لما في ذلك من عذاب الهزيمة لهم والخزي والنصر عليهم، ولما في ذلك من تطمين لقلوب المؤمنين.

وتستنكر الآية [١٦] موقف المؤمنين المتردد في قتال المشركين ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تُتْرَكُوا۟ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ مِنكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَا رَسُولِهِۦ وَلَا ٱلْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً ۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾﴾ مبيّنة لهم أن في الابتلاء لهم إظهاراً للمؤمن الحق من المنافق، مما يفرض تحريم اتخاذ بطانة منهم يكيدون للمسلمين ويذيعون أسرارهم.

وتبيّن الآية [١٧] أن المشركين يشهدون على أنفسهم بالكفر لعدم ترددهم على المساجد وعمارتها لأن ذلك فقط للمؤمنين ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾ [١٨].

ثم تستنكر الآية [١٩] على المشركين جعل سقاية الحجيج وسدانة البيت كالإيمان بالله والجهاد في سبيله، فلا مماثلة بينها، واعلموا أيها المشركون أن الله تعالى لا يمكن أن يوفق المصرين على الكفر لأي خير ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَجَٰهَدَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ لَا يَسْتَوُۥنَ عِندَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩﴾﴾.

ثم تنبه الآية [التالية ٢٠] المشركين إلى من هم الفائزون برضى الله ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٢٠﴾﴾.

ثم تنبه الآية التالية [٢٣] المؤمنين بمنعهم من اتخاذ آبائهم وإخوانهم الكافرين أنصاراً وأعواناً يحبونهم ويستنصرون بهم ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَابَآءَكُمْ وَإِخْوَٰنَكُمْ أَوْلِيَآءَ إِنِ ٱسْتَحَبُّواْ ٱلْكُفْرَ عَلَى ٱلْإِيمَٰنِ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾﴾.

ثم تأتي الآية [٢٤] جامعة عناصر تفضيل الجهاد في سبيل الله، وطاعة رسوله التي توقع المؤمن تحت التهديد بالعذاب الشديد ﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُواْ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٤﴾﴾ فقل يا محمد للمؤمنين بأن من يفضل الرابطة القومية المتمثلة في الآباء والأبناء والأخوات والأزواج والعشيرة، ومن يفضل الرابطة المصلحية المتمثلة بالأموال والتجارة، ومن يفضل الرابطة الوطنية المتمثلة بالمساكن، من يفضل أياً منها على الجهاد في سبيل الله تعالى لنصرة دينه فلْينتظرْ عذاب الله الذي لا يوفق الفاسقين المصرين على عصيان الله ورسوله إلى الخير، إلى طريق السعادة.

وتبيّن الآية [٢٦] ﴿ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ كيف تولى سبحانه نصر المؤمنين يوم حنين، بما أنزله من طمأنينة على الرسول القائد وعلى المؤمنين الجنود، وبما أنزله من جنود من الملائكة، فهزم الكفار شر هزيمة جزاء كفرهم وتكذيبهم.

ثم تخاطب الآية [٢٨] المؤمنين ليمنعوا المشركين من الاقتراب من المسجد الحرام والدخول فيه بعد العام العاشر من الهجرة، وأن يطمئنوا أن الله تعالى سيغنيهم عنهم ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُواْ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَٰذَا﴾.

ثم تبيّن الآية [٢٩] من على المؤمنين أن يقاتلوهم وإلى أي مدى ذلك ﴿قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ

دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُوا۟ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَٰغِرُونَ ﴿٢٩﴾﴾ فعليهم أن يقاتلوا اليهود والنصارى الذين خرجوا عن الإيمان السليم بالشرك، وأخذوا يحرمون تبعاً لما يقوله لهم رجال دينهم، وأن النتيجة أن يهزموا ويدفعوا الجزية عن كل مقاتل.

وأما شركهم فقد بيّنته الآية التالية [٣٠] بأن قال اليهود: عزير ابن الله، وقالت النصارى المسيح ابن الله وقالوا بالتثليث. . ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ﴾.

وأما إصرارهم على الكفر فإنهم يسعون لمنع أوامر الله من الوصول للناس، ولكنها ستصل رغماً عنهم وعن كفرهم ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٣٢﴾﴾.

وتبيّن الآية التالية [٣٣] بأن ما أرسله الله تعالى مع رسوله للناس كافة هو الهدى لهم ودين الحق. . ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ﴾.

واعلموا أيها المؤمنون أن الكثير من رجالات الدين اليهودي والنصراني من الأحبار والرهبان لا يحرمون المال الباطل، بل يستحلون أموال غيرهم بغير حق.

وبعد أن تبيّن الآية [٣٦] ﴿إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾ تبيّن الآية التالية [٣٧] ﴿إِنَّمَا ٱلنَّسِىٓءُ زِيَادَةٌ فِى ٱلْكُفْرِ﴾ بأن تأخير حرمة شهر لشهر آخر هو زيادة في الوقوع في الكفر، لأنه تحريم ما أحله الله تعالى وتحليل ما حرمه. وتبيّن الآية أنه في ذلك يزيد الكافرون بعداً عن الحق ﴿يُضَلُّ بِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾.

وتنتهي الآية بالقول بأن الله لا يهدي القوم الكافرين أي: لا يدلهم بكفرهم على الحق. .

ثم تخاطب الآيات التالية [٣٨ و ٣٩ و ٤٠] الذين اختاروا الإيمان، وصحبوا الرسول عليه السلام بألّا يتثاقلوا عن الجهاد ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلْتُمْ إِلَى ٱلْأَرْضِ﴾.

وذلك يوم غزوة تبوك عندما كان الحر شديداً والثمار وفيرة. وتهددهم الآية

[٣٩] بأنهم إن قعدوا عن الجهاد يعذبهم عذاباً شديداً. . ﴿إِلَّا تَنفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ فهو جزاء العصيان.

وتبيّن لهم الآية [٤٠] بأنهم هم من يخسر من ذلك، لأن الله تعالى قادر على نصر رسوله وعدد جنده قليل ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾.

وتتحدث الآيتان التاليتان [٤٤ و ٤٥] عن المنافقين الذين يتهربون من الجهاد في سبيل الله ﴿لَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَن يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ ﴿٤٤﴾ إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ ﴿٤٥﴾﴾.

وتعلن الآية [٤٩] في نهايتها ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ﴾ بأن أولئك المنافقين الذين يتهربون من الجهاد بلا استئذان، فإن الله تعالى يصفي جيش المسلمين منهم لخطرهم عليه وهم يثبطون الجند عن القتال.

وترد الآيتان [٥٠ و ٥١] على زعمهم بأنهم قد نجوا بحساباتهم من القتل ﴿إِن تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ ۖ وَإِن تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَا أَمْرَنَا مِن قَبْلُ وَيَتَوَلَّوا وَّهُمْ فَرِحُونَ ﴿٥٠﴾ قُل لَّن يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا ۚ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾﴾ مؤكدة بأن الله تعالى بقضائه وقدره يوقع ذلك، وهذا معنى الكتابة هنا، إذا أوقع أي مصيبة على المسلمين فهو سبحانه العالم بما ينفعهم وما يضرهم، فهو مولاهم وعليه هم معتمدون.

وتبيّن الآية [٥٤] ﴿وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ﴾ بأن نفقاتهم كلها غير مقبولة عند الله تعالى بسبب ما يبيتون من كفر.

وتنهى الآية [٥٥] المسلمين عن الإعجاب بكثرة أموال وأولاد المنافقين، فهي استدراج لهم في الدنيا وعذاب، وهم يتصرفون بهم دون إيمان وتنتهي بهم الحياة إلى الموت وهم كافرون رغم تظاهرهم الكاذب بالإيمان.

وتبيّن الآية [٦١] تهجمهم على الرسول عليه السلام بأنه أذن سامعة لكل شخص فتبيّن أن عليه السلام ﴿أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ﴾ فهو عليه السلام يسمع الخير ولا يسمع الشر، وهو رحمة بكل من آمن به رغم أنف الكافرين به. . ثم تبيّن الآية

[٦٢] بأنهم إذا كانوا صادقين في إيمانهم فعليهم الحرص على إرضاء الله تعالى ورسوله عليه السلام، بدلاً من استرضاء الآخرين ﴿يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ إِن كَانُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾﴾.

وتؤكد الآية [٦٦] بأن المنافقين قد وقعوا في الكفر، مهما تظاهروا بالإيمان بمحاولة اعتذارهم عما نسب إليهم من الكذب في حق الله تعالى وكتابه ورسوله ﴿لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَـٰنِكُمْ﴾.

وقد وضعتهم الآية [٦٨] في صف الكافرين ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ وَٱلْمُنَـٰفِقَـٰتِ وَٱلْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَـٰلِدِينَ فِيهَا﴾ فالكل منكر لطاعة الله ورسوله وإن أظهر المنافقون والمنافقات شيئاً من الإيمان، فهو إيمان كاذب.

بينما تصف الآية [٧١] المؤمنين والمؤمنات بأنهم أولياء بعضهم بعضاً بما بينهم من المحبة والنصرة، بالإضافة لما يقومون به من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. . وغير ذلك من الطاعات. . مما يتحقق لهم بِهِ وعد الله تعالى بالجنات الخالدات ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتِ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا﴾ [٧٢] فقد اختار هؤلاء الرجال والنساء الإيمان بالله ورسوله فاستحقوا هذا الوعد.

وأما الآية [٧٣] فإنها تدعو النبي عليه السلام أن يبادر الكفار والمنافقين بالجهاد في سبيل الله، ناهيك عما ينتظرهم من جهنم ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ جَـٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَـٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٧٣﴾﴾ فهو قتال دون رأفة بهم ولا رحمة.

وتكشف الآية [٧٤] المنافقين في كذبهم بإنكار طعنهم بالرسول عليه السلام، وفي محاولتهم اغتياله في تبوك ﴿يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ مَا قَالُوا۟ وَلَقَدْ قَالُوا۟ كَلِمَةَ ٱلْكُفْرِ وَكَفَرُوا۟ بَعْدَ إِسْلَـٰمِهِمْ وَهَمُّوا۟ بِمَا لَمْ يَنَالُوا۟﴾.

كما تبيّن الآية [٧٩] طعنهم في المتصدقين من المؤمنين وسخريتهم منهم، فترد ذلك عليهم بالعذاب الأليم حتى لو استغفر لهم الرسول عليه السلام سبعين مرة فلن يغفر الله لهم ذنوبهم لإصرارهم على الفسق والكفر ﴿ٱلَّذِينَ يَلْمِزُونَ ٱلْمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ فِى ٱلصَّدَقَـٰتِ﴾ ﴿إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَـٰسِقِينَ﴾ [٨٠].

فمن أين يأتي التوفيق لهؤلاء الخارجين على الإيمان!؟ ومنعت الآية [٨٤] الرسول عليه السلام من الصلاة على أولئك المنافقين ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا﴾ لأنهم كفروا بالله ورسوله.

وتطمئنه ـ عليه السلام ـ الآية [٨٥] ﴿وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ﴾ فلا يعجب بكثرة أموالهم وأولادهم. وتبيّن الآية [٨٦] ﴿وَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَجَٰهِدُوا۟ مَعَ رَسُولِهِ ٱسْتَـْٔذَنَكَ أُو۟لُوا۟ ٱلطَّوْلِ مِنْهُمْ﴾ بأنهم كانوا يتهربون من القتال ولا سيما الأغنياء منهم.

بينما تبيّن الآية [٨٨] ﴿لَٰكِنِ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ جَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ﴾ فشتان بين الفريقين فكان هؤلاء هم الفائزون بينما كان المنافقون هم الخاسرون.

ثم تتحدث الآية [٩٠] عن فئة المتهربين من الأعراب من الجهاد فتهددهم بالعذاب الأليم لكفرهم ﴿وَجَآءَ ٱلْمُعَذِّرُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ﴾.

وتذكر الآية [٩٩] أن من الأعراب من كان مؤمناً مجاهداً بنفسه وماله ﴿وَمِنَ ٱلْأَعْرَابِ مَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾ فقد اختارت هذه الفئة الإيمان وتقربت إلى الله تعالى بالإنفاق لوجهه تعالى، فكان جزاؤهم ﴿سَيُدْخِلُهُمُ ٱللَّهُ فِى رَحْمَتِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ مؤكدة أن العبرة في الأعراب كغيرهم هو حسن الاختيار وليس لأنهم أعراب.

وتقف الآية [١٠٠] عند السابقين في الإيمان والأعمال الطيبة فصنفتهم بين مهاجرين وأنصار، ثم تذكر من تبعهم على الإيمان والأعمال الصالحات، وتذكر ما أعد تعالى من جنات خالدات جزاء لهم ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾ إنها تلك الفئة التي كان لها شرف السبق في الإيمان والجهاد مع الرسول عليه السلام في حق السابقين والسير على خطاهم في حق التابعين لهم بإحسان.

وتأمر الآية [١٠٥] الرسول عليه السلام والمؤمنين من بعده ﴿وَقُلِ ٱعْمَلُوا۟ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ تأمرهم بالأعمال الصالحة ليُرُوا الله تعالى منهم الصدق والإخلاص كما يُروا رسوله والمؤمنين.

ثم تتحدث الآية [١٠٧] عن تلك الفئة من المنافقين أصحاب مسجد الضرار، وما وقعوا فيه من الجحود بسبب ذلك، بالرغم من حلفهم بأنهم إنما أرادوا الخير بذلك ولكنهم كانوا كاذبين ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ مما يجزم أن الظاهر لا بد أن يصدقه الباطن.

وتعلن الآية [١١١] ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ﴾ أن صفقة قد عقدها المؤمنون مع الله تعالى أن يقدموا أنفسهم وأموالهم في سبيله تعالى مقابل الجنة، فما أربحها من صفقة! ﴿وَذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ كما تجزم الآية في نهايتها.

وعندما تبشر الآية [١١٢] المؤمنين تذكر قائمة من أوصافهم ليستحقوا تلك البشارة: بأن يكونوا من التائبين، والصابرين، والحامدين، والسائحين، والراكعين، والساجدين، والآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر، والحافظين لحدود الله تعالى.

وتتحدث الآية [١١٣] عمن لهم حق الاستغفار ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَن يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَىٰ﴾ مبيّنة أن القرابة لا قيمة لها مع الشرك، فلا دعاء للمشرك ولا صلاة على ميته.

وتقول الآية [١١٥] ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ ۚ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١٥﴾﴾ مؤكدة أن الله تعالى قد أنقذ المؤمنين بهذا البيان من الوقوع في الضلال، والبعد عن الهدى.

وتقول الآية [١١٩] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴿١١٩﴾﴾ فكونوا أيها المؤمنون دائماً من الحريصين على تقوى الله تعالى ومخافته، وكونوا من الصادقين في كل أقوالهم وأفعالهم.

وعندما تتحدث الآية [١٢٠] عن الثواب العظيم للمؤمن مقابل كل جهد يبذلونه في سبيل الله تقول ﴿وَلَا يَطَئُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ﴾ مبيّنة أن من الجهاد في سبيل الله تعالى إغاظة الكفار المكذبين لله ورسوله.

وتضع الآية [١٢٢] قاعدة الجمع بين النفير والتفقه فتقول ﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَافَّةً ۚ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ

إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيۡهِمۡ لَعَلَّهُمۡ يَحۡذَرُونَ ﴿١٢٢﴾﴾ مبيّنة عدم جواز نفير جميع المؤمنين للجهاد، بل لا بد أن تبقى من كل فرقة منهم طائفة بجانب الرسول عليه السلام، ليتلقوا عنه الوحي المنزل ثم يعلموا المجاهدين به متى رجعوا إليهم.

وتخاطب الآية [١٢٣] المؤمنين وتدعوهم للمبادرة لقتال الكفار دون رحمة، مبتدئين بما يجاورونهم ما داموا يمنعون الإسلام من الوصول لشعبهم ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلۡكُفَّارِ وَلۡيَجِدُواْ فِيكُمۡ غِلۡظَةٗۚ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلۡمُتَّقِينَ ﴿١٢٣﴾﴾.

وتقول الآية [١٢٤] ﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتۡ سُورَةٞ فَمِنۡهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمۡ زَادَتۡهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنٗاۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَزَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَهُمۡ يَسۡتَبۡشِرُونَ ﴿١٢٤﴾﴾ مبيّنة حال المنافقين الذين كانوا يسخرون من الإيمان، فتؤكد لهم بأن من قلوبهم خربة وعقولهم جاحدة لا تزيدهم إيماناً لأنهم في الأصل من المكذبين، وأما المؤمنون فإن كل حكم ينزل على الرسول عليه السلام يزيدهم إيماناً على إيمانهم. كيف لا ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ فَزَادَتۡهُمۡ رِجۡسًا إِلَىٰ رِجۡسِهِمۡ وَمَاتُواْ وَهُمۡ كَٰفِرُونَ ﴿١٢٥﴾﴾ [١٢٥] فإن القلوب المريضة والعقول الجاحدة لا تتأثر إيجابياً، بل تزيدهم رجساً إلى رجس وينتهون إلى الموت على كفرهم.

وتعلن الآية [١٢٨] ﴿لَقَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ عَزِيزٌ عَلَيۡهِ مَا عَنِتُّمۡ حَرِيصٌ عَلَيۡكُم بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ ﴿١٢٨﴾﴾ مذكرة أولئك المنافقين بأن الرسول عليه السلام قد جاءهم برسالة الإسلام وهو معروف لديهم، فلا مبرر لإعراضهم عنه، وعن دعوته، ولا سيما أنه يعز عليه نزول أي مشقة بهم، وأنه بالغ الرأفة والشفقة بالمؤمنين.

وتنتهي السورة بآية [١٢٩] التي تقول ﴿فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَقُلۡ حَسۡبِيَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُۖ وَهُوَ رَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿١٢٩﴾﴾ منبّهة الكفّارَ والمنافقين بأنهم إن أعرضوا عن الإيمان بالله تعالى بعد كل هذا التيسير الذي أنعم به عليهم فما على الرسول عليه السلام إلا أن يردد ﴿حَسۡبِيَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُۖ وَهُوَ رَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡعَظِيمِ﴾ مفوضاً له تعالى جميع أموره ومعتمداً عليه سبحانه.

من سورة يونس (١٠)

تتحدث هذه السورة المكية عن أصول العقيدة الإسلامية، من إيمان بالله وكتبه ورسله والبعث والجزاء، فقد بدأت بالحديث عن الرسول والرسالة، وأن كل أمة قد بعث فيها رسول، وتناولت السورة موقف المشركين من القرآن الكريم، وتحدثت عن قصص بعض الأنبياء: نوح وموسى ويونس عليهم السلام، وذلك لبيان سنة الله الكونية في إهلاك الظالمين ونصرة المؤمنين.

وانتهت السورة الكريمة بدعوة الرسول وأتباعه إلى التمسك بشريعة الله، والصبر على الأذى في سبيل ذلك، فهل هذا غير الحرص على حسن الاختيار؟

وتبدأ السورة في الآية [٢] بتبشير من اختاروا الإيمان بأن ﴿لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ بينما تذكر من اختاروا الكفر في اعترافهم بالعجز أمام رسالة القرآن، وما ظهر على يدي الرسول عليه السلام من المعجزات التي نسبوها للسحر لعجزهم عن الإتيان بمثلها.

وتبيّن الآية [٤] بأنه تعالى سيجازي من ارتضوا الإيمان والقيام بالأعمال الصالحة بجنة الخلد ونعيمها، كما يجزي من أصروا على الكفر بعذاب النار وجحيمها، فالكل يجازى بقدر اختياره ﴿لِيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ بِٱلْقِسْطِ﴾.

وفي الآية [٩] بيان على أن من اختاروا الإيمان وأقبلوا على الطاعات قد وفروا لأنفسهم الوصول للهدى الذي يأمرهم به ربهم، وأنه تعالى سيكافئهم بجنات النعيم يوم الدين ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمْ﴾.

وتتحدث الآية [١٢] عما يصيب الإنسان من ضر، من مرض أو فقر مثلاً، فيتوجه إلى الله تعالى بالدعاء ليكشف عنه ضره، فيعود الكافر بالله تعالى إلى كفره بعد أن يكشف عنه ضره وكأنه لم يدع بشيء ﴿فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُۥ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَآ إِلَىٰ ضُرٍّ مَّسَّهُۥ﴾.

وتبيّن الآية [١٣] ما حلّ بالأمم السابقة بعد أن أنكروا الرسالات التي جاءتهم،

وكذبوا الرسل، وأصروا على عدم الإيمان، فحل بهم من العذاب ما يناسب ما ارتكبوه من المنكرات ﴿وَجَآءَتۡهُمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَمَا كَانُواْ لِيُؤۡمِنُواْۚ﴾.

وتكشف الآية [١٦] عن مشيئة الله تعالى في إنزال القرآن، وأنه سبحانه لو قضى وقدر عدم إنزاله لما عرفوا به، وإن نزل بعد أن عايشوا الرسول عليه السلام مدة طويلة قبل ذلك وعرفوه حق المعرفة ﴿قُل لَّوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَا تَلَوۡتُهُۥ عَلَيۡكُمۡ وَلَآ أَدۡرَىٰكُم بِهِۦۖ﴾.

وتؤكد الآية [١٧] أن المجرمين الذين ارتكبوا الإجرام وكذبوا الرسل الكرام لن يفوزوا بالسعادة ﴿إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلۡمُجۡرِمُونَ﴾ لأنهم ﴿وَيَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمۡ وَلَا يَنفَعُهُمۡ﴾ الآية [١٨].

وتؤكد الآية [٢١] ﴿وَإِذَآ أَذَقۡنَا ٱلنَّاسَ رَحۡمَةٗ مِّنۢ بَعۡدِ ضَرَّآءَ مَسَّتۡهُمۡ إِذَا لَهُم مَّكۡرٞ فِيٓ ءَايَاتِنَاۚ﴾ تؤكد أن من يمكر ويهزأ بآيات الله عندما يزيل عنه ضره، فإن الله تعالى سيحاسبه أشد الحساب يوم القيامة.

وتبيّن الآية [٢٥] ﴿وَٱللَّهُ يَدۡعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾ تبيّن بأن الله تعالى يدعوكم إلى دار السلامة والأمان في الآخرة، بدلاً من هذه الدنيا المليئة بالمصائب، وأنه تعالى قد وضع بين أيديكم سبيل الهداية إلى الطريق القويم فما عليكم إلا اختياره.

وتقول الآية [٣٠] ﴿هُنَالِكَ تَبۡلُواْ كُلُّ نَفۡسٖ مَّآ أَسۡلَفَتۡۚ وَرُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ مَوۡلَىٰهُمُ ٱلۡحَقِّۖ وَضَلَّ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ ٣٠﴾ مبيّنة أن كل إنسان سينال يوم الدين جزاء ما أسلف وقدم في حياته، فله الجزاء الحق من رب الحق، وتسقط كل افتراءات الدنيا.

وتؤكد الآية [٣٢] ﴿فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلۡحَقُّۖ فَمَاذَا بَعۡدَ ٱلۡحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُۖ فَأَنَّىٰ تُصۡرَفُونَ ٣٢﴾ تؤكد بأن الله تعالى هو الرب الحق الذي إليه كل شيء، وبأن كل ما بعده هو الضلال والباطل.

وتبيّن الآية [٣٣] ﴿كَذَٰلِكَ حَقَّتۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ فَسَقُوٓاْ أَنَّهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾ تبيّن أن حكم الله وقضاءه على من خرجوا عن طاعته، هو أنه تعالى لا يوفقهم للإيمان ما داموا مصرين على التكذيب والعصيان.

وتبيّن الآية [٣٥] ﴿قُلۡ هَلۡ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَهۡدِيٓ إِلَى ٱلۡحَقِّۚ قُلِ ٱللَّهُ يَهۡدِي لِلۡحَقِّۗ أَفَمَن

يَهِدِّيٓ إِلَى ٱلۡحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّيٓ إِلَّآ أَن يُهۡدَىٰۖ فَمَا لَكُمۡ كَيۡفَ تَحۡكُمُونَ ﴿٣٥﴾﴾ مستنكرة على الكافرين فيما إذا كان هناك من شركائهم من يدل على الحق، وأن عليهم أن يعلموا بأن الله وحده الحق، وأنه وحده الذي يدل على الحق، وأنه بالتالي الأحق والأولى بالطاعة والعبادة، وليس الأولى بهما من لا يصل الهدى إلا بمن يدله على طريقه.

وتبيّن الآية [٤٠] ﴿وَمِنۡهُم مَّن يُؤۡمِنُ بِهِۦ وَمِنۡهُم مَّن لَّا يُؤۡمِنُ بِهِۦۚ وَرَبُّكَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴿٤٠﴾﴾ بأن من أهل مكة الذين بدأت بهم دعوة الإيمان والإسلام من يصدق بهذا القرآن، كما أن منهم من يصر على كفره به وإنكاره حتى يموت، فهم ﴿وَمِنۡهُم مَّن يَنظُرُ إِلَيۡكَۚ أَفَأَنتَ تَهۡدِي ٱلۡعُمۡيَ وَلَوۡ كَانُواْ لَا يُبۡصِرُونَ ﴿٤٣﴾﴾ مصرون على العمى، وأن عليهم أن يعلموا ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ ٱلنَّاسَ شَيۡـٔٗا وَلَٰكِنَّ ٱلنَّاسَ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ﴿٤٤﴾﴾ أن ظلماً مهما قلّ لا يأتي أحداً من الله تعالى بل من نفسه.

وتقول الآية [٤٥] ﴿قَدۡ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ وَمَا كَانُواْ مُهۡتَدِينَ﴾ بأن أولئك المكذبين سيساقون إلى عذاب النار، بعد أن خسروا الجزاء الطيب بسبب تكذيبهم بيوم الحساب.

وتؤكد الآية [٤٩] ﴿قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي ضَرّٗا وَلَا نَفۡعًا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۗ﴾ بأن الرسول عليه السلام ما كان يملك لنفسه دفع ضر عنها ولا جلب نفع عليها مما قضاه الله تعالى وقدره، وأن عليهم أن يعلموا أنه لا قيمة لإيمانهم يوم القيامة ﴿أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ ءَامَنتُم بِهِۦٓۚ ءَآلۡـَٰٔنَ وَقَدۡ كُنتُم بِهِۦ تَسۡتَعۡجِلُونَ ﴿٥١﴾﴾.

وتبيّن الآية [٥٧] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَتۡكُم مَّوۡعِظَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَشِفَآءٞ لِّمَا فِي ٱلصُّدُورِ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٥٧﴾﴾ بأن القرآن قد نزل بالموعظة الصادقة من ربكم، وأن فيه ما يشفي الصدور من الشك والنفاق، وفيه الهدى والرشاد لمن يتبعه، وفيه الرحمة لمن يعيش عليه.

وتبيّن الآيتان [٦٢ و ٦٣] من هم أولياء الله تعالى ﴿أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾﴾ فأولياء الله تعالى هم من تولاهم الله تعالى بحفظه ورعايته، وأنهم من اختاروا الإيمان والتقوى.

وتؤكد الآية [٦٩] ﴿قُلْ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿٦٩﴾﴾ بأن من يفتري ويختلق الكذب على الله تعالى بالقول بأن له ولداً لن يفوز في الآخرة، وإنما هو مجرد متمتع بهذه الدنيا الزائلة، ثم يعود للحساب يوم القيامة ليذوق أشد العذاب ﴿مَتَٰعٌ فِى ٱلدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ نُذِيقُهُمُ ٱلْعَذَابَ ٱلشَّدِيدَ بِمَا كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ ﴿٧٠﴾﴾.

وتبيّن الآية [٧٤] ﴿فَمَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟ بِمَا كَذَّبُوا۟ بِهِۦ مِن قَبْلُ ۚ كَذَٰلِكَ نَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾ تبيّن رفضهم للإيمان لأنهم كذبوا نوحاً عليه السلام وما أتى به الرسل، ولذلك ختم الله على قلوبهم بأنهم معتدون على رسل الله وكلماته إليهم.

وتستنكر الآية [٧٧] ﴿قَالَ مُوسَىٰٓ أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَكُمْ ۖ أَسِحْرٌ هَٰذَا وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّٰحِرُونَ ﴿٧٧﴾﴾ تستنكر قول فرعون وملئه لموسى بأن ما جاء به هو مجرد سحر، وأكد لهم بأن من يأتي بالسحر لا يمكن أن يفلح. فرفضوا الإيمان معه بحجة أنه يريد السلطان له ولأخيه هارون عليهم بقولهم ﴿قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَا وَتَكُونَ لَكُمَا ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا نَحْنُ لَكُمَا بِمُؤْمِنِينَ ﴿٧٨﴾﴾.

ولم يؤمن مع موسى إلا بعض بني إسرائيل المرسل إليهم بسبب الخوف من بطش فرعون ﴿فَمَآ ءَامَنَ لِمُوسَىٰٓ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِۦ عَلَىٰ خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِمْ أَن يَفْتِنَهُمْ ۚ﴾ الآية [٨٣].

فدعاهم موسى إن صدقوا في اختيارهم الإيمان أن يتوكلوا على الله ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰقَوْمِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ ﴿٨٤﴾﴾.

فدعوا الله أن ينقذهم برحمته من فرعون وقومه الذين يصرون على الكفر ﴿وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٦﴾﴾.

فأوحى سبحانه إلى موسى وأخيه أن يتخذوا معابد لقومهما في منازلهم بمصر، بدلاً من الكنس التي هدمها فرعون حيث يقيمون الصلاة وينتظرون نصر الله في النهاية ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَٱجْعَلُوا۟ بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٧﴾﴾.

فجأر موسى بالدعاء لربه أن ينزل أصنافاً من العذاب على فرعون وقومه لعلهم يؤمنون ﴿فَلَا يُؤْمِنُوا۟ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ﴾ الآية [٨٨].

وعندما اجتاز بنو إسرائيل مع موسى وأخيه البحر، وأوشك فرعون على الغرق أعلن أنه آمن بإله بني إسرائيل وأنه من المسلمين ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدۡرَكَهُ ٱلۡغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِيٓ ءَامَنَتۡ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ﴾ الآية [٩٠] صحيح أنه قد آمن باختياره، ولكنه أضاع الفرصة لتأخره حتى الغرق.. وقال له تعالى ﴿ءَآلۡـَٰٔنَ وَقَدۡ عَصَيۡتَ قَبۡلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴿٩١﴾﴾.

وتنبّه الآية [٩٥] من كان حول الرسول عليه السلام من خلال مخاطبته ﴿وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَتَكُونَ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴿٩٥﴾﴾.

وتؤكد ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ حَقَّتۡ عَلَيۡهِمۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴿٩٦﴾﴾ الآية [٩٦] بأن من أصروا على الكفر والتكذيب، بالرغم من كل الدلائل والحجج، فإنهم لا يؤمنون حتى يحل بهم العذاب الذي يتوعدهم به تعالى، وعندها لن ينفعهم هذا الإيمان بشيء، وهذا ما حصل مع الأقوام السابقين، ولكن قوم يونس آمنوا لرؤية علامات العذاب قبل وقوعه، فنفعهم إيمانهم وكشف عنهم ما توعدهم به يونس عليه السلام.

ثم تضع الآية [٩٩] ﴿وَلَوۡ شَآءَ رَبُّكَ لَأٓمَنَ مَن فِي ٱلۡأَرۡضِ كُلُّهُمۡ جَمِيعًاۚ أَفَأَنتَ تُكۡرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ ﴿٩٩﴾﴾ بياناً للإيمان، وأنه إنما يكون من دون إكراه من أحد؛ لا من الرسول عليه السلام ولا من غيره، مع أن الله تعالى قادر بقضائه وقدره أن يجبر الناس على الإيمان، ولكنه سبحانه أعطى الإنسان قدرة الاختيار ليتحمل مسؤولية اختياره، وإن كان الإيمان يبقى في إطار إذن الله تعالى، لأنه سبحانه قادر على التدخل والمنع والإجبار ﴿وَمَا كَانَ لِنَفۡسٍ أَن تُؤۡمِنَ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ﴾ الآية [١٠٠].

ثم تأمر الآية [١٠١] ﴿قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَمَا تُغۡنِي ٱلۡأٓيَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوۡمٖ لَّا يُؤۡمِنُونَ ﴿١٠١﴾﴾ تأمر الرسول عليه السلام أن يدعوَ المشركين للنظر إلى ما في السماوات والأرض من مصنوعات تدل على الصانع، وتحذرهم من الإصرار على رفض الاستدلال وإهمال العقل.

ثم تبيّن الآية [١٠٣] أن النجاة من عذاب الدنيا والآخرة خاصة بالرسل

ومن اختاروا الإيمان معهم ﴿ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ۚ كَذَٰلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنجِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾﴾.

ثم تأمر الآية [١٠٤] الرسول عليه السلام أن يخبر المشركين بأنه لن يعبد معهم شيئاً من دون الله تعالى ﴿وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾.

وتأمره الآية [١٠٦] ألا يوجه الدعاء لأحد غير الله تعالى، لأنه لا نفع ولا ضر إلا لله تعالى ﴿وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ﴾ ولو قضى الله تعالى وقدر شيئاً ضاراً على أحد فإنه لن يكشفه إلا الله تعالى، وكذلك لو قضى وقدر بخير فإن أحداً لن يمنعه؛ وتلك من المشيئة القضائية القدرية.

وتؤكد الآية [١٠٨] ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُمُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ ﴿١٠٨﴾﴾ فها هو القرآن بين أيديكم، فمن اتبعه مؤمناً بالله ورسوله فقد حقق الهداية لنفسه بمحض إرادته واختياره، ومن أصر على الجحود والبعد عن الهدى فإنه يضل بمحض إرادته واختياره.

من سورة هود (١١)

هذه السورة المكية تهتم بأصول العقيدة الإسلامية من توحيد ورسالة وبعث وجزاء، وأوردت الكثير من قصص الأنبياء بالتفصيل، مواساة للنبي عليه السلام بعد وفاة عمه وزوجته خديجة مما كان ينزل به من ابتلاء، فقد بدأت بتمجيد القرآن الكريم، ثم ذكرت عناصر الدعوة الإسلامية بالحجج العقلية، مع المقارنة بين أهل الهدى وأهل الضلال، مؤكدة مفهوم الإرادة التي منحها الله تعالى للإنسان والاختيار في العقيدة والأعمال.

وأوردت قصة نوح عليه السلام وما انتهى إليه قومه من الغرق إلا أصحاب السفينة، ثم ذكرت قصة هود عليه السلام وإهلاك قومه بريح صرصر عاتية، ثم جاءت قصة صالح عليه السلام مع قومه ثمود، ثم قصة شعيب عليه السلام، ثم

قصة موسى وهارون عليهما السلام، وانتهت السورة الكريمة بالإشارة إلى العبرة من قصص المرسلين بما حلّ بالمكذبين فيما مضى من العصور، ولتثبيت النبي عليه السلام أمام تلك الشدائد والمحن.

وبعد أن تتحدث السورة عن القرآن الكريم الذي أحكمت آياته، تدعو الناس لعبادة الله تعالى منزّله هادياً للبشر، ومنذراً من العذاب يوم الحساب، بعدها تشير الآية [٧] لما يقوله منكرو الإيمان ﴿لَيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ متّهمين الرسول عليه السلام بأن ما يقوله من القرآن هو من السحر، ولكنهم كذبوا على الله ورسوله.

وها هم عندما ينعم الله تعالى عليهم بنعمة بعد شدة، يزعمون أن ما يسوؤهم من الخطايا قد ذهبت عنهم بعد أن عبروا عن يأسهم من الرحمة ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَٰهَا مِنْهُ إِنَّهُۥ لَيَـُٔوسٌ كَفُورٌ ﴿٩﴾﴾ الآية [٩] فهو يكفر برزق الله تعالى ورحمته وينسب كاذباً ذلك لنفسه وأعماله، وينسى أن ذلك من قضاء الله وقدره ولا سيما أن الآية [١٠] تقول ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَٰهُ نَعْمَآءَ بَعْدَ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ ٱلسَّيِّـَٔاتُ عَنِّىٓ إِنَّهُۥ لَفَرِحٌ فَخُورٌ ﴿١٠﴾﴾.

وتتحدث الآية [١٧] عمن يؤمنون بالقرآن بمحض إرادتهم واختيارهم، وعمن يكفرون به وينكرون أنه الحق من الله تعالى ﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامًا وَرَحْمَةً أُوْلَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ مِنَ ٱلْأَحْزَابِ فَٱلنَّارُ مَوْعِدُهُۥ فَلَا تَكُ فِى مِرْيَةٍ مِّنْهُ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٧﴾﴾ مؤكدة أن من يختار اتباع النبي هو صاحب البينة، وهو الذي يجد الشاهد الصادق في النبي عليه السلام، وهو من أصحاب الجنة، وأما من ينكر ذلك فهو في النار وهم أكثرية الناس، وهم ممن يقفون في طريق دعوة الحق، وينكرون يوم الحساب ﴿أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٨﴾ ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿١٩﴾﴾ [١٨ و ١٩].

وتؤكد الآية [٢١] ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ﴾ فهم ﴿لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ هُمُ ٱلْأَخْسَرُونَ ﴿٢٢﴾﴾ الآية [٢٢] فهم من خسروا دنياهم وأخراهم بمحض إرادتهم واختيارهم.

وتأخذ السورة في عرض قصص الرسل معزية النبيَّ عليه السلام ومثبتة له، فتبدأ

بذكر نوح عليه السلام، وماذا قال زعماء قومه ﴿فَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوْمِهِۦ مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا﴾ الآية [٢٧] رافضين الإيمان بالله تعالى وعبادته وحده، بحجة أن أتباعه من ضعفاء قومه ﴿وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا﴾ ورفض طرد أتباعه هؤلاء كما طلبت قريش من الرسول عليه السلام ﴿وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ [٢٩].

ويقول لهم تعالى على لسان نوح عليه السلام ﴿وَلَا يَنفَعُكُمْ نُصْحِىٓ إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ ۚ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٣٤﴾﴾ الآية [٣٤] بأن نصحه عليه السلام مهما داوم عليه لن ينفعهم ما داموا يرفضونه، وما دام سبحانه لم يقض عليهم بالضلال، وإنما تركهم لاختيارهم بين الهدى والضلال، وأنهم سيعاقبون يوم الدين جزاء اختيارهم.

ويخبر المولى سبحانه نبيه نوحاً عليه السلام بما يعلمه عن قومه ﴿وَأُوحِىَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُۥ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾﴾ الآية [٣٦] مطمئناً له، وآمراً أن يصنع السفينة التي ستنقذه ومن آمن معه فقط، ويغرق الباقون في الطوفان ﴿وَمَنْ ءَامَنَ ۚ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ الآية [٤٠] ولم يُستثنَ أحدٌ من الغرق ممن اختاروا الكفر حتى ابنه ﴿يَٰبُنَىَّ ٱرْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ الآية [٤٢] ﴿فَكَانَ مِنَ ٱلْمُغْرَقِينَ﴾ [٤٣] وبيّن له ربه أن ابنه ليس من أهله لأنه اختار الكفر على الإيمان، فطلب من الله تعالى أن يغفر له جهله حتى لا تلحقه الخسارة في الدنيا والآخرة.

ويتكرر المشهد مع هود عليه السلام وقومه عاد، وكيف أنهم رفضوا الإيمان معه ﴿وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ الآية [٥٣] فأنجاه تعالى ومن اختار الإيمان معه ﴿وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَنَجَّيْنَٰهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾ الآية [٥٨].

ثم يتكرر مع صالح عليه السلام وقومه ثمود الذين رفضوا الإيمان به ومعه فحل بهم ما استحقوه من العذاب ﴿فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَٰلِحًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَمِنْ خِزْىِ يَوْمِئِذٍ ۗ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْعَزِيزُ ﴿٦٦﴾ وَأَخَذَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُواْ فِى دِيَٰرِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٦٧﴾﴾ [٦٦ و٦٧] فالنجاة في الدنيا والآخرة لمن اختاروا الإيمان، والهلاك لمن ظلموا أنفسهم بالكفر والعصيان.

وتنتقل السورة إلى قصة إبراهيم عليه السلام وقصة ابن عمه لوط عليه السلام،

وكيف مر به الملائكة المرسلون لقوم لوط، وبشروه بإسحق ثم يعقوب من إسحق، وبادروا في التوجه بعدها إلى لوط عليه السلام ليطمئنوه بأنهم ﴿قَالُواْ يَٰلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوٓاْ إِلَيۡكَۖ﴾ [٨١] وانتهى بهم الأمر بخسف قوم لوط ﴿فَلَمَّا جَآءَ أَمۡرُنَا جَعَلۡنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمۡطَرۡنَا عَلَيۡهَا حِجَارَةٗ مِّن سِجِّيلٖ مَّنضُودٖ﴾ [٨٢] محذرة قريشاً ومن كفر معهم من نفس المصير إن أصروا على الإنكار ورفض الإيمان.. ﴿وَمَا هِيَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ بِبَعِيدٖ﴾ [٨٣].

وتأتي السورة بعدها لقوم مدين وأخيهم شعيب عليه السلام فقال لهم ﴿بَقِيَّتُ ٱللَّهِ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَۚ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيۡكُم بِحَفِيظٖ ٨٦﴾ [٨٦] أي إن ما أبقاه الله تعالى لكم من الحلال خير لكم مما تجمعونه من الحرام، وذلك إن اخترتم الإيمان معي بالله تعالى والتزمتم طاعته في أعمالكم، ولكنهم أصروا على بعدهم عن الحق فحل بهم العذاب ﴿وَلَمَّا جَآءَ أَمۡرُنَا نَجَّيۡنَا شُعَيۡبٗا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ بِرَحۡمَةٖ مِّنَّا وَأَخَذَتِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلصَّيۡحَةُ فَأَصۡبَحُواْ فِي دِيَٰرِهِمۡ جَٰثِمِينَ ٩٤﴾.

وتشير السورة في نهاية هذه القصص الربانية إلى موسى عليه السلام وفرعون وقومه، وكيف أنهم أغرقوا جزاء إصرارهم على الباطل ﴿وَأُتۡبِعُواْ فِي هَٰذِهِۦ لَعۡنَةٗ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ بِئۡسَ ٱلرِّفۡدُ ٱلۡمَرۡفُودُ ٩٩﴾ [٩٩] فماذا تنتظرون يا كفار العرب والبشرية، وأي مصير تختارون؟! وتأكدوا أن الله تعالى ما ظلم أحداً من تلك الأقوام، ولن يظلمكم إذا اخترتم الباطل كما اختاروا؛ وهو سبحانه القائل ﴿وَمَا ظَلَمۡنَٰهُمۡ وَلَٰكِن ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡۖ﴾ [١٠١].

وتؤكد السورة هذا المعنى مع قربها من نهايتها ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهۡلِكَ ٱلۡقُرَىٰ بِظُلۡمٖ وَأَهۡلُهَا مُصۡلِحُونَ ١١٧﴾ [١١٧] فلا يمكن أن ينزل العذاب بأمة وهي صالحة مصلحة، وهذه هي سنة الله تعالى في خلقه.

وأما أن مشيئة الله تعالى تفرض على الناس أن يكونوا أمة واحدة فهذا من باب لو قضى سبحانه ذلك وقدر فإنه سبحانه قادر على فعله، ولكنه سبحانه قد ترك للبشر أن يختاروا الطريق الذي يرون من خير وهدى، أو شر وضلال ليحاسبهم في الآخرة الحساب العادل وفق اختيارهم كما تقول الآية [١١٨] ﴿وَلَوۡ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخۡتَلِفِينَ ١١٨﴾.

وأما قوله تعالى في الآية التالية [١١٩] ﴿إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمۡۗ وَتَمَّتۡ

كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١١٩﴾﴾ فإنه سبحانه يؤكد بأن رحمة الله تعالى ستحل على من اختاروا الإيمان بالطاعات، وأما من أصروا على الكفر والعصيان فهذا معنى ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ بأن الله تعالى قد قضى وقدر على الجن والإنس أن يتركهم لاختيارهم لينالوا جزاءهم على محض اختيارهم، وبالطبع فإن هذا الاختيار سيكون ما بين الإيمان والكفر، والهدى والضلال، فهذا ما يؤكده الاختيار ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا﴾ ﴿وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴿١٠﴾﴾ [الشمس ٩ و ١٠].

وفي هذه القصص الربانية موعظة لمن اختاروا الإيمان، وتحذير لمن اختاروا الكفر والعصيان ﴿وَجَآءَكَ فِى هَٰذِهِ ٱلْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [١٢٠].

من سورة يوسف (١٢)

تناولت هذه السورة المكية قصة يوسف بن يعقوب عليهما السلام وما لاقاه من ضروب المحن من إخوانه، وفي بيت عزيز مصر، وفي السجن بعد تآمر النسوة حتى نجاه الله تعالى، والقصد منها تسلية النبي عليه السلام مما عاشه من الشدة من القريب والبعيد.

نزلت السورة بعد سورة هود عليه السلام، وبعد أن فقد الرسول نصيريه زوجه خديجة رضي الله عنها وعمه أبا طالب، فاشتد عليه الكرب، فجاءت السورة تسلية للرسول عليه السلام، وتخفيفاً لآلامه ليرى ما آل إليه صبر يوسف عندما أصبح عزيزاً في أرض مصر.. مما يؤكد ما ينتظرك يا محمد من فرج بعد الضيق.. وهو لمن تمسك بالصبر وسار على طريق الأنبياء والمرسلين والدعاة الصادقين، وهي القصة الوحيدة التي جاءت في صورة واحدة دون تكرار في غيرها، وفي كل جانب من جوانب هذه القصة، وكل محنة من محن يوسف عليه السلام دليل عبرة وبيان وعظة لمن أراد التدبر في مجالات إرادة الإنسان واختياره للعقائد والأعمال، وفي إحسان الاختيار أو إساءته.

يعقوب هو الذي حذر ابنه يوسف حسب الآية: ﴿قَالَ يَٰبُنَيَّ لَا تَقۡصُصۡ رُءۡيَاكَ عَلَىٰٓ إِخۡوَتِكَ فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيۡدًاۖ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لِلۡإِنسَٰنِ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ۝٥﴾.

فبعد أن يحذر يعقوب ولده يوسف عليهما السلام من كيد إخوته له، لأنهم كانوا يكرهونه غيرة لأنهم رأوه الأحب إلى أبيهم منهم وقالوا يصفون أباهم ﴿إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ﴾ لبعده عن الحق حسب تقديرهم، فليس الضلال هنا مقابل الهدى وإنما البعد عن التسوية في المحبة.

وبالرغم من أن يوسف عليه السلام استجاب لوالده فلم يقصص رؤياه على إخوته ليتجنب كيدهم، إلا أنهم نجحوا في إقناع أبيهم أن يرسله معهم في النهار التالي ليلعب، وأنهم سيحافظون عليه، ولن يسمحوا للذئب أن يأكله، بالرغم من ذلك إلا أنهم عادوا في اليوم التالي ليخبروا والدهم بأن الذئب قد أكله، وأنهم كما وصفوا أنفسهم [١٤] ﴿قَالُواْ لَئِنۡ أَكَلَهُ ٱلذِّئۡبُ وَنَحۡنُ عُصۡبَةٌ إِنَّآ إِذٗا لَّخَٰسِرُونَ ۝١٤﴾. أي إنا والله لمستحقون أن يُدعى علينا بالخسار والدمار.

وأكدوا لأبيهم عند عودتهم من دونِ أخيهم بأن الذئب قد أكله قائلين ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُؤۡمِنٖ لَّنَا وَلَوۡ كُنَّا صَٰدِقِينَ﴾ [١٧] بأنك لن تصدقنا مهما صدقناك.

وعندما تقول الآية [٢١] ﴿وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمۡرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ يؤكد المولى سبحانه أنه تعالى لا يعجزه شيء عندما أنقذ يوسف من البئر، ويسر له السيطرة على قلب عزيز مصر، وعندما يسر له السيطرة على ملك مصر، ومنحه النبوة.. فتلك كلها من قضاء الله تعالى وقدره.

وتؤكد الآية [٢٣] عند نهايتها ﴿إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ أن الفوز في الدنيا والآخرة لن يكون من نصيب من يظلم نفسه بالكفر والمعاصي ويظلم الآخرين بالتعدي عليهم.

وعندما يقول المولى سبحانه في نهاية الآية [٣٠] على لسان النسوة اللاتي اتهمن امرأة العزيز في محاولة فتنة يوسف عليه السلام ﴿إِنَّا لَنَرَىٰهَا فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ﴾ يبيّن أن تلك الفتنة انحراف عن الحق وسير واضح مع الباطل.

وعندما يهيئ يوسف عليه السلام السجينين قبل أن يفسر لهما، ويؤول ما رأياه في المنام بدعوتهما للإيمان بالله تعالى كما آمن هو وترك كفر قومه يقول ﴿إِنِّي تَرَكۡتُ

مِلَّةَ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَهُم بِٱلْـَٔاخِرَةِ هُمْ كَـٰفِرُونَ﴾ [٣٧] فإنه يبلغ عن ربه ما أمره بتبليغه. . وقال ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [٤٠] فلتكونوا يا صاحبي السجن ممن يعلمون.

وعندما استنطق الملك النسوة بطلب يوسف عليه السلام عما فعلن من مراودته، وبالذات ما فعلته امرأته ﴿قَالَتِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْـَٔـٰنَ حَصْحَصَ ٱلْحَقُّ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴿٥١﴾ ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّى لَمْ أَخُنْهُ بِٱلْغَيْبِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى كَيْدَ ٱلْخَآئِنِينَ ﴿٥٢﴾﴾ فاطمأن الملك لصدق يوسف عليه السلام، وأنه لم يخنه في امرأته، وأن الله تعالى لا يوفق الخائن مهما كان مكره عظيماً.

وبعد أن عيّنه الملك مسؤولاً عن مالية الدولة بطلب منه ﴿قَالَ ٱجْعَلْنِى عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ ۖ إِنِّى حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴿٥٥﴾﴾ ساس البلاد بالعدل والحق لدى ملك فاجر كافر، مما قضاه تعالى له وقدره، ومما يؤكد أن ذلك كله من الجزاء والأجر في الدنيا، فكيف وأجر الآخرة أفضل منه لمن اختاروا الإيمان وفضلوا التقوى على العصيان؟!

وقال يعقوب عليه السلام لأولاده ﴿يَـٰبَنِىَّ ٱذْهَبُوا۟ فَتَحَسَّسُوا۟ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَا۟يْـَٔسُوا۟ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ لَا يَا۟يْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿٨٧﴾﴾ مؤكداً لهم أن لا يأس مع الإيمان بالله الرحيم الرحمن.

وأعلنوا للعزيز بأن الجدب قد حل بأهلهم في بلاد الشام ﴿قَالُوا۟ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا ٱلضُّرُّ﴾ [٨٨] فوصفوه بالضر، مع أنه من تقدير المولى عليهم مما يجوز معه مثل هذا الوصف لكل مصيبة تحل بالإنسان.وعندما أشعر يعقوب عليه السلام الحضور بدنوّ لقائه بابنه قائلاً ﴿إِنِّى لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ ۖ لَوْلَآ أَن تُفَنِّدُونِ ﴿٩٤﴾ قَالُوا۟ تَٱللَّهِ إِنَّكَ لَفِى ضَلَـٰلِكَ ٱلْقَدِيمِ ﴿٩٥﴾﴾ وقد وصفوا حديثه عن يوسف بأنه من الضلال والبعد عن الحق، فلم يبال بقولهم؛ إذ لم يطل الانتظار حتى جاء البشير بقميص يوسف الذي ما إن ألقي على وجه أبيه يعقوب حتى عاد إليه بصره.

وقال يوسف عليه السلام تعقيباً على جميع الأحداث التي مرت به، وكيف أن الله تعالى قد حقق رؤياه، وأخرجه من السجن، وجاء بأهله من البادية في بلاد الشام، وخلصه من فتنة الشيطان بينه وبين إخوته، قال: ﴿إِنَّ رَبِّى لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُ ۚ

إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [١٠٠] مبيناً أنه تعالى عندما يقضي ويقدر شيئاً من لطفه ورحمته في حق أحد من عباده، فإنه لا شك موقعه، لأنه سبحانه العليم بمن يستحق ذلك اللطف وحكيم بوضعه في موضعه.

وتأتي بعدها السورة لتؤكد للرسول عليه السلام بأن قصة يوسف عليه السلام من أنباء الغيب التي لم يكن يعلم منها شيئاً، وأنه لا بد أن يعلم أيضاً ﴿وَمَآ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾﴾ بأن من يرفضون الإيمان هم الأكثرية مهما حرصت يا محمد وحرص أتباعك المؤمنون من بعدك.. فلا تنزعج من ذلك، لأنه ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾ [١٠٦].

ويطمئن المولى سبحانه رسوله محمداً عليه السلام بالنصر القريب مهما اشتد عليه من كروب ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا۟ جَآءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّىَ مَن نَّشَآءُ ۖ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١١٠﴾﴾ فاطمئن يا محمد أن في هذه القصة عبرة ﴿وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [١١١] بما ينزل عليك من شرائع وأحكام.

من سورة الرعد (١٣)

تبدأ هذه السورة المكية في الآية الأولى ببيان أن القرآن وكل ما نزل من عند الله تعالى على رسله هو الحق، وأن غيره هو الباطل وإن كان ﴿أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ كما تقول نهاية الآية بأنهم باختيارهم يرفضون الإقرار بهذا الحق فيقعون في الكفر والجحود.

وتنبّه الآية [٥] الرسول عليه السلام إلى العجب الأكبر من تكذيبهم بالقيامة، مع إقرارهم بالله تعالى خالقاً للسماوات والأرض وما عليها من الثمار المختلفة، وأن عليهم أن يعلموا أن ذلك يوقعهم في الكفر بربهم ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَاقِهِمْ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ فقد سعوا بأنفسهم إلى هذا المصير المشؤوم بمحض اختيارهم.

كما تلفت الآية [٧] نظر الرسول عليه السلام ﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ

ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦٓۗ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٞۖ وَلِكُلِّ قَوۡمٍ هَادٍ ﴿٧﴾﴾ تلفت نظره عليه السلام إلى طلب المشركين منه أن ينزل ربه عليه آية، فيأمره سبحانه أن يخبرهم بأنه منذر لهم من العذاب الشديد جزاء جحودهم ورفضهم الإيمان، وأنك في نفس الوقت مبشر لهم بنعيم الجنة لمن يختار الإيمان منهم، وأن عليهم أن يعلموا بأن من يؤمن ويطيع فقد اهتدى باختياره فاستحق الجزاء لحسن عمله.

وتضع الآية [١١] قاعدة التغيير في أحوال الأفراد والأقوام والمجتمعات ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡۗ﴾ بأن هذا التغيير إلى الأفضل أو إلى الأسوأ لن يحصل وفق مشيئة الله تعالى العالم القادر، إلا إذا بادروا هم أنفسهم بتغيير ما في نفوسهم وعقولهم من المفاهيم والقناعات واستبدالها بغيرها.

هذه هي نتيجة العمل الاختياري، وأما إذا قضى سبحانه وقدر بحق أي فرد أو جماعة إنزال مصيبة فلن يملكوا منعها من الوقوع، ولن يجدوا لهم ناصراً ولا معيناً يحول دون ذلك ﴿وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ سُوٓءٗا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ﴾.

وتقول الآية [١٤] في نهايتها ﴿وَمَا دُعَآءُ ٱلۡكَٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَٰلٖ﴾ مبيّنة لمن جحدوا الحق وأصروا على الباطل، بأن الله تعالى لن يستجيب بشيء لهم، وإنما يستجيب فقط دعاء المؤمنين المخلصين في دعائهم، فدعاء الكافر الجاحد لن يكون إلا ضالاً منحرفاً عن الحق..

وتشدد الآية [١٦] النكير على الكافرين ﴿قُلۡ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ قُلِ ٱللَّهُۚ قُلۡ أَفَٱتَّخَذۡتُم مِّن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ لَا يَمۡلِكُونَ لِأَنفُسِهِمۡ نَفۡعٗا وَلَا ضَرّٗاۚ﴾ فكيف توالون وتعبدون غير الله خالقكم وخالق كل شيء، مع أن هذا الغير لا ينفع ولا يضر، وأنتم لا ترون في دنياكم مقياساً للعبادة والإيمان إلا بمن ينفع أو يضر.

وتقول الآية [٢٧] ﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ ءَايَةٞ مِّن رَّبِّهِۦۚ قُلۡ إِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِيٓ إِلَيۡهِ مَنۡ أَنَابَ ﴿٢٧﴾﴾.

كما تقول الآية [٢٨] ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ﴿٢٨﴾﴾.

وتقول الآية [٢٩] ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمۡ وَحُسۡنُ مَـَٔابٖ﴾.

فانظر يا محمد إلى ما يطلبه هؤلاء الجاحدون منك بأن تنزل آية من ربك، فإن

ذلك من جهلهم، فقل لهم بأن الله تعالى قد وهب الواحد منكم من العقل ما يعرف به الهدى والضلال، ودعاكم للهدى وترك الضلال، فلتتحملوا مسؤولية اختياركم للضلال دون الهدى، ولْينَلْ من اختار الهدى وترك الضلال جنات النعيم، كما تنالون أنتم أيها الجاحدون عذاب الجحيم، وشتان بين المصيرين!

وعندما تذكر الآية [٣٠] بأن مشركي العرب كانوا ﴿يَكۡفُرُونَ بِٱلرَّحۡمَٰنِۚ﴾ فإن عليهم أن يعلموا أن الرحمن هو ربك الذي لا معبود بحق سواه، فليكفوا عن هذا الجحود.

وتخاطب الآية [٣١] المؤمنين بعد الكافرين قائلة ﴿أَفَلَمۡ يَاْيۡـَٔسِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن لَّوۡ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَهَدَى ٱلنَّاسَ جَمِيعٗاۗ﴾ فتأكدوا أيها المؤمنون أن الله تعالى لو شاء بقضائه وقدره أن يهدي جميع الناس لفعل من غير هذه البراهين كلها، وما عليكم إلا أن تتأكدوا بأنه لا أمل في إيمان هؤلاء الكفار مع إصرارهم برفض اختيار الهدى وبقائهم على اختيار الضلال.

وتؤكد الآية [٣٢] ﴿وَلَقَدِ ٱسۡتُهۡزِئَ بِرُسُلٖ مِّن قَبۡلِكَ فَأَمۡلَيۡتُ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ ثُمَّ أَخَذۡتُهُمۡۖ فَكَيۡفَ كَانَ عِقَابِ ٣٢﴾ تؤكد للرسول عليه السلام وصحابته بأن الله تعالى قد أملى لمن هزئوا بالرسل من قبله ثم أخذهم بعقابه.

كما تؤكد الآية [٣٣] في نهايتها ﴿بَلۡ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ مَكۡرُهُمۡ وَصُدُّواْ عَنِ ٱلسَّبِيلِۗ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنۡ هَادٖ﴾ تؤكد للرسول عليه السلام وصحبه كيف ظنوا أي المشركون أن مكرهم هو الأفضل، وأن بعدهم عن طاعة الله تعالى والإيمان به هو الأفضل، فليعلموا أن من اختار الكفر والشرك هو المنحرف عن الحق والبعيد عن الإيمان، كما ليعلموا أن الله تعالى قادر على فرض الإيمان أو الكفر على من يشاء، ولكنه سبحانه ترك للواحد منهم الاختيار بينهما ليتحمل جزاءه بنفسه ﴿مَّثَلُ ٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي وُعِدَ ٱلۡمُتَّقُونَۖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ أُكُلُهَا دَآئِمٞ وَظِلُّهَاۚ تِلۡكَ عُقۡبَى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْۖ وَّعُقۡبَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ٱلنَّارُ ٣٥﴾ وتكون العاقبة الطيبة لمن اختاروا الإيمان ورفضوا الكفر والضلال.

وتتهددهم الآية [٤٢] ﴿وَسَيَعۡلَمُ ٱلۡكُفَّٰرُ لِمَنۡ عُقۡبَى ٱلدَّارِ ٤٢﴾.

كما تُشهد الآية [٤٣] ﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَسۡتَ مُرۡسَلٗاۚ قُلۡ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدَۢا

بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ ﴿٤٣﴾﴾ الله تعالى على صدق رسالته كما يشهد على ذلك جبريل عليه السلام وجميع المؤمنين.

من سورة إبراهيم (١٤)

تتحدث هذه السورة المكية عن دعوة الرسل جميعاً لعقيدة التوحيد ودين الإسلام، وتهددت في الآية [٢] من ارتضوا البعد عن صراط الله القويم بالعذاب الشديد ﴿وَوَيْلٌ لِّلْكَٰفِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾.

وحددت في آيتها [٣] أولئك الكافرين بأنهم ﴿ٱلَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلْأَخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ ﴿٣﴾﴾ فهم الذين فضلوا الحياة الدنيا الزائلة على الأخرى الباقية، فانغمسوا في المتع والشهوات والصد عن الإيمان بالله تعالى وطاعته.

وتقول الآية [٤] ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْۖ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٤﴾﴾ أي إن كل رسول جاء مبلغاً لقومه بلغتهم إلا محمداً عليه السلام لأنه ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [سبأ ٢٨] لأنه أرسل للناس كافة، فالكل مطالب برسالته سواء كانت بلغتهم أو مترجمة إليهم، والرسول عليه السلام يحسم هذا الأمر بقوله: «أرسل كل نبي إلى أمته بلسانها وأرسلني الله إلى كل أحمر وأسود من خلقه».

وأما الهدى والضلال في الآية المنسوبة للمشيئة الربانية، فإن الهدى يتمثل في الإيمان بالله تعالى وطاعة أوامره التي جاء بها القرآن والإسلام الخاتم، وبلغها رسوله الكريم عليه السلام، فلم يبق لفرد حجة في التزام ذلك، وإلا كان ضالاً بعيداً عن الهدى، بعد أن أعطي الاختيار في ذلك ودون أي إكراه، وبعد أن أفهمه تعالى أنه قادر أن يفرض عليه الهدى أو الضلال، ولكنه سبحانه تركه لاختياره ليتحمل مسؤوليته كاملة دون أدنى ظلم.

وتقول الآية [٧] ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ۝٧﴾ تعلن أن من يشكر الله تعالى على نعمه ويصبر عن معاصيه فإنه تعالى يضاعف له حسناته، ولكن من ينكر ويجدف فإن العذاب الأليم جزاؤه.

وعندما تقول الآية [٨] على لسان موسى عليه السلام ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ إِن تَكْفُرُوا أَنتُمْ وَمَن فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ ۝٨﴾ تؤكد لقومه وللبشر كافة أن الله تعالى غني عن إيمان المؤمن، ولا يهمه ولا يضره كفر العاصي، فهو سبحانه غني عن الطرفين، ولكن من أحسن فلنفسه ومن أساء فعليها.

وتؤكد الآية [٩] في نهايتها حكاية عن الأقوام السابقين مع رسلهم ﴿وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ﴾ تؤكد إنكارهم للرسل والرسالات إليهم فوقعوا في الكفر باختيارهم.

ويرد رسلهم عليهم ﴿وَمَا كَانَ لَنَا أَن نَّأْتِيَكُم بِسُلْطَانٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [١١] بأن الرسل لا يأتون بحجة أو آية إلا بقضاء وحكم من الله تعالى وليس بأمرهم هم، ولذلك فإن الرسل يؤكدون بأنهم متوكلون على الله تعالى واثقون بعونه ونصرته ﴿وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا﴾ [١٢] بعد أن هداهم ودلهم على السبيل القويم لخير الدنيا والآخرة.

فيرد أقوامهم الرافضون الإيمان معهم ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا﴾ [١٣].

وتورد الآية [١٨] مثلاً للكفار بأعمالهم ﴿مَّثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لَّا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَىٰ شَيْءٍ ذَٰلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ ۝١٨﴾ بأنها كرماد فرقته الرياح الشديدة دون أن تبقي لهم شيئاً من أعمال الخير التي فعلوها في الدنيا، لأن كفرهم أحبط أعمالهم، ولأن الإيمان يبني الأعمال والكفر يهدمها.

وتورد الآية [٢١] الحوار بين المتكبرين والضعفاء في جهنم ﴿وَبَرَزُوا لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِن شَيْءٍ قَالُوا لَوْ هَدَانَا اللَّهُ لَهَدَيْنَاكُمْ سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجَزِعْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ ۝٢١﴾ فهم كاذبون لأن الله تعالى قد أنزل الهدى للجميع مع الرسل وهم الذين رفضوه، فهل يريدون أن يكرههم الله تعالى على الإيمان بما أنزل؟!

ويجأر الشيطان بالصراخ في جهنم رداً على من اتبعوه ﴿وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِى فَلَا تَلُومُونِى وَلُومُوٓا۟ أَنفُسَكُم مَّآ أَنَا۠ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَآ أَنتُم بِمُصْرِخِىَّ إِنِّى كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [٢٢] مؤكداً لهم بأنهم باختيارهم وإرادتهم اتبعوا الشيطان وعصوا الرحمن، فلن ينفعهم يومئذ أن يسندوا شركهم وكفرهم لغيرهم لأن الكل محاسب على اختياره.

وهنا تتقدم الآية [٢٣] بالبشارة لمن اختاروا الإيمان والطاعة من الأقوام السابقين ﴿وَأُدْخِلَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ ﴿٢٣﴾﴾، فالله تعالى لم يجبرهم على الإيمان كما لم يجبر الكفار على الضلال فنال كل منهم جزاءه باختياره.

كما تطمئن الآية [٢٧] ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴿٢٧﴾﴾ تطمئن الذين اختاروا الإيمان والطاعة بأن الله تعالى سيثبتهم على الإيمان في القبر كما ثبتوا عليه في الدنيا، ويترك الظالمين لأنفسهم لاختيارهم الكفر في الدنيا لكفرهم وضلالتهم، وذلك هو حكم الله تعالى وقضاؤه ولن يتغير ولن يتبدل.

وتبيّن الآية [٢٨] ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا۟ قَوْمَهُمْ دَارَ ٱلْبَوَارِ ﴿٢٨﴾﴾ كيف رفض مشركو قريش نعمة الإسلام والإيمان، وأصروا على الكفر فأهلكوا أنفسهم وقومهم بمصيرهم إلى سوء القرار.

وتؤكد الآية [٣٠] ﴿وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلُّوا۟ عَن سَبِيلِهِۦ قُلْ تَمَتَّعُوا۟ فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى ٱلنَّارِ ﴿٣٠﴾﴾ بأن ما فعلوه من عبادة الأصنام أوقعهم في الشرك بالله تعالى وأوقعوا معهم من استجاب لشركهم.

وتأمر الآية [٣١] ﴿قُل لِّعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُنفِقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خِلَٰلٌ ﴿٣١﴾﴾ تأمر الرسول عليه السلام أن يدعوَ من آمن معه أن يحققوا عبوديتهم لله تعالى، بإقامة الصلاة والإنفاق في سبيل الله تعالى من الصدقات المفروضة والنافلة.

وعندما تقول الآية [٣٤] ﴿وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾﴾ تؤكد للبشر بعامة وللمؤمنين بخاصة أنهم لن يستطيعوا حصر نعمة الله

تعالى عليهم، سواء في أنفسهم أو في محيطهم أو في العالم أجمع، وتؤكد أن الكثير من البشر يبقى ظالماً لنفسه سواء بالشرك أو إنكار النعم الكثيرة، فهو شديد الظلم شديد الإنكار.

وتتحدث الآية [٣٦] على لسان إبراهيم عليه السلام بحق الأصنام وعبادتها ﴿رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾ فتنسب الضلال للأصنام مع أنها لا تضر ولا تنفع أحداً، وإنما من يعبدها هو من أضل نفسه بذلك وكأنها هي أضلته.

وتعلّم الآية [٤١] ﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ ٱلْحِسَابُ ﴿٤١﴾﴾ المؤمنين الدعاء إلى الله تعالى على لسان إبراهيم عليه السلام بأن يشمل نفسه ووالديه وجميع المؤمنين فذلك مما يجعله يفيهم حقهم عليه، ومما يرد بذلك عظيم الأجر والثواب عليه بعددهم.

وتنهي السورة خطابها للمجرمين الذين أصروا على رفض الإيمان ومحاربة الله ورسوله ﴿وَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ فِي ٱلْأَصْفَادِ ﴿٤٩﴾ سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ ﴿٥٠﴾ لِيَجْزِيَ ٱللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٥١﴾ هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا۟ بِهِۦ وَلِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٥٢﴾﴾ فترى أولئك المجرمين في الأغلال، وترى قمصهم من القطران، وترى وجوههم وقد غطتها النيران، وكل ذلك جزاء أعمالهم.

من سورة الحجر (١٥)

بعد أن تلفت هذه السورة المكية نظر الإنسان إلى ما في القرآن الكريم من آيات واضحات، تحدث الرسول عليه السلام وصحابته بما يتمناه المشركون من الهدى في هذه الدنيا، وهم يرون الفرق بينه وبين الضلال ﴿رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْ كَانُوا۟ مُسْلِمِينَ ﴿٢﴾﴾.

وتؤكد الآية [٩] ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾﴾ بأن الله تعالى الذي أنزل القرآن على نبيه محمد عليه السلام يتولى حفظه من الضياع والتحريف، فيطمئن

المولى سبحانه رسوله وصحابته والمؤمنين إلى يوم الدين على هذا الكتاب المبين، مهما تعرض من تهم أو إنكار سواء في عهد نزوله أو بعده ﴿لَا يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۖ وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾﴾ فقد كانت هذه حال كل الأقوام الآخرين مع رسلهم وأنبيائهم، فلا تبتئس يا محمد ولا يبتئس أحد منكم أيها المسلمون.

وتتحدث الآية [٣٩] على لسان إبليس بعد أن تكبر ورفض السجود لآدم بأمر ربه، وبعد أن أعطاه الله تعالى بناء على طلبه مهلة الحياة الدنيا كلها ليحاول إغواء بني آدم ﴿قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٣٦﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿٣٧﴾ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ ﴿٣٨﴾ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾﴾.

فقد نسب إبليس اللعين ما يفعله من غواية للناس لنفسه ﴿وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ بينما نسب كبره وعصيانه لله تعالى، مع أن كلا الأمرين من اختياره هو، وما نسبة ذلك لله تعالى إلا من باب ما خلق فيه سبحانه من قدرة الاختيار، وترك له ذلك ليتحمل مسؤولية نفسه بنفسه.. فقد غوى وضل بسوء اختياره، وسيغوي ويضل من يتبعه بتزيينه للباطل بينما المخلصون لن يضلوا.

وتقول الآية [٥٦] ﴿قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ ﴿٥٦﴾﴾ على لسان إبراهيم عليه السلام، معبراً عن أن الضال البعيد عن الحق هو فقط الذي ييئس من رحمة الله تعالى بإعطائه الذرية بعد أن كان لا يلد له ولد.

وعندما تقول الآية [٧٧] ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٧﴾﴾ فإنها تعبر عن العبرة والعظة في ذكر ما حل بقوم لوط، عندما أصروا على المنكر ولم يأبهوا لتحذير نبيهم لهم من مصيرهم المشؤوم، وأن من اختاروا الإيمان هم فقط من يعتبرونَ بذلك ويتعظون به.

وعندما تخاطب الآية [٨٨] ﴿لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾﴾ الرسول عليه السلام فإنها تدعوه وتدعو أمته معه ومن بعده إلى يوم القيامة بألّا يهتم بما عند الأغنياء من النعم، ولا يتشوف إلى متاع الدنيا، ولا يحزن بسبب وفرة ما في أيدي المشركين وقلة في أيدي المؤمنين، فالآخرة خير وأبقى، واحذروا أن تجعلوا الدنيا في قلوبكم فتستعبدكم من دون الله،

وإنما في أيديكم فتتصرفوا بها وفق شرع ربكم. وعليك يا محمد وكل من يتولى مسؤولية في المسلمين أن يتلطف بهم ويتسامح معهم.

وعندما تنتهي السورة [بالآية ٩٤] ﴿فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿٩٤﴾﴾ فإنها تعلن نهاية مرحلة الابتداء في الدعوة التي كانت محصورة في البناء الفكري الفردي والجماعي، وتنتقل بها إلى دور الكفاح السياسي والصراع الفكري بالخطاب الجماعي العريض، والتحدي المكشوف للمتآمرين على الإسلام وأهله، وتبني مصالح الأمة وبيان معالجتها بالأحكام الشرعية بدلاً من الوضعية، فإنها انتقلت بالدعوة في العهد المكي في السنة الرابعة إلى دور جديد، دور الانطلاق الذي استمر حتى انتهى ببيعة العقبة الكبرى بيعة القتال التي صاحبتها الهجرة إلى المدينة، فبدأ العهد المدني عهد الدولة، بعد أن كان في مكة عهد الدعوة. فأمرت الآية الرسول عليه السلام أن يجهر بدعوته ولا يباليَ بالمشركين ومعارضتهم لدعوته.

من سورة النحل (١٦)

بدأت هذه السورة المكية بالتذكير بأن أمر الله تعالى وعقابه في الدنيا جزاء الكفر والإفساد لا بد أن يحل بمن يستحقونه، وأنه لذلك لا حاجة لهم بالاستعجال، وإن كانوا يقصدون السخرية والتكذيب من إنذار الرسول عليه السلام لهم به ﴿أَتَىٰٓ أَمۡرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسۡتَعۡجِلُوهُۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴿١﴾﴾.

وبعد أن تذكر عدداً من نعم الله تعالى على الناس من إبل وبقر وغنم وغيرها تقول ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ قَصۡدُ ٱلسَّبِيلِ وَمِنۡهَا جَآئِرٞۚ وَلَوۡ شَآءَ لَهَدَىٰكُمۡ أَجۡمَعِينَ﴾ [٩] مبيّنة أن الله تعالى وحده هو الذي يبيّن سبيل الحق للناس ليتبعوه ويتجنبوا سبل الباطل والظلم، وأن عليهم أن يعلموا أن الله تعالى لو شاء وقضى أن يجبر الناس على الهدى لفعل، ولكنه يتركهم لاختيارهم.

وتبيّن الآية [١٥] ما يجده الإنسان من طرق في الأرض تدله للوصول لغايته

﴿وَسُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ۝١٥﴾ وكذلك يهتدي بالنجوم لمعرفة الاتجاهات ﴿وَبِٱلنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾ [١٦].

كما تبيّن الآية [٢٢] ﴿إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۚ فَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ قُلُوبُهُم مُّنكِرَةٌ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ۝٢٢﴾ تبيّن بأن المعبود بحق للبشر جميعاً هو الواحد الأحد، والخالق المدبر الذي خلق فيكم العقول لتفكر وتصل للإيمان به تعالى، فاعلموا بأن من يكابر ويتعنت عن الإيمان بالبعث لهو المتكبر عن الحق، المتعالي على العقل.

وتكشف الآية [٢٥] ﴿لِيَحْمِلُوٓا۟ أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۙ وَمِنْ أَوْزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ۝٢٥﴾ بأن أولئك المشركين سيحملون بسبب ما قالوه من البهتان ذنوبهم كاملة دون تفكير بيوم القيامة، كما سيتحملون معها ذنوب الأتباع الذين أضلوهم بغير برهان، لأنهم كانوا زعماء يُقتدىٰ بهم في الضلالة دون جبر ولا إكراه.

وتؤكد الآية [٢٧] ﴿إِنَّ ٱلْخِزْىَ ٱلْيَوْمَ وَٱلسُّوٓءَ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ۝٢٧﴾ بأن الذل والهوان والعذاب محيط هذا اليوم، يوم القيامة، بمن اختاروا الكفر بالله.. كما تؤكد الآية [٣٣] في نهايتها ﴿وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ وأن ما حلّ بهم ﴿فَأَصَابَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا عَمِلُوا۟ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ۝٣٤﴾ كل ما حلّ بهم جزاء سوء أعمالهم.

وتؤكد الآية [٣٥] نوعية ما وقع فيه المشركون من شرك عندما كانوا يقولون ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ نَّحْنُ وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ ۚ كَذَٰلِكَ فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ فَهَلْ عَلَى ٱلرُّسُلِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾ فقد كان كفار قريش يقولون: لو شاء الله ما عبدنا الأصنام لا نحن ولا آباؤنا، ولا حرمنا ما حرمنا من البحائر والسوائب وغيرها. فقد قالوا هذا مستهزئين لا معتقدين، وهدفهم أن يسندوا شركهم وتحريمهم لمشيئة الله تعالى، وأنه بزعمهم راض بذلك مع أنه تعالى قد حرم ذلك في نصوص كثيرة، وهذا القول الشرك ردده من قبلهم من المجرمين، وتناسوا أن الخالق قد خلق الاستعداد للهدى والضلال في البشر جميعاً، وهم بما ترك لهم من الاختيار يتحملون مسؤوليتهم، كما تجاهلوا أن الرسل ليس عليهم إلا التبليغ، ولا يملكون فرض الهدى على أحد بعد أن وضعه

الرسل بين أيديهم بما بينوا لهم، وبما أمروا من تبليغه للناس ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [٣٦].

فماذا كانت النتيجة؟ أن من الناس من استجاب للرسل فاهتدى بهدى الله، ومنهم من رفض فكفر ووقع في الضلال بمحض إرادته واختياره.

وتبيّن الآية [٣٧] ﴿إِن تَحْرِصْ عَلَىٰ هُدَاهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَن يُضِلُّ وَمَا لَهُم مِّن نَّاصِرِينَ ﴿٣٧﴾﴾ بأن الرسول عليه السلام ومن تبعه في دعوته مهما حرص على هداية الكفار، فإنه لا يملك أن يكره أحداً على الهداية بعد أن خلقها الله مع الإنسان تحت الاختيار.

كما تؤكد الآية [٣٩] ﴿لِيُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي يَخْتَلِفُونَ فِيهِ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ كَانُوا كَاذِبِينَ ﴿٣٩﴾﴾ تؤكد أن من يجحدون البعث ويكذبون وعد الله الحق هم الكاذبون فيما يقولون.

وتبيّن [الآيتان ٥٣ و ٥٤] موقف المشركين مما يتوفر لهم من نعمة أو يحل بهم من مصيبة فتقول ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ﴾ ﴿ثُمَّ إِذَا كَشَفَ الضُّرَّ عَنكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنكُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾﴾ فتبيّن أن الرزق والجدب بقضاء وقدر وليس لأحد أن يدعي غير ذلك.

وعندما تقول الآية [٦٠] ﴿لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مَثَلُ السَّوْءِ وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٦٠﴾﴾ فإنها تبيّن أن من يكذبونَ بيوم القيامة، وينسبونَ لله تعالى البنات، هم أصحاب صفة السوء القبيحة، والله تعالى منزه عن ذلك وعن جميع صفات المخلوقين.

وتخاطب الآية [٦٤] الرسول عليه السلام ﴿وَمَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٦٤﴾﴾ بأن ما أنزل عليه من القرآن هو بيان لما اختلفوا فيه من الدين والأحكام لتقوم الحجة عليهم، وهو أيضاً هداية للقلوب والعقول ورحمة لمن آمن به.

وتبيّن الآية [٧٢] جانباً من رزق الله تعالى ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَاجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ ﴿٧٢﴾﴾ فتقول بأن الله تعالى قد خلق النساء من جنسكم لتُجْعَلَ المودةُ

والرحمة بينكم، وجعل لكم من تلك الزوجات الأولاد والأحفاد.. فكيف يؤمنون بالأوثان التي لا ترزقهم بشيء ويكفرون بالرحمن الذي يرزقهم بكل شيء؟!

ثم تأتي الآية [٧٣] لتؤكد هذا المعنى ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٧٣﴾﴾.

وتقدم الآية [٧٩] عبرة ودلالة على قدرة الله تعالى وعظمته عندما تقول ﴿أَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلطَّيْرِ مُسَخَّرَٰتٍ فِى جَوِّ ٱلسَّمَآءِ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٧٩﴾﴾ فلا شك أن في ذلك علامة على قدرته تعالى وحكمته لكل من يؤمن به تعالى وما جاءت به رسله.

وتؤكد الآية [٨٣] ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ تؤكد أن أكثرية من ينكرون نعمة الله عليهم هم ممن جحدوا وابتعدوا عن الصواب والحق، بعد أن عرفوه بأنه من عند الله تعالى وأنها ليست من آبائهم.

وتبيّن الآية [٨٤] ﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا ثُمَّ لَا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٨٤﴾﴾ تبيّن أن الله تعالى يبعث الرسول والنبي الذي يبلغ وحيه تعالى، وأن محمداً عليه السلام سيكون الشهيد الخاتم على البشرية كلها بأن أنبياءهم قد بلغوا وحي الله تعالى، وأن محمداً عليه السلام قد بلغهم القرآن بما فيه من بيان الهدى والرحمة، فلا حجة لهم بعد ذلك.

وتؤكد الآية [٨٧] ﴿وَأَلْقَوْا۟ إِلَى ٱللَّهِ يَوْمَئِذٍ ٱلسَّلَمَ ۖ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ﴾ تؤكد بأن الكافرين سيستسلمون للعذاب وينقادون لحكم الله تعالى فيهم بعد أن تتهرب منهم أصنامهم وشياطينهم التي كانوا يسندون إليها كفرهم.

وأما الآية [٨٨] فتؤكد مضاعفة العذاب لمن اختار الكفر وصد غيره عن الإيمان بالله وطاعة أوامره ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ زِدْنَٰهُمْ عَذَابًا فَوْقَ ٱلْعَذَابِ بِمَا كَانُوا۟ يُفْسِدُونَ ﴿٨٨﴾﴾.

وتقول الآية [٩٣] ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَلَتُسْـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾﴾ مؤكدة أن الله تعالى لو شاء بقضائه وقدره أن يجعلكم على ملة واحدة دون أي اختلاف لفعل، ولكنه سبحانه قضى وقدر بحكمه وسنته في خلقه أن يخلق فيكم قدرة الاختيار بين الهدى والضلال،

وأمركم باختيار الهدى وليس الضلال، وسيحاسبكم على اختياركم لأعمالكم وأفكاركم فاحذروا الضلال والزموا الهدى.

ثم تبيّن الآية [٩٧] ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾﴾ تبيّن أن الجزاء الطيب في الدنيا والآخرة على الأعمال الطيبة ليس محصوراً بالرجال دون النساء، فالكل فيه سواء ما داموا على الإيمان وصالح الأعمال.

ثم تبيّن الآية [٩٩] ﴿إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾﴾ بأن الشيطان الرجيم لا سيطرة له على من اختاروا الإيمان بالله تعالى والأعمال الطيبة، وإنما سلطانه وتأثيره على أتباعه ممن أشركوه بالله تعالى ﴿إِنَّمَا سُلْطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشْرِكُونَ ﴿١٠٠﴾﴾.

وترد الآية [١٠٢] ﴿قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿١٠٢﴾﴾ على الكافرين بأن جبريل عليه السلام قد نزل بالوحي بأمر الله تعالى، مما يطمئن المؤمنين ويدلهم على الخير ويبشرهم بالنعيم المقيم في جنان النعيم.

وتبيّن الآية [١٠٤] ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ لَا يَهْدِيهِمُ ٱللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٠٤﴾﴾ تبيّن بأن الكافرين الذين رفضوا الإيمان بالله تعالى وآياته لن يدلهم الله تعالى على الخير بعد أن رفضوا أسسه وقواعده، وأن العذاب الأليم بانتظارهم جزاء سوء اختيارهم.

وتؤكد الآية [١٠٥] ﴿إِنَّمَا يَفْتَرِى ٱلْكَذِبَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴿١٠٥﴾﴾ بأن من اختار الكفر على الإيمان هم الكاذبون المفترون على الله تعالى وآياته، وعلى رسوله وبيانه.

ثم تبيّن الآية [١٠٦] ﴿مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٦﴾﴾ تبيّن بأن من اختاروا الكفر بالله تعالى والارتداد عن الإيمان فلهم عذاب عظيم، وأما من أجبر على الكفر وبقي قلبه مطمئناً بالإيمان فليس عليه أي عذاب كما حصل مع عمار بن ياسر.

وتؤكد الآية [١٠٧] في نهايتها ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿١٠٧﴾﴾ بأن الله تعالى لا يدلهم على الخير ما داموا قد أصروا على الابتعاد عنه، واختاروا الدنيا على الآخرة، والبعد عن هدى الله تعالى، ورفضوا الاستجابة لكلامه تعالى فوقعوا في الغفلة وانتهوا إلى خسران الآخرة. فهم ﴿أُولَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَـٰرِهِمْ ۖ وَأُولَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَـٰفِلُونَ ﴿١٠٨﴾﴾ وتكون النتيجة ﴿لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ هُمُ ٱلْخَـٰسِرُونَ ﴿١٠٩﴾﴾.

وتضرب الآية [١١٢] مثلاً فتقول ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾﴾ تقول بأن القرية أنكروا نسبة النعم إلى الله تعالى ونسبوها لأصنامهم، فحل بهم الخوف من القحط والعدو.

وتؤكد الآية [١١٦] ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿١١٦﴾﴾ بأن من يكذب على الله تعالى بتحريم ما أحله سبحانه، فإنه لن يفوز لا في الدنيا ولا في الآخرة، لأن كل ما في الدنيا مجرد ﴿مَتَـٰعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١٧﴾﴾.

وتشير الآيتان [١٢٠ و ١٢١] إلى إبراهيم عليه السلام ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾ شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ ۚ ٱجْتَبَىٰهُ وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٢١﴾﴾ مبيّنة بأن إبراهيم عليه السلام لم يكن من المشركين في نسبة شيء من نعم الله تعالى إلى غيره تعالى، ولذلك كان شاكراً لما أنعم الله تعالى عليه، وخاصة بما تفضل عليه من اختياره رسولاً لقومه، وبما أكرمه من بيان الطريق القويم.

وتقترب السورة من نهايتها مع بيان سبيل الدعوة لجميع فئات المجتمع، وأن تكون بالحجة والبرهان لذوي العلم والبيان، وأن تكون بالموعظة الطيبة اللطيفة لعامة الناس، وأن تكون بالجدال بالحسنى دون شتم، ولا قدح ولا تعريض بالأشخاص، فتقول ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَـٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ﴾ [١٢٥] أي إن اتباع هذا الأسلوب المتنوع في الدعوة مبني على واقع كل فئة، ممن ابتعدوا عن الإيمان باختيارهم الضلال، إذ لا بد من الجدال والصراع الفكري معهم بعيداً عن المهاترات الشخصية المنفرة، وأما من آمنوا واختاروا الهدى على الضلال فهم بين

عالم وجاهل، وللعالم أسلوب يختلف عن أسلوب مخاطبة الجاهل: فالحجة والبرهان للعالم، والملاطفة والبساطة في البيان للجاهل.

من سورة الإسراء (١٧)

سميت هذه السورة المكية بالإسراء نسبة إلى معجزة الإسراء التي اختص بها المولى سبحانه رسوله محمداً عليه السلام، فذكرت ذلك في الآية الأولى من السورة ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١﴾﴾ فأكدت أن الله تعالى قد بارك المسجد الأقصى وما حوله من بلاد الشام كلها.

وعندما تذكر الآية الثانية ﴿وَءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا۟ مِن دُونِى وَكِيلًا ﴿٢﴾﴾ تبيّن أن الله تعالى كما أكرم رسوله محمداً عليه السلام بالإسراء والمعراج، كرم موسى عليه السلام بكتاب التوراة الذي أنزله تعالى عليه ليكون هدى لبني إسرائيل، ولكن هل حافظوا عليه نقياً من التحريف والتزموا أحكامه؟!.

إن الآية [٨] تتهدد بني إسرائيل ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ ۚ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا ۘ وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَٰفِرِينَ حَصِيرًا ﴿٨﴾﴾ بأنهم إن عادوا للإفساد فإن الله تعالى سيكون لهم بالمرصاد، وهذا ما حصل، إذ شردهم الإسلام بعد أن شردهم في المرة الثانية الرومان.

وتتحدث الآية [٩] عن القرآن الكريم فتقول ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴿٩﴾﴾ تقول بأن في القرآن هدى للصواب في توحيد الله تعالى والإيمان برسله، كما أنه يبشر المؤمنين الصالحين بالأجر العظيم، وينذر الكافرين بالعذاب الأليم ﴿وَأَنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٠﴾﴾.

وتبيّن الآية [١٥] مسؤولية الهدى والضلال فتقول ﴿مَّنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۗ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴿١٥﴾﴾

تقول بأن من اختار الهدى فقد اختار الخير لنفسه، وأن من اختار الضلال فقد اختار الشر لنفسه، وأن أحداً لن يحمل عنه شيئاً، وأن عذاباً لن يحل بفرد أو أمة إلا بعد تبليغهم رسالة من ربهم فيعرضوا فيستحقوا العذاب.

وتبيّن الآيات [١٨ و ١٩ و ٢٠] مصير سعي الكافر والمؤمن في هذه الدنيا ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ﴿١٨﴾ وَمَنْ أَرَادَ ٱلْـَٔاخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴿١٩﴾ كُلًّا نُّمِدُّ هَـٰٓؤُلَآءِ وَهَـٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ ۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا﴾ فليس رزق الله مقصوراً على المؤمن في الدنيا، فالمؤمن والكافر فيه سواء، ولكن الفرق يبقى كبيراً بين هذا العطاء وبين عطائه تعالى في الآخرة.

وعندما تنهى الآية [٢٧] عن التبذير تقول ﴿إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓا۟ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَـٰطِينِ ۖ وَكَانَ ٱلشَّيْطَـٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا ﴿٢٧﴾﴾ فإنها تبيّن أن المنفق في الحرام هو المبذر الذي يتآخى مع الشيطان، والشيطان يكفر بنعمة الله تعالى فلا يؤدي حقها لا في الفروض ولا في النوافل.

وعندما تشير الآية [٣٠] إلى رزق الله تعالى لخلقه تقول ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴿٣٠﴾﴾ معلمة الرسول عليه السلام بأن الله تعالى يوسع الرزق لمن يشاء من عباده بقضائه وقدره، ويُقلِّلُهُ كذلك لمن يشاء لأنه سبحانه خبير بعباده وبما يصلحهم.

وتبيّن الآية [٤٥] إحدى معجزاته عليه السلام ﴿وَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا ﴿٤٥﴾﴾ فقد ستره تعالى عن أعين زوجة أبي لهب أم جميل بنت حرب، عندما جاءته لتضربه عليه السلام فلم تره وانصرفت مهددة متوعدة.

وتبيّن الآية [٤٨] ما كان يقع فيه المشركون من الضلال ﴿ٱنظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا۟ لَكَ ٱلْأَمْثَالَ فَضَلُّوا۟ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴿٤٨﴾﴾ فتقول: أن انظر يا محمد إلى تضارب أقوالهم وهم يدعون تارة أنك ساحر وتارة مجنون، وتارة شاعر، فما هم إلا محاولون لصد الناس، ولكنهم يقعون في الضلال والبعد عن الحق دون أن يجدوا مخرجاً من ذلك.

وتنبه الآية [٥٤] المشركين إلى ما هم عليه فتقول ﴿رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ إِن يَشَأْ يَرْحَمْكُمْ أَوْ إِن يَشَأْ يُعَذِّبْكُمْ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ﴿٥٤﴾﴾ فتقول إن الله تعالى قادر على فرض الإيمان عليكم وبالتالي رحمته بكم، كما أنه قادر على إيقاع العذاب عليكم فوراً، ولكنه سبحانه قد خلقكم قادرين على الاختيار بين الإيمان والكفر، واعلموا أن محمداً ليس وكيلاً عليكم يمنعكم من الكفر ويجعلكم مؤمنين، بل إن ذلك كله إليكم.

وتدعوالآية [٥٦] المشركين لدعوة أصنامهم لتكشف عنهم ما حل بهم من قحط ومرض فماذا يرون؟ ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ﴿٥٦﴾﴾ فإنهم سيرون أنها لا تستطيع تلبية طلبهم، فليكفوا عن عبادتها وهي التي لا تستحق العبادة.

وتذكّرهم الآية [٦٧] بدعائهم في البحر عند الغرق ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِى ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّىٰكُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ كَفُورًا ﴿٦٧﴾﴾ وكيف أنهم لا يلجؤون لأصنامهم عند الغرق وإنما يعودون إلى الله ربهم، ولكن ما إن ينجهم حتى يعودوا لشركهم وإنكار فضل الله عليهم.

وتنذرهم الآية [٦٩] من الغرق في المرة الأخرى لكفرهم ﴿أَمْ أَمِنتُمْ أَن يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَىٰ فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِّنَ ٱلرِّيحِ فَيُغْرِقَكُم بِمَا كَفَرْتُمْ ثُمَّ لَا تَجِدُوا۟ لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِۦ تَبِيعًا ﴿٦٩﴾﴾ فهل حذرتم من تلاعبكم وكفركم أن تغرقوا وألّا تجدوا من ينقذكم؟!

وتؤكد الآية [٧٢] بأن من أصروا على عدم رؤية الحق والإيمان في الدنيا قد حكموا على أنفسهم بالعمى في الأخرى، فلن يروا الجنة ونعيمها وسيسيرونَ في طريق جهنم ﴿وَمَن كَانَ فِى هَٰذِهِۦٓ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٧٢﴾﴾.

وتتحدث الآية [٨٢] ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾﴾ تتحدث عن القرآن الكريم وأنه شفاء وحجة لمن اختاروا الإيمان والاحتكام لأحكامه، وأما من أنكروا ذلك وكفروا به أو عاشوا على غير أحكامه، فلن يعرفوا إلا الأمراض الفردية والمجتمعية، لأن القوانين الوضعية لا تأتي إلا بشقاء على شقاء.

وتشير الآية [٨٤] إلى فئتي البشر من المؤمنين والكافرين فتقول ﴿وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى

﴿ٱلْإِنسَٰنِ أَعْرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ ۖ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ كَانَ يَـُٔوسًا ﴿٨٣﴾ قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلًا ﴿٨٤﴾﴾ مبيّنة أن لكل فرد وكل مجتمع أن يتحمل مسؤولية عمله الاختياري وفقاً لما يراه من حق وباطل، فهو سبحانه يعلم بما يفعله الإنسان، فأعماله شاهدة عليه إن كان صريحاً ونفسه شاهدة عليه إن كان باطنياً.

وتعلن الآية [٨٩] موقف أكثر الناس ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴿٨٩﴾﴾ بأنه إنكار الإيمان بالله ورسوله وكتابه بالرغم من كثير الحجج والبراهين التي ساقها القرآن إليهم ﴿وَقَالُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ يَنۢبُوعًا ﴿٩٠﴾﴾ وأخذوا يطلبون البساتين والأنهار والزخارف والكتب المنزلة، ففاجأهم القرآن بالتهديد بأن مصيرهم الهلاك لو حصل شيء مما طلبوه وكذبوه، والله سبحانه قادر عليها كلها، كما هي سنة الله تعالى في خلقه، فليكفوا عن هذه الطلبات، وليعلموا بأن الله تعالى هو الشاهد وكفى، ولا حاجة لأي شاهد آخر ﴿قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴿٩٦﴾﴾.

وتؤكد الآية [٩٧] من هم المهتدون ﴿وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِهِۦ ۖ﴾ إنهم من ينزل الله تعالى الهداية لهم فيؤمنوا بها ويعملوا بها، وأما من يعرضون عنها ويرفضونها فهم لن يجدوا لهم عوناً غير الله تعالى. . ﴿ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُم بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَقَالُوٓا۟ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٩٨﴾﴾ فجزاؤهم جهنم، وليحذروا أن يقعوا في الإعراض والإنكار فيظلموا أنفسهم ﴿فَأَبَى ٱلظَّٰلِمُونَ إِلَّا كُفُورًا ﴿٩٩﴾﴾.

وتتحدى الآيات [١٠٥ و ١٠٦ و ١٠٧] المشركين في موقفهم من القرآن الكريم بأنْ قل لهم يا محمد ﴿وَبِٱلْحَقِّ أَنزَلْنَٰهُ وَبِٱلْحَقِّ نَزَلَ ۗ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ فنزوله حق لا شك فيه من الله تعالى، ومضمونه حق لا شك في أحكامه وأوامره، فأنت يا محمد الرسول المرسل به كمبشر بالخيرات ومنذر من السيئات ﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا ﴿١٠٦﴾﴾. فقد نزل هذا القرآن متفرقاً حسب الوقائع والحوادث طيلة ربع قرن تقريباً، فكان هذا النزول بشير خير لكم لا يعنتكم بتجمع نزوله. . ولذلك ﴿قُلْ ءَامِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوْ لَا تُؤْمِنُوٓا۟ ۚ﴾ فلكم كامل الخيار لكي تؤمنوا بهذا القرآن أو لا تؤمنوا، فلتتحملوا مسؤولية ذلك.

هذا العرض الكبير للشواهد بأن للإنسان الاختيار بين الهدى المنزل والضلال المنذر منه، وأن عليه أن يتتبع هذه الشواهد والنصوص الكثيرة في هذه السورة والسور الأخرى لتطمئنه أن الاختيار للإنسان بين الكفر والإيمان، بين الهدى والضلال، وأنه وحده إن أحسن الاختيار وسعى وهو مؤمن فإنه يجد بانتظاره جنة النعيم، وإن أساء الاختيار وسعى وهو كافر فإنه لن يجد بانتظاره إلا الجحيم والعذاب الأليم.

من سورة الكهف (١٨)

بعد أن حمدت الآية الأولى في هذه السورة المكية الله تعالى على إنزاله القرآن الكريم منذراً للكافرين من عذاب النار، ومبشراً للمؤمنين الصالحين بجنة النعيم، جاءت بهذا الإنذار وتلك البشارة لتلخص ما هدف إليه القرآن للناس كافة ﴿لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا﴾.

ثم تدعو السورة في آيتها [٦] الرسول عليه السلام بألا يعرض نفسه للهلاك حزناً عليهم لإعراضهم عن القرآن، ورفضهم الإيمان به ﴿فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَسَفًا ﴿٦﴾﴾.

ثم تخاطب الآية [١٣] الرسول عليه السلام ﴿نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا۟ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى ﴿١٣﴾﴾ وتخبره بقصة أهل الكهف وأنهم كانوا فتية مؤمنين مهديين، وأن الله تعالى قوى عزائمهم أمام قومهم الكفار، فأعلنوا إيمانهم برب السماوات والأرض ورفض الآلهة الأخرى.

وتتحدث الآية [١٧] عن الهدى والضلال فتقول ﴿مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا﴾ مبيّنة أن من يختار الهدى فإن الله تعالى يوفقه إلى طريق السعادة، وأما من يختار الضلال فإنه لن يجد من يهديه ما دام مصراً على الطريق الباطل.

وتؤكد الآية [٢٠] ﴿إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُوا۟ عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِى مِلَّتِهِمْ وَلَن

تُفْلِحُوٓاْ إِذًا أَبَدًا ﴿٢٠﴾﴾ بأن قومهم الكافرين كما كانوا من قبل حسب ظنهم سيقتلونهم رجماً بالحجارة أو يعيدونهم لملتهم الكافرة، ولذلك لن يجدوا طريقاً للفلاح والفوز لا في الدنيا ولا الآخرة.

وجاءت الآيتان [٢٣ و ٢٤] تذكِّر الرسول عليه السلام ومَنْ بعده من المؤمنين ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْىْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ وَٱذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَىٰٓ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَٰذَا رَشَدًا ﴿٢٤﴾﴾ تنبههم إلى القول مربوطاً بمشيئة الله تعالى إذا نوى عملاً في اليوم التالي، وأن يقول بالمشيئة إذا نسي ذلك ولو في وقت قادم، فيقول: إن شاء الله سأعمل كذا غداً.

وتصرح الآية [٢٩] بدعوة الناس للاختيار بين الإيمان والكفر ﴿وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْۚ﴾ وعندها يجد الكافرون الذين ظلموا أنفسهم باختيار الكفر جزاءهم ﴿إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَاۚ وَإِن يَسْتَغِيثُواْ يُغَاثُواْ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَۚ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا﴾.

وأما من اختاروا الإيمان فتبيّن الآيتان [٣٠ و ٣١] جزاءهم ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴿٣٠﴾﴾ ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِۚ نِعْمَ ٱلثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٣١﴾﴾.

ونبه أحد الرجلين صاحبه في المثل الذي أوردته السورة لما وقع فيه من كفر عندما أنكر قيام الساعة ﴿قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا ﴿٣٧﴾﴾ [٣٧] وقال له ﴿لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّي وَلَآ أُشْرِكُ بِرَبِّيٓ أَحَدًا ﴿٣٨﴾﴾ [٣٨] وعلمه بما يقول إذا رأى نعمة حلت عليه أو على غيره ﴿وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِۚ﴾ [٣٩].

وعندما نبهت الآية [٤٦] بأن ﴿ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَاۖ﴾ قالت بأن ﴿وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾ أي أن ما يبقى بعد الموت من الأعمال الصالحة والأقوال الصالحة مثل سبحان الله والحمد لله والله أكبر هي المفضلة يوم القيامة عند الله تعالى.

وتبيّن الآية [٥٥] ما منع المشركين من الإيمان ﴿وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓاْ إِذْ جَآءَهُمُ

ٱلْهُدَىٰ وَيَسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّهُمْ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ ٱلْأَوَّلِينَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ ٱلْعَذَابُ قُبُلًا﴾ إنه أن تأتيهم سنة الله تعالى في إهلاكهم كما أهلك الأمم السابقة، أو أن يأتيهم العذاب عياناً متتابعاً.

وتصرح الآية [٥٦] بمهمة المرسلين وموقف أهل الباطل منهم فتقول ﴿وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ۚ وَيُجَٰدِلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِٱلْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُوا۟ بِهِ ٱلْحَقَّ ۖ وَٱتَّخَذُوٓا۟ ءَايَٰتِى وَمَآ أُنذِرُوا۟ هُزُوًا ﴿٥٦﴾﴾ فالرسل يبشرون بالجنة ونعيمها وينذرون بالنار وجحيمها، ولكن من اختاروا الباطل وكفروا بالحق تجدهم يجادلون بما لديهم من حجج باطلة ظناً منهم أن ذلك يلغي الحق ويبطله.

وتبيّن الآية التالية [٥٧] مدى ما يوقع الكافرون أنفسهم فيه من الظلم ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِىَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ ۚ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ۖ وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ فَلَن يَهْتَدُوٓا۟ إِذًا أَبَدًا ﴿٥٧﴾﴾ فلا يوجد أكثر ظلماً لنفسه ممن يوعظ بآيات ربه، ولكنه يعرض عنها ويواصل معاصيه، فليعلم أنه عندما يقفل عقله ويصم أذنيه عن فهم الحق وسماعه، بأنه لا يستجيب لنداء الإيمان ما دام مصراً على ذلك.

وعندما يستنكر موسى عليه السلام من الرجل الصالح قتله لغلام ظنه بريئاً قال له مبيّناً حقيقة الغلام ﴿وَأَمَّا ٱلْغُلَٰمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَآ أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ﴿٨٠﴾﴾ [٨٠] ﴿فَأَرَدْنَآ أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَوٰةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا ﴿٨١﴾﴾ [٨١] بأن الغلام كان شاباً كافراً متفلتاً يخشى منه على والديه المؤمنيْنِ، فقتله الرجل الصالح ليُبْدِلَ المولى سبحانه والديه ولداً أفضل منه طهراً ورحمة.. مما يدل على مدى خطورة الأولاد على والديهم وخطورة تربيتهم.

وعندما جاءت قصة ذي القرنين بحثت الآية [٨٨] جزاء من اختار الإيمان والعمل الصالح أمام عقوبة ذي القرنين فقالت.. ﴿وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُۥ جَزَآءً ٱلْحُسْنَىٰ ۖ وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا ﴿٨٨﴾﴾ فجزاؤه الجنة ونعيمها.

وتبيّن الآية [١٠٠] مصير من اختاروا الكفر يوم القيامة ﴿وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِّلْكَٰفِرِينَ عَرْضًا ﴿١٠٠﴾﴾ فإنهم سيرون جهنم بأعينهم بعد أن كانوا لشدة تعنتّهم لا يرونها، إذ لا يرون

دلائل الله تعالى في الدنيا ولا يسمعون كلام الله تعالى، فكانوا بمنزلة العُمْيِ والصم. . ﴿ٱلَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِى غِطَآءٍ عَن ذِكْرِى وَكَانُوا۟ لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا ﴿١٠١﴾﴾.

ثم تقول الآية [١٠٢] ﴿أَفَحَسِبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَن يَتَّخِذُوا۟ عِبَادِى مِن دُونِىٓ أَوْلِيَآءَ ۚ إِنَّآ أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَٰفِرِينَ نُزُلًا ﴿١٠٢﴾﴾ فهل ظن أولئك الكفار أن يتخذوا من عيسى والعزير والملائكة أولياء لهم ينتصرون بهم من دون الله تعالى فيحمونهم من عذاب الله تعالى؟ فليعلموا أن ذلك لن ينفعهم لأن الله تعالى قد أعد لهم جهنم مقاماً لهم.

وتبيّن الآيات [١٠٣ و ١٠٤ و ١٠٥ و ١٠٦] من هم الأخسرونَ أعمالاً وجزاءهم ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا ﴿١٠٣﴾ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ وَلِقَآئِهِۦ فَحَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا ﴿١٠٥﴾ ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا۟ وَٱتَّخَذُوٓا۟ ءَايَٰتِى وَرُسُلِى هُزُوًا﴾.

وتبيّن الآيتان [١٠٧ و ١٠٨] مصير من اختاروا الإيمان والأعمال الصالحة ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا ﴿١٠٨﴾﴾.

فهل بعد هذه المقارنة بين الكافرين وجزائهم، والمؤمنين وجزائهم من بيان أكثر أثراً وتأثيراً؟!

من سورة مريم (١٩)

فبعد أن أكدت هذه السورة المكية في آياتها [٣٤ و ٣٥ و ٣٦] حقيقة عيسى ابن مريم عليه السلام ﴿ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ۚ قَوْلَ ٱلْحَقِّ ٱلَّذِى فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٣٤﴾ مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ ۖ سُبْحَٰنَهُۥٓ ۚ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٣٥﴾ وَإِنَّ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٣٦﴾﴾ عقبت على ذلك بأن هذا هو الحق والصدق، وليس كما تزعم اليهود بأنه ابن يوسف النجار بالزنى، ولا كما قال النصارى بأنه إله، أو ابن إله أو ثالث ثلاثة، فهو عبد الله ورسوله وروح منه وكَلِمتُهُ ألقاها إلى مريم، فكان بقضاء الله وقدره هكذا؛ وليس أيَّ شيء من زعم اليهود والنصارى الذين

ظلموا أنفسهم بهذا الضلال ﴿لَٰكِنِ ٱلظَّٰلِمُونَ ٱلۡيَوۡمَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ٣٨﴾ وسيرون ما يقعون فيه من ألم وندم على مزاعمهم هذه ﴿وَأَنذِرۡهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡحَسۡرَةِ إِذۡ قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ وَهُمۡ فِي غَفۡلَةٖ وَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾ [٣٩].

وبعد أن تشير السورة إلى قصص إبراهيم وموسى وإسماعيل وإدريس تقول بأنهم ممن ﴿أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ وَمِمَّنۡ حَمَلۡنَا مَعَ نُوحٖ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡرَٰٓءِيلَ وَمِمَّنۡ هَدَيۡنَا وَٱجۡتَبَيۡنَآۚ﴾ [٥٨].

وتقول بأنه قد جاء بعدهم أولاد سواء أكانوا أبناءَ الأمة الإسلامية ومن زامنهم من أهل الكتاب، أو غيرَهم ممن أضاعوا الطاعات ووقعوا في المنكرات باستثناء من تاب منهم وأناب ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ وَلَا يُظۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا ٦٠﴾.

وتقارن الآية [٧٣] بين من اختاروا الكفر والذين اختاروا الإيمان في تلقي آيات الله وبراهينه وأدلته ﴿وَإِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٖ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَيُّ ٱلۡفَرِيقَيۡنِ خَيۡرٞ مَّقَامٗا وَأَحۡسَنُ نَدِيّٗا ٧٣﴾ فيرى المنعمون بأنهم أفضل من الصحابة الفقراء في مكانتهم ومتاعهم في الدنيا ونسوا أن الآخرة خير وأبقى.

وتدعو الآيتان [٧٥ و ٧٦] الرسول عليه السلام ﴿قُلۡ مَن كَانَ فِي ٱلضَّلَٰلَةِ فَلۡيَمۡدُدۡ لَهُ ٱلرَّحۡمَٰنُ مَدًّاۚ حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوۡاْ مَا يُوعَدُونَ إِمَّا ٱلۡعَذَابَ وَإِمَّا ٱلسَّاعَةَ فَسَيَعۡلَمُونَ مَنۡ هُوَ شَرّٞ مَّكَانٗا وَأَضۡعَفُ جُندٗا ٧٥ وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهۡتَدَوۡاْ هُدٗىۗ وَٱلۡبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيۡرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابٗا وَخَيۡرٞ مَّرَدًّا ٧٦﴾ قل لهم يا محمد بأن من اختار منهم الضلال والبعد عن الحق فإن الله تعالى يتركه في ضلاله، فيطول اغتراره ويزداد عذابه، سواء عندما يرى ما ينتظره من العذاب بنصر المؤمنين عليهم، أو عندما تقوم الساعة فيصيرون إلى النار، فيرون بأم أعينهم من هو صاحب المقر الأشد سوءاً، وأيهم الأضعف جنداً، وينظرون إلى الذين اختاروا الهدى، وكيف أن الله تعالى ينصرهم في الدنيا ويكافئهم بصالح أعمالهم بالجنة والرضوان، مما هو خير من دنيا أهل الضلال وخير من مصيرهم.

وانظر يا محمد؛ ولْينظُرْ أتباعُكَ إلى العاص بن وائل وأمثاله وهم يهزؤون بالمؤمنين لدعوتهم لهم للإيمان بالبعث، وأنهم لو بعثوا سوف يدفعون مالهم مقابل ما عليهم من أموال، ومما سيتوفر لديهم من الأموال والأولاد، وكأن لهم عهداً عند الله

تعالى ووعداً بذلك ﴿أَطَّلَعَ ٱلْغَيْبَ أَمِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا﴾ وانظر إليهم يا محمد وهم بتعنتهم يتخذون آلهة من أصنامهم يرون فيها منعة لهم من العذاب ﴿وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لِّيَكُونُواْ لَهُمْ عِزًّا ﴿٨١﴾﴾ ولكن هيهات لهم ذلك ومعبوداتهم ستكون ضدهم يوم القيامة ﴿كَلَّا ۚ سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا ﴿٨٢﴾﴾ وها هم يصحبون شياطينهم في غوايتهم وإغرائهم بالمنكرات ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّآ أَرْسَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا ﴿٨٣﴾﴾.

وها هو حب المؤمنين الصالحين الذي يضعه الرحمن لهم في قلوب عباده، وعلى العكس يضع البغض في القلوب ضد الكافرين العصاة ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا ﴿٩٦﴾﴾.

من سورة طه (٢٠)

فبعد أن تخاطب هذه السورة المكية الرسول عليه السلام بأن القرآن لم ينزل عليه ليشقى به، وإنما لتذكير الناس وتبليغهم ما فيه سعادتهم في الدنيا والآخرة، تقف مطولاً مع قصة موسى عليه السلام منذ عودته من مدين إلى مصر فتقول ﴿إِذْ رَءَا نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓاْ إِنِّيٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدًى ﴿١٠﴾﴾ [١٠] فقد ضل موسى الطريق أثناء رحلته لأنه كان يسير في الليل بأهله وغنمه، فطلب من أهله أن ينتظروه ريثما يعود إليهم من تلك النار التي رآها من بعيد، ومعه جذوة يستدفئون بها أو خبر يدله على الطريق.

وتخاطب [الآيتان ١٥ و ١٦] موسى عليه السلام ﴿إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا تَسْعَىٰ ﴿١٥﴾ فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَن لَّا يُؤْمِنُ بِهَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ فَتَرْدَىٰ ﴿١٦﴾﴾ فاطمئن يا موسى بأن يوم الحساب لا بد قادم حين ينال كل إنسان جزاء عمله، واحذر أن يفتنك أحد عن التصديق بذاك اليوم، مهما كانت مكانة ذلك الفتان الذي أهمل عقله واتبع هواه وشهواته فهلك بسبب ذلك. إنه خطاب لمحمد عليه السلام وأمته من خلال أخيه موسى عليه السلام وقصته.

وتخاطب الآية [٤٧] ﴿فَأْتِيَاهُ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ ۖ قَدْ جِئْنَٰكَ بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكَ ۖ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىٰ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلْهُدَىٰٓ ﴿٤٧﴾﴾ تخاطب موسى وأخاهُ هارون ليذهبا إلى فرعون ويطلبا منه أن يدع بني إسرائيل قوم موسى ليذهبوا معه، ويرفع عنهم العذاب بالسخرة في العمل، ويخبراه أن من يتبع الهدى يسلم من سخط الله تعالى وغضبه، وأما من يكذب به فإن له الهلاك والدمار في الدنيا والخلود في النار في الآخرة.

وأجاب موسى عليه السلام فرعون بسؤاله عن ربه ﴿قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴿٥٠﴾﴾ أي إنه سبحانه خالق كل شيء، وكل مخلوق يدل على وجوده، وإنه سبحانه قد خلق في كل مخلوق القدرة على الاختيار بين ما ينفعه وما يضره، ثم أنزل للبشر الهدى بواسطة الأنبياء والرسل ليرشدوهم إلى حسن الاختيار ويتحملوا بالتالي مسؤولية اختيارهم.

وعندما سأل فرعون موسى عليه السلام عن الأقوام السابقين رد عليه قائلاً ﴿قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى فِى كِتَٰبٍ ۖ لَّا يَضِلُّ رَبِّى وَلَا يَنسَى ﴿٥٢﴾﴾ موضحاً له أنه لا يعلم عنها إلا ما يعلّمه ربه العالم بكل شيء، والذي لا يخطئ بشيء ولا يسهو عن شيء.

ودعا فرعون السحرة ﴿فَأَجْمِعُوا۟ كَيْدَكُمْ ثُمَّ ٱئْتُوا۟ صَفًّا ۚ وَقَدْ أَفْلَحَ ٱلْيَوْمَ مَنِ ٱسْتَعْلَىٰ﴾ [٦٤] دعاهم للكيد مجتمعين لأنهم كما يظن سيفوزون بذلك ولن يفوزوا إذا اختلفوا.

وطمأن المولى سبحانه رسوله موسى ﴿قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٦٨﴾﴾ ﴿وَأَلْقِ مَا فِى يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوٓا۟ ۖ إِنَّمَا صَنَعُوا۟ كَيْدُ سَٰحِرٍ ۖ وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ﴿٦٩﴾﴾ فابتلعت عصاهُ كل ما ألقوه من الحبال والعصي، فسيطر الذهول على السحرة وعلى الناس أجمعين، فخر السحرة ساجدين معلنين إيمانهم برب موسى وهارون، فَسُقِطَ في يد الطاغية فرعون وهددهم بتقطيع أطرافهم وصلبهم.. فلم يأبهوا لتهديده قائلين ﴿قَالُوا۟ لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلَّذِى فَطَرَنَا ۖ فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ ۖ إِنَّمَا تَقْضِى هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَآ ﴿٧٢﴾﴾.

وأكد (السحرة) المؤمنون لفرعون ﴿إِنَّآ ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَٰيَٰنَا وَمَآ أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ

مِنَ ٱلسِّحۡرِۗ وَٱللَّهُ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰٓ ﴿٧٣﴾﴾ مؤكدين أنه ﴿وَمَن يَأۡتِهِۦ مُؤۡمِنٗا قَدۡ عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلۡعُلَىٰ ﴿٧٥﴾﴾ من يأت الله تعالى يوم القيامة وهو مؤمن وأعماله صالحة فله المكانة العالية في الجنة.

وتصور الآية [٧٩] ﴿وَأَضَلَّ فِرۡعَوۡنُ قَوۡمَهُۥ وَمَا هَدَىٰ ﴿٧٩﴾﴾ تصور فرعون وهو يقود قومه للحاق ببني إسرائيل الهاربين منه، ولكنه بدلاً من أن يدلهم على الطريق السوي أبعدهم عنه وأوقعهم في الغرق.

وبعد أن تفضل المولى سبحانه على بني إسرائيل بالمنّ والسلوى بعد النجاة من فرعون وعذابه نبههم ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٞ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا ثُمَّ ٱهۡتَدَىٰ ﴿٨٢﴾﴾ بأن الله تعالى يغفر لمن يتوب من ذنوبه، ويثيبه على إيمانه والتزام الصالح من أعماله، والطريق القويم في سيره.

وعندما ابتلى الله سبحانه بني إسرائيل بفتنة السامري أثناء غياب موسى عنهم قال له ربه ﴿فَإِنَّا قَدۡ فَتَنَّا قَوۡمَكَ مِنۢ بَعۡدِكَ وَأَضَلَّهُمُ ٱلسَّامِرِيُّ ﴿٨٥﴾﴾ عندما صنع لهم مما معهم من الحلي عجلاً عبدوه فضلوا عن طريق الرشاد.. ﴿أَفَلَا يَرَوۡنَ أَلَّا يَرۡجِعُ إِلَيۡهِمۡ قَوۡلٗا وَلَا يَمۡلِكُ لَهُمۡ ضَرّٗا وَلَا نَفۡعٗا ﴿٨٩﴾﴾ فكيف سهل إضلالهم بهذا العجل الذي لا يملك لا قولاً ولا نفعاً ولا ضراً؟!

وعندما رجع موسى ورآهم على حالهم من الضلال قال لأخيه هارون الذي أوكله برعايتهم أثناء غيبته لمناجاة ربه ﴿يَٰهَٰرُونُ مَا مَنَعَكَ إِذۡ رَأَيۡتَهُمۡ ضَلُّوٓاْ﴾ [٩٢] ﴿أَلَّا تَتَّبِعَنِۖ أَفَعَصَيۡتَ أَمۡرِي ﴿٩٣﴾﴾ فأكد لأخيه بأنه حرص على بقائِهِ معهم حتى لا يتفرقوا ﴿قَالَ يَبۡنَؤُمَّ لَا تَأۡخُذۡ بِلِحۡيَتِي وَلَا بِرَأۡسِيٓۖ إِنِّي خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقۡتَ بَيۡنَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَلَمۡ تَرۡقُبۡ قَوۡلِي ﴿٩٤﴾﴾.

وبعد أن يؤكد المولى سبحانه لرسوله محمد عليه السلام بصدق ما يقص عليه، يذكّره بقدرته سبحانه يوم القيامة بما يجريه في الكون من تغيير وفي البشر من بعث ونشور ﴿وَعَنَتِ ٱلۡوُجُوهُ لِلۡحَيِّ ٱلۡقَيُّومِۖ وَقَدۡ خَابَ مَنۡ حَمَلَ ظُلۡمٗا ﴿١١١﴾﴾ ﴿وَمَن يَعۡمَلۡ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَلَا يَخَافُ ظُلۡمٗا وَلَا هَضۡمٗا ﴿١١٢﴾﴾.

ويخبر رب العزة سبحانه آدم عليه السلام وهو في الجنة ﴿فَقُلۡنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوّٞ لَّكَ وَلِزَوۡجِكَ فَلَا يُخۡرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلۡجَنَّةِ فَتَشۡقَىٰٓ ﴿١١٧﴾﴾ أخبرهما وأخبر ذريتها من بعدهما بأن

إبليس عدو لهما، فليحذراه ولا يستجيبا لقوله وإغرائه وتزيينه مهما كان، لأن في ذلك الشقاء في الدنيا والآخرة، ولكنهما استجابا له فأكلا من الشجرة التي نهيا عنها، لماذا؟ ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِىَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا ﴿١١٥﴾﴾ فإن ميزة النسيان التي قدرها تعالى في آدم وذريته غلبت عليه فنسي أمر ربه، ولم يتوفر له العزم والقدرة على مخالفة إغراء إبليس ﴿فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ ۚ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴿١٢١﴾﴾.

ولكن الله تعالى وهو العالم بما خلق، وبما فيه من ضعف وقوة، علمه كيف يتوب من عصيانه، وقبل توبته، واختاره لتبليغ أمره ونهيه إلى ذريته، وبيان طريق الخير والرشاد ﴿ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ﴿١٢٢﴾﴾.

وبعد أن أمر سبحانه آدم وزوجه بالهبوط من الجنة إلى الأرض، وأمر إبليس بالهبوط أيضاً ﴿قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًۢا ۖ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ﴾ [١٢٣] أخبرهما بأنهما في عداوة دائمة مع إبليس ويجب أن يحذراه ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾﴾ منبهاً سبحانه آدم وزوجه وذريتهما من بعدهما بأنه سبحانه سيرسل هدى لمن يختاره من ذريته ليبلغه لقومه، وأن من يتبع ذلك الهدى فإنه سيكون على الطريق الحق؛ وأما من يعرض عنه فإنه سيعيش حياة شقاء في الدنيا وفي الآخرة.

وأكد سبحانه لبني آدم ﴿وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنۢ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ۚ وَلَعَذَابُ ٱلْـَٔاخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰٓ ﴿١٢٧﴾﴾ فليحذروا العصيان.

وتنتهي السورة [بآية ١٣٥] ﴿قُلْ كُلٌّ مُّتَرَبِّصٌ فَتَرَبَّصُوا۟ ۖ فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحَٰبُ ٱلصِّرَٰطِ ٱلسَّوِىِّ وَمَنِ ٱهْتَدَىٰ ﴿١٣٥﴾﴾ منذرة العصاة ليكونوا ممن سار على الطريق القويم طريق الهداية.

من سورة الأنبياء (٢١)

ابتدأت هذه السورة المكية بالتنبيه من الغفلة عن الآخرة بسبب الانشغال بمغريات الحياة، ثم انتقلت للحديث عن المكذبين بالرغم من رؤيتهم لهلاك الغابرين ﴿مَآ ءَامَنَتْ قَبْلَهُم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَآ أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾﴾ فقد أنكر السابقون على مشركي مكة الإيمان فأهلكهم الله تعالى، فهل يتوقع تصديق أهل مكة الآيات لو رأوها؟ إن هؤلاء أعتى ممن اقترحوا الآيات على أنبيائهم، وسيكونون أضل منهم، ولكن الله تعالى قضى وقدر بقاء هؤلاء، لأنه يعلم أن منهم سيخرج مؤمنون.

وتأتي الآية [٣٠] لتدلل على قدرة الله تعالى في خلقه ﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَا ۖ وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ ۖ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾ فأين عقول من اختاروا الكفر وهم يرون بأن السماوات والأرض كانتا ملتصقة بعضها ببعض ثم انفصلت عن بعضها بعضاً، وقدر الأمطار من السماء إلى الأرض، وخلق جميع الأحياء من إنسان وحيوان وطير وغيرها من الماء نفسه، وأي تشريح لمخلوق يدل على ذلك، مما يوجب التصديق بقدرة الله تعالى وتدبيره.

وتذكر الآية [٣١] ﴿وَجَعَلْنَا فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَّعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٣١﴾﴾ فلا تتحرك حركة تنهي الحياة عنها، وتبقى الطرق والمسالك واضحة كي يصلوا من خلالها إلى مقاصدهم متنقلين بين الجبال والوديان.

وتشير الآية [٣٥] ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً ۖ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٣٥﴾﴾ تشير إلى أن الكل سيموت، وما على الإنسان إلا أن يعتبر بما يلحقه في هذه الحياة من نعم أو شرور، وكلها من باب الاختبار له الذي عليه أن ينجح فيه حتى يرجع يوم القيامة إلى الحساب وهو مطمئن لمصيره.

وتخاطب الآية [٣٦] الرسول عليه السلام بشأن سخريتهم من آلهتهم بسوء فتقول ﴿وَإِذَا رَءَاكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا ٱلَّذِى يَذْكُرُ ءَالِهَتَكُمْ وَهُم بِذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٣٦﴾﴾.

وتحذر الآية [٣٩] المشركين مما سيلقونه من النار يوم القيامة ﴿لَوْ يَعْلَمُ ٱلَّذِينَ

كَفَرُواْ حِينَ لَا يَكُفُّونَ عَن وُجُوهِهِمُ ٱلنَّارَ وَلَا عَن ظُهُورِهِمْ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٣٩﴾ فتؤكد لهم أنهم لو علموا وقت الحريق من النار التي ستحرق وجوههم وظهورهم وعرفوه لما استعجلوه، ولتخلصوا من الكفر الذي اختاروه والتحقوا بالمؤمنين.

ويقول إبراهيم الخليل عليه السلام لأبيه وقومه في الآية [٥٤] ﴿قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمْ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٥٤﴾﴾ لقد كنتم وأسلافكم عبدة الأصنام في خطأ واضح بهذه العبادة.

وقال إبراهيم عليه السلام لهم [٦٦] ﴿قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْـًٔا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴿٦٦﴾﴾. إنكم تعبدون جمادات لا تضر ولا تنفع، أين عقولكم؟ فأنجاه تعالى ولوطاً إلى بلاد الشام المباركة، ووهبه إسحق ومن إسحق يعقوب، فكانوا قدوة ورؤساء لغيرهم يرشدون الناس إلى الدين والعمل به.

وتورد السورة مجموعة من الأنبياء السابقين للرسول عليه وعليهم جميعاً الصلاة والسلام، وذلك بقصد مواساة الرسول محمد عليه السلام بذكر ما لاقاه كل منهم من الصعاب في تبليغ دعوته، وكيف كان صابراً على ذلك كله، فأنقذ تعالى كلاً منهم، وأنزل العقاب المناسب على قومه.

ومما أوردته بشأن يونس عليه السلام الذي ابتلعه الحوت ﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾﴾ ﴿فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾﴾ وبهذه الكلمات يعلمنا سبحانه الدعاء الذي نتوجه به إليه تعالى عند الوقوع في الكرب، وأنه تعالى ينقذ من اختاروا الإيمان وساروا على طاعة الرحمن، ينقذهم من الكرب هم وأمثالهم من المؤمنين.

وتأتي الآية [٩٤] لتقول لكل إنسان ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِۦ وَإِنَّا لَهُۥ كَٰتِبُونَ ﴿٩٤﴾﴾ فمن يلتزم بعمل الطاعات وأعمال البر والخير المبنية على الإيمان، فإن شيئاً لن يبطل ثواب عمله ولن يضيع شيء من جزائه الطيب، إذ تتولى الملائكة كتابة أعماله ليجدها عن يمينه يوم الدين. وأما أولئك الذين اختاروا البعد عن الإيمان فكفروا بالرحمن فإنهم ما إن يروا يوم القيامة

حتى تجمد أبصارهم حيرة وفزعاً ﴿وَٱقْتَرَبَ ٱلْوَعْدُ ٱلْحَقُّ فَإِذَا هِىَ شَٰخِصَةٌ أَبْصَٰرُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَٰوَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا بَلْ كُنَّا ظَٰلِمِينَ﴾ [٩٧].

ومع اقتراب السورة من نهايتها يخاطب المولى سبحانه رسوله محمّداً عليه السلام قائلاً ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾﴾ فلست يا محمد رحمة للعرب دون العجم، ولا للأسود دون الأبيض، ولا للأحمر دون الأصفر، فأنت يا محمد رحمة لكل البشر، وما عليهم إلا الإيمان والطاعة، الإيمان بالله الواحد الأحد، والتسليم بكل أوامره ونواهيه.

ومع الآية [الأخيرة ١١٢] ﴿قَٰلَ رَبِّ ٱحْكُم بِٱلْحَقِّ ۗ وَرَبُّنَا ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١١٢﴾﴾ فاحكم يا رب بيني وبين أولئك المكذبين بي، وانصرني عليهم وعلى كل ما يجدّفون به؛ فأنت القادر على كل شيء.

من سورة الحج (٢٢)

بعد أن تخاطب هذه السورة المدنية جميع البشر مخوّفة لهم من هول يوم القيامة، تنذر أولئك الناس الذين يتبعون الشياطين ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَٰنٍ مَّرِيدٍ ﴿٣﴾﴾ تنذرهم مما ينتظرهم من العذاب يوم القيامة ﴿كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُۥ مَن تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُۥ يُضِلُّهُۥ وَيَهْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٤﴾﴾ فإن الشياطين تبعد من يتبعها عن الحق، وتدله على الطريق المؤدي إلى عذاب الجحيم، فليحذروا ذلك وليتبعوا هدى الله وطاعته.

ثم تدلل السورة في آيتها الخامسة على مراحل خلق الإنسان، والتي فيها فترة الجنين في الرحم فتقول ﴿وَنُقِرُّ فِى ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ فيبقى الجنين في الرحم الفترة التي قضاها سبحانه وقدرها له طيلة تلك الفترة.

ثم تقول الآية [٨] ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ﴿٨﴾﴾ تقول بأن أمثال هؤلاء هم أتباع شياطين الإنس والجن، التي تبعدهم عن سبيل الله القويم، بإنكار النبوة ونزول القرآن من باب الكبر والإعراض،

وليس بعلم يدلل به ولا هدى يهتدي به ولا كتاب يعتمد عليه، لأنه ﴿ثَانِيَ عِطْفِهِۦ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [٩].

وتشير الآية [١١] إلى نوعية من الناس تربط إيمانها بما يلحقها من خير أو شر، فهم على حافة الإيمان ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُۥ خَيْرٌ ٱطْمَأَنَّ بِهِۦ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةَ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ﴿١١﴾﴾ وما أسرع ما يرتدون عن الإسلام مع أي مصيبة.

وتؤكد [الآيتان ١٢ و ١٣] نوعية الردة التي يقع فيها أولئك الناس ضعاف الإيمان ﴿يَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُۥ وَمَا لَا يَنفَعُهُۥ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلْبَعِيدُ﴾ فأي معبود يرتد إليه أمثال هؤلاء ضعاف الإيمان، وهو الذي لا يملك لهم ضراً ولا نفعاً، مما يوقعهم في البعد عن الحق بشكل كبير، ومما يجعل الواحد منهم ﴿يَدْعُوا۟ لَمَن ضَرُّهُۥٓ أَقْرَبُ مِن نَّفْعِهِۦ لَبِئْسَ ٱلْمَوْلَىٰ وَلَبِئْسَ ٱلْعَشِيرُ ﴿١٣﴾﴾ فهو بالطبع يورط نفسه باتباع الشيطان بعبادة الأصنام التي تبعده عن الخير وتوقعه في الضر، فأي مولى اتبعه وترك الله تعالى؟!

وتبيّن الآية [١٤] مصير من اتبعوا الإيمان وعملوا بالصالحات ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿١٤﴾﴾ فهذا قضاء الله تعالى في إرادته لهؤلاء المؤمنين الصالحين، وشتان بينه وبين مصير أولئك المرتدين.

وتحسم الآية [١٦] ﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ وَأَنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يُرِيدُ﴾ الموقف مع الطرفين، فتدعو للعودة للعقول السليمة لترى بينات القرآن وحججه الدامغة، والكفيلة ببقاء المؤمن على إيمانه الذي ارتضاه له الله تعالى وبيّنه له.

وتنذر الآية [١٧] ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلْمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ﴾ تنذر ذوي العقول ليسارعوا في النظر في ما هم عليه من عقائد: فيثبت المؤمن بالله ورسوله على إيمانه، وينخلع اليهودي والنصراني والصابئي من عبدة النجوم والمجوس من عبدة النار والمشركونَ من عبدة الملائكة، ينخلعون من بُعْدِهِمْ عن الحق ويعودون

للإيمان بالله ورسوله، قبل أن يأتي يوم القيامة الذي يفصل فيه بين الحق والباطل فينال كل فرد جزاءه على معتقداته وأعماله.

وتأتي الآية [١٨] آية السجدة الأولى في هذه السورة وتبيّن أن كل المخلوقات تسجد لله تعالى، باستثناء الكثير من الناس الذين استحقوا العذاب لكفرهم وسجودهم لغير الله تعالى، فتؤكد بأن المولى عز وجل قد قضت مشيئة قضائه وقدره أن يجعل لهم الاختيار بين الحق والباطل، مما لم يجعله لغيرهم من المخلوقات، فكانوا هم والجن من ذوي الاختيار، مما جعلهم بين التكريم والهوان تبعاً بهذا الاختيار، فأين عقولهم حتى اختاروا الهوان على التكريم؟! ﴿وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ﴾.

وتصور [الآيات ١٩ و ٢٠ و ٢١ و ٢٢] حال من اختاروا البعد عن الحق يوم القيامة ﴿فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ ٱلْحَمِيمُ ١٩﴾ ﴿يُصْهَرُ بِهِۦ مَا فِى بُطُونِهِمْ وَٱلْجُلُودُ ٢٠﴾ ﴿وَلَهُم مَّقَٰمِعُ مِنْ حَدِيدٍ ٢١﴾ ﴿كُلَّمَآ أَرَادُوٓا۟ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا۟ فِيهَا وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ٢٢﴾ فثيابهم من نار، ويصب فوقهم الماء الحار فتصهر أمعاؤهم وجلودهم، ويضربون بمطارق الحديد، ويمنعون من الخروج من النار كلما حاولوا ذلك.

وأما الذين اختاروا الإيمان والتزموا صالح الأعمال فلهم أحوال أخرى ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ٢٣﴾ ﴿وَهُدُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلْقَوْلِ وَهُدُوٓا۟ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْحَمِيدِ ٢٤﴾ فقد اهتدوا باختيارهم السليم إلى القول الطيب من القرآن، مما يسعدهم ويؤدي بهم إلى صراط الله القويم في الدنيا وإلى جنته تعالى في الآخرة.. فشتان بين حال المؤمنين الصالحين وحال الكفار الطالحين!!

وتأتي الآية [٢٥] وتنبه إلى أن من يقصد المعصية في الحرم فإن سيئاته تتضاعف، وكذلك صفاته لو نوى حسناً ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ٱلَّذِى جَعَلْنَٰهُ لِلنَّاسِ سَوَآءً ٱلْعَٰكِفُ فِيهِ وَٱلْبَادِ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍۭ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ٢٥﴾ فقد صد كفار قريش عام الحديبية الرسول عليه

السلام وصحبه عن العمرة، مع أن ذلك حق للمقيم في مكة وللقادم من البادية على حد سواء.

وتتحدّث الآيات التالية عن الحج ومناسكه فتقول الآية [٣٧] : ﴿لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْ كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَبَشِّرِ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٧﴾﴾ تقول بأن شيئاً من لحوم الهدي لن يصل إلى الله تعالى كما كانت تظن الجاهلية، إنما الذي يصله تعالى هو الإخلاص والنية الصادقة، ولذلك ذللها لكم لتنحروها باسم الله تعالى وتكبّروا على ذلك، وللمحسن منكم في ذلك البشارة بحسن الجزاء.

وعندما حدّثت نفوس بعض المؤمنين لهم بأن يقتلوا ويغتالوا من يقدرون عليهم، بعد أن اشتد أذاهم بهم، منعهم الله تعالى من ذلك ووعدهم بالدفاع عنهم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ ﴿٣٨﴾﴾ مؤكدة خلو المرحلة المكية من الأعمال المادية.

وجاءت الآية [٣٩] ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾﴾ فجاء الإذن بالقتال ضد الظالمين وذلك في بدء المرحلة المدنية، وأن ذلك القتال هو الذي أنقذ مراكز العبادة لأهل الديانات من الهدم، وهو الذي أدى إلى رعاية مصالح الناس في ظل دار الإسلام ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا﴾ [٤٠].

وبعد أن تعزي الآيات التالية الرسول عليه السلام بما لاقاه إخوانه من الرسل من تكذيب أقوامهم وصبرهم على ذلك، أمرته [الآيات ٤٩ ـ ٥١] ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَآ أَنَا۠ لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٤٩﴾﴾ ﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٥٠﴾﴾ ﴿وَٱلَّذِينَ سَعَوْا۟ فِىٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿٥١﴾﴾ فأعلن يا محمد لجميع الناس بأنك منذر لهم من عذاب شديد يحل بكل من يصر على الباطل ويرفض الحق، ومبشر لكل متبع للحق مستجيب لدعوته بجنات النعيم.

وتتحدث [الآيات ٥٢ ـ ٥٧] عن محاولات الشيطان الدس على الأنبياء أثناء التبليغ، ولكن الله تعالى يكشف ذلك لرسوله فتبقى آياته نقية من كل دس، ولكنها تحدث اختباراً للمنافقين وهم يعلنون عصيان الله تعالى، وفي نفس الوقت توفر

للمؤمنين البرهان بأن القرآن هو كتاب الله الحق فيزدادون إيماناً واطمئناناً لهدى الله تعالى ﴿فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَـٰنُ ثُمَّ يُحْكِمُ ٱللَّهُ ءَايَـٰتِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٢﴾﴾ ﴿لِّيَجْعَلَ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَـٰنُ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱلظَّـٰلِمِينَ لَفِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ ﴿٥٣﴾﴾ ﴿وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُوا۟ بِهِۦ فَتُخْبِتَ لَهُۥ قُلُوبُهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٤﴾﴾ ﴿وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى مِرْيَةٍ مِّنْهُ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ ﴿٥٥﴾﴾ ﴿ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ فِى جَنَّـٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٥٦﴾﴾ ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا فَأُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٥٧﴾﴾ وتستمر عقائد المنافقين والكفار مهزوزة إلى يوم القيامة، حين يحكم المولى سبحانه بمصير من اختاروا الإيمان وصالح الأعمال بجنات النعيم، ولمن اختاروا الكفر وتكذيب آيات الله تعالى بالعذاب المذل المهين.

وبعد ذكر بعض نعم الله تعالى على الإنسان تقول الآية [٦٦] ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَكَفُورٌ ﴿٦٦﴾﴾ أن انظروا إليه تعالى الذي يحيي الواحد منكم بعد أن كان نطفة، ثم يميته عند انقضاء أجله، ثم يحييه للحساب يوم الحساب، فما على الإنسان إلا شكر هذه النعم وليس الكفر والإنكار لها.

وتخاطب الآية [٦٧] ﴿وَٱدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ ۖ إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدًى مُّسْتَقِيمٍ﴾ فواصل دعوتهم لتوحيد ربك لأنك على دين قويم، وعند إصرارهم على الجدال ﴿وَإِن جَـٰدَلُوكَ فَقُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٦٨﴾﴾ فليعلموا بأن الله تعالى عالم بأعمالهم وسيحكم ببطلانها.

وتكشف الآية [٧٢] سمات المنكرين للحق ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتُنَا بَيِّنَـٰتٍ تَعْرِفُ فِى وُجُوهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْمُنكَرَ ۖ﴾ فليطمئنوا إلى المصير الذي ينتظرهم ﴿ٱلنَّارُ وَعَدَهَا ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾.

وتخاطب الآية [٧٧]، آية السجدة الثانية في هذه السورة، المؤمنين قائلة ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱرْكَعُوا۟ وَٱسْجُدُوا۟ وَٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُوا۟ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ

تُفۡلِحُونَ ۝٧٧﴾ فعليكم يا من اخترتم الإيمان بالله تعالى ورسوله ورسالته أن تصلوا لله تعالى وتمتثلوا أمره ونهيه، وتؤدوا ما يمكنكم من المندوبات مع الواجبات.

ثم تواصل الآية الأخيرة من السورة، الآية [٧٨]، بيان ما يجب على من اختاروا الإيمان بالإضافة لما ذكر ﴿وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦۚ هُوَ ٱجۡتَبَىٰكُمۡ وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمۡ إِبۡرَٰهِيمَۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ مِن قَبۡلُ وَفِي هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيۡكُمۡ وَتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِۚ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعۡتَصِمُواْ بِٱللَّهِ هُوَ مَوۡلَىٰكُمۡۖ فَنِعۡمَ ٱلۡمَوۡلَىٰ وَنِعۡمَ ٱلنَّصِيرُ ۝٧٨﴾ فعليكم أن تجاهدوا ابتغاء مرضاة الله تعالى، وتجاهِدُوا أنفسكم في طاعة الله وردها عن الهوى، كما عليكم أن تدركوا أن الله تعالى قد اختاركم للدفاع عن دينه فلا حجة لكم في التقاعس عن ذلك، لأنه سبحانه لم يجعل عليكم أي حرج عليكم في الدين مع وجود الرخص الكثيرة، سواء في السلم أو الحرب فعليكم بالتوحيد كما وحد إبراهيم عليه السلام، وبالخضوع لأوامر الله ونواهيه كما خضع إبراهيم عليه السلام، وبذلك تكونون مسلمين بحق فيشهد لكم الرسول عليه السلام بتبليغ الحق، وتشهدون أنتم على الناس بأن رسلهم قد بلغتهم، وتقيمون الصلاة وتأمرون بإقامتها، وتؤدون الزكاة وتأمرون بأدائها، وتلتزمون شرع الله تعالى كاملاً لأنه سبحانه وحده الناصر لكم في كل أمر تنصرون دينه فيه.

من سورة (المؤمنون) (٢٣)

فقد بدأت هذه السورة المكية آياتها بالآية الأولى ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ۝١﴾ التي تعلن الفلاح والفوز في الدنيا والآخرة لمن اختاروا الإيمان بالله الرحيم الرحمن ورسله وكتبه، وبيّنت حقيقة الميزات التي يمتاز بها هؤلاء الناس عن غيرهم مما يستحقون بسببه أعلى درجات النعيم ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡوَٰرِثُونَ ۝١٠﴾ ﴿ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلۡفِرۡدَوۡسَ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ۝١١﴾.

وبعد أن تتحدث السورة عن خلق الإنسان وخلق السماوات والأرض، وما

خلق فيها من نعم، تذكر عدة أنبياء وما لاقوه من صعاب في تبليغ دعوتهم إلى أقوامهم، وصبرهم على ذلك، مسلية الرسول عليه السلام ومصبّرة له، فتبدأ بقصة نوح عليه السلام وكيف تصدى زعماء قومه ممن اختاروا الكفر لدعوته، فاتهموه بالجنون، فأنقذه الله تعالى منهم بسفينة حملته والمؤمنين معه وأنجتهم من الغرق في الطوفان ﴿فَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ أَنِ ٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا﴾ [٢٧].

وأمره سبحانه أن يقول عندما يركب السفينة ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى نَجَّىٰنَا مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [٢٨] وأن يقول طلباً للنجاة من الماء ﴿وَقُل رَّبِّ أَنزِلْنِى مُنزَلًا مُّبَارَكًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ ﴿٢٩﴾﴾ معلماً لكل البشر أن يقولوا مثل ذلك عندما يركبونَ ركوبة أو ينزلونَ منزلاً.

ثم تشير السورة إلى الأقوام الذين أرسل الله إليهم رسلاً منهم؛ من مثلِ عاد وثمود وشعيب وغيرهم، وكيف وقف زعماء كل منهم ضد رسولهم، وكذبوه، فنزل بكل منهم ما يستحقه من العذاب، فقد كان شأن قوم عاد ضد رسولهم هود عليه السلام ﴿وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِلِقَآءِ ٱلْآخِرَةِ وَأَتْرَفْنَٰهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ ﴿٣٣﴾﴾ ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا وَمَا نَحْنُ لَهُۥ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٣٨﴾﴾ فكان الجزاء ﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ بِٱلْحَقِّ فَجَعَلْنَٰهُمْ غُثَآءً فَبُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤١﴾﴾.

وجاء بعدهم من جاء من الرسل ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا كُلَّ مَا جَآءَ أُمَّةً رَّسُولُهَا كَذَّبُوهُ فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُم بَعْضًا وَجَعَلْنَٰهُمْ أَحَادِيثَ فَبُعْدًا لِّقَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٤٤﴾﴾.

وخصت السورة بالذكر الصريح موسى عليه السلام، وكيف رفض فرعون وزعماء قومه الإيمان بما دعاهم إليه من الإقرار بالله تعالى وطاعته، فأهلكهم تعالى بالغرق، بينما حمل إليهم موسى في كتاب التوراة طريق الهداية والرشاد، فأبوا ذلك وتعالوا في الأرض فاستحقوا ما نزل بهم من العقاب.

ثم تذكر السورة عيسى عليه السلام وأمه وما لاقياه من عنت بني إسرائيل مما تتحدث عنه السور الأخرى.

وبعد أن تأمر السورة جميع الأقوام بأن يتحدوا في العقيدة والإيمان ولا يتفرقوا فيها إلى جماعات تضرب بعضها بعضاً ﴿وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً

وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ ﴿٥٢﴾ ﴿فَتَقَطَّعُوٓا۟ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ زُبُرًا ۖ كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٥٣﴾ حذرت من التفرق ثم خاطبت محمداً عليه السلام ﴿فَذَرْهُمْ فِى غَمْرَتِهِمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٥٤﴾ بأن عليهم أن يدركوا قبل فوات الأوان وجوب اعتناق الإسلام، ولا يستمروا في الانخداع بهذا الاستدراج بما بين أيديهم من الأموال والأولاد ﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ ﴿٥٥﴾ ﴿نُسَارِعُ لَهُمْ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ بَل لَّا يَشْعُرُونَ ﴿٥٦﴾.

وتأتي السورة بعدها لذكر المؤمنين الذين اختاروا التسابق في الخيرات والطاعات فتقول عنهم ﴿وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٨﴾ ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ ﴿٦١﴾.

وأما من اختاروا الإنكار والكفر فإنهم ﴿ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ عَنِ ٱلصِّرَٰطِ لَنَٰكِبُونَ ﴿٧٤﴾ وهؤلاء كانوا سادرين في طغيانهم ﴿وَلَوْ رَحِمْنَٰهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِم مِّن ضُرٍّ لَّلَجُّوا۟ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٧٥﴾.

ثم تأتي السورة في نهايتها لتتحدث عن حال الذين اختاروا الكفر والذين اختاروا الإيمان يوم القيامة فتقول ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ﴿١٠١﴾ فلا مجال للتساؤل فيما بينهم في ذلك اليوم، يوم الحساب.

ويكفي أن يعلم الواحد منهم ﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٢﴾ فمن ثقلت موازين أعماله وحسناته فهو الفالح الفائز، وأما من خفت موازينه فهو الخاسر وجزاؤه نار جهنم ﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فِى جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿١٠٣﴾.

وعندها يعترفون بما كانوا عليه من الشقاء بالتكذيب والتصدي لرسل الله تعالى ﴿قَالُوا۟ رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَآلِّينَ ﴿١٠٦﴾ كنا بعيدين عن الحق والطاعة.

وهنا يطلبون من الله تعالى أن يخرجوا من النار ولكن هيهات ﴿رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَٰلِمُونَ ﴿١٠٧﴾ فيرد عليهم المولى سبحانه ﴿قَالَ ٱخْسَـُٔوا۟ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴿١٠٨﴾.

وهنا يذكّرهم سبحانه بما كانوا يقولون ويفعلون من منكرات التصدي للرسل

والــرســـالات ﴿إِنَّهُۥ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِى يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١٠٩﴾﴾ فماذا فعلتم بهم ﴿فَٱتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّىٰٓ أَنسَوْكُمْ ذِكْرِى وَكُنتُم مِّنْهُمْ تَضْحَكُونَ ﴿١١٠﴾﴾ فماذا كان جزاؤهم على صبرهم على أذاكم ﴿إِنِّى جَزَيْتُهُمُ ٱلْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوٓا۟ أَنَّهُمْ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿١١١﴾﴾.

وتأتي السورة مع الآية السابقة للأخيرة ﴿وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١١٧﴾﴾ مؤكدة أن الفوز والفلاح ليس لمن اختاروا الكفر وتصدوا للإيمان وأهله، وإنما لمن اختاروا الإيمان وعملوا به.

من سورة النور (٢٤)

فبعد أن قدمت الآية الأولى في هذه السورة المدنية بأنها تشتمل على أحكام واضحة يجب تذكرها والمحافظة عليها، بعدها ذكرت الحكم الأول في الآية الثانية بحق الزانية والزاني بأنه الجلد مائة جلدة لغير المتزوج من النساء والرجال، وربطت هذا الحكم بالتنفيذ في حق من اختاروا الإيمان بالله واليوم الآخر، وشرطت شرطاً يفضح من يرتكب هذه الجريمة ﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِى فَٱجْلِدُوا۟ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِا۟ئَةَ جَلْدَةٍ ۖ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِى دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾﴾.

وأكدت الآية [٣] أن جريمة الزنا لا يرتكبها إلا الزاني أو المشرك، لأنها محرمة على من اختاروا الإيمان وطاعة الرحمن ﴿ٱلزَّانِى لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَٱلزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَآ إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ ۚ وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾﴾.

وتوبخ [الآيتان ١٦ و ١٧] من اختاروا الإيمان بسبب خوضهم في حديث الإفك بعامة وعلى أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها بخاصة ﴿وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ ﴿١٦﴾﴾ ﴿يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُوا۟ لِمِثْلِهِۦٓ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧﴾﴾ فكان الواجب عليكم أن تنكروا هذا الحديث أول سماعه

وتقولوا لا يجوز لنا التكلم بهذا الكلام على زوجة الرسول عليه السلام الطاهرة البريئة إذا كنا حقاً ممن اختاروا الإيمان الذي يحث على تجنب مثل هذا القول.

وتبيّن الآية [١٩] بأن من اختاروا الإيمان لا يمكن أن يحبوا إشاعة الفاحشة فيمن هم مثلهم على الإيمان، لأنهم يعرفون أن من يحب ذلك له عذاب أليم في الدنيا بالحد وفي الآخرة بعذاب النار ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾.

وتؤكد الآية [٢١] تحريم إشاعة الفاحشة في الذين اختاروا الإيمان ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ﴾ فيا من صدقتم بالله ورسوله لا تسلكوا مسالك الشيطان في إشاعة الفاحشة من زنا وإفك في المؤمنين؛ لأنه ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْغَٰفِلَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ لُعِنُوا۟ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾﴾.

ثم تنتقل السورة للحديث عن البيوت وحرمتها فتقول الآية [٢٧] : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَدْخُلُوا۟ بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا۟ وَتُسَلِّمُوا۟ عَلَىٰٓ أَهْلِهَا ۚ﴾ فلا تدخل أيها المؤمن بيتاً غير بيتك إلا بعد أن تستأذن وتسلم على أهل المنزل.

ثم تقول الآية [٣٠] ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا۟ مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ وَيَحْفَظُوا۟ فُرُوجَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾﴾ فلا يسمح لهم إلا بنظرة الفجاءة، وأن ذلك لمن اختاروا الإيمان من الرجال والنساء، وإن كان في النساء الكثير من التفصيل إذ تقول الآية [بعدها ٣١] ﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ۖ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ۖ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ ءَابَآئِهِنَّ أَوْ ءَابَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَآئِهِنَّ أَوْ أَبْنَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ أَخَوَٰتِهِنَّ أَوْ نِسَآئِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُنَّ أَوِ ٱلتَّٰبِعِينَ غَيْرِ أُو۟لِى ٱلْإِرْبَةِ مِنَ ٱلرِّجَالِ أَوِ ٱلطِّفْلِ ٱلَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا۟ عَلَىٰ عَوْرَٰتِ ٱلنِّسَآءِ ۖ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ ۚ وَتُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾﴾ فعلى من يرتكب من ذلك شيئاً فعليه بالتوبة منها يا من اخترتم الإيمان لأن في ذلك الفوز والفلاح.

وبعد ذكر الآيات البينات والدلائل الواضحات على وحدانيته تعالى وعلى اختصاصه بالتشريع، أوردت السورة مثلين؛ أحدهما يؤكد وضوح دلائل الوحدانية،

والثاني يبيّن ظلمة أديان الكفرة، مما يكشف بالمقارنة عن وضوح الحق لكل ذي عقل وبصيرة.

[فالآية ٣٥] تدعو الإنسان ليرى كيف نوّر الله تعالى السماوات والأرض بالكواكب المضيئة والتشريعات الحكيمة، وأنه سبحانه يرسل بها رسله لكي ﴿يَهْدِي ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾ يوفق الله تعالى لاتباع القرآن من يختار هذه الهداية.

وتقول الآية [٣٨] ﴿وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ أي يعطيهم بقضائه وقدره العطاء الواسع من دونِ حد ولا عد، وهذا جزاء من اختاروا الإيمان وصالح الأعمال، وأما من اختاروا الكفر والعصيان ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَعْمَٰلُهُمْ كَسَرَابٍۭ بِقِيعَةٍ﴾ إنها أعمال وهمية كالسراب للعطشى فعليهم ألا ينخدعوا بها ظناً أنها تنفعهم في الآخرة.

وتأتي الآية [٤٦] ﴿لَّقَدْ أَنزَلْنَآ ءَايَٰتٍ مُّبَيِّنَٰتٍ وَٱللَّهُ يَهْدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤٦﴾﴾ تحسم الموقف فتؤكد أنه تعالى قد أنزل القرآن بما فيه من دلائل واضحة على صدق الوحدانية وسلامة التشريع، وأنه تعالى يرشد من يشاء من خلقه ممن اختاروا الإيمان إلى المزيد من الطاعات، فالمولى سبحانه يورد للبشر تلك البينات الواضحات أمام عقولهم، ليصلوا بذلك إلى اختيار الهدى الذي أنزله على خاتم رسله محمد عليه السلام؛ فيكونوا بذلك على الدين القويم والطريق المستقيم.

وتأتي الآية [٤٧] لتتحدث عن المنافقين وما يلابسهم من الأحوال فتقول ﴿وَيَقُولُونَ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَمَآ أُوْلَٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾﴾ فتنفي الآية عنهم زعمهم الإيمان، مؤكدة أن القول لا بد أن يصدقه العمل، فهم لا يسارعون إلا في طاعة ما فيه مصلحة لهم، بينما شتان بينهم وبين المؤمنين بحق حيث تقول عنهم الآية [التالية ٥١] ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥١﴾﴾.

وتؤكد استكمال هذا المعنى الآية [التالية ٥٢] ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخْشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٥٢﴾﴾ وتبيّن الآية [٥٤] ﴿قُلْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُواْ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ

ٱلْمُبِينُ ﴿٥٤﴾﴾ فعلى الرسول ما كلف به من تبليغ الرسالة، وعليكم ما كلفتم به من السمع والطاعة واتباع أمره عليه السلام، وإن أطعتم أمره فقد اهتديتم إلى طريق السعادة والفلاح.

وتجيء السورة بوعد الله تعالى للمؤمنين الصالحين فتقول في الآية [٥٥] ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًاۚ يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْـًٔاۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٥٥﴾﴾ فإن وعد الله لمن اختاروا الإيمان وعمل الصالحات، وإذا كفر منهم أحد بعد ذلك فإنه يخرج عن الحق بفسقه، ويقع في كفر النعمة فيلغى لهم استحقاق الوعد.

وقبل نهاية السورة تعرض الآية [٥٨] الاستئذان على البيوت قبل صلاة الفجر وعند الظهر وبعد العشاء ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِيَسْتَـْٔذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ وَٱلَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُواْ ٱلْحُلُمَ مِنكُمْ ثَلَٰثَ مَرَّٰتٍۚ مِّن قَبْلِ صَلَوٰةِ ٱلْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ ٱلظَّهِيرَةِ وَمِنۢ بَعْدِ صَلَوٰةِ ٱلْعِشَآءِۚ﴾، ثم أمرت الآية [٦٢] الاستئذان من الرسول عليه السلام أو خليفته عندما يكونون مجتمعين لأمر هام ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَإِذَا كَانُواْ مَعَهُۥ عَلَىٰٓ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُواْ حَتَّىٰ يَسْتَـْٔذِنُوهُۚ﴾ فله أو لخليفته أن يأذن لذوي الأعذار لأنهم خرجوا عن الجماعة.

من سورة الفرقان (٢٥)

تورد هذه السورة المكية الكثير من الأدلة والبراهين على وحدانية الله تعالى، فتذكر في الآية الثالثة شيئاً من عجيب صنع المشركين ﴿وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً لَّا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَوٰةً وَلَا نُشُورًا ﴿٣﴾﴾ فكيف فعلوا ذلك وهم يرون عجز هذه الأصنام عن كل شيء!

وترد في الآية [٤] على من اختاروا الكفر من مشركي قريش وأمثالهم على

مدى التاريخ عندما يتهجمون على القرآن الكريم ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ ٱفْتَرَىٰهُ وَأَعَانَهُۥ عَلَيْهِ قَوْمٌ ءَاخَرُونَ ۖ فَقَدْ جَآءُو ظُلْمًا وَزُورًا ﴿٤﴾﴾.

فتأمر الآية [٦] الرسول عليه السلام بالرد عليهم ﴿قُلْ أَنزَلَهُ ٱلَّذِى يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٦﴾﴾.

وتأمر الآية [٩] الرسول عليه السلام ليرد عليهم هجومهم عليه ﴿ٱنظُرْ كَيْفَ ضَرَبُواْ لَكَ ٱلْأَمْثَٰلَ فَضَلُّواْ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴿٩﴾﴾ عندما طلبوا أن يكون الرسول ملكاً لا شخصاً مثلهم، ويكون رجلاً غنياً لا يتيماً فقيراً. فهم بهذه الطلبات وقعوا في الباطل وابتعدوا عن سبل الحق كلها.

وتقول الآية [١٧] عن المشركين يوم الحشر ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَقُولُ ءَأَنتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِى هَٰٓؤُلَآءِ أَمْ هُمْ ضَلُّواْ ٱلسَّبِيلَ ﴿١٧﴾﴾ فباختيارهم وإرادتهم عبدوا الأصنام، وبأعمالهم يضلون غيرهم، وغيرهم بعمله يبتعد عن المعبود الحق ويعبد المعبود الباطل، فالضلال من الإنسان للإنسان والضلال من الإنسان لنفسه ولا جبر ولا إكراه.

وتقول الآية [٢٠] ﴿وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ ۗ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا﴾ فقد جعل سبحانه في تعامل الناس فيما بينهم في الأسواق وغيرها فتنة واختباراً للناس بعضهم ببعض، فالمعافى فتنة للمريض، والغني فتنة للفقير، وهكذا، والمهم من ينجح في هذا الاختبار بالصبر على هذا الابتلاء.

ويوم القيامة ﴿ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ لِلرَّحْمَٰنِ ۚ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ عَسِيرًا ﴿٢٦﴾﴾ في ذلك اليوم تبطل الملكية للمخلوقات وتبقى لله تعالى وحده، في ذلك اليوم يشتد الكرب على من اختاروا الكفر بسبب الأهوال والخزي والهوان التي تلحقهم، في ذلك اليوم يشعر الظالم بالندم لما يناله من العذاب ويتمنى لو لم يصاحب ذلك الضال الذي أبعده عن الحق؛ فالصاحب الضال يبعد صاحبه عن الحق ﴿يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَّقَدْ أَضَلَّنِى عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِى ۗ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا ﴿٢٩﴾﴾ فيضله فيردد هذا الواقع يوم الدين وهو يرى تبرؤ الشيطان منه ومن صاحبه.

وتذكر الآية [٣٢] قول مشركي مكة واليهود وهم يطلبون ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْلَا

نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً﴾ يطلبون أن ينزل القرآن دفعة واحدة كما نزلت التوراة والإنجيل والزبور، فترد عليهم نفس الآية ﴿كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا﴾ فيقوى قلب النبي عليه السلام وهو يرى سهولة حفظ القرآن بهذا التنزيل المتفرق وسهولة فهمه.

وتؤكد الآية [التالية ٣٤] بأن أولئك المنحرفين عن الحق سيكون مصيرهم ﴿إِلَىٰ جَهَنَّمَ أُوْلَٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٣٤﴾﴾ فهم في الخزي والعذاب سواء في طريقهم إلى جهنم أو مستقرهم فيها.

وتكشف الآية [٤١] هزءهم، بالرسول عليه السلام ﴿وَإِذَا رَأَوْكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا ٱلَّذِى بَعَثَ ٱللَّهُ رَسُولًا ﴿٤١﴾﴾ وتنقل الآية [٤٢] عنهم قولهم ﴿إِن كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا لَوْلَآ أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا ۚ وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٢﴾﴾ فهم في اختيارهم عبادة الأصنام وقعوا في السير البعيد عن الحق والهدى، فكانوا كالأنعام بل أبعد عن الصواب من الأنعام، لأنها بفطرتها تهتدي لرزقها، بينما هم يبتعدون عن الحق والصواب في كل ما ينفعهم في الدنيا ويسعدهم في الآخرة.

وبعد أن تدلل الآية [٤٨] ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ ۚ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً طَهُورًا ﴿٤٨﴾﴾ على أهمية الماء في حياة الإنسان ونظافته تذكر الآية [٥٠] ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَٰهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا۟ فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴿٥٠﴾﴾ تذكر بأن في توزيع الماء بين الناس والبلدان ما يثير العقل، ولكن أكثرية الناس ينكرون هذه الأهمية بجحود هذه النعم ونسبتها لغير الله تعالى مما يسمونه المناخ والطبيعة.

وتأمر الآية [٥٢] الرسول عليه السلام ﴿فَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَجَٰهِدْهُم بِهِۦ جِهَادًا كَبِيرًا ﴿٥٢﴾﴾ فاحذرهم فيما يدعونك إليه من اتباع آلهتهم، وواصل جهادك لهم بهذا القرآن بالحجة والبرهان أولاً، ثم بالرد عليهم بالسيف والسنان إن أصروا على الوقوف بالعدوان في طريق الحق والبيان.

وتقول الآية [٥٥] ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ ۗ وَكَانَ ٱلْكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِۦ ظَهِيرًا ﴿٥٥﴾﴾ أن انظر يا محمد؛ أنتَ ومن تبعك إلى الإنسان المشرك والكافر الذي يجد بين يديه كل تلك الأدلة والبراهين، ويقفل عقله دونها ويعبد غير الله

تعالى! فهل هذه الأصنام التي يصنعها بيديه، والتي لا تنفعه ولا تضره في شيء، هي أكثر من وهم وتقليد أعمى من الأبناء للآباء، فيقع الواحد منهم فريسة جهله مسانداً للعصاة المتمردين على ربهم!

وتتحدث السورة في نهايتها عن أوصاف عباد الرحمن، فتذكر منها التائبين المؤمنين الصالحين ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾﴾ فهنيئاً لهم.

من سورة الشعراء (٢٦)

فهذه السورة المكية عالجت أصول الدين كسائر السور المكية، فوقفت مع التوحيد والرسالة والبعث، ثم أخذت بتنبيه اليهود والنصارى إلى ما وعدهم به من إنزال القرآن واضح الآيات ليؤمنوا به وبرسوله ﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ﴾.

ثم خاطبت الرسول عليه السلام بأن لا يهلك نفسه لعدم استجابتهم لدعوته ﴿لَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾﴾ فلن تملك إكراههم على الإيمان يا محمد، فقد أعرض أكثرهم عن الإيمان بك وبرسالتك يا محمد ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٨﴾﴾.

وبعدها تقف السورة ملياً مع قصة موسى عليه السلام، وكيف نصره الله تعالى في النهاية على فرعون وطغمته، وكان من موقف فرعون أن قال له بأنه قتل شخصاً منهم عندما كان كافراً ﴿وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ ٱلَّتِى فَعَلْتَ وَأَنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [١٩] كجاحدين لنعمة تربيتنا لك، فرد عليه موسى عليه السلام ﴿قَالَ فَعَلْتُهَآ إِذًا وَأَنَا۠ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٢٠﴾﴾ أي الجاهلين للحقيقة.

وكان من القصة أن آمن السحرة عندما رأوا معجزة موسى في عصاه وهي تلغي سحرهم ﴿فَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ﴿٤٦﴾﴾ ﴿قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٧﴾﴾ ﴿رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿٤٨﴾﴾ فرد فرعون عليهم ﴿قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ۖ﴾ فقد آمنوا بكامل

إرادتهم واختيارهم برب موسى وهارون، وأعلنوا ﴿إِنَّا نَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَٰيَٰنَآ أَن كُنَّآ أَوَّلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥١﴾﴾.

وتنتهي القصة [بآية ٦٧] ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٦٧﴾﴾ مطمئنة الرسول عليه السلام بأن النصر مع الصبر لا بد آتيك كما أتى أخاك موسى، فلا تحزن لما يفعله مشركو قومك، وربك مؤيدك وناصرك عليهم لا محالة، ولكل أجل كتاب.

ثم تنقل السورة المصطفى عليه السلام إلى قصة لا تقل عبرة عن قصة موسى وفرعون، إنها قصة إبراهيم الخليل والنمروذ، ومن جداله أنه قال للنمروذ وطغمته كيف تعبدون هذه الأصنام التي لا تضر ولا تنفع في شيء ﴿أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ ﴿٧٣﴾﴾ مؤكدة أن في القدرة على النفع والضر دليلاً على القدرة في الخلق والإيجاد.

ثم يتوجه الخليل بالدعاء لوالده ﴿وَٱغْفِرْ لِأَبِىٓ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٨٦﴾﴾ عندما لمس منه أنه ينوي الإيمان، ولولا ذلك لما دعا له أصلاً.

وتشير السورة مع نهاية قصة إبراهيم إلى حال قومه الذين أصروا على الشرك يوم القيامة ﴿تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾﴾ معترفين بأنهم كانوا بعيدين عن الحق كل البعد، وأن زعماءهم هم الذين أبعدوهم عن الحق وأوقعوهم في الضلال ﴿وَمَآ أَضَلَّنَآ إِلَّا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٩٩﴾﴾ فيتمنون لو يرجعون إلى الدنيا ليكونوا بحق على الإيمان وطاعة الرحمن، ولكن هيهات! ﴿فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٢﴾﴾.

فتؤكد الآية [١٠٣] ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٨﴾﴾ تؤكد بأن أكثرية قوم إبراهيم الخليل عليه السلام كانوا غير مؤمنين.

وتأتي السورة بعدها بقصة نوح عليه السلام مع قومه ليزداد المصطفى عليه السلام اطمئناناً وثباتاً، فتقول الآية [١١٤] ﴿وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٤﴾﴾ عندما طلب قوم نوح منه أن يطرد من اتبعه وآمن بدعوته من أراذلهم، وعندما أصر عليه قومه أن يتوقف عن دعوته وإلا رجموه بالحجارة دعا ربه ﴿وَنَجِّنِى وَمَن مَّعِىَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [١١٨] فأنجاهم سبحانه من الطوفان الذي أغرق أكثرية قومه ممن كانوا غير مؤمنين ﴿وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [١٢١] مؤكدة للمصطفى عليه السلام بأن ما عليه

قومك من التكذيب، والتعذيب قد سبقك إليه أقوام إخوانك من الرسل، فاطمئن واصبر على الابتلاء.

ثم تنقل السورة المصطفى عليه السلام مع قصة أخيه هود عليه السلام مع قومه عاد، وتبيّن في النهاية ما حلّ بهم من هلاك بعد إصرارهم على رفض الاستجابة لدعوته فقال تعالى ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَٰهُمْ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾﴾ مؤكدة بأنها قصة كل رسول مع قومه، فلا تبتئس يا محمد بما فعله قومك، واطمئن لنصر الله لك في النهاية.

وتنتقل السورة بعدها إلى قوم ثمود وأخيهم صالح عليه السلام، فتشير إلى إصرارهم على عدم الإيمان معه، بالرغم من تلبية طلبهم ووضع معجزته الناقة بين أيديهم، ولكنهم عقروها ولم يبالوا بما تهددهم به صالح عليه السلام من الجزاء فكانت النتيجة ﴿فَأَخَذَهُمُ ٱلْعَذَابُ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [١٥٨].

وتأتي السورة بعدها على ذِكْرِ قوم لوط عليه السلام، وما انتهوا إليه من الهلاك لإصرارهم على المنكر والفساد في الأرض ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا ۖ فَسَآءَ مَطَرُ ٱلْمُنذَرِينَ﴾ [١٧٣] ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٤﴾﴾ فكان أكثرهم معرضاً عن الإيمان مع رسولهم لوط عليه السلام فنالوا جزاءهم.

ثم تأتي السورة مع القصة الأخيرة، قصة شعيب عليه السلام مع أصحاب الأيكة، وكيف أصروا على تطفيف الكيل والميزان، وعلى الإفساد في الأرض، ورفضوا الاستجابة لرسولهم شعيب ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ ٱلظُّلَّةِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٨٩﴾﴾ ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [١٩٠] فظنوا أن في السحابة التي أظلتهم النجاة من الحر فإذا فيها النار تحرقهم.

فذكّر يا محمد قومك بما حلّ بهؤلاء الأقوام، حتى يعتبروا وينقذوا أنفسهم من مثل ذلك من الهلاك قبل أن يحلّ بهم.

وبعد أن أورد تعالى قصص بعض الأنبياء على رسوله عليه السلام، أورد ما يدل على نبوته من تنزيل هذا القرآن المعجز على قلبه عليه السلام.

وذكّرهم يا محمد بأنه تعالى إذ ينزله عليهم باللغة العربية الواضحة لا تبقى لهم

حجة بعدم الفهم ﴿وَلَوْ نَزَّلْنَٰهُ عَلَىٰ بَعْضِ ٱلْأَعْجَمِينَ ﴿١٩٨﴾ فَقَرَأَهُۥ عَلَيْهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ مُؤْمِنِينَ ﴿١٩٩﴾﴾.

وتقول [الآيتان ٢٠٠ و ٢٠١] ﴿كَذَٰلِكَ سَلَكْنَٰهُ فِى قُلُوبِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٢٠٠﴾ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِۦ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٢٠١﴾﴾ فقد أدخل القرآن في قلوب المجرمين ففهموه وعرفوا فصاحته وتأكدوا من إعجازه، ولكنهم رفضوا الإقرار به وتصديقه مع ظهور إعجازه.

وبعد أن خوف أقاربه عليه السلام من عذاب الله تعالى إن لم يؤمنوا له ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾﴾ أمرته الآية [التالية ٢١٥] ﴿وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢١٥﴾﴾ فعليك أن تلين جانبك لأتباعك المؤمنين، أتباعك الذين اختاروا الإيمان على الكفر، وأن تبرأ ممن يعصيك ويرفض الاعتراف بنبوتك ورسالتك ﴿فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢١٦﴾﴾.

ثم تورد السورة مع قرب نهايتها موقف الشعراء الذين لا يسايرهم إلا الضالون عن الحق، وأنهم ما أسرع ما يمدحون الشيء ثم يذمونه، ويعظّمون الشخص ثم يحقرونه ﴿وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ ﴿٢٢٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِى كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾﴾ ولا يقفون عند ذلك حتى ينسبوا الأعمال السابقة لأنفسهم مع أنهم في حقيقتهم ﴿يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴿٢٢٦﴾﴾ ولا يستثنى من ذلك إلا من اختار الإيمان منهم وعمل الصالحات بالدفاع عن دين الله تعالى، كحسان بن ثابت وكعب بن مالك وعبد الله بن رواحة؛ فإنهم ناصروا الحق ودافعوا عنه، مما يجعلهم ينتظرون الجزاء الطيب عكس ما ينتظره مناصرو الباطل منهم.

من سورة النمل (٢٧)

اهتمت هذه السورة المكية كغيرها من سور العهد المكي بالحديث عن أصول العقيدة: التوحيد والرسالة والبعث، وقد بدأت بالحديث عن معجزة القرآن الكريم،

فالحديث عن قصص الأنبياء بإيجاز، وخصت قصة داود وولده سليمان عليهما السلام بالمزيد من التفصيل.

ففي الآيات الخمس الأولى تحدثت عن القرآن فقالت ﴿طسٓۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡقُرۡءَانِ وَكِتَابٖ مُّبِينٍ ۝١﴾ ﴿هُدٗى وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُؤۡمِنِينَ ۝٢﴾ ﴿ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ ۝٣﴾ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمۡ أَعۡمَٰلَهُمۡ فَهُمۡ يَعۡمَهُونَ ۝٤﴾ ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَهُمۡ سُوٓءُ ٱلۡعَذَابِ وَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ هُمُ ٱلۡأَخۡسَرُونَ ۝٥﴾.

فقد بيّنت أن القرآن يتضمن الهدى والبشارة لمن اختاروا الإيمان والتزموا بإقامة الصلاة وأداء الزكاة، والإيمان بيوم القيامة. وأنذرت من اختاروا إنكار الآخرة بسوء العذاب والخسارة في الدنيا والآخرة.

وبعد وقفة سريعة مع قصة موسى عليه السلام وهو عائد بأهله من مدين إلى مصر، تقف بتفصيل أكثر مع قصة داود وسليمان عليهما السلام، فنجدها تبدأ بهما وهما يحمدان الله تعالى على ما أنعم عليهما من الفضل الكثير ﴿وَقَالَا ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٖ مِّنۡ عِبَادِهِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [١٥] أي الذين اختاروا الإيمان على الكفر.

ثم تذكر موقف طائر الهدهد وهو يبرر سبب تأخره عن الاجتماع مع رئيسه سليمان، بأنه كان في أرض سبأ حيث وجد ملكتهم بلقيس تعبد الشمس من دون الله هي وقومها، وهم بذلك لا يعرفون حقيقة الهدى ﴿فَهُمۡ لَا يَهۡتَدُونَ﴾ [٢٤] فأرسله سليمان مع كتاب موجه لها يدعوها للإسلام ﴿أَلَّا تَعۡلُواْ عَلَيَّ وَأۡتُونِي مُسۡلِمِينَ﴾ [٣١] أي مؤمنين بالله خاضعين لأمره ونهيه.

وطلب سليمان عليه السلام من أحد أتباعه من الجن أن يأتيه بعرشها قبل أن تأتي هي وقومها خاضعين لله تعالى ﴿قَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَؤُاْ أَيُّكُمۡ يَأۡتِينِي بِعَرۡشِهَا قَبۡلَ أَن يَأۡتُونِي مُسۡلِمِينَ ۝٣٨﴾.

وعندما رأى سليمان العرش أمامه شكر الله تعالى على فضله عليه ﴿فَلَمَّا رَءَاهُ مُسۡتَقِرًّا عِندَهُۥ قَالَ هَٰذَا مِن فَضۡلِ رَبِّي لِيَبۡلُوَنِيٓ ءَأَشۡكُرُ أَمۡ أَكۡفُرُۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشۡكُرُ لِنَفۡسِهِۦۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيّٞ كَرِيمٞ﴾ [٤٠].

ثم طلب من أتباعه أن يغيروا شيئاً من مظهر العرش ليرى هل تعرفه أم لا، فظنته بأنه هو ﴿قَالَتۡ كَأَنَّهُۥ هُوَۚ﴾ [٤٢] وأعلنت أنها مسلمة كما هو سليمان وخاضعة

لله رب العالمين، بعد أن رأت ما رأت من المعجزات التي منحها تعالى لنبيه سليمان.

ومع نهاية قصة ثمود مع أخيهم صالح عليه السلام تقول السورة ﴿فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةًۢ بِمَا ظَلَمُوٓاْۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥٢﴾﴾ ﴿وَأَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿٥٣﴾﴾ فيأمر المولى سبحانه رسوله محمداً عليه السلام أن ينظر كيف دمرهم جزاء مكرهم ضد نبيه صالح وتكذيبهم له، ولم ينجُ منهم أحد إلا من اختاروا الإيمان مع صالح.

وبعد أن تشير السورة إلى قصة لوط عليه السلام مع قومه، وكيف دمرهم تعالى، تورد مجموعة من نقاط التذكير للمصطفى عليه السلام وأتباعه، فتورد خلق السماوات والأرض وما فيها من مياه وجبال وحدائق، وتطلب منه عليه السلام أن يسأل قومه عمن يرشدهم إلى الطريق في الليل والنهار وهم يجهلون المفاجآت ﴿أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾ [٦٣].

وتذكر ما اعتاد المشركون على قوله بعد إنكار البعث ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا وَءَابَآؤُنَآ أَئِنَّا لَمُخْرَجُونَ ﴿٦٧﴾﴾.

وتقول عن القرآن ﴿وَإِنَّهُۥ لَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٧﴾﴾ بما فيه من بيان للتوحيد والأحكام لخير الدنيا والآخرة، فهو رحمة لمن اختاروا الإيمان به وبأحكامه وساروا عليها.

ثم تخاطب الآية [٨١] النبي محمداً عليه السلام بألّا يحزن على إصرارهم على الشرك ﴿وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِى ٱلْعُمْىِ عَن ضَلَٰلَتِهِمْۖ إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ ﴿٨١﴾﴾ فإن من اختاروا الضلال والبعد عن الحق، وأصروا على عدم رؤية الحق لا يستجيبونَ لك يا محمد، واطمئن بأن من اختاروا الإيمان والخضوع لرب العالمين هم فقط من سيستمع لكلامك ودعواتك ويستجيب لها.

وتذكرهم الآية [٨٦] ﴿أَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّا جَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِيَسْكُنُواْ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًاۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٨٦﴾﴾ تذكرهم بأن الله تعالى قد جعل لهم الليل للراحة والسكون من متاعب السعي على الرزق وغيره، كما جعل النهار منيراً ليسهل عليهم

الحركة فيه دون تكلف ولا مؤنة، وأن في الأمرين ما يدل على تدبير العزيز الحكيم الذي يدركه من اختاروا الإيمان به تعالى وبأحكامه وتشريعاته.

وتعلن الآية [٩١] ﴿إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَٰذِهِ ٱلْبَلْدَةِ ٱلَّذِى حَرَّمَهَا وَلَهُۥ كُلُّ شَىْءٍ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٩١﴾﴾ مبيّنة ما أمر الله تعالى به نبيه بحق مكة من التحريم، وما أمره به من الخضوع لله رب العالمين في كل أمر ونهي.

كما أمر عليه السلام ﴿وَأَنْ أَتْلُوَا۟ ٱلْقُرْءَانَ ۖ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿٩٢﴾﴾ أي أعلم مشركي زمانك وكل زمان بأن من اهتدى باختيار الإيمان على الكفر، والتزام أحكام القرآن والسنة فله ثواب هدايته، وأما من رفض ذلك واختار الضلال والبعد عن الحق فليس عليك يا محمد إلا إنذاره وتبليغه.

من سورة القصص (٢٨)

تتمحور هذه السورة المكية حول فكرة الحق والباطل، ومنطق الإيمان والطغيان، فأوردت قصة طغيان فرعون، وقصة طغيان قارون، وجاء رمز الطغيان في هذه الحياة شاملاً للمال والسلطان. فبدأت بالحديث عن طغيان فرعون ومنطقه في كل زمان ومكان، وربطت ذلك بممارسة ذلك ضد موسى عليه السلام وقومه بني إسرائيل، ثم تحدثت عن قصة قارون وأبرزت الفارق بين منطق الإيمان ومنطق الطغيان، وختمت السورة بالتوجيه لطريق السعادة طريق الإيمان بالرسل الكرام.

وقد بدأت السورة بدعوة المصطفى عليه السلام بأن يعلم بأن ما يتلى عليه هو الصدق الذي لا يشك فيه مؤمن بالقرآن ﴿نَتْلُوا۟ عَلَيْكَ مِن نَّبَإِ مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ بِٱلْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٣﴾﴾.

وتأتي الآية [١٠] ﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَٰرِغًا ۖ إِن كَادَتْ لَتُبْدِى بِهِۦ لَوْلَآ أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠﴾﴾ تأتي هذه الآية لتطمئن أم موسى إلى وعد الله تعالى لها بأنه سيعيده إليها، مما يذهب خوفها ويبقيها على الإيمان. إنه التدخل الرباني المباشر، وعندما أغاث موسى رجلاً من بني إسرائيل ضد القبطي لأنه رآه

على الحق، فدفعه بيده ليبعده عنه فقتلته الدفعة دون أن يقصد ذلك، عندما فعل ذلك قال ﴿هَٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۖ إِنَّهُۥ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ﴾ [١٥] واعترف بذنبه وطلب المغفرة من ربه فغفر له ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى فَٱغْفِرْ لِى فَغَفَرَ لَهُۥٓ ۚ﴾ [١٦].

ولما علم بأن فرعون يريد قتله هرب إلى مدين ﴿وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَآءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَىٰ رَبِّىٓ أَن يَهْدِيَنِى سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿٢٢﴾﴾ فقد دعا ربه أن يدله على الطريق السليم.

وأثناء رجوعه من مدين إلى مصر كلفه ربه بالذهاب لفرعون لدعوته للإيمان والتخلي عن الكفر والطغيان، فاعتبر فرعون ما يراه من موسى ويقوله من السحر فرد عليه موسى ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ رَبِّىٓ أَعْلَمُ بِمَن جَآءَ بِٱلْهُدَىٰ مِنْ عِندِهِۦ وَمَن تَكُونُ لَهُۥ عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِ ۖ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٣٧﴾﴾ مبيّناً لفرعون أن ما جاءهم به من ربه هو الهدى بدلاً من الضلال الذي هم عليه، وأكد لهم بأن الجزاء الطيب سيكون للمؤمنين والخسران للظالمين.

وتقول الآية [٤٣] ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ ٱلْأُولَىٰ بَصَآئِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٣﴾﴾ مذكرة المصطفى عليه السلام بأن الله قد أنزل التوراة بعد إهلاك الأقوام السابقين وإخبار بني إسرائيل بذلك ليبصروا حقيقة ما هم عليه، ويهتدوا للحق بالتوراة، ويلمسوا رحمة الله بهم عندما يؤمنون بالقرآن.

وتقول الآية [٤٧] ﴿وَلَوْلَآ أَن تُصِيبَهُم مُّصِيبَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُوا۟ رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾﴾ فإن مشركي قريش ما إن تُصِبْهُمْ مصيبة جزاء كفرهم، حتى يطلبوا رسولاً غيرك لعدم إيمانهم بك ودعواهم للإيمان مع الرسول الآخر، ولكنهم كذبوه.

وتحسم الآية [٤٨] الموقف معهم ﴿فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ مِنْ عِندِنَا قَالُوا۟ لَوْلَآ أُوتِىَ مِثْلَ مَآ أُوتِىَ مُوسَىٰٓ ۚ أَوَلَمْ يَكْفُرُوا۟ بِمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ ۖ قَالُوا۟ سِحْرَانِ تَظَٰهَرَا وَقَالُوٓا۟ إِنَّا بِكُلٍّ كَٰفِرُونَ ﴿٤٨﴾﴾ فقد كفروا بالتوراة واعتبروا موسى وهارون مجرد ساحرين، ولم يؤمنوا معهما لأن التوراة والإنجيل بشرتا بمحمد عليه السلام فأمر تعالى رسوله محمد عليه السلام ﴿قُلْ فَأْتُوا۟ بِكِتَٰبٍ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَآ أَتَّبِعْهُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٩﴾﴾ فبالطبع لم يقدروا ولن يقدروا على ذلك، مما يؤكد اتباعهم الهوى

الذي يبعدهم عن هدى الله الذي يحرمهم من التوفيق ما داموا يصرون على ظلم أنفسهم بالكفر.

وتبين الآية [٥٢] أن من بني إسرائيل من يؤمن بالقرآن كعبد الله بن سلام ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِهِۦ هُم بِهِۦ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾﴾.

وتقول الآية [٥٦] ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾﴾.

فأنت يا محمد لن تستطيع أن تكره عمك أبا طالب على الدخول في الإيمان مهما أحببت ذلك، فقد وضعت الهدى بين يديه، وله وحده الاختيار، والله تعالى يوفق من يشاء الهداية إليها لأنه سبحانه يعلم الطالب لها من المعرض عنها.

وأما الآية [٥٧] ﴿وَقَالُوٓا۟ إِن نَّتَّبِعِ ٱلْهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَآ ۚ أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا ءَامِنًا يُجْبَىٰٓ إِلَيْهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَىْءٍ رِّزْقًا مِّن لَّدُنَّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ فهذا زعم كاذب لأن أحداً لن يجتاحهم لحرمة الحرم.

وتقول الآية [٦٤] ﴿وَقِيلَ ٱدْعُوا۟ شُرَكَآءَكُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَهُمْ وَرَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ۚ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَهْتَدُونَ ﴿٦٤﴾﴾ فهذا حالهم يوم الحساب عندما يدعون أصنامهم التي عبدوها فلا تلبي الدعاء، وعندها يتمنون لو كانوا مؤمنين بالله ورسوله حتى لا يقعوا في هذا العذاب.

وتطمئن الآية [٦٧] التائبين منهم ﴿فَأَمَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَعَسَىٰٓ أَن يَكُونَ مِنَ ٱلْمُفْلِحِينَ ﴿٦٧﴾﴾ بأنهم إن أحسنوا الإيمان والقيام بالأعمال الصالحة فإنهم سيفوزون في الآخرة بالنعيم المقيم.

وتقول الآية [٧٥] ﴿وَنَزَعْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا فَقُلْنَا هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ فَعَلِمُوٓا۟ أَنَّ ٱلْحَقَّ لِلَّهِ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٧٥﴾﴾ فإنهم عندما يدعون أصنامهم لا تستجيب لهم، فيؤتى بالنبي المرسل ليشهد عليهم أنه بلغهم فإنهم لن يجدوا حجة يبررون بها كفرهم، وعندها سيعلمون صدق ما جاء به الأنبياء ويذهب كل ما كانوا يختلقونه من أكاذيب على الله تعالى من وجود آلهة تعبد مع الله تعالى.. ويدركون أن الحق فيما يُدْعَوْنَ إليه من الإسلام وأن الباطل يمحو كل ما سواه.

وتؤكد الآية [٨٢] ﴿وَيْكَأَنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٢﴾﴾ بأن الفلاح للمؤمنين لا غير.

وتقول الآية [٨٥] ﴿رَّبِّىٓ أَعۡلَمُ مَن جَآءَ بِٱلۡهُدَىٰ وَمَنۡ هُوَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ۝٨٥﴾ بأن الله وحده الذي يعلم أنك يا محمد قد جئتهم بالهداية وأن غيرك هم البعيدون عن الحق.

سورة العنكبوت (٢٩)

هذه السورة المكية تتعرض لأصول العقيدة من وحدانية ورسالة وبعث وجزاء، وتدور حول الابتلاء في هذه الحياة سواء ابتلاء الأنبياء أو الناس عامة، فتذكر الأمثلة على مدار تاريخ الأقوام وتبدأ بالآية الثانية ﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ ۝٢﴾ فلا مجال لهذا الظن، إذ لا بد من الامتحان ليتميز الصادق من الكاذب ليوطن الصادق نفسه على الصبر مهما كان الأذى كبيراً في الإيمان.

ولذلك تأتي [الآيتان ٦ و ٧] ﴿وَمَن جَٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفۡسِهِۦٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ عَنِ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٦﴾ ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنۡهُمۡ سَيِّـَٔاتِهِمۡ وَلَنَجۡزِيَنَّهُمۡ أَحۡسَنَ ٱلَّذِى كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ۝٧﴾ تأتيان لتؤكدا أن الصبر على الأذى والثبات على الإيمان هو مردود لصاحبه ينال أعظم الجزاء عنه من الغنى بحق الخلق جميعاً، فهو سبحانه يجزي على ذلك بتكفير السيئات والجزاء بأحسن الثواب جزاء اختيار الإيمان والقيام بصالح الأعمال، كيف لا وهم ضمن الناس الصالحين في اعتبار رب العلمين ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُدۡخِلَنَّهُمۡ فِى ٱلصَّٰلِحِينَ ۝٩﴾.

وأما [الآيات ١٠و١١و ١٢] فتحذر من خطورة السقوط في اختبار الأذى ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ فَإِذَآ أُوذِىَ فِى ٱللَّهِ جَعَلَ فِتۡنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ وَلَئِن جَآءَ نَصۡرٌ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمۡۚ أَوَلَيۡسَ ٱللَّهُ بِأَعۡلَمَ بِمَا فِى صُدُورِ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ ﴿وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ ۝١١﴾ ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّبِعُواْ سَبِيلَنَا وَلۡنَحۡمِلۡ خَطَٰيَٰكُمۡ وَمَا هُم بِحَٰمِلِينَ مِنۡ خَطَٰيَٰهُم مِّن شَىۡءٍۖ إِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ ۝١٢﴾.

فاحذروا يا من اخترتم الإيمان بالله من عذاب الناس وأذاهم بعذاب الله الذي

ينتظر المنافقين والكفار، وإياكم أن تستجيبوا لزعمهم من حمل خطاياكم، فهم كاذبون؛ إذ لكُلٍّ خطاياه؛ ولا تزر وازرة وزر الآخرين.

وها هم أنبياء الله تعالى ورسله أكبر دليل على ذلك، فقد بقي نوح عليه السلام يدعو قومه تسعمائة وخمسين عاماً وهم يرفضون الاستجابة ﴿فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَصْحَٰبَ ٱلسَّفِينَةِ وَجَعَلْنَٰهَآ ءَايَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٥﴾﴾ فحلّ بهم هذا الجزاء.

ودعا إبراهيم عليه السلام قومه ﴿وَإِبْرَٰهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ ۖ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٦﴾﴾ فلم يختاروا الإيمان معه فقال لهم إنهم ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَلِقَآئِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ يَئِسُوا۟ مِن رَّحْمَتِى وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٣﴾﴾ قد اختاروا عذاب الله تعالى ورفضوا رحمته، وأكد لهم أن من اختار الإيمان يجد في ما حصل بين إبراهيم عليه السلام وقومه أكبر دليل على قوة الإيمان ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [٢٤].

وتؤكد الآية [٢٦] ﴿فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٌ﴾ وهاجر معه إلى بلاد الشام هرباً من عذاب قومه.. إنه اختيار الإيمان والهرب به حيث يعيش معه وله.

وامتحن شعيب عليه السلام في قومه مدين ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ﴾ كما امتحن هود وصالح عليهما السلام، وموسى عليه السلام كان له امتحان شديد مع فرعون وهامان وقارون، فماذا كانت النتيجة؟ ﴿فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٠﴾﴾ فهل كان الجزاء إلا من جنس العمل، وهل كان الجزاء إلا بظلمهم لأنفسهم؟ وهل ظنوا أنه سبحانه لا يعلم ما يفعلون ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٤٢﴾﴾ ولا شك أن في ذلك عبرة وعظة لكل من اختار الإيمان ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾.

وتأمر الآية [٤٦] الرسول عليه السلام ومن تبعه إلى يوم الدين ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ ۖ وَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمْ وَٰحِدٌ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿٤٦﴾﴾ تأمرهم بمجادلة أهل الكتاب بالأسلوب الحواري الحسن، ولا يستثنى من ذلك إلا تلك الفئة التي اعتدت على

المسلمين وظلمتهم؛ فإنها تجادل إما بالقتال أو الجزية، وتأمرهم بأن يقولوا لهم بأنهم يؤمنون بالله تعالى الذي أنزل التوراة والإنجيل.

وتؤكد الآية [٤٧] ﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۖ وَمِنْ هَٰٓؤُلَآءِ مَن يُؤْمِنُ بِهِۦ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٤٧﴾﴾ تؤكد أن الله تعالى قد أنزل القرآن إليك يا محمد، وأن من نزلت عليهم الكتب السابقة كانوا يؤمنون بالقرآن قبل نزوله تبعاً لكتبهم التي أشارت إليه مسبقاً.

وتبيّن [الآيتان ٥١ و ٥٢] بأن الله تعالى قد تحداهم بهذا القرآن ليأتوا بمثله فعجزوا، فهو الرحمة لهم في الدنيا وفي الآخرة، والله تعالى يكفي شاهداً على صدق ما تقوله يا محمد، فعليهم أن يصدقوا بعبادة الله تعالى وحده ويكفروا بغيره وإلا خسروا دنياهم وآخرتهم ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾﴾ ﴿قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا ۖ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْبَٰطِلِ وَكَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٥٢﴾﴾.

وها هي الآية [٥٤] تكشف عن استخفافهم بتهديده عليه السلام لهم بالعذاب ﴿يَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٥٤﴾﴾.

وأما من اختاروا الإيمان وصالح الأعمال فلهم الجنة جزاءً وفاقاً ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ غُرَفًا﴾ [٥٨].

والآية [٦٦] تكشف سرعة عودة الكافر إلى كفره بعد نجاته من مصيبته ﴿لِيَكْفُرُوا۟ بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ﴾ وتبيّن الآية [٦٧] إيمانهم بالباطل من أصنامهم ورفض نعمة الله عليهم بتحريم مكة ﴿أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ ٱللَّهِ يَكْفُرُونَ﴾ وتكون النتيجة ﴿جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَٰفِرِينَ﴾ [٦٨].

وتبيّن الآية [٦٩] بأن الله تعالى يدل المجاهد لله على الطريق القويم ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾﴾.

من سورة الروم (٣٠)

تبدأ هذه السورة المكية بذكر معجزة من معجزات القرآن ألا وهي غلبة الروم وانتصارهم على الفرس خلال تسع سنين، وقد حدث ذلك فعلاً ﴿وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ۝٣ فِي بِضۡعِ سِنِينَۗ﴾ [٣ ـ ٤].

ثم تؤكد أن المؤمنين المسلمين سيفرحون للروم بانتصارهم على الفرس لأنهم كانوا أهل دين سماوي بينما الفرس وثنيون ﴿وَيَوۡمَئِذٖ يَفۡرَحُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾ [٤] مما يبيّن أن من اختاروا الإيمان سيسرون لمن اختاروا كتاباً سماوياً.

وتواسي الآية [٨] الرسول عليه السلام ﴿وَإِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلنَّاسِ بِلِقَآيِٕ رَبِّهِمۡ لَكَٰفِرُونَ﴾ فلا تحزن يا محمد لذلك إذ اختاروا الكفر والجحود كما هو حال مشركي مكة.

وتؤكد الآية [٩] بأن تلك الأقوام السابقة التي اختارت الكفر قد ظلمت نفسها ولم يظلمها ربها ﴿فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظۡلِمَهُمۡ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ﴾ لأنهم أصروا على الجحود وإنكار الحق فنزل بهم العقاب.

وتتحدث [الآيتان ١٢ و ١٣] عما ينتهي إليه أولئك الكافرون ﴿وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُبۡلِسُ ٱلۡمُجۡرِمُونَ ۝١٢﴾ ﴿وَلَمۡ يَكُن لَّهُم مِّن شُرَكَآئِهِمۡ شُفَعَٰٓؤُاْ وَكَانُواْ بِشُرَكَآئِهِمۡ كَٰفِرِينَ ۝١٣﴾ فسيكونون في حيرة من أمرهم، ولن يجدوا من يشفع لهم من أصنامهم ومعبوداتهم من دون الله تعالى.

وشتان بينهم وبين من اختاروا الإيمان وصالح الأعمال [١٥و١٦] ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَهُمۡ فِي رَوۡضَةٖ يُحۡبَرُونَ ۝١٥﴾ ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَلِقَآيِٕ ٱلۡأٓخِرَةِ فَأُوْلَٰٓئِكَ فِي ٱلۡعَذَابِ مُحۡضَرُونَ ۝١٦﴾ فمن اختاروا الإيمان وصالح الأعمال يتنعمون بالجنة، ومن اختاروا الكفر والتكذيب يقيمون في العذاب.

ثم تتحدث السورة في الآية [٢٩] ﴿بَلِ ٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَهۡوَآءَهُم بِغَيۡرِ عِلۡمٖۖ فَمَن يَهۡدِي مَنۡ أَضَلَّ ٱللَّهُۖ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ۝٢٩﴾ تتحدث عن كفار قريش وأمثالهم،

وكيف تسقط دعواهم بشراكة للخلق مع الله تعالى، وبذلك تكون عبادتهم للأصنام مجرد اتباع للهوى وتقليد أعمى للآباء الذين كانوا قد ضلوا عندما اختاروا البعد عن الهوى وانتهوا إلى فقدان الناصر والمعين لهم يوم الدين.

ثم تحدث السورة الرسول عليه السلام في [الآيتين ٣٣ و ٣٤] بما يفعله من اختاروا الكفر والشرك عندما تحل بهم مصيبة ﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلنَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْاْ رَبَّهُم مُّنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَآ أَذَاقَهُم مِّنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾ ﴿لِيَكْفُرُواْ بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْۚ فَتَمَتَّعُواْ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣٤﴾﴾ فهم يعودون بالدعاء إلى ربهم، وأما عند النعمة فإن منهم من يسندها لنفسه وينكر فضل الله عليه.

وتبيّن الآية [٣٧] ﴿أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوْمٖ يُؤْمِنُونَ ﴿٣٧﴾﴾ تبيّن أن الله تعالى وحده هو الذي يوسع الرزق أو يضيقه في هذه الدنيا على الناس، وذلك من باب ابتلاء الخير للمؤمن بالسعة أو بالضيق، فلا شك أن من اختاروا الإيمان وحدهم هم الذين يعتبرون بذلك، وهم وحدهم الفائزون ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [٣٨].

وتؤكد الآية [٤١] ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِي عَمِلُواْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾﴾ بأن هذا الفساد بالمعاصي الكثيرة سببه سوء أعمال الناس.

وتؤكد الآية [٤٤] ﴿مَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُۥۖ وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحٗا فَلِأَنفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ﴾ تؤكد بأن من اختار الكفر فسيتحمل جزاءه، ومن اختار العمل الصالح فسينال جزاءه، وشتان بين الجزاءين، ﴿لِيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن فَضْلِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٤٥﴾﴾.

وتؤكد الآية [٤٧] ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾﴾ أن الله تعالى قد جعل لمن اختاروا الإيمان حقاً عنده.

وتؤكد الآية [٥١] ﴿وَلَئِنْ أَرْسَلْنَا رِيحٗا فَرَأَوْهُ مُصْفَرّٗا لَّظَلُّواْ مِنۢ بَعْدِهِۦ يَكْفُرُونَ ﴿٥١﴾﴾ بأنهم ينكرون نعم الله السابقة

كما تؤكد الآية [٥٣] ﴿وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِ ٱلْعُمْيِ عَن ضَلَٰلَتِهِمْۖ إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ﴾ عدم استجابتهم.

كما تؤكد الآية [٥٩] ﴿كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۝٥٩﴾ إصرارهم على الكفر، وإقفال قلوبهم على الباطل.

من سورة لقمان (٣١)

تعالج هذه السورة المكية أصول العقيدة كغيرها من السور المكية وهي الوحدانية والنبوة والبعث والنشور.

وقد بدأت بذكر القرآن المعجزة الخالدة بما هو عليه ﴿هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ﴾ من توفير الهداية والتوفيق في المعتقدات والأعمال لمن أحسنوا في ذلك، ولمن اتبعوا هدى ربهم فكانوا من الفائزين ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝٥﴾.

وتبيّن الآية [٨] ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلنَّعِيمِ ۝٨﴾ مصير من اختاروا الإيمان وصالح الأعمال.

وتؤكد الآية [١١] ﴿هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦۚ بَلِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ۝١١﴾ تؤكد أن الله تعالى وحده الخالق والمعبود وكل ما دونه افتراء.

وتقول الآية [١٢] ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ أَنِ ٱشْكُرْ لِلَّهِۚ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ۝١٢﴾ مبيّنة بأن من يكفر نعم الله تعالى فيجحدها فإن الله تعالى غني عن طاعته ومحسن للمحسن.

وتلفت الآية [٢٣] نظر الرسول عليه السلام إلى أن ﴿وَمَن كَفَرَ فَلَا يَحْزُنكَ كُفْرُهُۥٓۚ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ۝٢٣﴾ فلا تحزن لبقاء الكافر على كفره، فعليه الجزاء في ذلك.

وتتحدث الآية [٣٢] عن المقارنة بين المؤمن والكافر فتقول ﴿وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَٱلظُّلَلِ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ فَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌۚ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ ۝٣٢﴾ فالكافر يلجأ إلى الله عند الغرق ويكفر به بعد النجاة، بينما المؤمن يصدق في دعائه للنجاة ويشكر نعمته بعد النجاة، فالذي اختار الإيمان

يتمسك بدينه وطاعة ربه ويمجد نعمته بعد النجاة وقبلها، بينما الغدار الكافر بالنعمة هو المنكر لها.

من سورة السجدة (٣٢)

تبتدئ هذه السورة المكية بالدفاع عن القرآن الكريم بأنه منزل من رب العالمين وليس مختلقاً من أحد من البشر، لا من الرسول عليه السلام ولا من غيره ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۚ بَلْ هُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٣﴾﴾ فعسى أن تصل مكة الأمية للهداية بهذا القرآن الذي نزل عليها.

وتقول الآية [١٠] ﴿وَقَالُوٓاْ أَءِذَا ضَلَلْنَا فِى ٱلْأَرْضِ أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍۭ ۚ بَلْ هُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمْ كَٰفِرُونَ ﴿١٠﴾﴾ بأن مشركي مكة كانوا يستبعدون أن يبعثوا من جديد بعد أن يكونوا قد تفتت أجسامهم واختلطت بالتراب، وهم في الحقيقة منكرون ليوم البعث.

وتؤكد الآية [١٣] ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَءَاتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَىٰهَا﴾ بأن الله تعالى قد قضى وقدر لكل نفس أن تختار بين الهدى والضلال، ولم يفرض عليها أي من الأمرين، مما يؤدي بالبشر للنار أو الجنة حسب اختيارهم.

ثم تؤكد [الآيات ١٨ و ١٩ و ٢٠] الفرق بين من اختاروا الإيمان ومن رفضوه ﴿أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا ۚ لَّا يَسْتَوُۥنَ ﴿١٨﴾ أَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْمَأْوَىٰ نُزُلًۢا بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فَسَقُواْ فَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ ۖ كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخْرُجُواْ مِنْهَآ أُعِيدُواْ فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٠﴾﴾ مبينة مصير كل منهما حسب اختياره.

وتذكر الآية [٢٣] أن التوراة أنزلت لهداية بني إسرائيل، فكان منهم أئمة للهدى ﴿وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٢٣﴾﴾ ولكنهم اختلفوا وتفرقوا والله تعالى كفيل بهم وبمحاسبتهم، وأما أنتم يا كفار قريش لم لا تعتبرون بهم وتسمعونَ هذه الموعظة

﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم﴾ [٢٦] وإياكم أن تظنوا أن الإيمان عند مجيء يوم القيامة ينفعكم لأنه لا تقبل التوبة عندها من أحد.

من سورة الأحزاب (٣٣)

تعرضت هذه السورة المدنية لبعض الأحكام والتشريعات الإلهية فيما يتصل بآداب الوليمة والستر والحجاب وعدم التبرّج وكيفيّة معاملة الرسول عليه السلام، وفيما يتصل بأحكام الظهار والتبني والإرث وزواج مطلقة الابن بالتبني وتعدد زوجات الرسول عليه السلام وحكم الصلاة على النبي عليه السلام، وفيما يتصل بغزوة الخندق أو الأحزاب وما داخلها من مكر المنافقين وخيانة اليهود في نقضهم للعهود.. فبدأت ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١﴾﴾ فيأمر المولى رسوله بألّا يخشى أحداً غير الله تعالى مهما تألبوا عليه.

وبيّنت الآية [٤] تحريم الظهار والتبني ﴿وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمُ اللَّائِي تُظَاهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَاتِكُمْ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَاهِكُمْ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ ﴿٤﴾﴾ مؤكدة أن الحق والصواب هو ما يقوله تعالى في تشريعه وليس ما يقولونه بأفواههم، وأن تشريعه تعالى هو الهادي للطريق السليم، فعليكم باختياره من بين التشريعات الكثيرة.

وأكدت الآية [٦] ﴿النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾ بأن أمر النبي لهم مقدم على كل أمر مهما زينته النفس، فيجب طاعته عليه السلام قبل طاعتهم لأنفسهم، كما أكدت التوارث بالقرابة وألغت التوارثَ بالهجرة كما كان أول الهجرة مع الإبقاء على الإيمان.

وحذرت الآية [٨] من مداهنة المنافقين والكافرين، وسيسأل الصادقين الأنبياء عن تبليغهم ما أمروا به سؤال تقرير ليشهدوا على أقوامهم الذين استجابوا أو قصروا أو أعرضوا، ويأتي للكافرين ما أعد لهم من عذاب ﴿لِّيَسْأَلَ الصَّادِقِينَ عَن صِدْقِهِمْ وَأَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٨﴾﴾.

وتبيّن الآية [٩] نعمة الله تعالى بنصره للمؤمنين بالريح القاصف والجنود من الملائكة ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ جَآءَتۡكُمۡ جُنُودٞ فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ رِيحٗا وَجُنُودٗا لَّمۡ تَرَوۡهَاۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرًا ٩﴾ مما يجزم أن النصر بيد الله تعالى وحده في النهاية، والمهم أن يصدق من اختاروا الإيمان في قتالهم لأعدائهم.

وليذكروا أن الابتلاء في المعارك وارد بما يدخلها من كر وفر ﴿هُنَالِكَ ٱبۡتُلِيَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَزُلۡزِلُواْ زِلۡزَالٗا شَدِيدٗا ١١﴾.

وأما المنافقون فقد برزوا أمام الابتلاء بما قاموا به من تثبيط للمؤمنين عن القتال ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَمۡ يُؤۡمِنُواْ فَأَحۡبَطَ ٱللَّهُ أَعۡمَٰلَهُمۡۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٗا﴾ [١٩] فكانوا مع الكافرين بأعمالهم الفاشلة، وظهروا أمام المؤمنين على حقيقتهم وهم يتهجمون عليهم ويثبطونهم.

ولكن الحال مع المؤمنين كان غير ذلك ﴿مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ رِجَالٞ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيۡهِۖ فَمِنۡهُم مَّن قَضَىٰ نَحۡبَهُۥ وَمِنۡهُم مَّن يَنتَظِرُۖ وَمَا بَدَّلُواْ تَبۡدِيلٗا ٢٣﴾ ﴿لِّيَجۡزِيَ ٱللَّهُ ٱلصَّٰدِقِينَ بِصِدۡقِهِمۡ وَيُعَذِّبَ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ إِن شَآءَ أَوۡ يَتُوبَ عَلَيۡهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا﴾ [٢٢و٢٣] فقد اختاروا الإيمان والطاعة دون تردد في الاستشهاد.

وأبرزت الآية [٢٥] نتيجة المعركة ﴿وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِغَيۡظِهِمۡ لَمۡ يَنَالُواْ خَيۡرٗاۚ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱلۡقِتَالَۚ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزٗا ٢٥﴾ فقد انتهت بانسحاب كفار قريش وأنصارهم من أرض المعركة، وانتهى الأمر دون قتال بين الطرفين.

ثم تتحدث الآية [٣٥] عن عدم التمييز بين الرجال والنساء في التكاليف الشرعية وبالتالي المغفرة والأجر ﴿إِنَّ ٱلۡمُسۡلِمِينَ وَٱلۡمُسۡلِمَٰتِ وَٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ وَٱلۡقَٰنِتِينَ وَٱلۡقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلۡخَٰشِعِينَ وَٱلۡخَٰشِعَٰتِ وَٱلۡمُتَصَدِّقِينَ وَٱلۡمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلۡحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمۡ وَٱلۡحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغۡفِرَةٗ وَأَجۡرًا عَظِيمٗا ٣٥﴾.

وتبيّن الآية [٣٦] ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤۡمِنٖ وَلَا مُؤۡمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمۡرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلۡخِيَرَةُ مِنۡ أَمۡرِهِمۡۗ وَمَن يَعۡصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلٗا مُّبِينٗا ٣٦﴾ بأن المؤمن لا يملك أن يعصي أمر الرسول عليه السلام، فوافقت زينب على الزواج من زيد بعد

الرفض، إذ كان مولى أسود وهي سيدة قرشية، لأن من يعصي الله ورسوله يبتعد عن الحق بشكل واضح.

ولكن بعد أن طلق زيد زينباً نتيجة لعدم الاتفاق بينهما أمر الله تعالى رسوله محمداً عليه السلام أن يتزوجها ليزيل تلك العادة الجاهلية التي كانت سائدة من عدم زواج مطلقة من كان دعياً أو متبنّى ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِىٓ أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ إِذَا قَضَوْا۟ مِنْهُنَّ وَطَرًا ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٣٧﴾﴾.

ثم تخاطب الآية [٤١] الذين اختاروا الإيمان فتقول ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾﴾ فأكثروا يا من اختاروا الإيمان على الكفر من ذكر الله تعالى بإخلاص، وأكثروا من تنزيهه سبحانه عن كل نقص وفي كل وقت.

وتأمر الآية [٤٧] النبي عليه السلام: ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا ﴿٤٧﴾﴾ بما ينزله عليهم من رحمته وينصرهم على الكافرين.

كما تأمره الآية [٤٨] ﴿وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَدَعْ أَذَىٰهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿٤٨﴾﴾ فلا يطيعهم في مداهنة أو مسايرة على حساب طاعة رب العالمين.

ثم تأمر الآية [٤٩] من اختاروا الإيمان بألّا يفرضوا عدة على من يطلقونهن دون جماع ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا نَكَحْتُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا﴾.

وأمرت الآية [٥٠] النبي عليه السلام أن ينكح المؤمنة التي تهب نفسها له عليه السلام كزوجة خالصة من زوجاته ﴿وَٱمْرَأَةً مُّؤْمِنَةً إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِىِّ﴾.

وتأمر الآية [٥٣] الذين اختاروا الإيمان بألّا يدخلوا بيوت النبي عليه السلام من دون إذن ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَدْخُلُوا۟ بُيُوتَ ٱلنَّبِىِّ إِلَّآ أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ﴾.

كما تأمرهم أن يخرجوا من بيته عليه السلام بعد الطعام ﴿فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَٱنتَشِرُوا۟﴾.

كما تأمرهم أن يسألوا نساء النبي عليه السلام من وراء حجاب ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَٰعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ ۚ﴾.

كما تأمرهم ألّا ينكحوا أزواج النبي من بعده ﴿وَلَآ أَن تَنكِحُوٓا۟ أَزْوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦٓ أَبَدًا ۚ﴾.

وتأمر الآية [٥٦] من اختاروا الإيمان بالصلاة على النبي عليه السلام ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا﴾.

وتنذر الآية [٥٨] من يؤذي أي مؤمن أو مؤمنة بغير حق بالإثم العظيم ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤۡذُونَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ بِغَيۡرِ مَا ٱكۡتَسَبُواْ فَقَدِ ٱحۡتَمَلُواْ بُهۡتَٰنًا وَإِثۡمًا مُّبِينًا﴾ فإياكم من إيقاع الأذى بهم سواء بالأفعال أو الأقوال القبيحة من كذب وتعيير.

وتخبر الآية [٦٤] النبي عليه السلام وصحبه ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمۡ سَعِيرًا ﴿٦٤﴾﴾ بأن أبعدهم عن رحمته، وأعد لهم الخلود في النار حيث لا يجدون من ينجيهم منها ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًاۖ لَّا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٦٥﴾﴾ ولن ينجيهم أن يسندوا ضلالهم لزعمائهم ﴿وَقَالُواْ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعۡنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠ ﴿٦٧﴾﴾.

وتأمر الآية [٦٩] المؤمنين بألّا يتشبهوا ببني إسرائيل في إيذاء موسى عليه السلام باتهامه بمرض، وبأنه قتل أخاه هارون وبأنه ساحر، فبرأه الله تعالى من ذلك كله وكان صاحب قدر عظيم عند رب العالمين.

ثم تأمرهم الآية [٧٠] بأن يخشوا الله تعالى في الكلام بحق زينب وزيد، ولا ينسبوا الحرام إلى الرسول عليه السلام ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾﴾.

وأخيراً تبيّن الآية الأخيرة من السورة [٧٣] بأن الله تعالى سينزل العذاب الشديد على كل منافق ومشرك لا يؤمن بالله ورسوله، ولا ينضبط بطاعة أمره ونهيه، وليذكروا بأن الله تعالى يقبل التوبة ممن اختاروا الإيمان وطاعة الرحمن.

من سورة سبأ (٣٤)

تهتم هذه السورة المكية بالعقيدة الإسلامية، فتبدأ بتمجيد الله تعالى، ثم تتحدث عن إنكار المشركين للبعث بعد الموت، وتناولت قصص بعض الرسل وبالذات داود وسليمان عليهما السلام وما منحهما تعالى من أنواع النعم، وفندت

بالبرهان الساطع شبهات المشركين في حق خاتم النبيين، وأخيراً دعتهم إلى الإيمان بالواحد القهار.

وقد بدأت بما يقوله الذين اختاروا الكفر والجحود على الإيمان ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَأْتِينَا ٱلسَّاعَةُ ۖ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتَأْتِيَنَّكُمْ﴾ [٣] وبينت في الآية [التالية ٤] أن الساعة لا بد قادمة وذلك ﴿لِّيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾﴾.

وتبيّن الآية [٦] ﴿وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ ٱلْحَقَّ وَيَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴿٦﴾﴾ يرى أصحاب النبي عليه السلام أن القرآن هو الحق الذي يرشد إلى طريق الله تعالى.

بينما يقول من اختاروا الشرك من باب السخرية والتهكم: إن محمداً يبيّن أن مصير كل الأجساد مهما تفتت إلى الحساب يوم القيامة عندما تبعث من جديد ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمْ لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿٧﴾﴾.

وأعلنت الآية [٨] بأنهم يرون الكذب فيما بلغهم به أو أنه مجنون، فقد كذبوا لأن من لا يؤمن بالآخرة له العذاب الشديد وأنه بعيد عن الحق ﴿أَفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَم بِهِۦ جِنَّةٌۢ ۗ بَلِ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ فِى ٱلْعَذَابِ وَٱلضَّلَٰلِ ٱلْبَعِيدِ ﴿٨﴾﴾.

وتبيّن الآية [١٧] جزاء إعراض سبأ عن الإيمان من إرسالِ السيل القوي ـ سد مأرب ـ الذي أغرقهم ﴿ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِمَا كَفَرُوا۟ ۖ وَهَلْ نُجَٰزِىٓ إِلَّا ٱلْكَفُورَ ﴿١٧﴾﴾ فكان ذلك عقاب إنكارهم نعمة الله عليهم ونسبتها لأنفسهم.

وبيّنت الآية [٢٤] ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾﴾ بيّنت بأن الرزق بقضاء الله تعالى وقدرته، وأن أحداً من المشركين لا يمكن أن يلتقي مع المؤمنين لأن أحد الطرفين على الهدى، ومن اختاروا الإيمان متأكدون أنهم على الهدى وأن المشركين هم الضالون البعيدون عن الحق.

وأعلن الكفار ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ بِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَلَا بِٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ ۗ﴾

[٣١] أعلنوا إنكارهم بمحض إرادتهم للقرآن وبالكتب السابقة التي تورد صفاتك يا محمد، وأن ذلك لن ينفعهم في شيء. كما تعلن أن فئة الضعفاء يُحمِّلونَ المستكبرين سبب كفرهم ﴿لَوْلَآ أَنتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ﴾ فيردون عليهم بأنهم هم من كان مجرماً مع نفسه وليس من تأثير غيره ﴿أَنَحْنُ صَدَدْنَٰكُمْ عَنِ ٱلْهُدَىٰ بَعْدَ إِذْ جَآءَكُم بَلْ كُنتُم مُّجْرِمِينَ﴾ [٣٢] فيردون على زعمائهم بأن مكرهم كان وراء كفرهم ﴿بَلْ مَكْرُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَآ أَن نَّكْفُرَ بِٱللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُۥٓ أَندَادًا﴾ [٣٣].

وكان شأن كل قرية أن يكفر مترفوها وزعماؤها ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٣٤﴾﴾.

وتؤكد الآية [٣٧] أن من اختاروا الإيمان وصالح الأعمال هم فقط من يقربون إلى الله تعالى ونعمه ﴿إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ جَزَآءُ ٱلضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا۟ وَهُمْ فِى ٱلْغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ﴾.

وتؤكد الآية [٣٩] بأن مزيد الرزق وقلته بيد الله تعالى وحده ﴿قُلْ إِنَّ رَبِّى يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ لَهُۥ﴾.

وتبيّن الآية [٤٢] أن أحداً لا ينفع أو يضر غيره تعالى يوم القيامة ﴿فَٱلْيَوْمَ لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَّفْعًا وَلَا ضَرًّا﴾

وتقول الآية [٤٣] ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ فهم من الجرأة على تكذيب الحق بحيث قالوا في وصفه بالسحر.

وتقول الآية [٥٠] ﴿قُلْ إِن ضَلَلْتُ فَإِنَّمَآ أَضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِى ۖ وَإِنِ ٱهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِىٓ إِلَىَّ رَبِّىٓ ۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ قَرِيبٌ ﴿٥٠﴾﴾ فالضلال من صنع الفرد والهدى مما ينزله تعالى على أنبيائه.

من سورة فاطر (٣٥)

تحدثت هذه السورة المكية أولاً عن الخالق المبدع، فاطر الأكوان، وخالق الملائكة والإنس والجان، بدلائل وبراهين كثيرة، وبيّنت الفرق بين المؤمن والكافر، ثم ذكرت دلائل قدرته تعالى في تنوع الثمار والمخلوقات من حيوان وجماد، وأوردت انقسام أبناء الأمة الإسلامية التي ورثت أشرف الرسالات السماوية إلى ثلاثة أنواع: المقصر، والمحسن، والسابق بالخيرات. وختمت السورة بتقريع عبادة المشركين للأوثان والأصنام.

وتمضي السورة إلى الآية [٧] فتقول ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ٧﴾ معلنة جزاء من اختاروا الكفر ومن اختاروا الإيمان وصالح الأعمال.

وتحذر الآية [٨] من تزيين الشهوات لسيئ الأعمال ليقع صاحبها في الضلال في الاعتقاد والأعمال ﴿أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًاۖ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُۖ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَٰتٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ٨﴾ فأنت يا رسول الله لا تهلك نفسك في الحزن على من اتبع الهوى وسار في طريق الضلال ورفض الهدى والرشد، فالله تعالى عليم بأقوالهم وأفعالهم، وسيجدون الجزاء الأوفى على ذلك بانتظارهم.

وعندما تقول الآية [١١] ﴿وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦۚ وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِۦٓ إِلَّا فِى كِتَٰبٍۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ فإنها تؤكد بأنه لا يحصل من حمل ولا ولادة إلا ويعلمها الله تعالى قبل حصولها وبعد وقوعها لأنه سبحانه العالم بكل شيء، كما لا يطول عمر إنسان ولا يقصر إلا وهو في علم الله تعالى المحيط بكل شيء، فلا العلمُ أوجد الحمل والوضع؛ ولا الكتابةُ التي تعني العلمَ المحيطَ زادت العمر أو نقصته، إذ الكل بقضاء الله تعالى وقدره المحيط علمه تعالى به.

وبعد الإنذار لمن اختاروا الكفر من الأقوام السابقة بالهلاك والعذاب الشديد

تقول الآية [٢٦] ﴿ثُمَّ أَخَذْتُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۖ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٢٦﴾﴾ فاعلم يا محمد بأن تكذيب قريش لك يماثل تكذيب الأمم السابقة لرسلهم، وأن جزاء ذلك التكذيب الهلاك الذي أنزله تعالى بهم فلتحذر قريش من مثل ذلك المصير.

وتبيّن الآية [٣٢] أصناف من اختاروا تصديق المصطفى عليه السلام ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴿٣٢﴾﴾ أي إن منهم الظالم لنفسه بارتكاب الذنوب الصغيرة، ومنهم المقتصد الموازن بين الدنيا والآخرة، ومنهم سابق بالخيرات بترجيحه التقوى الكاملة على كل صغيرة وكبيرة في الأقوال والأفعال. . فليلتزم بذلك المؤمن الحق ولا تغره الدنيا وذلك لأنه ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا۟ وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى كُلَّ كَفُورٍ ﴿٣٦﴾﴾ فلهم الخلود في العذاب الشديد جزاء اختيارهم الجحود والكفر بلا موت ولا تخفيف من العذاب، وهذا هو جزاء كل من يختار الكفر على الإيمان.

وتؤكد هذا المعنى الآية [٣٩] ﴿فَمَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُۥ ۖ وَلَا يَزِيدُ ٱلْكَٰفِرِينَ كُفْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ إِلَّا مَقْتًا ۖ وَلَا يَزِيدُ ٱلْكَٰفِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا خَسَارًا ﴿٣٩﴾﴾ فليحتمل من اختار البعد عن الحق جزاءه من المقت والعذاب الشديد. . ولاسيما أنهم مصرون على الباطل ﴿وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَئِن جَآءَهُمْ نَذِيرٌ لَّيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِحْدَى ٱلْأُمَمِ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُمْ نَذِيرٌ مَّا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴿٤٢﴾﴾ فإنهم يحلفون بأغلظ الأيمان إنهم سيؤمنون لو جاءهم نبي، ولكنهم كاذبون إذ يسرعون في التكذيب برفض الإيمان بالرسول الذي يعرفونه حق المعرفة، وبالقرآن الذي يفهمونه حق الفهم.

إنه التعالي والكبر والطغيان الذي يدفعهم للتآمر على الرسول عليه السلام، فماذا ينتظرون غير ما حلّ من عذاب وهلاك بالأمم السابقة إذا استمروا على طريقتهم.

من سورة يس (٣٦)

بدأت هذه السورة المكية بالقسم بالقرآن على صحة الوحي وصدق رسالة محمد عليه السلام، ثم بيّنت تمادي كفار قريش في الضلال وتكذيب محمد عليه السلام، ثم أوردت قصة أهل القرية أنطاكية وتكذيبهم الرسل وعاقبة ذاك التكذيب لتحذر أهل قريش من مثل ذلك.

وتحدثت بعدها عن دلائل القدرة والوحدانية في هذا الكون العجيب، ثم تحدثت عن القيامة وأهوالها وما ينتهي فيه أمرها بين المؤمنين والمجرمين من سعداء وأشقياء.

وانتهت السورة بموضوع البعث والجزاء، مما يؤكد أنَّ مصير البشر كلهم إلى الحساب عن اختياراتهم.

وقد أكدت السورة في آيتها السابعة ﴿لَقَدْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَىٰٓ أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ بأن العذاب قد قضى الله به على أكثرهم الذين رفضوا الإيمان وكانوا على الكفر ﴿وَسَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠﴾﴾ فقد عزموا على الجحود والنكران فاستحقوا العذاب الشديد.

وقالت الآية [٢١] ﴿ٱتَّبِعُوا۟ مَن لَّا يَسْـَٔلُكُمْ أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٢١﴾﴾ دعاهم الرجل المؤمن، دعا أهل أنطاكية، للإيمان واتباع هدى الرحمن ولكنهم رفضوا دعوته وقتلوه كما قتلوا الرسل الثلاثة السابقين والذي قال لهم رافضاً كفرهم بأنه لن يستجيب لطلبهم ﴿إِنِّىٓ إِذًا لَّفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾ إِنِّىٓ ءَامَنتُ بِرَبِّكُمْ فَٱسْمَعُونِ﴾ فماذا كان مصيرهم مع إصرارهم على الكفر والتكذيب ﴿إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَـٰمِدُونَ ﴿٢٩﴾﴾.

وتحدثت الآية [٤٧] عن كفار قريش وما يقولونه بحق الإنفاق على المحتاجين ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنفِقُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنُطْعِمُ مَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ أَطْعَمَهُۥٓ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٤٧﴾﴾ زاعمين أن الله تعالى قد رزق بعضهم

بصنعهم فليرزق المحتاجين، فهذا القول من الضلال والبعد عن الحق بشكل صريح.

وتحسم لهم الآية [٥٤] الموقف يوم الحساب والجزاء ﴿فَٱلْيَوْمَ لَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٥٤﴾﴾ فينالون جزاءهم كاملاً غير منقوص، إنه العدل في حق كل ظالم لنفسه يناله جزاء أعماله.

وتنبههم السورة في [آيتها ٦٢] ﴿وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا أَفَلَمْ تَكُونُوا۟ تَعْقِلُونَ﴾ فلم استجبتم للشيطان وعصيتم الرحمن وأقفلتم عقولكم عن الحق؟!

وتؤكد [الآيتان ٦٣ و ٦٤] مصيرهم ﴿هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٦٣﴾ ٱصْلَوْهَا ٱلْيَوْمَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٦٤﴾﴾ فالجزاء على العمل مبني على سوء الاعتقاد.

وتؤكد الآية [٦٩] بأن الرسول عليه السلام حق والقرآن حق ﴿وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ ﴿٦٩﴾﴾ وذلك ﴿لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧٠﴾﴾ وما دور الرسول عليه السلام إلا لينذر من كانَ فيه حياة يعي بها ويعقل، وأما من أصر على الباطل فسيلحقه جزاؤه العادل بحكم قضاء العادل.

ولذلك تنبه الآية [٧٦] ﴿فَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ ۘ إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ فهم قد أصروا على ترديد الكفر والضلال، واعلم يا محمد بأن شيئاً من ذلك لن يفوت الله تعالى العالم بكل ما يكتمونه وما يعلنونه، وهو سبحانه سيجازيهم عنه كامل وعادل الجزاء، فليس علم الله تعالى هو الذي يوقع بهم الجزاء ولكنه سبحانه بعلمه يحيط بهم وبأعمالهم؛ فلا يغيب عنه شيء عند محاكمتهم العادلة.

وتأتي السورة إلى نهايتها لتقول لمنكري البعث والجزاء ﴿أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨١﴾ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ فَسُبْحَٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾﴾ فلا تظنوا أيها المشركون أن الله تعالى القادر على كل شيء يعجزه بعثكم ليحاسبكم يوم الدين، فكل شيء بكلمة من أمره تعالى أن يكونَ فيكون.

من سورة الصافات (٣٧)

تبدأ هذه السورة المكية بذكر الملائكة الأبرار، ثم بذكر الجن ورجمهم، ثم بالحديث عن البعث والجزاء، ثم تورد قصص بعض الأنبياء مع تفصيل حادثة الذبيح إسماعيل لتعلِّمَ المؤمن على الانقياد لأمر الله تعالى، ثم تنتهي السورة بذكر نصر الله تعالى لأنبيائه وأوليائه في الدنيا والآخرة.. مبيّنة أن الجزاء على الاختيار من دونِ أدنى قهر وإجبار.

وبعد ذكر الملائكة والجن يأتي الحديث في السورة عن يوم الدين وما يجري فيه ﴿ٱحْشُرُوا۟ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَأَزْوَٰجَهُمْ وَمَا كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ﴿٢٢﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَٱهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٢٣﴾﴾ فتأمر الملائكة الموكلين بذلك بأن يسوقوا أولئك الذين اختاروا إنكار البعث مع أمثالهم من أزواجهم ومع أصنامهم التي كانوا يعبدونها، يسوقوهم إلى الجحيم، ففي ذلك تعريف لهم ودلالة إلى الطريق المؤدي بهم إلى الجحيم.

وتحسم [الآيات ٢٨ و ٢٩ و ٣٠] خصومتهم مع بعضهم بعضاً في الجحيم ﴿قَالُوٓا۟ إِنَّكُمْ كُنتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ ٱلْيَمِينِ ﴿٢٨﴾ قَالُوا۟ بَل لَّمْ تَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٢٩﴾ وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍۭ بَلْ كُنتُمْ قَوْمًا طَٰغِينَ ﴿٣٠﴾﴾ وينتهي مصير الطرفين ﴿فَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِى ٱلْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴿٣٣﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٣٤﴾﴾.

ويأتي التصريح بالعدل في الجزاء ﴿وَمَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٩﴾﴾ ومن الحسم بين الفريقين إلى بيان ما ينتهي إليه المؤمنون من جنات النعيم ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٠﴾ لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ ٱلْعَٰمِلُونَ ﴿٦١﴾﴾ وبيان ما ينتهي إليه من اختاروا الكفر والضلال واتبعوا في ذلك آباءهم الكافرين ﴿إِنَّهُمْ أَلْفَوْا۟ ءَابَآءَهُمْ ضَآلِّينَ ﴿٦٩﴾ فَهُمْ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ يُهْرَعُونَ ﴿٧٠﴾﴾ فينتهي بهم المصير جميعاً إلى الجحيم هم ومن اتبع الضلال من الأولين ﴿وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ [٧١].

وتؤكد الآية [٨١] نجاة نوح عليه السلام لأنه ﴿إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨١﴾﴾.

ثم تتحدث الآيات التالية عن قصة إبراهيم عليه السلام الذي تآمروا عليه ﴿قَالُوا۟ ٱبْنُوا۟ لَهُۥ بُنْيَٰنًا فَأَلْقُوهُ فِى ٱلْجَحِيمِ ﴿٩٧﴾ فَأَرَادُوا۟ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَسْفَلِينَ ﴿٩٨﴾﴾ إنه بلا أدنى شك تدخل العناية الربانية لتنقذه من نارهم مما جعله يقول ﴿وَقَالَ إِنِّى ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّى سَيَهْدِينِ ﴿٩٩﴾﴾ فترك العراق وتوجه إلى بلاد الشام معتمداً على تيسير الله تعالى له الطريق وإرشاده فيها لأفضل نتيجة.

فما كان منه عليه السلام إلا أن طمع في رحمة الله وفضله فدعاه بالولد، فوهبه إسحق ومن بعد إسحق يعقوب، ومع إسحق جاءه قبله الذبيح إسماعيل الذي لم يتردد هو وابنه في تنفيذ ما أمره به ربه بذبحه، ولكن الله تعالى الرحيم بعباده، المكافئ العادل، فداه ﴿وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴿١٠٧﴾﴾ بكبش سمين لأنه كان ﴿إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١١﴾﴾.

ثم تتحدث السورة عن موسى وهارون عليهما السلام ﴿وَهَدَيْنَٰهُمَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١١٨﴾﴾ عندما أنزل على موسى التوراة ليعينه أخوه هارون في تبليغها، فيسر لهما المولى طريقهما ونصرهما على فرعون الطاغية وملئه المجرمين لأنهما ﴿إِنَّهُمَا مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٢﴾﴾.

وكذلك حال إلياس الذي دعا قومه للتخلي عن عبادة بعل فكذبوه فأنجاه تعالى منهم لأنه ﴿إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٢﴾﴾.

وتنهي السورة قصص الأنبياء بيونس عليه السلام الذي أرسل إلى قومه الذين رجعوا إلى ربهم قبل أن يحل بهم العذاب ﴿فَـَٔامَنُوا۟ فَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴿١٤٨﴾﴾.

وتكشف الآية [١٧٠] موقف كفار مكة من الرسول عليه السلام ﴿فَكَفَرُوا۟ بِهِۦ ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿١٧٠﴾﴾ فما إن نزل القرآن على رجل منهم حتى كذبوه عناداً واستكباراً، فحقت عليهم عقوبة كفرهم بما لحقهم من الهزائم في الدنيا، ومن عذاب جهنم في الآخرة.

وتؤكد هذه السورة المكية أن النصر لا بد حاصل للرسول عليه السلام في وقته

﴿وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿١٧٣﴾﴾ وما عليك يا محمد إلا أن تمهلهم لوقتهم ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿١٧٤﴾﴾.

من سورة ص (٣٨)

ابتدأت هذه السورة المكية بالقسم بالقرآن المنزل بما فيه من مواعظ وأخبار وأحكام، لتدلل أنه حق وأن المنزل عليه نبي حق.

ثم تحدثت عن الوحدانية، وضربت أمثلة لكفار مكة بمن سبقهم من الطغاة المتجبرين الذين اختاروا التكذيب والعصيان، فحل بهم ما حل من صنوف البلاء والعذاب الشديد.

ثم ذكرت قصص بعض الرسل عليهم السلام تسلية للنبي عليه السلام لما يلقاه من استهزاء وسخرية مكة، فأوردت قصص داود وسليمان وأيوب وغيرهم بشكل سريع لبيان سنة الله تعالى في ابتلائه حتى لأفضل وأكرم خلقه.

ثم تحدثت عن دلائل قدرته تعالى في هذا الكون المنظور وما فيه من بديع العجائب، وأكدت أنه لم يخلق عبثاً وأن دار الجزاء لا بد قادمة، وانتهت السورة ببيان مهمة الرسول وكل الرسل في التبليغ.

فبدأت بقَسَم المولى سبحانه بأن من اختاروا الكفر وأصروا عليه يعادون الرسول عليه السلام رغم اعترافهم بأمانته فقذفوه بالسحر والكذب ﴿بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ ﴿٢﴾﴾ فكان حالهم ﴿وَعَجِبُوٓا۟ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ ۖ وَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٌ كَذَّابٌ ﴿٤﴾﴾.

وطلب الخصمان اللذان ظهرا أمام داود ﴿قَالُوا۟ لَا تَخَفْ ۖ خَصْمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ فَٱحْكُم بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَٱهْدِنَآ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلصِّرَٰطِ﴾ [٢٢] فكانا في حقيقتهما ملكين يريدان تنبيه داود عليه السلام إلى تجنب الظلم في الحكم، فتاب وأناب فقبلت توبته، وكافأه ربه بأن قربه إليه وجعله خليفة في الأرض ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْخُلَطَآءِ لَيَبْغِى بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ ۗ﴾ [٢٤] مما يفرض على

من اختاروا الإيمان وصالح الأعمال أن يكونوا شركاء صالحين ولا يتجاوز أحدهم الحق لأكل مال الآخر بدافع من الهوى المضل ﴿فَٱحۡكُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلۡهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدُۢ بِمَا نَسُواْ يَوۡمَ ٱلۡحِسَابِ﴾ [٢٦].

فليذكر كل إنسان ﴿وَمَا خَلَقۡنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا بَٰطِلٗاۚ ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ فَوَيۡلٞ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنَ ٱلنَّارِ ﴿٢٧﴾ أَمۡ نَجۡعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلۡمُفۡسِدِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَمۡ نَجۡعَلُ ٱلۡمُتَّقِينَ كَٱلۡفُجَّارِ ﴿٢٨﴾﴾ ليذكر الإنسان قدرة الله تعالى في الخلق، فليكف من اختاروا الكفر عن ظنهم الباطل بقدرة الله تعالى وحكمته في خلقه، وليكفوا عن التسوية بين الأتقياء والفجار، فالكل مختار في تقواه وفجوره، ويوم القيامة حسابه حسب اختياره.

وليذكر هؤلاء المشركون ما انتهى إليه حال إبليس عندما أمر الله تعالى الملائكة بالسجود تكريماً للبشر، فسجدوا جميعاً طاعة لله تعالى وعبودية له وتكريماً لآدم الذي خلقه سبحانه، وأما إبليس فقد وقع في شر اختياره عندما جهل حقيقة نفسه، واستكبر ظناً أن النار التي خلق منها أفضل من التراب فوقع في الكفر، فاستحق الطرد من الجنة والإبعاد عن رحمة الله تعالى إلى يوم الدين ﴿إِلَّآ إِبۡلِيسَ ٱسۡتَكۡبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٧٤﴾ قَالَ يَٰٓإِبۡلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسۡجُدَ لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ أَسۡتَكۡبَرۡتَ أَمۡ كُنتَ مِنَ ٱلۡعَالِينَ ﴿٧٥﴾ قَالَ أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُ خَلَقۡتَنِي مِن نَّارٖ وَخَلَقۡتَهُۥ مِن طِينٖ ﴿٧٦﴾ قَالَ فَٱخۡرُجۡ مِنۡهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٞ ﴿٧٧﴾ وَإِنَّ عَلَيۡكَ لَعۡنَتِيٓ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴿٧٨﴾﴾.

وهنا تصور الآيات التالية الحوار بين رب العالمين وبين إبليس، لتعطينا صورة عن كيفية مخاطبة المشركين حتى لو كانوا بمستوى إبليس ﴿قَالَ رَبِّ فَأَنظِرۡنِيٓ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ﴿٧٩﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلۡمُنظَرِينَ ﴿٨٠﴾ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡوَقۡتِ ٱلۡمَعۡلُومِ ﴿٨١﴾ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغۡوِيَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنۡهُمُ ٱلۡمُخۡلَصِينَ﴿٨٣﴾﴾ وهذه الآيات تؤكد في النهاية أن الناسَ؛ سواءً أكانوا من أتباع إبليس، أو من المخلصين لله البعيدين عن إبليس وأتباعه فإنهم جميعاً مرتهنون باختيارهم.

من سورة الزمر (٣٩)

تبتدئ هذه السورة المكية بذكر معجزة القرآن، ثم تذكر البراهين على وحدانية رب العالمين، ثم تتناول العقيدة بوضوح، فالفارقَ الكبيرَ بين من يعبد الإله الواحد الأحد ومن يعبد آلهة متعددة، وختمت السورة بالحديث عن نفخة الصعق ثم نفخة البعث والنشور، وما يصاحب ذلك من الأهوال مع سوق الأبرار زمراً إلى الجنة والفجار زمراً إلى النار.

وتقول الآية الثالثة من السورة ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ كَٰذِبٌ كَفَّارٌ﴾ أي لا يدله إلى الهدى والرشاد، لأنه بإرادته يرفض ذلك ويصر على الكذب والتكذيب لرسول الله ورسالته، وعلى إنكار كل ما نزل من عند الله تعالى، فمن أين تأتي الهداية؟!.

وتعلن الآية [٧] ﴿إِن تَكْفُرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنكُمْ ۖ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ ۖ وَإِن تَشْكُرُواْ يَرْضَهُ لَكُمْ ۗ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۗ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ۝٧﴾ أي اعلموا أنكم إن عبدتم غير الله تعالى فهو سبحانه ليس بمحتاج لعبادتكم، وإنما أنتم المحتاجون لها لتنالوا رضاه، فعليكم شكره على الحق الذي بلغكم رسوله حتى لا تبقى لكم حجة، وتبقوْا مسؤولين عن أعمالكم حتى تعودوا يوم القيامة للحساب على ما تعملونه.

وتقول الآية [٨] ﴿وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ﴾ فهو باختياره الشرك يبعد نفسه وغيره عن سبيل الله القويم، ولذلك يقول له رب العالمين ﴿قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا ۖ إِنَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ﴾ فعش سنوات عمرك وأنت جاحد لله ونعمه، وستجد النار بانتظارك مع أمثالك يوم الحساب.

وتأمر الآية [١٠] المصطفى عليه السلام ﴿قُلْ يَٰعِبَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْ ۚ﴾ تأمره ليقول لمن اختاروا الإيمان ليخشوا الله تعالى ويتجنبوا المعاصي، ولا يهتموا بهذه الابتلاءات التي تلاقيهم لأنه ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾.

وقل يا محمد لكفار مكة وغيرهم بأن الله تعالى أمرك ﴿وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٢﴾﴾ أول الخاضعين لأمر الله تعالى ونهيه.

وقل للمشركين ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ﴾ فإن الله تعالى يقول لهم في نفس الآية ﴿فَٱعْبُدُواْ مَا شِئْتُم مِّن دُونِهِۦ ۗ﴾ فأمر اختيار المعبود لكم وحدكم حسب مشيئتكم، وفي عبادة غير الله تعالى خسارة النفس والأهل الذين يتبعونكم على نفس الشرك، وفي خسارة النفس والأهل تقع الخسارة الكبيرة.

وتبيّن الآية [١٨] ﴿ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمْ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٨﴾﴾ تبيّن الآية بأن من اختاروا الإيمان يسمعون القول الحق من القرآن ويستجيبون له، فهم قد أخذوا بهداية الله تعالى بمحض إرادتهم وتقدير عقولهم.

وتشرح الآية [٢٢] ما يختلف عنه المؤمن الذي نور قلبه بحجج القرآن وبراهينه، والكافر الذي أصر على باطل التقاليد الموروثة، ورفض الاستماع للفكر السليم من صلب قلبه وأعرض عن ذكر الله تعالى ﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ فَوَيْلٌ لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾.

وتعلن الآية [٢٣] بأن من يقشعر جلده خوفاً من الله تعالى هو الذي اختار هدى الله الوارد في القرآن وبراهينه وأدلته، بينما من اختار الضلال والبعد عن الحق فقد استولت عليه شهوات الدنيا ومتعها ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٢٣﴾﴾.

وتقرر الآية [٣٢] من هو الظالم لنفسه ولغيره أكثر من غيره ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى ٱللَّهِ وَكَذَّبَ بِٱلصِّدْقِ إِذْ جَآءَهُۥٓ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٢﴾﴾.

وعلى هذا الظالم أن يدرك عظم ظلمه بهذا الكذب على الله ورسوله، ولذلك عليه أن يعلم بأنه لم يرد خيراً لنفسه وهو يراها تستقر في جهنم.

وتقول [الآيتان ٣٦ و ٣٧] ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ ۖ وَيُخَوِّفُونَكَ بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٣٦﴾ وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّضِلٍّ ۗ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِعَزِيزٍ

ذِى ٱنتِقَامٍ ﴿٣٧﴾﴾ مقررة بأن الله تعالى الذي يتوكل عليه من اختار الإيمان من عباده هو كافيه من كل شيء، وأنه لا قيمة للمعبودات الأخرى التي يضل من يتبعها بينما يهتدي من يتبع أوامر الله ونواهيه، ويبتعد عن انتقام رب العالمين الحق يوم الدين من المكذبين الضالين.

وتعلن الآية [٤١] ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ لِلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ ۖ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ ﴿٤١﴾﴾ تعلن بأن ما أنزله الله تعالى على نبيه عليه السلام هو الحق الذي لا باطل فيه، وأن من يؤمن به ويلتزمه فإنه على الهدى الذي جاء به هذا القرآن، وأما من ينكره فإنه لن يجد إلا الخزي في الدنيا والآخرة.

وتبيّن الآية [٤٥] حال الذين اختاروا الكفر والإنكار والجحود ﴿وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحْدَهُ ٱشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٥﴾﴾ تبيّن بأن عليهم أن يتخلصوا من هذا العبث عندما تشمئز قلوبهم القاسية لذكر الله تعالى، بينما تستبشر لذكر غيره من معبوداتهم الباطلة ذلك لأنهم ينكرون يوم القيامة، يوم الحساب.

وتبيّن الآية [٥٧] بأن الله تعالى لم يترك قوماً دون أن يبيّن لهم الهدى، فلا حاجة لمشركي مكة من الزعم بأن الله تعالى لم يهدهم ﴿أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ ٱللَّهَ هَدَىٰنِى لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٥٧﴾﴾، فترد عليه الآية [التالية ٥٩] ﴿بَلَىٰ قَدْ جَآءَتْكَ ءَايَٰتِى فَكَذَّبْتَ بِهَا وَٱسْتَكْبَرْتَ وَكُنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٥٩﴾﴾ فليس لك حجة بعد موقفك هذا من القرآن وبيناته.

وتؤكد هذا المعنى الآية [٦٣] ﴿لَّهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٦٣﴾﴾.

وتبيّن الآية [٦٥] للرسول عليه السلام بأنه ﴿وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾﴾ تبيّن أن الله تعالى قد أوحى إلى محمد عليه السلام وإلى جميع الرسل من قبله بأن اختيار الشرك محبط للأعمال، وجالب للخسارة في الدنيا والآخرة.

وتقول الآية [٦٨] ﴿وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن

شَآءَ ٱللَّهُۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخۡرَىٰ فَإِذَا هُمۡ قِيَامٞ يَنظُرُونَ ﴿٦٨﴾﴾ فبنفخة الصعق يهلك كل المخلوقات باستثناء كبار الملائكة جبريل وميكائيل وإسرافيل وعزرائيل.

وتعلن الآية [٧٠] بكامل الوضوح ﴿وَوُفِّيَتۡ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا عَمِلَتۡ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِمَا يَفۡعَلُونَ ﴿٧٠﴾﴾ فنالت كل نفس جزاءها على ما اختارت من أعمال الخير والشر، كيف لا والله تعالى المحاسب على الأعمال يعلمها بكل دقائقها.

وتبيّن الآية [٧١] مصير من اختاروا الكفر والشر من الأعمال ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمۡ خَزَنَتُهَآ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ يَتۡلُونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِ رَبِّكُمۡ وَيُنذِرُونَكُمۡ لِقَآءَ يَوۡمِكُمۡ هَٰذَاۚ قَالُواْ بَلَىٰ﴾ يساقون من الملائكة الموكلين بذلك إلى جهنم وهم جماعات متعددة متعاقبة، وهم يقرون بأن هذا هو حكم العادل الخبير بهم ﴿وَلَٰكِنۡ حَقَّتۡ كَلِمَةُ ٱلۡعَذَابِ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾.

كما تبيّن الآية [٧٣] مصير من اختاروا الإيمان وصالح الأعمال ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ رَبَّهُمۡ إِلَى ٱلۡجَنَّةِ زُمَرًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمۡ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡ طِبۡتُمۡ فَٱدۡخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ﴿٧٣﴾﴾ فالكل مجزىً بما اختار من إيمان أو شرك، وبما عمل من أعمال صالحة أو طالحة.

من سورة غافر (٤٠)

تبتدئ هذه السورة المكية بذكر صفات الله الحسنى وآياته العظمى، ثم تذكر مجادلة الكافرين لآيات الله تعالى الواضحة، وتورد مصير الفاجرين. ثم تتحدث عن بعض مشاهد يوم القيامة المروعة، وتورد قصة موسى عليه السلام مع فرعون الطاغية كمثال على صراع الإيمان والطغيان، وكيف انتصر الحق على الباطل بتدخل العادل الرحيم، وأخيراً تتحدث السورة عن مصارع المكذبين.

إنها مجموعة من الصور الشاهدة على مصير من اختاروا الباطل والظلم والطغيان، وبالمقابل مصير من اختاروا الحق والعدل والإيمان.

وتبيّن الآية الرابعة ﴿مَا يُجَٰدِلُ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَا يَغۡرُرۡكَ تَقَلُّبُهُمۡ فِي

ٱلْبِلَٰدِ ۝٤﴾ تبيّن بأن من يجادل لرفض آيات الله ومعجزاته هم من ارتضوا لأنفسهم الكفر، وأن ما يحصلونه من رزق الله تعالى لن يخدع بكثرته لا الرسول عليه السلام ولا صحبه رضوان الله عليهم أجمعين، لأن ذلك كله متاع الحياة الدنيا الزائل.

كما تبيّن الآية [٦] ﴿وَكَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۝٦﴾ تبيّن أن حكم الله تعالى وقضاءه قد صدر في حق من اختاروا الكفر والضلال بأن مصيرهم إلى النار.

وتصرح الآية [١٠] ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنَادَوْنَ لَمَقْتُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ مِن مَّقْتِكُمْ أَنفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى ٱلْإِيمَٰنِ فَتَكْفُرُونَ ۝١٠﴾ موضحة أن السخط والأسى في النار هو أقل كثيراً من سخط الله تعالى لهم ولكفرهم، فعليهم أن يتخلوا عن هذا الاختيار للكفر والجحود ليفوزوا برضى الله، كما عليهم أن يستجيبوا للدعوة للإيمان فيؤمنوا ﴿ذَٰلِكُم بِأَنَّهُۥٓ إِذَا دُعِىَ ٱللَّهُ وَحْدَهُۥ كَفَرْتُمْ ۖ وَإِن يُشْرَكْ بِهِۦ تُؤْمِنُواْ ۚ فَٱلْحُكْمُ لِلَّهِ ٱلْعَلِىِّ ٱلْكَبِيرِ ۝١٢﴾ فكيف تكفرون بالله الواحد وتشركون معه أوثانكم ﴿فَٱدْعُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ۝١٤﴾ فأخلصوا في دينكم لله تعالى ولا تبالوا بكراهة الكافرين لذلك.

واذكروا أن يوم القيامة ﴿ٱلْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ ۚ لَا ظُلْمَ ٱلْيَوْمَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ۝١٧﴾ اذكروا أن الجزاء العادل على كل ما كسب واكتسب الإنسان دون أدنى ظلم في ذلك، وانتظروا البتَّ السريع في حسابكم دون تأخر ولا إمهال.

كما اذكروا ما حل بالأقوام السابقة من العقاب بسبب كذبهم وعصيانهم ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَكَفَرُواْ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ ۚ إِنَّهُۥ قَوِىٌّ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ۝٢٢﴾.

واذكروا ما فعل الطاغية فرعون وزمرته بموسى عليه السلام عندما جاءهم بالحق ﴿فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْحَقِّ مِنْ عِندِنَا قَالُواْ ٱقْتُلُوٓاْ أَبْنَآءَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ وَٱسْتَحْيُواْ نِسَآءَهُمْ ۚ وَمَا كَيْدُ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ ۝٢٥﴾ واستبْقوا نساءهم للسخرة والخدمة المذلة، ولكن كيدهم قد باء بالضياع والخسران لما تعرضوا له من عقاب انتهى بالغرق.

وهنا تورد السورة إشارة إلى الرجل الذي اختار الإيمان وهو من قوم فرعون، وكيف أنه لم يخش إلا الله تعالى في دعوتهم للإيمان ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ

فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَـٰنَهُۥٓ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّىَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ مِن رَّبِّكُمْ﴾ [٢٨] وتنتهي هذه الآية بقرار رباني ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ﴾ فأي هداية يتوصل إليها فرعون وأمثاله وهم غارقون في الكذب والعناد في ادعائهم؟! بل تجاوزوا الحد وكل عقل، وفرعونهم يعلن ﴿وَمَآ أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ﴾ [٢٩] فأي رشاد يسلك هذا الطاغية؟! ولكن المؤمن من قوم فرعون ينبههم ﴿يَـٰقَوْمِ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُم مِّثْلَ يَوْمِ ٱلْأَحْزَابِ﴾ [٣٠] ويقول لهم رب العالمين ﴿وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ﴾ [٣٣] بأن من يختار الضلال ويصر عليه فلن يعرف طريق الهداية.

وتؤكد الآية [٣٤] ﴿كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُّرْتَابٌ﴾ فمن أسرف في المنكر والعصيان والتكذيب فلن يعرف طريق الله تعالى في الهدى والإيمان.

وكرر الذي آمن دعوته لقوم فرعون غير مبال بجبروته وطغيانه فقال ﴿وَقَالَ ٱلَّذِىٓ ءَامَنَ يَـٰقَوْمِ ٱتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴿٣٨﴾﴾ اتبعوني في الإيمان بموسى ورسالته وعندها ستسيرون على الطريق القويم.

وأخذ يشدد في دعوتهم ﴿۞ وَيَـٰقَوْمِ مَا لِىٓ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ وَتَدْعُونَنِىٓ إِلَى ٱلنَّارِ ﴿٤١﴾ تَدْعُونَنِى لِأَكْفُرَ بِٱللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِۦ مَا لَيْسَ لِى بِهِۦ عِلْمٌ وَأَنَا۠ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلْغَفَّـٰرِ ﴿٤٢﴾﴾.

وعندما طلب أصحاب النار من خزنة جهنم أن يخفف الله عنهم يوماً من العذاب بماذا ردوا عليهم ﴿قَالُوٓا۟ أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۚ قَالُوا۟ فَٱدْعُوا۟ ۗ وَمَا دُعَـٰٓؤُا۟ ٱلْكَـٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَـٰلٍ ﴿٥٠﴾﴾ فليس دعاؤكم مقبولاً بعد أن أودعتم في جهنم.

وتؤكد الآية [التالية ٥١] ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَـٰدُ ﴿٥١﴾﴾ تؤكد بأن الله تعالى ينصر رسله وينصر المؤمنين على المكذبين الضالين في معارك الحياة الدنيا، ويخزيهم يوم يشهد الأنبياء على الأمم بأنهم قد بلغوهم ولكنهم هم الذين أعرضوا وكذبوا التبليغ.

وتذكر [الآيتان ٥٣ و ٥٤] مشركي مكة بما أرسل به موسى عليه السلام ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْهُدَىٰ وَأَوْرَثْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْكِتَـٰبَ ﴿٥٣﴾ هُدًى وَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَـٰبِ ﴿٥٤﴾﴾ فهل حرص بنو إسرائيل على نقاء هذا الهدى؟!

وتؤكد الآية [٥٨] ﴿وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَلَا ٱلْمُسِىٓءُ ۚ قَلِيلًا مَّا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٥٨﴾﴾ تؤكد بأن الأعمى عن الإيمان يختلف عن المبصر له، وبأن المؤمن الصالح يختلف عن المسيء، والكل سيلمس ذلك يوم الحساب، يوم يدفع أكثر الناس ممن اختاروا الكفر إلى مصيرهم في جهنم ﴿إِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٥٩﴾﴾ وهم الذين يعترفون بأن شركاءهم يتخلون عنهم في النار حيث يضيع الكافر طريقه ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالُوا۟ ضَلُّوا۟ عَنَّا بَل لَّمْ نَكُن نَّدْعُوا۟ مِن قَبْلُ شَيْـًٔا ۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧٤﴾﴾، وحين يعلنون إيمانهم والكفر بشركائهم ﴿فَلَمَّا رَأَوْا۟ بَأْسَنَا قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِۦ مُشْرِكِينَ﴾ [٨٤].

من سورة فصلت (٤١)

بدأت هذه السورة المكية بذكر القرآن المنزل من عند الرحمن رسالة قررت حقيقة معجزة الرسول عليه السلام، ثم تعرضت لمشهد الخلق الأول للحياة والسماوات والأرض، وذكرت مصارع المكذبين من عاد وثمود الذين تمادوا في الكفر والطغيان وكذبوا رسل الله تعالى، ثم ذكرت بالمقابل المؤمنين المتقين وما ينتظرهم من أمن وأمان في دار الجنان، ثم تحدثت عن الآيات الكونية المعروضة للأقطار؛ ليتدبر المتدبر ويعتبر المعتبر، ثم انتهت السورة بوعده تعالى للبشرية بأن يطلعهم على بعض أسرار الكون في آخر الزمان.

وبعد الإشارة إلى معجزة القرآن وإعراضهم عنها تأمر المصطفى أن ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَٱسْتَقِيمُوٓا۟ إِلَيْهِ وَٱسْتَغْفِرُوهُ ۗ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ﴿٦﴾ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٧﴾﴾ وأما من اختاروا الإيمان فقل لهم ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٨﴾﴾ ثم تعود لمن اختاروا الكفر لتقول لهم ﴿قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادًا ۚ ذَٰلِكَ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩﴾﴾.

وقل يا محمد لمشركي مكة وغيرها ﴿أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ قَالُواْ لَوْ شَآءَ رَبُّنَا لَأَنزَلَ مَلَـٰٓئِكَةً فَإِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَـٰفِرُونَ﴾ [١٤] فكفروا بحجة أن الرسل كانوا بشراً وليسوا ملائكة.. ﴿وَكَانُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا يَجْحَدُونَ﴾ [١٥] والفت يا محمد نظر هؤلاء المشركين إلى ما حل بثمود ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَـٰهُمْ فَٱسْتَحَبُّواْ ٱلْعَمَىٰ عَلَى ٱلْهُدَىٰ فَأَخَذَتْهُمْ صَـٰعِقَةُ ٱلْعَذَابِ ٱلْهُونِ بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴿١٧﴾ وَنَجَّيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿١٨﴾﴾ فقد رفضت ثمود ما جاءهم به نبيهم صالح من هدى الله تعالى فنالوا جزاء أعمالهم، ونجى تعالى أولئك الذين اختاروا الإيمان وصالح الأعمال وكانوا يخشون الله تعالى في عقابه للمكذبين المعرضين.

وانظر يا محمد كيف تهجم المشركون على القرآن وحاولوا إبعاد الناس عنه ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَسْمَعُواْ لِهَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْاْ فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ ﴿٢٦﴾ فَلَنُذِيقَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ عَذَابًا شَدِيدًا وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَسْوَأَ ٱلَّذِى كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾﴾ فهذا جزاء من اختاروا الكفر والتكذيب؛ الذين كانوا يقولون ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ رَبَّنَآ أَرِنَا ٱلَّذَيْنِ أَضَلَّانَا مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ ٱلْأَسْفَلِينَ ﴿٢٩﴾﴾ فلن تسمع معذرتهم وهم يسندون ضلالهم لغيرهم من الجن والإنس.

وتعلن الآية [٣٣] ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَـٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾﴾ فمن أفضل قولاً من أصحاب الدعوات إلى كتاب الله وسنة رسوله، والتزموا الصالح من الأعمال ولم يترددوا في الإعلان عن إسلامهم.

وتعلن [الآيتان ٤١ و ٤٢] حقيقة القرآن ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِٱلذِّكْرِ لَمَّا جَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّهُۥ لَكِتَـٰبٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَـٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ فاذكروا يا مشركي مكة ومشركي كل مكان وزمان أن القرآن هو كتاب حق ولا ينطق إلا بالحق.

وترد على المشركين كذبهم على القرآن ولغته ﴿وَلَوْ جَعَلْنَـٰهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُواْ لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَـٰتُهُۥٓ ۖ ءَا۬عْجَمِىٌّ وَعَرَبِىٌّ ۗ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ هُدًى وَشِفَآءٌ ۖ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى ۚ أُوْلَـٰٓئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ﴿٤٤﴾﴾ فالقرآن كتاب هداية وإرشاد لمن اختاروا الإيمان، وأما من لا يختارونَ الإيمان فإنهم في صمم وعمى عند سماعه ورؤية دلالته.

وتعلن الآية [٤٦] ﴿مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٤٦﴾﴾ تعلن بأن من أقبل على صالح الأعمال أو سيئها فله أو عليه ولن يلحق أحداً أي شيء من الظلم. وليعلموا أن علم الله محيط بكل أعمالهم وأحوالهم، ولذلك سيحاسبهم الحساب العادل عليها كلها.. وليعلموا بأن الله تعالى سيعلمهم بما فعلوا ﴿فَلَنُنَبِّئَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِمَا عَمِلُوا۟ وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾ [٥٠].

وتحذر الآية [٥١] من حال الإنسان السيئ ﴿وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ أَعْرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ فَذُو دُعَآءٍ عَرِيضٍ ﴿٥١﴾﴾ فهذا الإنسان المنكر لفضل الله تعالى ونعمه نراه يبتعد عن طاعة الله تعالى، وأما عندما تحل به أية مصيبة فإنه ما أكثر دعاءه طلباً لمعونة الله تعالى ليخلص مما حل به.. فهو لا يعرف ربه ولا يذكره إلا في البلاء لا في الرخاء، فشتان بين هذا الكافر وبين المؤمن الذي يعيش مع الله في جميع أحواله.

وتأمر الآية [٥٢] الرسول عليه السلام بأن ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُم بِهِۦ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ ﴿٥٢﴾﴾ فقل لهم يا محمد بأن هذا القرآن إن كان من عند الله، كما يؤكد لهم المولى سبحانه ورسوله عليه السلام فأي الناس أكثر ضلالاً منهم عندما يكفرون به؟! إنه لن يكون هناك أحد أكثر ضلالاً منهم لشدة شقاقهم وعدوانهم.

وتأتي الآيتان الأخيرتان من السورة [٥٣ و ٥٤] ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾ أَلَآ إِنَّهُمْ فِى مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآءِ رَبِّهِمْ ۗ أَلَآ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍ مُّحِيطٌۢ ﴿٥٤﴾﴾ تأتي الآيتان وتقولان للرسول عليه السلام بأن يلفت نظر المشركين إلى هذا النظام الكوني الدقيق والنظام الجسمي البديع التي يشهد لعظمها الكافر قبل المؤمن، والتي تفرض الإقرار بأن القرآن الذي تحدث عنها هو الحق كل الحق، ويكفيك يا محمد أن تعلم بأن الله تعالى عالم بذلك كله، وقادر على خلقه وتدبيره، كما هو عالم وقادر على صاحب كل عمل ليجازيه به.

واعلم يا محمد بأن المصرِّين على الباطل باقون على شكهم إلى يوم القيامة،

وأن الله تعالى سيحاسبهم على كل صغيرة وكبيرة في هذه الدنيا قبل الآخرة، فلينتهوا من خياراتهم السيئة قبل فوات الأوان.

من سورة الشورى (٤٢)

تبدأ هذه السورة المكية بتقرير مصدر الوحي والرسالة بأنه رب العالمين، ثم تقارن بين كفر أهل الأرض وطغيانهم وإيمان أهل السماء وإذعانهم. وبعد أن تعود وتؤكد حقيقة الوحي والرسالة تتحدث عن المكذبين بالقرآن والبعث والجزاء وتنذرهم بالعذاب الشديد. وبعد أن تذكر شيئاً من دلائل الإيمان في هذا العالم المنظور تدعو الناس إلى الاستجابة لدعوة الله تعالى.

وتنتهي السورة بالحديث عن الوحي والقرآن كبدايتها، ليتم التناسق في الكلام بين البدء والختام.

فالسورة تقول في آيتها الثامنة ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِى رَحْمَتِهِۦۚ وَٱلظَّٰلِمُونَ مَا لَهُم مِّن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٨﴾﴾ موضحة بأن توزيع الناس العادل، كما تذكر الآية السابقة، بين الجنة والنار هو نتيجة اختلاف اختياراتهم تبعاً لقابليات التقوى والفجور التي أودعها فيهم.

فلو قضى الله وقدر أن يجعلهم على اختيار واحد وقابلية خير واحدة كالملائكة لجعلهم، ولكنه سبحانه قضى وقدر هذا الاختلاف، فأهل الجنة في الجنة وأهل النار في النار دون معين ولا ناصر يخرجهم منها إلى الأخرى.

وتؤكد الآية [١٢] ما أكدته كثير من الآيات ﴿لَهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُۚ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٢﴾﴾ فهو سبحانه وحده مالك مفاتيح خزائن السماوات والأرض، وبقضائه يوسع الرزق على من يشاء ويضيقه على من يشاء لعلمه سبحانه بما ينفعهم ويصلح أمورهم.

وتنتهي الآية [١٣] بقوله تعالى ﴿ٱللَّهُ يَجْتَبِىٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَن

يُنِيبُ﴾ فلله تعالى وحده أن يختار من يشاء لتبليغ رسالته، وأما استجابة التبليغ فمنوط باختيار الواحد منهم دون جبر ولا إكراه.

وتتحدث الآية [١٨] عن الساعة فتقول ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ قَرِيبٌ ﴿١٧﴾ يَسْتَعْجِلُ بِهَا ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا ٱلْحَقُّ ۗ أَلَآ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُمَارُونَ فِى ٱلسَّاعَةِ لَفِى ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ ﴿١٨﴾﴾ فعلى المشركين ألا يشكُّوا بقيام الساعة، لأن ذلك يعرضهم للبعد عن الحق ويعرضهم للعذاب.

وتخاطب الآية [٢١] الرسول عليه السلام ليقول للمشركين ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُا۟ شَرَعُوا۟ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ ۚ وَلَوْلَا كَلِمَةُ ٱلْفَصْلِ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢١﴾﴾ بأنهم لن ينفعوهم مهما شرعوا لهم من الأنظمة المخالفة لأحكام الله ومهما تقربوا لهم بالقرابين.

وتؤكد الآية [٢٢] الفرق بين من ظلموا أنفسهم باختياراتهم الباطلة، وبين المؤمنين الصالحين الأتقياء ﴿تَرَى ٱلظَّٰلِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُوا۟ وَهُوَ وَاقِعٌۢ بِهِمْ ۗ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فِى رَوْضَاتِ ٱلْجَنَّاتِ ۖ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴿٢٢﴾﴾ فشتان بين الطرفين.

وتفحم الآية [٢٤] المشركين إذ تقول ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ۖ فَإِن يَشَإِ ٱللَّهُ يَخْتِمْ عَلَىٰ قَلْبِكَ ۗ وَيَمْحُ ٱللَّهُ ٱلْبَٰطِلَ وَيُحِقُّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٢٤﴾﴾ فليكفوا عن الكذب على الرسول عليه السلام، لأنه لا يكذب على ربه ولا على الناس أجمعين، ولاسيما أنه يعلم بأن الله تعالى قادر أن يمنعه من تنفيذ أي أمر يطلبه منه ليعلي الحق ويطمس الباطل، وهو سبحانه المحيط بعلمه كامل ما يقوله أو يفعله رسوله عليه السلام.

وعليهم أن يعلموا ﴿وَيَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦ ۚ وَٱلْكَٰفِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴿٢٦﴾﴾ بأن من اختاروا الإيمان وصالح الأعمال هم وحدهم الذين يستجيبون لأوامر الله تعالى فيضاعف لهم في الثواب، بينما لن يجد الذي اختار الكفر والتكذيب والعصيان إلا العذاب الشديد.

وتتحدث الآية [٢٧] عن الرزق، وسبب توسيعه وتضييقه فتقول ﴿وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرٌۢ بَصِيرٌ ﴿٢٧﴾﴾ فهو

سبحانه الخبير بعباده والبصير بنفوسهم وأحوالهم، فبرحمته بهم يوسع ويضيق رزقهم عليهم..

وتعلن الآية [٣٠] ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٖ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖ ﴿٣٠﴾﴾ فلا مصيبة إلا بسبب سوء العمل.

وتقول الآية [٣٦] ﴿فَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَيۡءٖ فَمَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٣٦﴾﴾ مؤكدة لمن لديهم الكثير من متاع الدنيا بأن ذلك كله إلى زوال، بينما ما أعده الله تعالى لمن اختاروا الإيمان وصالح الأعمال هو الباقي.

وتؤكد الآية [٤٤] ﴿وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن وَلِيّٖ مِّنۢ بَعۡدِهِۦۗ وَتَرَى ٱلظَّٰلِمِينَ لَمَّا رَأَوُاْ ٱلۡعَذَابَ يَقُولُونَ هَلۡ إِلَىٰ مَرَدّٖ مِّن سَبِيلٖ ﴿٤٤﴾﴾ تؤكد بأن من يختار البعد عن الحق لن يجد من يناصره ويدفع عنه العذاب يوم الدين.

ويعلن المؤمنون بأن الخسارة ستحل بمن أعرضوا عن الحق فيخسرون يوم القيامة أنفسهم ومن تبعهم من أهليهم ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ وَأَهۡلِيهِمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ﴾ [٤٥] كيف وهم لن يجدوا من ينصرهم ويدفع عنهم العذاب ﴿وَمَا كَانَ لَهُم مِّنۡ أَوۡلِيَآءَ يَنصُرُونَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِۗ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن سَبِيلٍ ﴿٤٦﴾﴾ لن يجدوا منقذاً لهم من عذاب الله بعد أن رفضوا الهدى وأصروا على الابتعاد عنه.

وتؤكد [الآيتان ٤٩ و ٥٠] قضاء الله تعالى وقدره في الإنجاب ﴿لِّلَّهِ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُۚ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثٗا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ﴿٤٩﴾﴾ ﴿أَوۡ يُزَوِّجُهُمۡ ذُكۡرَانٗا وَإِنَٰثٗاۖ وَيَجۡعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًاۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٞ قَدِيرٞ ﴿٥٠﴾﴾ فهو سبحانه القاضي بالإناث أو الذكور، وهو القاضي بالجمع بينهما أو بالحرمان التام منهما. وكل ذلك لإحاطة علمه بخلقه وقدرته على أي من تلك الأحوال تبعاً لمصلحة العبد وخيره.

وتختم السورة [الآيتان ٥٢ و ٥٣] ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ رُوحٗا مِّنۡ أَمۡرِنَاۚ مَا كُنتَ تَدۡرِي مَا ٱلۡكِتَٰبُ وَلَا ٱلۡإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلۡنَٰهُ نُورٗا نَّهۡدِي بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنۡ عِبَادِنَاۚ وَإِنَّكَ لَتَهۡدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿٥٢﴾ صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِي لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلۡأُمُورُ ﴿٥٣﴾﴾ فالمولى سبحانه يؤكد لرسوله عليه السلام بأنه لم يكن يعلم شيئاً لا عن القرآن ولا عناصر الإيمان،

ولكنه تعالى أنزله عليه ليستنير به الناس ليصلوا للهدى الذي يدعوهم إليه عليه السلام، مما يفرض عليهم الحرص على اتباعه.

من سورة الزخرف (٤٣)

بدأت هذه السورة المكية بإثبات مصدر الوحي الذي نزل على النبي الأمي عليه السلام، ثم عرضت لأدلة قدرة الله تعالى ووحدانيته، ثم بيّنت ما كان عليه المجتمع الجاهلي من خرافات كراهة البنات، ووقفت بإيجاز مع دعوة إبراهيم عليه السلام لنبذ الشرك والبراءة من الأوثان، ثم أكدت أن الفقر واليتم ليسا منقصة، كما أن الثراء والجاه ليسا مكرمة، فالكل إلى الله تعالى وحده، وفي قصة الجبار فرعون ما يكشف عن ذلك، وتنتهي السورة لتعطي صورة عن أحوال الآخرة وجحيم الأشقياء الفجرة.

وتوبخ السورة المشركين في الآية [١٥] ﴿وَجَعَلُوا۟ لَهُۥ مِنْ عِبَادِهِۦ جُزْءًا ۚ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَكَفُورٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾﴾ فكيف يجعلون لله سبحانه وتعالى ولداً بقولهم بأن الملائكة بنات الله، فلا شك أن هذا من الجحود والطغيان.

وقبحت الآية [٢٠] قولهم ﴿وَقَالُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱلرَّحْمَـٰنُ مَا عَبَدْنَـٰهُم ۗ مَّا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿٢٠﴾﴾ فكيف ينسبون عبادتهم للملائكة والأصنام إلى الله تعالى والله تعالى حرمها؟! فلا حجة لهم في قولهم الزور والكذب.

وها هم يعلنون دليل كذبهم ﴿بَلْ قَالُوٓا۟ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَـٰرِهِم مُّهْتَدُونَ ﴿٢٢﴾﴾ فأي هداية في اتباع آبائهم في عبادة الأوثان؟! إن هذا القول منهم قاله السابقون كلهم ﴿وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَـٰرِهِم مُّقْتَدُونَ ﴿٢٣﴾﴾ ولكنهم بدلاً من إعمال تفكيرهم أصروا على رفض بيان النبي عليه السلام لهم ﴿قَـٰلَ أَوَلَوْ جِئْتُكُم بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمْ عَلَيْهِ ءَابَآءَكُمْ ۖ قَالُوٓا۟ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَـٰفِرُونَ ﴿٢٤﴾﴾.

وبعد أن ذكّرهم بما فعل قوم إبراهيم عليه السلام به حذرهم من السعي على

طريقهم، ولكنهم أصروا قائلين ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ قَالُواْ هَٰذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِۦ كَٰفِرُونَ﴾ [٣٠] ويكشف المولى سبحانه ما يحتمل أن يؤول إليه الناس عند جعلهم في غناء كبير فتقول الآية [٣٣] ﴿وَلَوْلَآ أَن يَكُونَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِٱلرَّحْمَٰنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ ﴿٣٣﴾﴾ كما تقول [الآيتان ٣٤ و ٣٥] ﴿وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَٰبًا وَسُرُرًا عَلَيْهَا يَتَّكِـُٔونَ ﴿٣٤﴾ وَزُخْرُفًا ۚ وَإِن كُلُّ ذَٰلِكَ لَمَّا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَٱلْءَاخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٣٥﴾﴾ ولكنه سبحانه ميّز بينهم وحذرهم من خداع المزيد من متاع الدنيا لأنه زائل، بينما ما عند الله تعالى هو خير وأبقى.

وتخاطب الآية [٤٠] الرسول عليه السلام ﴿أَفَأَنتَ تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ أَوْ تَهْدِى ٱلْعُمْىَ وَمَن كَانَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٤٠﴾﴾ فإن من أقفل أذنيه عن سماع الحق لن يسمع، ومن أقفل عينيه عن رؤية الحق لن يرى طريقه.

وطلب فرعون وقومه من موسى عليه السلام أن يكشف عنهم البلاء ليؤمنوا معه ﴿وَقَالُواْ يَٰٓأَيُّهَ ٱلسَّاحِرُ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ إِنَّنَا لَمُهْتَدُونَ ﴿٤٩﴾﴾ [٤٩] ولكنهم ما أسرع ما نكثوا الوعد، ونقضوا العهد، وعادوا لكفرهم بمجرد كشف الضر عنهم.. إنه إمهال الله تعالى لهم ليلزمهم الحجة ﴿فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ ٱلْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ ﴿٥٠﴾﴾.

وتبيّن [الآيات ٦٨ و ٦٩ و ٧٠] من هم المتقون ﴿يَٰعِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿٦٨﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُواْ مُسْلِمِينَ ﴿٦٩﴾ ٱدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ أَنتُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ تُحْبَرُونَ ﴿٧٠﴾﴾.

وتؤكد الآية [٧٢] ربط الجزاء بالعمل لا بالجبر ولا الإكراه ﴿وَتِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِىٓ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٧٢﴾﴾ كما تؤكد الآية [٧٦] العدل في حق الطرف الآخر من العذاب ﴿وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن كَانُواْ هُمُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧٦﴾﴾ ويقسم المولى سبحانه على لسان نبيه محمد عليه السلام بأنهم لا يؤمنون رغم تذكيرهم المتواصل، فاصفح عنهم يا رب فأنت عالم بهم وبمدى استجابتهم لإمهالك لهم ﴿فَٱصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَٰمٌ ۚ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٨٩﴾﴾.

من سورة الدخان (٤٤)

ابتدأت هذه السورة المكية بذكر القرآن كمعجزة خالدة وإنزاله في ليلة مباركة هي ليلة القدر، كما تحدثت عن ارتياب المشركين في القرآن الكريم، وأوردت بعدها ما حل بقوم فرعون من العذاب جزاء إجرامهم، ثم ذكرت مشركي قريش وإنكارهم للبعث والنشور، وانتهت السورة بذكر مصير الأبرار والفجار في الجنة والنار.

فتقول الآية [١٢] بلسان مشركي مكة ﴿رَّبَّنَا ٱكْشِفْ عَنَّا ٱلْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ﴾ زاعمين أنهم سيؤمنون بمحمد وبالقرآن، إن كشف عنهم العذاب من القحط الذي حل بهم، فتجيبهم الآية [١٥] ﴿إِنَّا كَاشِفُوا۟ ٱلْعَذَابِ قَلِيلًا ۚ إِنَّكُمْ عَآئِدُونَ ﴿١٥﴾﴾ فهل آمنوا وقد رفع القحط عنهم ببركة دعاء الرسول عليه السلام؟ لا بل عادوا إلى كفرهم.

وضرب الله تعالى لرسوله محمد عليه السلام مثلاً بموسى وما فعله الطاغية فرعون بأن ﴿وَإِن لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ لِى فَٱعْتَزِلُونِ ﴿٢١﴾﴾ قال لهم موسى: إن لم تؤمنوا بالله بسبب ما أورده لكم من حجة فدعوني وكفوا عني الأذى، فأصروا على إيقاع الأذى به ﴿فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنَّ هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمٌ مُّجْرِمُونَ ﴿٢٢﴾﴾ مبيّنة أن ما يقومون به من أعمال شريرة ضد موسى ومن آمن معه هي من كسبهم واختيارهم مما يستحقون عليها العذاب الشديد ﴿وَٱتْرُكِ ٱلْبَحْرَ رَهْوًا ۖ إِنَّهُمْ جُندٌ مُّغْرَقُونَ ﴿٢٤﴾﴾ اترك يا موسى البحر منفرجاً على حاله بعد أن اجتزتموه ليغرق فرعون وجنوده فيه.

وتؤكد [الآيتان ٣٨ و ٣٩] ما قضاه الله تعالى وقدَّرَهُ في خلقه ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ﴿٣٨﴾﴾ ﴿مَا خَلَقْنَٰهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾﴾ فليعلم هؤلاء البعيدون عن الحق بأن الله قد خلق الخلق صدقاً وحقاً، ولكن عناد الكافرين عن التصديق بذلك أوقعهم في الكفر، فليعودوا إلى وعيهم قبل حلول يوم الجزاء حين يحاسبون على اختيارهم وكسبهم.

من سورة الجاثية (٤٥)

بدأت هذه السورة المكية بذكر القرآن ومصدره العزيز الرحيم، ثم تحدثت عن الآيات الكونية المنبثة في العالم الفسيح، وفي خلق البشر والأنعام، وفي تعاقب الليل والنهار، ثم ذكرت المجرمين المكذبين بالقرآن الكريم بالرغم من كل براهينه ومعجزاته، ثم ذكّرت البشر بنعم الله تعالى الكثيرة عليهم ليشكروه، كما تحدثت عن جحود بني إسرائيل وعصيانهم رغم عظيم تكريم الله تعالى لهم، وتحدثت عن استحالة التسوية بين المحسنين والمجرمين لا في الدنيا ولا في الآخرة، وانتهت بذكر الجزاء العادل يوم الدين لفريق الجنة وفريق السعير.

وتقول في آيتها الثالثة ﴿إِنَّ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَأَيَٰتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾﴾ إن فيها دلالات وبراهين لكل من اختار الإيمان به تعالى.

وتستنكر على المشركين في الآية [٦] ﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ فَبِأَيِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَ ٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾﴾ تستنكرُ عليهم كيف يكفرون بآيات الله ومحمد يتلوها عليهم بالحقّ وهو يتلقّاها من جبريل، وأنهم إذ كفروا بآياتِ الله فبأيٍّ حديثٍ بعد الله وآياتِهِ يؤمنون ويصدّقون. . !

وتقول لهم بأن هذا القرآن هو الهدى ومصدر الهداية لكل إنسان، بعد أن وضعه محمد بين أيديهم، وأصبح تحت سمعهم وبصرهم، فاستكبروا عن الأخذ به مما جعلهم يستحقون العذاب الأليم.

وتأمر الآية [١٤] الرسول عليه السلام ﴿قُل لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يَغْفِرُوا۟ لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ ٱللَّهِ لِيَجْزِىَ قَوْمًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾﴾ أن أخبرهم يا محمد بأن يعفوا عن سيئات من أساء إليهم، ولاسيما لأن المسيء الكافر لا يرجو ثواب الله ورضاه، مما يجزل ثوابهم عند عفوهم عنه، ويوقع الحساب الشديد على من لا يرجو من الله ثواباً عندما يرتكب إساءته ولا يقيم وزناً لغيره، ذلك لأن ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿١٥﴾﴾.

ويخاطب المولى سبحانه رسوله عليه السلام ﴿ثُمَّ جَعَلْنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ

﴿فَٱتَّبِعۡهَا وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ ۝١٨﴾ ليذكّر البشرية بأن الله تعالى قد أرسلك بشريعة أخرى غير شريعة بني إسرائيل، فعليك أن تدعوهم وتدعو البشرية كلها لاتباعك وترك اتباع أهواء من لا يعلمون من ذلك شيئاً ويحتكمون لشهواتهم، لأن القرآن الذي أنزل عليك منهاج واضح ومصدر هدى ورحمة لكل من يؤمن به ويتبعه ﴿هَٰذَا بَصَٰٓئِرُ لِلنَّاسِ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٞ لِّقَوۡمٖ يُوقِنُونَ﴾ [٢٠].

ثم توبخ السورة المشركين في الآية [٢١] ﴿أَمۡ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجۡتَرَحُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجۡعَلَهُمۡ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءٗ مَّحۡيَاهُمۡ وَمَمَاتُهُمۡۚ سَآءَ مَا يَحۡكُمُونَ ۝٢١﴾ إذ كيف تقبل عقولهم التسوية بين من آمنوا باختيارهم والتزموا صالح الأعمال، وبين المشركين المسيئين سواء في هذه الحياة أو بعد الممات، فلكل أعماله وعلى كل جزاؤه، وشتان بينهما.

ثم تخاطب السورة في الآية [٢٣] الرسول عليه السلام ﴿أَفَرَءَيۡتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلۡمٖ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمۡعِهِۦ وَقَلۡبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةٗ فَمَن يَهۡدِيهِ مِنۢ بَعۡدِ ٱللَّهِۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ۝٢٣﴾ فاذكر يا محمد أولئك الذين عبدوا أهواءهم من دون الله، وابتعدوا عن الإيمان حتى لو كانوا يدّعونه، فإنهم قد ارتضوا لأنفسهم الضلال والبعد عن الهدى، مع إقفال آذانهم عن سماع الحق وعيونهم عن رؤية دلالات الهدى، فكيف يتذكرون قدرته تعالى وعظمته فيؤمنوا به ويلتزموا أمره ونهيه؟!

ثم تنبّه السورة في آيتيها [٣٠ و ٣١] إلى الفرق بين الذين اختاروا الإيمان وصالح الأعمال والذين اختاروا الكفر والاستكبار ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُدۡخِلُهُمۡ رَبُّهُمۡ فِي رَحۡمَتِهِۦۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡمُبِينُ ۝٣٠﴾ ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَفَلَمۡ تَكُنۡ ءَايَٰتِي تُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ فَٱسۡتَكۡبَرۡتُمۡ وَكُنتُمۡ قَوۡمٗا مُّجۡرِمِينَ ۝٣١﴾ إنه الاختيار وجزاؤه.

من سورة الأحقاف (٤٦)

بدأت هذه السورة المكية بالحديث عن القرآن المنزل بالحق، وبيّنت بعدها ضلال عبادة الأوثان، ثم ردت شبهة المشركين حول القرآن، وأوردت نموذجين من

نماذج البشرية: الولد البار بوالديه والولد العاق بهما، وتحدثت بعدها عن قصة هود عليه السلام، وطغيان قومه عاد وما حل بهم من عقاب لعله يردع كفار مكة، وانتهت السورة بقصة ذلك النفر من الجن الذين ما إن سمعوا القرآن حتى آمنوا به، وشتان بينهم وبين من يعاند ويستكبر في مكة أو غيرها.

وجاءت الآية الثالثة لتقول ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُنذِرُوا مُعْرِضُونَ ۝٣﴾ بأن من اختاروا الكفر يرفضون الأخذ بهذا النذير الذي يؤكد لهم حتمية وقوعه لأنه من عالم قادر على فعله.

ثم تستثير الآية [٥] عقولهم ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا مِن دُونِ اللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَن دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ ۝٥﴾ فكيف يستنصر فيه من لا يجيبه، والأشد منه بلاء أن هذه الأصنام ستقف ضدهم يوم الحساب ﴿وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ ۝٦﴾.

وتشتد جرأتهم عندما يتهجمون على آيات الله تعالى البينة الواضحة لمن كان له عقل فنجدهم ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ۝٧﴾.

وتقول لهم في الآية [١٠] ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَكَفَرْتُم بِهِ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِ فَآمَنَ وَاسْتَكْبَرْتُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ۝١٠﴾ فهل شهادة عبد الله بن سلام لا تكفي بأن القرآن منزل من عند الله وأنتم تثقون به، فلم لا تؤمنونَ فتظلموا أنفسكم بهذا الاستكبار، وتبتعدوا عن هداية الله تعالى.

وانظروا إلى الآية [١١] وهي تفضح استكبارهم ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَا إِلَيْهِ ۚ وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ فَسَيَقُولُونَ هَٰذَا إِفْكٌ قَدِيمٌ ۝١١﴾ فإنها تسفه زعمهم بأن القرآن لو كان خيراً ما سبقوهم إلى الإيمان به وهم دونهم في المكانة، ثم تسفه زعمهم بأنه مجرد إفك قديم لأنهم لم يؤمنوا به.

وتقول الآية [٢٠] للمشركين ﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُم بِهَا فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَفْسُقُونَ ۝٢٠﴾ فاذكروا أنكم عندما تعرضون على النار يقال لكم: لماذا أضعتم طيباتكم بالتمتع بها في الدنيا ولم تضعوا الآخرة في حسابكم؟!

وتوبخهم الآية [٢٨] ﴿فَلَوْلَا نَصَرَهُمُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ قُرْبَانًا آلِهَةً ۖ بَلْ ضَلُّوا

﴿عَنْهُمْۚ وَذَٰلِكَ إِفْكُهُمْ وَمَا كَانُواْ يَفْتَرُونَ ﴿٢٨﴾﴾ فها هي آلهتكم تهرب منكم بعد أن تزلفتم لها فوقعتكم في عاقبة إفككم وكذبكم.

وها هم الجن الأشد منهم قوة ما إن يستمعوا إلى القرآن حتى يقولوا بأنه ﴿يَهْدِيٓ إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٖ مُّسْتَقِيمٖ﴾ [٣٠] فلماذا وقعتم في هذا الافتراء على كتاب الله، واستمعوا للجن وهم يدعون قومهم للإيمان بالقرآن ﴿يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُواْ دَاعِيَ ٱللَّهِ وَءَامِنُواْ بِهِۦ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٖ﴾ [٣١] ويعللون لهم دعوتهم لقومهم ﴿وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِيَ ٱللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٖ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُۥ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءُۚ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ﴿٣٢﴾﴾ بأن من لا يؤمن بالله وكتابه ورسوله فهو بعيد عن الحق.

وتنهي السورة في [آيتها ٣٤] بقولها ﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ عَلَى ٱلنَّارِ أَلَيْسَ هَٰذَا بِٱلْحَقِّۖ قَالُواْ بَلَىٰ وَرَبِّنَاۚ قَالَ فَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٤﴾﴾ فإنهم يعترفون على أنفسهم اتباع الباطل فينالون جزاءهم.

من سورة محمد (٤٧)

هذه السورة المدنية مشحونة بالأحكام التشريعية، فبدأت بإعلان الحرب على أعداء الله وأعداء رسوله الذين يحاربون الإسلام ويحاربون رسوله، ثم تأمر المؤمنين بقتال الكافرين لتطهير الأرض من رجسهم، ثم بيّنت طريق النصر بالتمسك بشريعة الله ونصرة دينه. وأعطت لكفار مكة مثالاً بالجبابرة السابقين، وكيف دمر الله عليهم طغيانهم، وأسهبت في الحديث عن المنافقين وكشفت مخازيهم ليحذر الناس مكرهم وخبثهم.

وانتهت السورة بدعوة المؤمنين لسلوك طريق العزة والنصر بالجهاد في سبيل الله تعالى دون وهن ولا ضعف، ودون الدعوة للصلح مع الأعداء طمعاً في الحياة ورغبة في البقاء.

فها هي بداية السورة ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿١﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَءَامَنُواْ بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٖ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ ﴿٢﴾

ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱتَّبَعُوا۟ ٱلْبَٰطِلَ وَأَنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّبَعُوا۟ ٱلْحَقَّ مِن رَّبِّهِمْ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَٰلَهُمْ ﴿٣﴾﴾ قد أبطل الله تعالى مكرهم بالنبي عليه السلام كما كفّر عن المؤمنين سابق سيئاتهم، فهذا جزاء عبادة الأصنام والوقوف في وجه دعوة الإسلام.

وانظروا إلى ما يجب أن يكون عليه موقف المجاهدين من الكفّار الذين يقفون ضد الإسلام ودعوته ﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّوا۟ ٱلْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّۢا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَآءً حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ۚ ذَٰلِكَ وَلَوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَا۟ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ ۗ وَٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَٰلَهُمْ سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ﴾ [٤و٥] فلن تضيع أعمال المجاهدين الشهداء، بل سيوفقهم لطريق الرشاد ويطمئن نفوسهم أثناء السير فيه، واعلموا يا من اخترتم الإيمان بأن الله تعالى سينصركم على الكفار إن صدقتم نصر دينه، وثبتُّمْ في الجهاد في سبيله، وضحيتم بأموالكم وأنفسكم في سبيل ذلك، كما اعلموا أن الهزيمة والخذلان نصيب أولئك الكفار ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَتَعْسًا لَّهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٨﴾﴾ فستضيع أعمالهم سدى بالهزائم، وليذكروا أن هذا هو حال الطغاة السابقين من أمثالهم ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ دَمَّرَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ ۖ وَلِلْكَٰفِرِينَ أَمْثَٰلُهَا﴾ [١٠] وما ذلك إلا بسبب ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَأَنَّ ٱلْكَٰفِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ﴾ [١١] فلا ناصر لمن اختاروا الكفر، بينما النصر لمن اختاروا الإيمان، كما أن لكل جزاءه ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ ٱلْأَنْعَٰمُ وَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ ﴿١٢﴾﴾.

وتكشف الآية [١٦] حال المنافقين ﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّىٰٓ إِذَا خَرَجُوا۟ مِنْ عِندِكَ قَالُوا۟ لِلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مَاذَا قَالَ ءَانِفًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُمْ﴾ فإنهم لعنادهم لا يحاولون فهم ما يسمعونه ويسألون من يعلمون أنه فهمه، فقد ختم على قلوبهم لإصرارهم على الكذب والنفاق وحرصهم على متابعة رغباتهم وشهواتهم. بينما ﴿وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَىٰهُمْ تَقْوَىٰهُمْ ﴿١٧﴾﴾ الذين آمنوا واتبعوا هدى الله فإن الله تعالى يوفقهم للمزيد من الخير والتقوى.

وتقول الآية [٣٢] ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَشَآقُّوا۟ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْهُدَىٰ لَن يَضُرُّوا۟ ٱللَّهَ شَيْـًٔا وَسَيُحْبِطُ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٣٢﴾﴾ فالذين يمنعون الناس من

دخول الإسلام، ويعادون الرسول عليه السلام والمسلمين، فإنهم لن يلحقوا الضرر إلا بأنفسهم، إذ تضيع عليهم أعمالهم فلا يجدون ثواباً عليها.

وأنتم أيها المؤمنون المجاهدون ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَلَا تُبۡطِلُوٓاْ أَعۡمَٰلَكُمۡ ﴿٣٣﴾﴾ التزموا طاعة الله ورسوله، واحرصوا على الجهاد في سبيله تعالى، ولا تسايروا المنافقين فتفسدوا أعمالكم، وانظروا إلى الكفار الذين يصدون عن سبيل الله؛ الذين ماتوا وهم على كفرهم وردّتهمْ فلا ثواب لهم ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ مَاتُواْ وَهُمۡ كُفَّارٞ فَلَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَهُمۡ ﴿٣٤﴾﴾.

من سورة الفتح (٤٨)

تحدثت هذه السورة المدنية عن صلح الحديبية الذي حصل سنة ست من الهجرة بين الرسول عليه السلام وبين المشركين، والذي كان بداية لفتح مكة، كما تحدثت عن جهاد المؤمنين وبيعة الرضوان، ثم تحدثت عن المتخلفين عن الخروج مع النبي عليه السلام، وعن المنافقين، ثم تحدثت عن الرؤية التي رآها عليه السلام بدخولهم مكة آمنين مطمئنين، والتي تحققت بالفعل، وانتهت السورة بالثناء على الرسول عليه السلام وأصحابه رضوان الله عليهم.

وقالت السورة الكريمة في آيتها الثانية ﴿لِّيَغۡفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكَ وَيَهۡدِيَكَ صِرَٰطٗا مُّسۡتَقِيمٗا ﴿٢﴾﴾ أي يرشدك إلى الطريق القويم الموصل إلى جنات النعيم بشرعه العظيم، ناهيك عن التثبيت على الهدى حتى الموت، والنصر العزيز الذي لا ذل بعده للرسول عليه السلام وصحبه ومن ساروا على طريقته.

وبيّنت الآية [٥] ﴿لِّيُدۡخِلَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرَ عَنۡهُمۡ سَيِّـَٔاتِهِمۡۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عِندَ ٱللَّهِ فَوۡزًا عَظِيمٗا ﴿٥﴾﴾ بيّنت ما استحقوه من جنات النعيم بعد أن كفّر عنهم سيئاتهم سبحانه.

بينما بيّنت الآية [٦] ما أُعِدَّ للمنافقين والمشركين من عذاب، وكل ذلك يجزم

أن هذا صنعهم بأيديهم وإرادتهم مما استحقوا عليه من جزاء طيب للمؤمنين وسيئ لغيرهم، وهذا ما تجزم به الآية [٩] ﴿لِّتُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا ۝٩﴾ أي إن الله تعالى قد أرسل الرسول ليؤمن الناس بربهم ورسوله حق الإيمان، فهو ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا﴾ ليؤمن الناس بهذا التبشير والإنذار بالله ورسوله بمحض إرادتهم واختيارهم.

وأما أنتم أيها المنافقون وبالذات المخلفون من الأعراب هل تتصورون بأن أحداً يستطيع أن يدفع عنكم قضاء الله وقدره لو أراد إيقاع أي ضر أو نفع بكم، فعليكم باختياراتكم السليمة لتنالوا رضى الله تعالى لأنه ﴿وَمَن لَّمۡ يُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ فَإِنَّآ أَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ سَعِيرٗا ۝١٣﴾ فالأمر للإنسان أن يؤمن فله النعيم أو لا يؤمن فله الجحيم، والله تعالى مالك الخلق كلهم يعلم من يؤمن فيغفر له ومن لا يؤمن فيعذبه ﴿وَلِلَّهِ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ يَغۡفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ۝١٤﴾ كما أنه سبحانه يبيّن هذا المعنى ومسؤولية الإنسان عن اختياراته ﴿فَإِن تُطِيعُواْ يُؤۡتِكُمُ ٱللَّهُ أَجۡرًا حَسَنٗاۖ وَإِن تَتَوَلَّوۡاْ كَمَا تَوَلَّيۡتُم مِّن قَبۡلُ يُعَذِّبۡكُمۡ عَذَابًا أَلِيمٗا ۝١٦﴾.

كما أن الآية [١٧] تبيّن أصحاب الأعذار الذين لا إثم عليهم، كما تبيّن اختيار من ليس له عذر ﴿لَّيۡسَ عَلَى ٱلۡأَعۡمَىٰ حَرَجٞ وَلَا عَلَى ٱلۡأَعۡرَجِ حَرَجٞ وَلَا عَلَى ٱلۡمَرِيضِ حَرَجٞۗ﴾ هؤلاء هم أصحاب الأعذار وأما غيرهم ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدۡخِلۡهُ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ وَمَن يَتَوَلَّ يُعَذِّبۡهُ عَذَابًا أَلِيمٗا﴾ وهؤلاء هم أصحاب الاختيار فلهم الجنة إذا اختاروا الطاعة ولهم العذاب إذا اختاروا العصيان.

وتؤكد الآية [١٨] جزاء من اختاروا الإيمان وطاعة الله ورسوله ﴿لَّقَدۡ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذۡ يُبَايِعُونَكَ تَحۡتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمۡ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيۡهِمۡ وَأَثَٰبَهُمۡ فَتۡحٗا قَرِيبٗا ۝١٨﴾.

كما تؤكد الآية [٢٠] بأن فتح مكة هي علامة واضحة دالة على صدق الرسول عليه السلام فيما أخبركم به عن الله تعالى، الذي يؤكد أنكم قد اخترتم الحق فصرتم إلى الطريق القويم الحق ﴿وَلِتَكُونَ ءَايَةٗ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ وَيَهۡدِيَكُمۡ صِرَٰطٗا مُّسۡتَقِيمٗا ۝٢٠﴾.

كما تبيّن الآية [٢٢] ماذا كان سيحل بمن اختاروا الكفر لو قاتلوا المؤمنين ﴿وَلَوۡ قَٰتَلَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوَلَّوُاْ ٱلۡأَدۡبَٰرَ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيّٗا وَلَا نَصِيرٗا ۝٢٢﴾.

وتبيّن الآية [٢٥] ﴿هُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ فنتيجة اختيارهم للكفر أنهم وقفوا في طريق الرسول عليه السلام وصحبه فمنعوهم من العمرة يوم الحديبية، فكانت عصبية الجاهلية دفعتهم لذلك كما بالعكس دفع الإيمان المؤمنين لطاعة الله ورسوله فكانوا أهل التقوى.

وتعلن الآية [٢٨] ما أرسل الله تعالى به رسوله، إنه ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿٢٨﴾﴾ فهو، عليه الصلاةُ السلام، حامل الهداية للناس كافة وداع لهم لدين الإسلام الحق الذي سيعلو على الأديان كلها.

وها هي الآية الأخيرة من السورة، الآية [٢٩]، تعلن ما يجب أن يكونَ عليه حال الرسول عليه السلام ومن اختاروا الإيمان معه ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ﴾ لأنهم أشداء على الكفار متراحمون فيما بينهم ﴿تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ﴾ فإنهم يطلبون بهذه العبادة رحمة الله تعالى ورضوانه ﴿سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ﴾ علامتهم موجودة على جباههم بسبب كثرة الصلاة فترى الوقار والخشوع عليهم. . ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا﴾ فهذا الوعد الرباني يتحقق في الآخرة بالمغفرة التامة والأجر العظيم في جنات النعيم.

هذه السورة الكريمة تبرز الإنسان المؤمن، أي الذي اختار الإيمان وسار في طريق الطاعة لله ورسوله، كما تبرز الإنسان الكافر والمنافق الذي اختار الكفر وسار في طريق العصيان لله ورسوله، كما تبرز من الجانب الآخر أصحاب الأعذار أي المؤمنين الذين تخلفوا أو قد يتخلفون بسبب من أعذار شرعية كالمرض وغيره من عمى أو عرج، فهؤلاء لا يلحقهم حرج في ذلك، أي لا إثم عليهم لو لم يشاركوا المؤمنين في الجهاد بأنفسهم، ولكن أموالهم لمن كان لديه مال منهم يمكن أن تقوم بالمشاركة نيابة عن أجسامهم.

فالسورة الكريمة تعلن أن النصر بيد الله تعالى ولكن الاستعداد له بيد الإنسان واختياره.

من سورة الحجرات (٤٩)

تبدأ هذه السورة المدنية بأمر الصحابة والمؤمنين من بعدهم بأدب رفيع تجاه شرع الله تعالى وأمر رسوله، فلا يبرموا أمراً في حضرة الرسول عليه السلام حتى يعودوا إليه ويأخذوا بقوله، كما أمرتهم بخفض الصوت إذا تحدثوا مع النبي عليه السلام لأن رفع الصوت هنا يشوش على بيان أحكام الله تعالى، كما أمرتهم بعدم السماع للإشاعات ولاسيما ممن لا يوثق به، كما أمرتهم بالإصلاح بين المتخاصمين ودفع عدوان المعتدين، ثم حذرت السورة من السخرية والهمز واللمز والغيبة والتجسس وسوء الظن، وانتهت السورة ببيان حقيقة الإيمان.

فنجدها في الآية الأولى تقول ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ﴾ فيا من اخترتم الإيمان تجنبوا البتَّ في أي أمر بوجود الرسول عليه السلام، أي بوجود كتاب الله تعالى وسنة رسول الله عليه السلام، فلا تشريع مع شريعة الله ولا أمر مع أمر الله ورسوله لا تقديماً ولا مفاصلة.

ونجدها في الآية الثانية ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ﴾ فاحذروا يا من اخترتم الإيمان أن تشوشوا على النبي عليه السلام وأنتم بحضرته لما في ذلك من إساءة لدعوته وتبليغ رسالته.

ونجدها في الآية [٦] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلۡتُمۡ نَٰدِمِينَ ٦﴾ فتحذر من تصديق الإشاعات قبل التحقق من صدقها حتى لا يقع الأذى والندم.

وتقول السورة في آيتها [٩] ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱقۡتَتَلُواْ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَاۖ فَإِنۢ بَغَتۡ إِحۡدَىٰهُمَا عَلَى ٱلۡأُخۡرَىٰ فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِي تَبۡغِي حَتَّىٰ تَفِيٓءَ إِلَىٰٓ أَمۡرِ ٱللَّهِۚ﴾ بأن على من اختاروا الإيمان بأن يصلحوا بين أي فئتين من المؤمنين وقعت بينهما خصومة حتى ترجعا إلى كلمة حق وينتهي العدوان بينهما؛ ذلك لأنه ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِخۡوَةٞ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَ أَخَوَيۡكُمۡۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ١٠﴾ فأخوة الإيمان تقتضي الصلح بين أهلها لما في ذلك من رحمة الله تعالى بالطرفين جميعاً.

وتبيّن الآية [١١] لمن اختاروا الإيمان تحريم السخرية بينهم وتحريم الهمز واللمز، لأن ذلك خروج عن طاعة الله ورسوله ووقوع في ظلم النفس والآخرين ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ﴾ ﴿وَلَا تَلۡمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلۡأَلۡقَٰبِۖ﴾ فتحذر هذه الآية المؤمنين من هذه الأخلاق الوضيعة التي تؤدي إلى الوقيعة بينهم.

وتكمل الآية [١٢] النهي عن أخلاق أخرى وضيعة ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجۡتَنِبُواْ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعۡضَ ٱلظَّنِّ إِثۡمٞۖ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغۡتَب بَّعۡضُكُم بَعۡضًاۚ﴾.

وتبيّن [الآيتان ١٤ و ١٥] حقيقة الإيمان ﴿قَالَتِ ٱلۡأَعۡرَابُ ءَامَنَّاۖ قُل لَّمۡ تُؤۡمِنُواْ وَلَٰكِن قُولُوٓاْ أَسۡلَمۡنَا وَلَمَّا يَدۡخُلِ ٱلۡإِيمَٰنُ فِي قُلُوبِكُمۡۖ وَإِن تُطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَا يَلِتۡكُم مِّنۡ أَعۡمَٰلِكُمۡ شَيۡـًٔاۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمۡ يَرۡتَابُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿١٥﴾﴾ فالمؤمن عندما يختار الإيمان يشمل إيمانه هذا كتاب الله تعالى وسنة رسوله من دون أدنى شك ولا ريب في ذلك، كما يجاهد بأمواله ونفسه في سبيل الله مدللاً على صدق إيمانه بكتاب الله تعالى وسنة رسوله عليه السلام، والاطمئنان لهداية الله تعالى التي نزلت مع القرآن والسنة.

من سورة ق (٥٠)

تبدأ هذه السورة المكية بالنكير على كفار قريش لإنكارهم البعث بعد الموت، وتدلل على حتمية ذلك بآيات الله تعالى الكونية، ثمّ تشير إلى ما حلّ بالمكذبين بذلك من الأمم السابقة من العذاب ،محذرة كفّار مكة ومن يأتي بعدهم من ذلك، ثمّ تتحدث عن سكرة الموت وهول الحساب.

وتنتهي السورة الكريمة بذكر صيحة الحق التي يخرج بها الناس من قبورهم ليساقوا للحساب والجزاء.

فتذكر السورة في آيتها الثانية ﴿فَقَالَ ٱلۡكَٰفِرُونَ هَٰذَا شَيۡءٌ عَجِيبٌ﴾ إنهم ينكرون يوم

البعث ويرون من الغرابة والعجب أن يجري الحديث عنه، فهم ﴿بَلۡ كَذَّبُواْ بِٱلۡحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمۡ﴾ إنها جرأتهم في رفض الحق وبيان الحق. وتدلل السورة بالإنبات للأشجار والزروع على وقوع البعث الآية [١١] ﴿كَذَٰلِكَ ٱلۡخُرُوجُ﴾ وهكذا يخرج الموتى من قبورهم كما يخرج النبات من بذوره التي دفنت في الأرض، أومن فسائله التي غرست في التربة.

فها أنت أيها الإنسان ستبعث من قبرك لتساق إلى الحشر والحساب، ويكون مصير من أنكر هذا اليوم ﴿أَلۡقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ ٢٤﴾.

ولن ينفعه الزعم بأن شيطانه هو الذي أبعده عن الحق بل سيجد قرينه يكذبه يوم الحساب ﴿قَالَ قَرِينُهُۥ رَبَّنَا مَآ أَطۡغَيۡتُهُۥ وَلَٰكِن كَانَ فِي ضَلَٰلِۭ بَعِيدٍ ٢٧﴾ وأما من اختار الإيمان بالحشر والحساب فله ﴿وَأُزۡلِفَتِ ٱلۡجَنَّةُ لِلۡمُتَّقِينَ غَيۡرَ بَعِيدٍ ٣١﴾ ﴿ٱدۡخُلُوهَا بِسَلَٰمٖۖ ذَٰلِكَ يَوۡمُ ٱلۡخُلُودِ ٣٤﴾ ﴿لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيۡنَا مَزِيدٞ ٣٥﴾ فليطمئنوا لاختيارهم هذا الإيمان لأنهم سيُجزَوْنَ الجزاءَ الأوفى على ذلك.

من سورة الذاريات (٥١)

بدأت هذه السورة المكية بذكر الرياح والسحب والسفن الجارية والملائكة المكلفين بتدبير الخلق، وأقسمت بذلك بأن يوم البعث لا بد قادم.

ثمّ تحدثت عن كفار مكة وتكذيبهم بالقرآن والدار الآخرة، ثمّ ذكرت المؤمنين المتقين، وما لهم من جنات النعيم كما لأولئك الكفار من نار الجحيم.

ثمّ تحدثت عن قدرة الله تعالى في خلق هذا الكون الفسيح المليء بأدلة قدرته تعالى.

ثمّ ذكرت بعض قصص الأمم السابقة وما حل بها بسبب طغيانها من الدمار والهلاك.

وانتهت السورة بذكر غاية خلق الجن والإنس بأنها عبادة الله تعالى وتوحيده.

ففي الآية [١٠] ﴿قُتِلَ ٱلْخَرَّٰصُونَ ۝١٠﴾ أي لعن الكذابون الذين قالوا بأن النبي ساحر وكذاب.

بينما الآية [١٥] ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ۝١٥﴾ في بساتين فيها عيون جارية.

وتقول الآية [٣٥] ﴿فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝٣٥﴾ أنقذناهم من الهلاك لأنهم اختاروا الهدى على الضلال.

وتؤكد الآية [٥٥] ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝٥٥﴾ تنفع من اختار الإيمان على الكفر لاستجابته لدعوة الحق.

وتنتهي الآية [٦٠] ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن يَوْمِهِمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ ۝٦٠﴾ أي لهم الهلاك والدمار والعذاب الشديد يوم القيامة، يوم الحساب الشديد، وفي السورة تصوير لحساب من اختاروا الكفر على الإيمان بما لهم من النيران، ولمن اختاروا الإيمان على الكفر بما لهم من الجنان.

من سورة الطور (٥٢)

بدأت هذه السورة المكية بذكر أهوال يوم القيامة وما ينتظر الكافرينَ في ذلك الوقت من العذاب الشديد.

ثمّ تحدثت عن المتقين وهم يتنعمون في جنات النعيم مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر.

وبعدها أشارت إلى رسالة الإسلام والأمر بتذكير الكفار الفجار دون اهتمام بقول المشركين وافتراءاتهم في حق الرسول والرسالة، ثمّ أنكرت مزاعم المشركين الباطلة في نبوة محمد عليه السلام، وأبرزت الحجج الدامغة في ذلك.

وانتهت السورة الكريمة بالتهكم على الكافرين وأوثانهم، وقرعت شدة عنادهم، وأمرت المصطفى عليه السلام بالصبر على أذاهم في سبيل الله تعالى حتى يأتي نصر الله.

فبعد القسم بجبل الطور بأن ﴿عَذَابَ رَبِّكَ لَوَٰقِعٌ ۝٧﴾ للمكذبين تؤكد ما ينتظرهم

﴿ٱصْلَوْهَا فَٱصْبِرُوٓاْ أَوْ لَا تَصْبِرُواْ سَوَآءٌ عَلَيْكُمْ ۖ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾﴾ بأن جزاءهم على اختياراتهم وكذلك جزاء المتقين ﴿كُلُواْ وَٱشْرَبُواْ هَنِيٓـًٔا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾﴾.

وتبين الآية [٢١] ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ مؤكدة أن من اختاروا الإيمان هم وأزواجهم المؤمنات وأولادهم المؤمنون في جنات النعيم.

وتبين الآية [٣٣] كذبهم إذ تقول ﴿أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُۥ ۚ بَل لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾﴾ فإنهم لا يصدقون بالقرآن نفسه عناداً واستكباراً. وتؤكد الآية [٤٢] ﴿أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا ۖ فَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ هُمُ ٱلْمَكِيدُونَ ﴿٤٢﴾﴾ فكيدهم وتآمرهم في دار الندوة عائد عليهم لفشلهم فيما مكروا به ﴿يَوْمَ لَا يُغْنِى عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤٦﴾﴾. لا في الدنيا ولا في الآخرة، وهذا هو مصير من اختاروا المكر بالإسلام والمسلمين مهما تطاول بهم الزمن.

من سورة النجم (٥٣)

بدأت هذه السورة المكية بموضوع المعراج الذي عرج فيه عليه السلام إلى السماوات العُلىٰ، ثمّ تحدثت عن الأوثان والأصنام وبينت بطلانها وبطلان عبادتها، ثمّ ذكرت الجزاء العادل يوم الدين بحيث تجزى كل نفس بما كسبت، وأوردت الدليل على ذلك بأن كل إنسان ليس له إلا عمله وسعيه، وأن أحداً لا يحمل عن أحد وزره، ثمّ تعرضت السورة الكريمة لذكر آثار قدرة الله تعالى في الإحياء والإماتة، والبعث بعد الفناء، والفقر والإغناء، وانتهت السورة بذكر ما حلّ بالأقوام الطاغية من عاد وثمود ونوح ولوط من العذاب والدمار ليتعظ كفار مكة قبل أن يحل بهم.

وتقرر الآيات [٢ و ٣ و ٤] ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴿٢﴾﴾ ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴿٣﴾﴾ ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾﴾ تقرر بأن ما يقوله النبي عليه السلام هو الهدى والحق، وأن ما ينطق به ليس بدافع الرغبة والهوى، وإنما هو وحي يوحى إليه من رب العالمين.

وتشنع الآية [٢٣] على مشركي العرب شركهم ﴿إِنْ هِىَ إِلَّآ أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ

وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلۡطَٰنٍۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهۡوَى ٱلۡأَنفُسُۖ وَلَقَدۡ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلۡهُدَىٰٓ ﴿٢٣﴾﴾.

فكيف يعبدون افتراءً التقاليد والأوهام والأهواء ويتركون ما جاءهم من هدى الله تعالى ؟! فمن أين لهم تسمية الملائكة بالإناث إلا من باب الظن والوهم الكاذب ﴿ذَٰلِكَ مَبۡلَغُهُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِمَنِ ٱهۡتَدَىٰ ﴿٣٠﴾﴾ فكلها من صنع يده واختياره وعليها الجزاء الأوفى.

وتـذكـر الآيـات [٣٩ و ٤٠ و ٤١] ﴿وَأَن لَّيۡسَ لِلۡإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾﴾ ﴿وَأَنَّ سَعۡيَهُۥ سَوۡفَ يُرَىٰ ﴿٤٠﴾﴾ ﴿ثُمَّ يُجۡزَىٰهُ ٱلۡجَزَآءَ ٱلۡأَوۡفَىٰ ﴿٤١﴾﴾.

فهذا قرار رباني واضح كل الوضوح وليس بعده كلام على اختيار الإنسان وعلى الجزاء وفق هذا الاختيار والعمل به.

من سورة القمر (٥٤)

بدأت هذه السورة المكية بذكر معجزة انشقاق القمر التي طلبها المشركون، ولكنهم لفرط عنادهم أصروا على شركهم رغم رؤيتهم المعجزة، ثمّ تحدثت عن شدائد يوم القيامة بشكل يثير الرعب في النفوس، وذكرت ما حلّ من دمار بالمكذبين الطغاة المتجبرين لتُحَذِّر كفار قريش من نفس المصير.

وانتهت السورة الكريمة بذكر مصير المتقين السعداء، والمجرمين الأشقياء، فها هي الآية الثالثة تبين موقفهم من المعجزة الكونية بانشقاق القمر ﴿وَكَذَّبُواْ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَهۡوَآءَهُمۡۚ﴾ إنه اختيار التكذيب واتباع الهوى، فإنهم يوم القيامة ﴿يَقُولُ ٱلۡكَٰفِرُونَ هَٰذَا يَوۡمٌ عَسِرٞ﴾ وتقول الآية [٨] واصفة نجاة نوح والمؤمنين معه ﴿تَجۡرِي بِأَعۡيُنِنَا جَزَآءٗ لِّمَن كَانَ كُفِرَ ﴿١٤﴾﴾ فبقدرته تعالى جرت السفينة انتصاراً لنوح وجزاء لمن كذبه من قومه.

وأعلنت ثمود ﴿فَقَالُوٓاْ أَبَشَرٗا مِّنَّا وَٰحِدٗا نَّتَّبِعُهُۥٓ إِنَّآ إِذٗا لَّفِي ضَلَٰلٖ وَسُعُرٍ ﴿٢٤﴾﴾ بأن اتباع صالح عليه السلام هو من الضلال والجنون، إنهم يدركون خيارهم.

وتتهدد الآية [٤٣] كفار مكة ﴿أَكُفَّارُكُمۡ خَيۡرٞ مِّنۡ أُوْلَٰٓئِكُمۡ أَمۡ لَكُم بَرَآءَةٞ فِي ٱلزُّبُرِ﴾ فهل

كفاركم يا معشر العرب خير من الكفار الذين حلت بهم نقمة الله تعالى حتى لا يعذبكم تعالى؟ أم هل كل ما تفعلونه من خير وشر غير مسجل في كتب الملائكة الحفظة ولن تحاسبوا عليه؟!

ألا فليعلموا أنه ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي ٱلزُّبُرِ ۝٥٢﴾ مسجل عليهم و سيحاسبون عليه، وأنه ﴿وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُّسْتَطَرٌ ۝٥٣﴾ أي مسطور في كتب حسابهم. فالسورة الكريمة تبرز اختياراتهم وما سيلحقهم بسبب سوئها من العذاب الشديد.

من سورة الرحمن (٥٥)

بدأت هذه السورة المكية بذكر العديد من نعم الله الباهرة وفي مقدمتها تعليم القرآن، ثمّ عرضت صحائف الوجود الناطقة بنعم الله العظيمة، ثمّ تحدثت عن دلائل القدرة الباهرة في تسيير الأفلاك، وبعدها ذكرت أهوال يوم القيامة وما يتعرض له الأشقياء والمجرمون من صنوف العذاب، ثمّ أوردت مشهد النعيم الذي يتمتع به المتقون في جنات الخلد.

وانتهت السورة الكريمة بالمديح والثناء على المولى سبحانه لنعمه التي لا تعد ولا تحصى.

ففي الآية [٩] ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلْوَزْنَ بِٱلْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا۟ ٱلْمِيزَانَ ۝٩﴾ تأمر السورة البشر بعامة، والمؤمنين بخاصة، أن يكون وزنهم في بيعهم وشرائهم عادلاً ومنصفاً فلا تقدموا على تنقيص الميزان.

وعندما تقول الآيتان [٢٦ و ٢٧] ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ۝٢٦﴾ ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ۝٢٧﴾ تنذر الإنسان بالفناء، وأن عليه أن يستعد للموت والبعث بعدها والحساب من قبل الرب الباقي وحده يوم الحساب.

وتقول الآية [٦٠] ﴿هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ ۝٦٠﴾ بأن الأمر المقطوع فيه

أن الله تعالى يجازي المحسن في معتقداته وأعماله بالجزاء الحسن الطيب، وبالمقابل يجازي المسيء فيها بالجزاء السيئ.

وعندما تعرض هذه السورة الكريمة في نهايتها مشاهد المتقين في جنات النعيم، ومشاهد الطغاة المجرمين في دَرَكَات الجحيم، تنذر وتحذر من اختاروا الكفر والإجرام وتبشر من اختاروا الإيمان والخير.

من سورة الواقعة (٥٦)

تتحدث هذه السورة المكية عن أحوال يوم القيامة وتوزع الناس فيه إلى ثلاث فئات، ثمّ تقف مع كل فئة، وتذكر ما أعد الله تعالى لأهلها من الجزاء العادل يوم الدين، وتحدثت عن دلائل قدرة الله تعالى ووحدانيته، وبديع خلقه وصنيعه، ثمّ نوهت بذكر القرآن العظيم، وأنه تنزيل رب العالمين، وذكرت بعدها ما يلقاه الإنسان حسب اختياراته من شدائد وأهوال، وبيّنت في النهاية عاقبة كُلٍّ من تلك الفئات الثلاث.

وتقول الآية [٢٤] ﴿جَزَآءَۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾﴾ بأن ما يناله السابقون من أهل الخير والسعادة يوم الدين؛ كُلُّهُ جزاء أعمالهم في الدنيا، وجزاء اختياراتهم وإراداتهم.

وعندما تقول الآيتان [٥١ و ٥٢] ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا ٱلضَّآلُّونَ ٱلْمُكَذِّبُونَ ﴿٥١﴾ لَءَاكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ ﴿٥٢﴾﴾ تبين نوع الطعام الذي ينتظر أولئك الذين اختاروا الضلال والبعد عن الحق وتكذيبه.

وعندما تتحدث السورة الكريمة في نهايتها عمّا ينتظر الفئات الثلاث: المقربين وما ينتظرهم الآية [٨٩] ﴿فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ﴿٨٩﴾﴾.

وأصحاب اليمين وما ينتظرهم من أمن وأمان في جنة الخلد الآية [٩١] ﴿فَسَلَـٰمٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَـٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩١﴾﴾ والمكذبين الضالين وما ينتظرهم من الآية [٩٣] ﴿فَنُزُلٌ مِّنْ

حَمِيمٍ ﴿٩٣﴾ الآية [٩٤] ﴿وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ ﴿٩٤﴾﴾ فإنها تبين عاقبة اختيارات الفئات الثلاث.

من سورة الحديد (٥٧)

بدأت هذه السورة المدنية بذكر عظمة الله تعالى وتسبيح الكون له، ثمّ تحدثت عن صفاته تعالى الحسنى وأسمائه العليا، ثمّ أخذت تدعو المسلمين للبذل والسخاء في الإنفاق في سبيل الله تعالى من أجل عزة الإسلام وأهله، وعرضت السورة الكريمة بعدها أهل الإيمان وأهل النفاق والفرق بين الفئتين، ووقفت مع حقيقة الدنيا وحقيقة الآخرة وصورةِ كل منهما، لتنتهي مع بيان الهدف من بعثة الرسل الكرام، في بث التقوى في النفوس والاقتداء في ذلك بأنبياء الله تعالى ورسله، مما يكشف عن الأمر الحاسم في اختيارات الإنسان في هذه الدنيا.

وعندما تقول الآية [٤] ﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۖ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ تبيّن لنا بأنه سبحانه محيط بعلمه بكل ما يجري في السماوات والأرض، وأننا أينما كنا سنكون في محيط علمه سبحانه، وأنه سبحانه يرى كل أعمالنا في كل الأوقات والأحوال.. وفي ذلك إنذار للبشر جميعاً بأن كل خياراتهم وأعمالهم لا تخرج عن إحاطة الله تعالى بها ليجري الحساب العادل عليها.

وتأمر الآية [٧] ﴿ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَأَنفِقُوا۟ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ ۖ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَأَنفَقُوا۟ لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿٧﴾﴾ تأمر باختيار الإيمان بالله وكتابه ورسوله، كما تأمر بالإنفاق بسخاء من ماله تعالى الذي استخلفنا عليه، وبينت لنا الآية أن من يختار هذا الإيمان ويقوم على الإنفاق في سبيل الله تعالى له الثواب العظيم.

وتستنكر الآية الثامنة التردد في اختيار ذلك الإيمان مع الرسول الذي يعرفونه ويعرفون ما يدعوهم إليه ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ۙ وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ وَقَدْ أَخَذَ

مِيثَٰقَكُمۡ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿٨﴾﴾ كما يعرفون ما ينتظرهم من جنات النعيم الخالد ﴿بُشۡرَىٰكُمُ ٱلۡيَوۡمَ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿١٢﴾﴾.

وفي ذلك اليوم يطلب من اختاروا النفاق ممن اختاروا الإيمان أن يعطوهم شيئاً من نور السعادة الذي يظهر عليهم، فيحال بينهم وبين كل رحمة ﴿ٱنظُرُونَا نَقۡتَبِسۡ مِن نُّورِكُمۡ قِيلَ ٱرۡجِعُواْ وَرَآءَكُمۡ فَٱلۡتَمِسُواْ نُورٗا﴾ الآية [١٣].

ويؤكد المؤمنون وهم يتنعمون في الجنان للكفار بأن الفرصة للتوبة والإيمان قد أضاعوها ﴿فَٱلۡيَوۡمَ لَا يُؤۡخَذُ مِنكُمۡ فِدۡيَةٞ وَلَا مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ مَأۡوَىٰكُمُ ٱلنَّارُۖ هِيَ مَوۡلَىٰكُمۡۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ﴿١٥﴾﴾ فلا مجال يوم الحساب من أن يفتدي الكافر نفسه بمال الدنيا كله.

وتعاتب الآية [١٦] ﴿أَلَمۡ يَأۡنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخۡشَعَ قُلُوبُهُمۡ لِذِكۡرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلۡحَقِّ وَلَا يَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلُ فَطَالَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَمَدُ فَقَسَتۡ قُلُوبُهُمۡۖ وَكَثِيرٞ مِّنۡهُمۡ فَٰسِقُونَ ﴿١٦﴾﴾ تعاتب هذه الآية المؤمنين الذين لم يمض على هجرتهم للمدينة غير أربع سنوات فكيف يميلون إلى لين العيش ورفاهيته وتفتر نفوسهم عن قوة الاستجابة لأمر الله تعالى، حتى لا يكونوا كاليهود والنصارى الذين قَسَتْ نفوسهم وخرجت عن طاعة الله تعالى بسبب تطاول الزمن عليهم.

وتؤكد الآية [١٩] الفرق بين من اختاروا الإيمان ومن اختاروا الكفر ومصير كل منهم ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَۖ وَٱلشُّهَدَآءُ عِندَ رَبِّهِمۡ لَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ وَنُورُهُمۡۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَحِيمِ ﴿١٩﴾﴾ فيا من اخترتم الإيمان ﴿سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا كَعَرۡضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ أُعِدَّتۡ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٢١﴾﴾.

وتؤكد الآية [٢٢] ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مِّن قَبۡلِ أَن نَّبۡرَأَهَآۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ﴿٢٢﴾﴾ تؤكد أن علم الله تعالى محيط بكل ما يقع في الأرض وللإنسان لأن علمه سبحانه مطلق ويسير عليه تعالى في محاسبة خلقه.

وتنتهي السورة الكريمة بالآيتين [٢٨ و ٢٩] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ

وَءَامِنُواْ بِرَسُولِهِۦ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ وَيَغْفِرْ لَكُمْۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٨﴾ ﴿لِّئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِّن فَضْلِ ٱللَّهِۙ وَأَنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢٩﴾﴾ فيا من صدقتم بالله امتثلوا طاعته في أمره ونهيه يضاعِفْ لكم رحمته، ويعلم أهل الكتاب أن فضل الله ليس خاصاً بهم.

من سورة المجادلة (٥٨)

بدأت هذه السورة المدنية بقصة خولة بنت ثعلبة التي ظاهر منها زوجها، فجادلت الرسول عليه السلام في ذلك واشتكت إلى الله تعالى، ثمّ ذكرت السورة حكم كفارة الظهار، وأوردت موضوع التناجي، ثم موضوع مكر اليهود بتحية الرسول عليه السلام بتحية شتيمة، ثم ذكرت موقف المنافقين من موالاة اليهود ضد المؤمنين.

وانتهت السورة الكريمة ببيان حقيقة الحب في الله والبغض في الله.

[فالآية ٤] عندما تقول ﴿ذَٰلِكَ لِتُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۚ وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِۗ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤﴾﴾ أي إن حكم الظهار من أجل أن تصدقوا بالله ورسوله في العمل بشرائعه وتتوقفوا عن العمل بأحكام الجاهلية، وأن من يرفض هذه الأحكام فقد خرج من الإيمان، واستحق العذاب الأليم والجزاءَ المخزي.

والآية [٦] ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓاْۚ أَحْصَىٰهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٦﴾﴾ لينال كل إنسان جزاء أعماله.

وتقول الآية [٧] ﴿ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُواْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧﴾﴾ مؤكدة الحساب والجزاء على ما عمله الإنسان من أعمال في حياته.

وتأمر الآية [٩] من اختاروا الإيمان ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَنَٰجَيْتُمْ فَلَا تَتَنَٰجَوْاْ بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَمَعْصِيَتِ ٱلرَّسُولِ وَتَنَٰجَوْاْ بِٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِيٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٩﴾﴾ تأمرهم بالحرص على الكلام السري فيما بينهم بكل ما يتصل بالبر والخير والتقوى، وليس

بعكس ذلك مما يؤدي إلى الإساءة للمؤمنين، مع أن ذلك الأذى لا يلحق بالمؤمنين إلا ما الله تعالى يعلمه ويقدر على منعه.

وتأمر الآية [١١] بالتفسح في المجالس والنهوض منها ﴿إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا۟ فِى ٱلْمَجَٰلِسِ فَٱفْسَحُوا۟ يَفْسَحِ ٱللَّهُ لَكُمْ ۖ وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُوا۟ فَٱنشُزُوا۟﴾ ثمّ قالت الآية ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ فقد رفع الله تعالى من اختاروا الإيمان والتصديق لامتثالهم بأوامره وتجنبهم نواهيه، رفعهم أعلى الدرجات لأنه سبحانه خبير بمن يستحق الفضل والثواب ممن لا يستحقه.

ثمّ تخاطب الآية [١٢] المؤمنين ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا نَٰجَيْتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَةً ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَأَطْهَرُ ۚ فَإِن لَّمْ تَجِدُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾﴾ فإذا أردتم محادثته عليه السلام سراً فقدموا قبلها صدقة تتصدَّقونَ بها على الفقراء.

وتتحدث الآية [١٩] عن المنافقين ﴿ٱسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَأَنسَىٰهُمْ ذِكْرَ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱلشَّيْطَٰنِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٩﴾﴾ إنهم أتباع الشيطان في شرورهم، وفي ضياع النعيم عن أنفسهم وتعريضها للعذاب الدائم.

ونجد الآية الأخيرة من هذه السورة الكريمة تحدد من هم حزب الله الفائزون يوم الدين، إنهم من صدّقوا بالله ورسوله ويوم القيامة، إنهم من يبغضون من حارب الله تعالى ورسوله مهما كانوا مقربين لهم؛ سواء كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم، إنهم من ملئت قلوبهم بالإيمان، إنهم من ينتظرون جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها، إنهم من رضي الله تعالى عنهم فقبل أعمالهم ورضوا عنه بما نالهم من عظيم ثوابه.. ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾﴾.

هذه السورة الكريمة مشحونة بالأحكام الشرعية المتعلقة بالفرد والمجتمع، وفي رأسها تحديد من هم حزب الله ومن هم حزب الشيطان، وأتباعهما من صنع اختيارهما وإرادتهما.

من سورة الحشر (٥٩)

بدأت هذه السورة المدنية بتنزيه الله تعالى وتمجيده، ثمّ أوردت بعض آثار قدرته بإجلاء يهود بني النضير عن المدينة المنورة، ثمّ تحدثت عن موضوع الفيء والغنيمة، وأثنت على أصحاب الرسول عليه السلام من مهاجرين وأنصار، ثمّ ذكرت المنافقين الأشرار الذين اعتادوا على التواطؤ مع اليهود ضد الإسلام والمسلمين، ووعظت المؤمنين بتذكر يوم الحساب والفارق بين أهل الجنة وأهل النار، وانتهت هذه السورة الكريمة بذكر بعض أسماء الله تعالى الحسنى، وأبرزت في كل ذلك مسؤولية الإنسان فرداً وجماعة عن أعماله الاختيارية.

ففي الآية الثانية بيّنت أن الله تعالى بيده النصر على أعداء الإسلام والمسلمين وأنه ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن دِيَٰرِهِمْ لِأَوَّلِ ٱلْحَشْرِ﴾ فقد أعان سبحانه الرسول عليه السلام وصحبه الكرام على اليهود من بني النضير، الذين أصروا على البقاء على الكفر ورفضوا الدخولَ في الإسلام؛ بل تصَدَّوْا للإسلام وأهله. وكان من عون الله تعالى ﴿فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا۟ ۖ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ﴾ فسيطر الخوف عليهم مع أنهم كانوا محصنين تماماً ﴿يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ وأخذوا يهدمونها من الداخل حقداً على المسلمين لئلا يسكنوها ويستفيدوا منها، وهذا ما يفعلونه اليوم وفي كل وقت.

وبينت الآية [٩] ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ بينت بأن الفوز والفلاح في الدنيا والآخرة منوط بالكرم في الإنفاق في سبيل الله تعالى.

وتبين الآية [١٠] مدى تعاطف المسلمين وتلاحمهم فيما بينهم حتى في الدعاء لهم ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾﴾ فهم يدعون لهم بالمغفرة، كما يدعون لأنفسهم بالخلاص من البغض والحسد لأحد ممن اختاروا الإيمان، سواء ممن سبقوهم من المهاجرين أو ممن يجيئون بعدهم من التابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

وتصور الآية [١١] مساندة المنافقين لإخوانهم الكافرين من يهود بني النضير عندما يقولون لهم ﴿لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١١﴾﴾ فإن الله تعالى العالم ببواطنهم يكذبهم في زعمهم من مناصرة بني النضير، سواء في الخروج معهم إن أخرجهم المسلمون أو في القتال معهم، وبالفعل كذبوا في ذلك كله فلم يخرجوا معهم ولم ينصروهم.

وصورت الآية [١٦] موقف المنافقين من يهود بني النضير أدق تصوير عندما قالت بأنهم ﴿كَمَثَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَٰنِ ٱكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾﴾ فعمله توريط من يستجيب له حتى إذا أوقعه تبرأ منه ومن ورطته التي ارتكبها ووقع فيها بمحض إرادته واختياره.

وتخاطب الآية [١٨] من اختاروا الإيمان وتدعوهم إلى مخافة الله في كل عمل يقدمون عليه تحسباً ليوم الحساب ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾﴾ فخافوا أيها المؤمنون الله تعالى واحذروا عقابه، وانظروا إلى جميع الأعمال الصالحة لتكون رصيدكم الكبير يوم القيامة فهي ما تدخرونه لأنفسكم بحق.

واحذروا أيها المؤمنون أن تكونوا كمن تركوا ذكر الله تعالى وطاعته، فوقعوا في نسيان حقوق أنفسهم ومصالحهم. واذكروا أن من أسماء الله الحسنى (المؤمن)أي المصدق لرسله بإظهار معجزاتهم.

من سورة الممتحنة (٦٠)

بدأت هذه السورة المدنية بتحذير المؤمنين من موالاة أعداء الله، الأعداء الذين يؤذونهم ويحاربون دينهم.

ثمّ نفت نفع القرابة والنسب والصداقة يوم القيامة بدلاً من الإيمان والعمل الصالح، وأعطت المؤمنين مثالاً يُحتذى من إبراهيم عليه السلام الذي تبرأ والمؤمنون معه من قومهم المشركين، وأبرزت السورة حكم من لم يعاد المؤمنين

ولم يقاتلهم، وحُكْمَ من عادى وقاتل، كما أبرزت لزوم امتحان المؤمنات عند الهجرة وعدم ردهن إلى الكفار، وانتهت السورة بتحذير المؤمنين من موالاة أعداء الله الكافرين.

فكان أول خطابها لمن اختاروا الإيمان ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ يُخْرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ رَبِّكُمْ﴾ [١].

حذرتهم من موالاة ومناصرة وتأييد أعداء الله الكافرين الذين رفضوا الحق وأخرجوكم من مكة بسبب إيمانكم، فاحذر ذلك يا حاطب بن بلتعة وغيره.. لأنهم ﴿وَوَدُّواْ لَوْ تَكْفُرُونَ﴾ لن يرضوا عنكم حتى تصبحوا كافرين مثلهم.

وتبرز السورة الكريمة حكم النساء المؤمنات مع الأزواج غير المؤمنين ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ مُهَٰجِرَٰتٍ فَٱمْتَحِنُوهُنَّ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَٰنِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَٰتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى ٱلْكُفَّارِ لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ﴾ [١٠] فلا يجوز أن تتزوج المؤمنة المسلمة من كافر بأي حال.

كما تبرز مبايعة المؤمنات للنبي عليه السلام على التوحيد وعدم السرقة والزنا وقتل الأولاد ونسبة اللقيط للزوج وعصيان الأمر والنهي.

وأخيراً تأمر الآية [١٣] المؤمنين بعدم تولي الكفار أعداء الدين ومصادقتهم ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَوَلَّوْاْ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُواْ مِنَ ٱلْأٓخِرَةِ كَمَا يَئِسَ ٱلْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْقُبُورِ ﴿١٣﴾﴾.

من سورة الصف (٦١)

بدأت هذه السورة المدنية بتمجيد الله تعالى، ثمّ تحذير المؤمنين من إخلاف الوعد، ثمّ تحدثت عن قتال أعداء الله تعالى بشجاعة، ثمّ أوردت موقف اليهود من دعوة موسى وعيسى عليهما السلام وما أصابهما من أذى، وذلك من باب التسلية للرسول عليه السلام وما لحقه من أذى كفار مكة، وضربت مثلاً بمن يريد إطفاء نور

الشمس بفمه، وأنه مثل من يريد أن يقضي على دين الله الإسلام، فهو خاسر لا محالة.

ثمّ تحدثت عن التجارة الرابحة لكل مؤمن، إنها الجهاد في سبيل الله تعالى بالنفس والنفيس.

وانتهت السورة بدعوة أهل الإيمان لنصرة الإسلام، كما فعل الحواريون عندما استجابوا لدعوة عيسى عليه السلام.

فقالت في آيتها [٢] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ۝٢﴾ أن احذروا يا من اخترتم الإيمان من عدم الوفاء بالوعد لأن ذلك من النفاق.

وتقول الآية [٥] في نهايتها ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ﴾ لا يوفقهم للخير، كما قالت الآية [٧] في نهايتها ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٧﴾ لا يوفقهم إلى الفلاح، فالمعنى واحد من عدم التوفيق لهذا النوع من البشر الذين اختاروا الخروج عن الطاعة والخروج عن العدل والتزام الكذب.

وتؤكد الآية [٩] ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ ۝٩﴾ فالقرآن والإسلام هما الهدى ودين الحق ولن يهزمهما أحد.

وتخاطب الآية [١٠] المؤمنين وتأمرهم بالتجارة الرابحة وهي الإيمان والجهاد في سبيل الله.. ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ تِجَٰرَةٖ تُنجِيكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ﴾.

ثمّ تخاطبهم وتأمرهم بمناصرة الله ورسوله كما ناصر الحواريون أصحابُ السيد المسيح سيدهم فنصرهم الله تعالى على عدوهم.

من سورة الجمعة (٦٢)

بدأت هذه السورة المدنية بتسبيح الله تعالى وتمجيده، ثمّ ذكرت كيف كانت بعثة المصطفى عليه السلام رحمة على العرب الأميين بخاصة وجميع البشر بعامة.

ثمّ تحدثت عن اليهود وبعدهم عن شريعة التوراة حتى وقعوا في الشبه بالحمار الذي ليس له مما يحمل من الكتب إلا التعب.

ثمّ وقفت مع أحكام صلاة الجمعة وتحريم البيع عند النداء والأذان لها، وانتهت بتحذير من حال المنافقين الذين ينشغلون عن الصلاة باللهو والتجارة ويتثاقلون عن القيام بها.

فقد بينت السورة الكريمة في نهاية آيتها الثانية ﴿وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾﴾ بأن العرب كانوا قبل الإسلام بعيدين عن الحق والهدى.

وأكدت في نهاية الآية الخامسة ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِى الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٥﴾﴾ فإنه تعالى لا يوفقهم لمعرفة الحق بعد أن أصروا على البعد عنه ورفضه ومحاربته.

وتحدثت في آياتها الثلاث الأخيرة [٩ ـ ١١] عن صلاة الجمعة وأحكامها فقالت مخاطبة المؤمنين المصدقين بالله ورسوله ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِن يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٩﴾﴾ ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٠﴾﴾ هذا بحق المؤمن وأما المنافقون وأشباههم ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا قُلْ مَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿١١﴾﴾ فاثبتوا للجمعة خطبة وصلاة.

من سورة (المنافقون) (٦٣)

بدأت هذه السورة المدنية بالحديث عن المنافقين، واستمرت في الحديث عنهم وعن جميع أحوالهم وصفاتهم الكريهة.

فذكرت خلاف باطنهم عن ظاهرهم، وفضحتهم بتظاهرهم بالإسلام وهم يبطنون عداوته، ثمّ أبرزت شنيع كلامهم في حق الرسول عليه السلام ودعوته، من مثل عزمهم على طرده من المدينة بعد عودتهم من غزوة بني المصطلق، وانتهت السورة بتحذير المؤمنين من الانشغال في الدنيا وزينتها ولهوها بدلاً من طاعة الله تعالى والجهاد تحت راية رسوله والإنفاق بسخاء في سبيل ذلك ابتغاء مرضاة الله تعالى.

ففي الآية الثالثة قالت السورة عن المنافقين ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ ثُمَّ كَفَرُوا۟ فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ۝٣﴾ آمنوا بألسنتهم وكفروا بقلوبهم، فهو اختيارهم، فانتهت قلوبهم أن أقفلت أمام الهدى والنور.

وتقول الآية [٦] في نهايتها ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ۝٦﴾ فلن يدلهم الله تعالى وقد عموا وصموا عن الهدى والرشاد.

وتؤكد الآية [٨] ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ بأن يخسأ المنافقون في زعمهم بأنهم هم الأعزاء بل هم الأذلاء وليس رسول الله عليه السلام.

وتدعوا الآية [٩] المؤمنين ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ۝٩﴾ بأن يلتزموا طاعة الله ولا يسمحوا للأموال والأولاد أن تشغلهم عن ذلك كالمنافقين الذين خسروا دنياهم وآخرتهم.

من سورة التغابن (٦٤)

بدأت هذه السورة المدنية بتنزيه الله تعالى وتمجيده، ثمّ قالت بخلق البشر بين كافر ومؤمن حسب اختياراتهم. ثمّ تحدثت عن عظمة الله تعالى وقدرته وعلمه المحيط بكل شيء، ثمّ أشارت إلى الأقوام السابقة وما حل بها من العذاب جزاء كفرها وجحودها.

ثمّ أشارت إلى أن البعث حق لا شك فيه، وأمرت بطاعة الله وطاعة رسوله.

وحذرت من عداوة بعض الزوجات والأولاد بمنع الأزواج والآباء من الجهاد في سبيل الله، وانتهت بالأمر بالإنفاق في سبيل الله تعالى دون بخل وبكل كرم.

فقد قالت السورة الكريمة في آيتها الثانية ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۝٢﴾ بأنه تعالى بقدرته قد خلقكم على وجه تختارون فيه

بين الهدى والضلال، فاختار بعضكم الهدى فكان مؤمناً واختار الآخرون الضلال فكانوا كافرين.

وتنبه الآية [٥] إلى ما انتهى إليه مصير من رفضوا الإيمان مع رسل الله السابقين، وما لا قوه من العذاب والهلاك ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ فَذَاقُوا۟ وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٥﴾﴾.

وقالت الآية [٦] ﴿فَقَالُوٓا۟ أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا فَكَفَرُوا۟ وَتَوَلَّوا۟ ۚ وَّٱسْتَغْنَى ٱللَّهُ ۚ وَٱللَّهُ غَنِىٌّ حَمِيدٌ﴾ استغربوا أن يكون هداتهم من البشر بينما لم ينكروا أن تكون معبوداتهم من الحجر!

وها هي الآية [٧] تقول ﴿زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَن لَّن يُبْعَثُوا۟ ۚ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ ۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧﴾﴾ فقد ادعى كفار مكة أن الله لن يبعثهم من قبورهم بعد موتهم أبداً فقل لهم يا محمد: أقسم بربي لتخرجن من قبوركم أحياء ثمّ لتخبرن بكل أعمالكم وتجزون بها.

ولذلك أنتم يا من اخترتم الكفر وتصرون عليه أدعوكم أن تصدقوا بالله ورسوله وبهذا القرآن، فإنه النور المبدد للشبهات كما يبدد النور الظلمات ﴿فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلنُّورِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلْنَا ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٨﴾﴾.

وتذكّرهم الآية [٩] بأنه ﴿وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعْمَلْ صَٰلِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٩﴾﴾ فاعلموا أن من يختار التصديق بالله تعالى والعمل الصالح فإن الله تعالى يلغي سيئاته ويدخله الجنات الخالدات.

بينما ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٠﴾﴾ فشتان بين الفريقين بسبب اختيارهما وأعمالهما.

وتؤكد الآية [١١] ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١﴾﴾ تؤكد أنه لا تقع مصيبة على الإنسان رغماً عن الله تعالى بل الكل في إظهار إرادة الله تعالى، وهو سبحانه الذي يدل من يختار الإيمان للهدى ولذلك ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٣﴾﴾ ليدلهم على الخير والهدى.

واعلموا أيها المصدقون بالله ورسوله وكتابه أن هناك أزواجاً وأولاداً من أزواجكم وأولادكم يجب عليكم الحذر منهم، لأنهم أعداؤكم بصدكم عن الإيمان

إن استطاعوا وعن الدعوة للإسلام، وبالإجمال فإن أموالكم وأولادكم فتنة، إنهم اختبار لكم فتجنبوا ألاعيبهم لإيقاعكم في عصيان الله تعالى ﴿إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَـٰدُكُمْ فِتْنَةٌ وَٱللَّهُ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾﴾.

من سورة الطلاق (٦٥)

بدأت هذه السورة المدنية بأحكام الطلاق السنيّ والبدعي، ودعت إلى الطلاق في الوقت المناسب وبالشكل المشروع بأن تكون الزوجة طاهرة من غير جماع، ودعت الرجال للتمهل في إنهاء الحياة الزوجية لأن الطلاق أبغض الحلال إلى الله تعالى، كما دعتهم لإحصاء العدّة لئلا تختلط الأنساب أو يلحق المطلّقة الضرر فبينت عدة اليائس لكبر أو مرض، وعدّة الصغيرة والحامل، وأكدتْ في ذلك كله على الخوف من الله تعالى لئلا يظلم أحد الزوجين الآخر، وانتهت السورة بالتحذير من تعدي الحدود التي رسمها تعالى لعباده، وضربت أمثلة من الأمم الباقية التي حل بها الدمار لتعديها من قادر على كل شيء سبحانه.

وحددت الآية الثانية الإمساك أو الفراق بعد اكتمال العدة وأنه ﴿ذَٰلِكُمْ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا﴾ فالمصدّق بالله تعالى وكتابه ورسوله واليوم الآخر هو الذي يستجيب لهذا البيان الرباني.

وبيّنت الآية [٥] بأن إحصاء العدّة والالتزام بها أمر من الله تعالى ﴿ذَٰلِكَ أَمْرُ ٱللَّهِ أَنزَلَهُۥٓ إِلَيْكُمْ ۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُعْظِمْ لَهُۥٓ أَجْرًا ﴿٥﴾﴾ فعنه تسقط الذنوب وإليه تضاف وتضاعف الحسنات.

وأكدت [الآيتان ١٠ و ١١] حال المؤمنين وجزاءهم ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَـٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَـٰبِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ قَدْ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا ﴿١٠﴾ رَّسُولًا يَتْلُوا۟ عَلَيْكُمْ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ مُبَيِّنَـٰتٍ لِّيُخْرِجَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ مِنَ ٱلظُّلُمَـٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعْمَلْ صَـٰلِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ قَدْ أَحْسَنَ ٱللَّهُ لَهُۥ رِزْقًا ﴿١١﴾﴾

.

من سورة التحريم (٦٦)

بدأت هذه السورة المدنية بالحديث عن تحريم الرسول عليه السلام جاريته مارية القبطية على نفسه تلبية لرغبة بعض زوجاته، فعاتبه ربه بسبب ذلك، ثم تناولت السورة موضوع إفشاء السر بين الزوجين، وأن ما فعلته حفصة رضي الله عنها من نقل سرّ رسول الله عليه السلام لعائشة رضي الله عنها أغضبه عليه السلام حتى همّ بتطليق أزواجه، وعاتبت السورة بشدة أزواج النبي عليه السلام لتنافسهن وغيرة بعضهن من بعض لأمور يسيرة، وهددتهن بالتطليق والإبدال بخير منهن، وانتهت السورة بضرب مثلين: الأول للزوجة الكافرة في عصمة المؤمن، وهما زوجتا نوح ولوط عليهما السلام، والثاني للزوجة المؤمنة في عصمة الكافر، وهي امرأة فرعون، وأكدت بأن أحداً مهما كان قريباً لن يغني عن الآخر يوم الحساب.

وبيّنت الآية الرابعة ﴿إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدۡ صَغَتۡ قُلُوبُكُمَاۖ وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيۡهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوۡلَىٰهُ وَجِبۡرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ بَعۡدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ ٤﴾ بيّنت الإنذار الذي وجه لحفصة وعائشة بسبب إفشاء سر الحياة الزوجية، إذ أفشت حفصة تحريم النبي لجاريته مارية على نفسه لعائشة، وشاع لدى غيرهما بعد أن لعبت الغيرة دورها في نفوسهما.

فوضعت الآية صالح المؤمنين مع الآخرين العظام المناصرين للرسول عليه السلام.

وأمرت الآية [٦] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ٦﴾ أمرت من اختاروا التصديق والإيمان بذلك تنفيذاً لمسؤولية الرعاية لأهليهم.

وأمرت الآية [٧] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَعۡتَذِرُواْ ٱلۡيَوۡمَۖ إِنَّمَا تُجۡزَوۡنَ مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾

أمرتِ الكفارَ بالتوقف عن الاعتذار عن أعمالهم السيئة يوم القيامة لأنه لا ينفع معه الاعتذار و الندم.

وأمرت الآية [٨] المؤمنين بالتوبة النصوح من ذنوبهم لينالوا الجزاء الطيب ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ تُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا﴾.

من سورة الملك (٦٧)

تبدأ هذه السورة المكية ببيان قدرة الله تعالى على الهيمنة على جميع الأكوان، ثم تشير إلى قدرتِهِ تعالى في الخلق، وتتناول بعدها المجرمين وما ينتظرهم من عذاب الجحيم، وبعدها تقارن بين الكفار والمؤمنين جمعاً بين الترهيب والترغيب، وتحذر من عذاب الله تعالى وسخطه الذي ينتظر أولئك الكفار الجاحدين، وتنتهي السورة الكريمة بالإنذار للمكذبين بدعوة الرسول عليه السلام، وأن العذاب الأليم بانتظارهم إذا لم يعجلوا بالتوبة والإيمان.

فهي تقول في آيتها السادسة ﴿وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴾.

وتعلن الآية [٩] اعتراف أولئك المكذبين بإنكارهم لدعوات رسل الله تعالى إليهم ﴿قَالُوا۟ بَلَىٰ قَدْ جَآءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِى ضَلَـٰلٍ كَبِيرٍ﴾ فهم بتكذيبهم ما نزل إلى من بلغهم من الرسل يوقعون أنفسهم في البعد الكبير عن الحق، فينالون جزاء سوء اختيارهم العذاب الأليم، فهم قد ﴿فَٱعْتَرَفُوا۟ بِذَنۢبِهِمْ فَسُحْقًا لِّأَصْحَـٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١١﴾﴾.

وتبيّن الآية [٢٠] ﴿أَمَّنْ هَـٰذَا ٱلَّذِى هُوَ جُندٌ لَّكُمْ يَنصُرُكُم مِّن دُونِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ۚ إِنِ ٱلْكَـٰفِرُونَ إِلَّا فِى غُرُورٍ ﴿٢٠﴾﴾ فمن يستطيع أن يدفع عنكم عذاب الله تعالى، فهذه الأصنام التي تعبدونها أيها الجاحدون لا تنفعكم في شيء فتعتزّوا بها.. واعلموا أن الأعمى الذي يتخبّط في طريقه ليس كالبصير الواضح في سبيله، وهذا شأن الكافر والمؤمن.. واذكروا أن الكافرين تسودُّ وجوههم عندما يرونَ العذاب يوم القيامة

يقترب منهم، وأنهم لن يجدوا في ذلك اليوم من يجيرهم ويدافع عنهم ما داموا على ضلالهم في هذه الدنيا.

من سورة القلم (٦٨)

تبدأ هذه السورة المكية بالقسم على مكانة وقدر الرسول عليه السلام وبراءته من تهمة الجنون التي يرمونه بها، ثم تتحدث عن موقف المجرمين من دعوة رسول الله عليه السلام، ثم تضرب مثلاً لكفار مكة بأصحاب الحديقة (الجنة) الذين جحدوا نعمة الله عليهم فأحرق الله حديقتهم وجعلها عبرة لمن يعتبر.

ثم تقارِنُ السورة بين المؤمنين والمجرمين من باب الترغيب والترهيب، فتتناولُ بعدها وصف يوم القيامة و أحوالها وأهوالها، وموقف المجرمين في ذلك اليوم العصيب، وتنتهي السورة الكريمة بدعوة الرسول عليه السلام للصبر على أذى المشركين.

فتقول الآية [٧] من السورة ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿٧﴾﴾ فهو سبحانه عالم بالشقي المنحرف عن دين الله وطريق الهدى، وهو العالم بالتقي المهدي إلى الحق.

وتعلن الآية [٢٦] على لسان الكافرين الذين اختاروا الضلال وإنكار الحق ﴿فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوٓاْ إِنَّا لَضَآلُّونَ ﴿٢٦﴾﴾ فلما رأوا الحديقة محترقة اعترفوا أنهم قد ضلوا الطريق إلى الحديقة بل إلى الحق.

وتعلن الآية [٣٤] ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٣٤﴾﴾ هذا مصير من اختاروا الإيمان والخوف من الرحيم الرحمن.

وتعلن الآيتان الأخيرتان من السورة الكريمة [٥١ و ٥٢] ﴿وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَٰرِهِمْ لَمَّا سَمِعُواْ ٱلذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُۥ لَمَجْنُونٌ ﴿٥١﴾﴾ ﴿وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ بأن عيون الكفار كادت تصرعك يا محمد من شدة عداوتهم لك وقد سمعوك تقرأ القرآن، وما

أُنزِلَ هذا القرآن إلا موعظةً وتذكيراً للإنس والجن فكيف يُنْسَبُ من أُنزل عليه إلى الجنون؟!

من سورة الحاقة (٦٩)

تبدأ هذه السورة المكية بذكر أهوال القيامة وعقاب المكذبين بها، ثم تذكر الفجائع التي تقع عند النفخ في الصور، ثم تتعرض لأحوال السعداء والأشقياء يوم الفزع الأكبر، حين إعطاء المؤمن كتابه بيمينه وإعطاء الكافر كتابه بشماله، ثم تقسم السورة بصدق الرسول عليه السلام فيما جاء به عن ربه وتكذيب المشركين في الزعم بأن القرآن سحر أو كهانة، ثم تذكر صدق القرآن وأمانة الرسول عليه السلام في تبليغه عن ربه، وتنتهي هذه السورة الكريمة بتمجيد القرآن، وأنه رحمة للمؤمنين وحسرة على الكافرين، مبينة جزاء اختيارات الإنسان مؤمناً كان أو كافراً.

فتبيّن السورة في مقارنتها بين أصحاب اليمين وأصحاب الشمال مصير كل منهما حسب اختياراته في دنياه ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقْرَءُواْ كِتَٰبِيَهْ﴾ وتنتهي آيات وصف أصحاب اليمين بـ ﴿كُلُواْ وَٱشْرَبُواْ هَنِيٓـًٔا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِى ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ ﴿٢٤﴾﴾ بأن هنيء عيشهم في الجنة يوم الحساب جاء جزاء أعمالهم الاختيارية في أيامهم في الحياة الدنيا. وأما آيات أصحاب الشمال فتبدأ ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ فَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُوتَ كِتَٰبِيَهْ ﴿٢٥﴾﴾ وتنتهي ﴿ثُمَّ فِى سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَٱسْلُكُوهُ ﴿٣٢﴾﴾ ولكن لماذا ﴿إِنَّهُۥ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٣٣﴾﴾ . .الآيات.

وتؤكد الآية [٤١] بأن القرآن ﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾﴾ أي ليس من كلام شاعر إذ لا وزن للشعر فيه، فالقليل منكم يا مشركي العرب من يصدّق بذلك، وتؤكد الآية [٥٠] ﴿وَإِنَّهُۥ لَحَسْرَةٌ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٥٠﴾﴾ إن القرآن سيكون حسرة على من أنكروه يوم القيامة وهم يرون ثواب من آمنوا به وصدقوه.

من سورة المعارج (٧٠)

بدأت هذه السورة المكية بذكر طغيان أهل مكة واستخفافهم بما ينتظرهم من العذاب حتى طلب النصر بن الحارث، أحد طغاتهم، استعجال نزول العذاب الذي ينتظرهم يوم الدين من باب الجحود والعناد، ثم تحدّثت عن المجرمين في ذلك اليوم الرهيب الذي تنشق فيه السماوات وتتبخر الجبال، ثم عقبت على ذلك بما يظهر من غرابة على طبيعة الإنسان وهو يجزع عند الشدة ويبطر عند النعمة فتذكره بحاله يوم القيامة، ثم تقارن بين المؤمنين وصفاتهم الكريمة ومصيرهم العظيم، وبين الكافرين وأخلاقهم المبتذلة ومصيرهم المشؤوم، وتنتهي السورة الكريمة بالقسم برب العالمين على حتمية وقوع يوم الدين، يوم التعب والجزاء.

تبدأ السورة بطلب صناديد قريش وطواغيتها أن ينزل عليهم العذاب الذي يتهددهم به الرسول عليه السلام من باب الاستخفاف ﴿سَأَلَ سَآئِلُۢ بِعَذَابٖ وَاقِعٖ ﴾ ثم دعا بهذا العذاب على من أصروا على التكذيب والجحود ﴿لِّلۡكَٰفِرِينَ لَيۡسَ لَهُۥ دَافِعٞ ﴿٢﴾﴾ فلا أحد يستطيع أن يدفع هذا العذاب إذا قضى الله تعالى بوقوعه.

وتسير السورة في وصف يوم القيامة وأهوالها، ووصف المجرمين والمؤمنين، حتى تقول في الآية [٣٦] ﴿فَمَالِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ قِبَلَكَ مُهۡطِعِينَ ﴿٣٦﴾﴾ لماذا يتجمعون مسرعين حولك؟ ﴿أَيَطۡمَعُ كُلُّ ٱمۡرِيٕٖ مِّنۡهُمۡ أَن يُدۡخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٖ ﴿٣٨﴾﴾ فماذا فعل كل منهم حتى يطمع أن يدخل الجنة وقد كذبوا الرسول والرسالة؟!

إن اختياراتهم الجحود والإنكار ليوم البعث والجزاء، واستخفافهم بما ينتظرهم من عذاب لدليل على إرادتهم السيئة في جميع أعمالهم، الأمر الذي يحرمهم من الجزاء الطيب بجنة النعيم كالمؤمنين.

من سورة نوح (٧١)

بدأت هذه السورة المكية بذكر إرسال نوح عليه السلام إلى قومه ليدعوهم إلى الإيمان بالله وبيوم القيامة قبل أن يحل بهم العذاب الأليم.

وذكرت كفاح نوح وصبره على دعوته لقوم أصروا على الضلال والعصيان، غير معتبرين بآثار قدرة الله تعالى في خلقه، ثم تعرضت لذكر تمادي قومه في الكفر والضلال والعناد، واستخفافهم بنوح عليه السلام حتى أخذهم الله تعالى بالطوفان، وانتهت السورة الكريمة بدعاء نوح عليه السلام على قومه بالهلاك، إذ لم يستجيبوا لدعوته التي دامت تلك المدة الطويلة دون أي نفع أو تأثير على عقولهم وقلوبهم.

فبعد أن تقف السورة مطولاً مع دعوة نوح عليه السلام للإيمان بالله وعبادته وطاعته، واستعراض ما في هذا الكون من عجائب قدرة الله تعالى وعظمته، أبرزت مكر قومه ضده ﴿وَمَكَرُوا۟ مَكْرًا كُبَّارًا ﴿٢٢﴾﴾ مع أنه ذكرهم بنعم الله تعالى الكثيرة عليهم ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ بِسَاطًا ﴿١٩﴾﴾.

وها هي الآية [٢٤] تقول عن أفعال كبرائهم ﴿وَقَدْ أَضَلُّوا۟ كَثِيرًا ۖ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّـٰلِمِينَ إِلَّا ضَلَـٰلًا ﴿٢٤﴾﴾ فقد أبعدوا الكثير من الناس عن الحق وطريق الهدى، فيا رب لا تزد هؤلاء الكفرة الجاحدين إلا ضلالاً فوق ضلالهم حتى يلاقوا ما يستحقونه من العذاب الأليم، ذلك أنهم ﴿إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا۟ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓا۟ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ﴿٢٧﴾﴾.

وتنتهي السورة بدعاء نوح عليه السلام على قومه الجاحدين المكذبين بالهلاك، بينما الدعاء للمؤمنين بالمغفرة والرضوان.

من سورة الجن (٧٢)

تبدأ هذه السورة المكية وتنتهي بالحديث عن الجن، فذكرت بأن فريقاً من الجن قد استمعوا للقرآن فتأثروا به وآمنوا به، ثم مجدت السورة المولى سبحانه وأفردته بالعبادة، ونقلت تسفيه الجن لمن جعل لله تعالى نداً وولداً، ثم أشارت إلى استراق الجن للسمع من ملائكة السماء، وإرسال الشهب على الجن بعد بعثة الرسول عليه السلام، ثم ذكرت انقسام الجن حسب اختيار فئة منهم الإيمان وفئة الكفر فانقسموا إلى فريقين: المؤمنين والكافرين، وذكرت مصير كل منهما.

وبعدها أوردت التفاف الجن حول الرسول عليه السلام عندما سمعوه يتلو القرآن، ثم أمرت السورة الرسول عليه السلام بأن يعلن خضوعه لله تعالى وإخلاصه للعمل في سبيله، وانتهت السورة بتأكيد اختصاص الله تعالى بعلم الغيب الذي يعطي شيئاً منه لمن أحب من الرسل.

فالآية الثانية تقول عن القرآن بلسان الجن ﴿يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا ﴿٢﴾﴾ أن القرآن يدل على الحق والرشاد.

كما تقول الآية [١٣] ﴿وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا ٱلْهُدَىٰٓ ءَامَنَّا بِهِۦ ۖ فَمَن يُؤْمِنۢ بِرَبِّهِۦ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا ﴿١٣﴾﴾ أي عندما سمعت الجن القرآن آمنت به، لأن من يؤمن بربه فإنه لا يخاف نقصاً ولا ظلماً.

وتبيّن الآية [١٤] ﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا ٱلْقَـٰسِطُونَ ۖ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ تَحَرَّوْا۟ رَشَدًا﴾ أن الجن فرقتان مسلمة وكافرة بمحض إرادتهم واختيارهم، فالمسلمون ساروا في طريق الرشد والاستقامة، والفاسقون ساروا في طريق جهنم.

فالسورة تبيّن الكثير من مواقف الاختيارات الحسنة والسيئة بين الإنس، كما هو الحال بين الجن مما يجعل الفريقين محل حساب على اختيار الأعمال.

من سورة المزمل (٧٣)

بدأت هذه السورة المكية وانتهت بجانب من حياة الرسول عليه السلام، فنادته في مطلعها لكي لا يجهد نفسه في عبادة الله تعالى ابتغاء مرضاته، ثم تحدثت عن ثقل الوحي على الرسول عليه السلام وهو يبلغه للناس، مستعيناً بقوته الروحية التي يكتسبها من عبادته وطول قيامه الليل، ثم أمرته عليه السلام بالصبر على أذى المشركين، فعملهم السيئ بإرادتهم واختيارهم وعمله الطيب بإرادته واختياره، ثم توعدت المشركين بالعذاب يوم الدين، وانتهت السورة الكريمة بتخفيف قيام الليل عن الرسول عليه السلام والمؤمنين معه ليتفرغوا لبعض شؤون الحياة.

فبعد أن تأمر السورة الكريمة الرسول عليه السلام ﴿وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا ۝٨﴾ تأمره أن يصبر على أذى المشركين ﴿وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا ۝١٠﴾ دون أذى مقابل ولا شتيمة لهم بالرغم من أذاهم وشتائمهم، إنها اختيارات الطاعة والصبر.

وتخاطب مشركي مكة وغيرهم ﴿فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ ٱلْوِلْدَٰنَ شِيبًا﴾ فكيف تأمنون عذاب الله مع إصراركم على الجحود والعصيان؟!

وتعلن الآية [١٩] ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذْكِرَةٌ ۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ۝١٩﴾ فهذه الزواجر عظة لكم وللناس جمعاً، فمن أراد من الغافلين الناسين أن يستفيد من هذه التذكرة قبل فوات الأوان، فليسلك طريق الإيمان والطاعة فإنها معبدة ميسرة.

من سورة المدثر (٧٤)

بدأت هذه السورة المكية بتكليف الرسول عليه السلام بالدعوة، والنهوض بأعبائها بهمة ونشاط، وإنذار الكفار، والصبر على أذاهم، ثم تنذر أولئك

المجرمين بيوم شديد بأهواله، ثم وقفت مع ذلك الشقي الفاجر الوليد بن المغيرة الذي عرف القرآن حق المعرفة ولكنه نسبه إلى السحر طلباً للزعامة والرئاسة، ثم تحدثت عن النار وخزنتها الأشداء المعدين لعذاب أهلها، وأقسمت السورة بالقمر والصبح على أن جهنم هي إحدى البلايا العظام، ثم تحدثت عن الحوار بين المجرمين والمؤمنين في سبب دخولهم الجحيم، وانتهت السورة الكريمة ببيان سبب إعراض المشركين عن الإيمان.

فبعد أمر المصطفى عليه السلام للقيام بالدعوة، وأمره على الصبر في سبيل ذلك، أخبرت بأن يوم القيامة ﴿عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ ﴿١٠﴾﴾ بأنه يوم الحساب الشديد، ثم تتحدث عن الملائكة الموكلة النار إليهم ﴿وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ حتى توهَّمَ من اختاروا الكفر أنهم قادرون عليهم بقلة عددهم. ثم تقول الآية نفسها ﴿كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ فإنه سبحانه لا يخرج عن مشيئته شيء من الضلال والهدى، بل الكل في إطار إرادة الله تعالى وقدرته ولا يجبر الله تعالى عليها.

وتعلن الآية [٣٨] ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴿٣٨﴾﴾ بأن الإنسان مرتبط بأعماله يحاسب عليها بالجنة أو النار، وبعد أن تعلن [الآيتان ٥٤ و ٥٥] ﴿كَلَّآ إِنَّهُۥ تَذْكِرَةٌ ﴿٥٤﴾ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ﴿٥٥﴾﴾ بأن القرآن موعظة مؤثرة، وللإنسان وحده أن يتذكر أو لا يتذكر، فهو المسؤول عن ذلك، وتعلن الآية [الأخيرة ٥٦] ﴿وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ هُوَ أَهْلُ ٱلتَّقْوَىٰ وَأَهْلُ ٱلْمَغْفِرَةِ ﴿٥٦﴾﴾ فالاعتبار بالقرآن ليس جبراً على الله تعالى.

من سورة القيامة (٧٥)

تبدأ هذه السورة المكية بالقسم بيوم القيامة والنفس اللوامة على حتمية وقوع البعث في ذلك اليوم، ثم تشير إلى بعض علامات ذلك اليوم وما يجري فيه من جمع البشر للحساب، ثم تتحدّثُ عن اهتمام الرسول عليه السلام بضبط القرآن عند

تلاوة جبريل عليه، فَأَمَرَهُ تعالى أن يستمع للتلاوة ولا يحرك لسانه به، وأنه تعالى قد تكفل له بحفظه وبيانه، ثم أشارت إلى انقسام الناس يوم القيامة إلى فريق السعداء وفريق الأشقياء، ثم تحدثت عن حال الإنسان وقت الاحتضار وما يلقاه من الكرب، وانتهت السورة الكريمة بإثبات الحشر بالبراهين العقلية.

فبعد التأكيد بأن يوم القيامة لا بد قادم تبيّن الآية [١٣] ﴿يُنَبَّؤُا ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍۭ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ۝١٣﴾ يخبر كل إنسان في ذلك اليوم بجميع أعماله مهما كانت صغيرة أو حقيرة أو كبيرة وعظيمة، سواء التي أقدم عليها في حياته الدنيا فقدمها قبل الموت، أو التي أخرها بعد مماته من سنة حسنة أو سيئة أو سمعة طيبة أو قبيحة.

ثم تقول [الآيتان ١٤ و ١٥] ﴿بَلِ ٱلْإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ بَصِيرَةٌ ۝١٤ وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ﴾ فالإنسان يشهد على نفسه ولا يحتاج لشاهد آخر، فهو يدرك كل ما صدر منه من أعمال مهما أورد لها من معاذير، ليبرر خطأه أو فجوره، فهو مسؤول مسؤولية كاملة عن اختياراته.

ثم تقول [الآيتان ٣١ و ٣٢] ﴿فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ ۝٣١ وَلَٰكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ۝٣٢﴾ فهو بإرادته وعزيمته لا جبراً ولا إكراهاً لم يصدق بالقرآن، ولم يُصَلِّ للرحمن، ولكنه كذب بالقرآن وأعرض عن الإيمان.

ثم تؤكد الآية [٣٣] ﴿ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ يَتَمَطَّىٰٓ ۝٣٣﴾ سار متبختراً متكبراً في مشيته.

من سورة الإنسان (٧٦)

تبدأ هذه السورة المدنية بذكر قدرة الله تعالى في خلق الإنسان في أطوار، ثم تتحدث عن نعيم أهل الجنة، فتسهب في ذكر أوصاف السعداء يوم القيامة بما لهم من كرامة في دار الإقامة، ثم تتابع سرد نعيم أهل الجنة وخدمهم الذين يطوفون عليهم، وتنتهي السورة الكريمة بجوها المكي ببيان أن القرآن الكريم تذكرة لأصحاب العقول الواعية والأفكار الثاقبة.

فهي تقول في آيتها الثالثة ﴿إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ۝٣﴾.

فقد بيّن سبحانه للإنسان طريق الهدى وطريق الضلال، ثم ترك له حرية الاختيار، وهو الذي يشكر أو يكفر، فيكون مؤمناً شاكراً لنعمة الله فيسير في طريق الخير والطاعة، أو يكون سيّئاً فيكفر بنعمة الله تعالى فيسير في طريق الشر والفجور. فهذه الآية من الآيات الكثيرة الدالة على أن للإنسان إرادة واختياراً هما مناط التكليف.

وتبعاً لذلك الاختيار ﴿إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ سَلَٰسِلَاْ وَأَغْلَٰلًا وَسَعِيرًا ﴿٤﴾﴾ فهنا الأبرار وهناك الأشرار والكل بالخيار لا بالإكراه والإجبار.

وتؤكد الآية [٢٢] ﴿إِنَّ هَٰذَا كَانَ لَكُمْ جَزَآءً وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا ﴿٢٢﴾﴾ فنعيم الجنة الخالد جزاء أعمال الإنسان الإرادية.

وتبيّن الآية [٢٤] للرسول عليه السلام ﴿فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ ءَاثِمًا أَوْ كَفُورًا ﴿٢٤﴾﴾ فلا تطع لا من بادر بالجحود والكفر ولا من أغرق فيه.

وتؤكد الآيات الثلاث الأخيرة من السورة [٢٩ و ٣٠ و ٣١] بأن للإنسان أن يختار طاعة الله ورضاه أو عصيانه وسخطه، وأن ذلك لن يكون رغماً عن الله تعالى ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذْكِرَةٌ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴿٢٩﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٣٠﴾ يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِى رَحْمَتِهِۦ وَٱلظَّٰلِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٣١﴾﴾.

من سورة المرسلات (٧٧)

تبدأ هذه السورة المكية بالقسم بأنواع الملائكة المكلفين بتدبير شؤون الكون، وأن القيامة حق وعذاب الكافرين واقع حتماً، ثم تتحدث عما وُعِدَ به أولئك المجرمون ووقت وقوعه، وبعدها تتناول مظاهر قدرته تعالى في بعث الإنسان بعد موته، ثم تتحدث عمّا ينتظر المجرمين يوم القيامة من العقاب، وبعدها تقارن ذلك بحال المؤمنين المتقين من النعيم، وتنتهي السورة الكريمة بأن الطغيان والإجرام هما سبب امتناع الكفار عن الإيمان.

فها هي السورة تؤكد وتؤكد ما ينتظره المكذبون بيوم الدين من أنواع العقاب

﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٥﴾﴾ وبالمقابل ما ينتظر المؤمنين من الثواب العظيم، وهل هذا إلا جزاء اختياراتهم وإراداتهم؟

وها هي الآية [٢٩] تؤكد ذلك ﴿ٱنطَلِقُوٓاْ إِلَىٰ مَا كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٩﴾﴾.

وها هي الآية [٤٣] ﴿كُلُواْ وَٱشْرَبُواْ هَنِيٓـًٔا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾﴾ فهذا النعيم من الأكل والشرب الهنيء هما جزاء ما عملوه في الدنيا وفقاً لخياراتهم ولاسيما أن الآية [التالية ٤٤] تبيّن ذلك ﴿إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٤٤﴾﴾ وأما أولئك المجرمون ﴿كُلُواْ وَتَمَتَّعُواْ قَلِيلًا إِنَّكُم مُّجْرِمُونَ ﴿٤٦﴾﴾.

وتنتهي السورة الكريمة بآية ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٠﴾﴾ أي بأي كتاب وكلام بعد هذا القرآن المعجز الواضح يصدقون إن لم يؤمنوا بهذا القرآن؟!

من سورة النبأ (٧٨)

بدأت هذه السورة المكية وانتهت بالحديث عن موضوع القيامة والبعث والجزاء، ثم أوردت البراهين على قدرة رب العالمين، والتي ما أهون عليها أن تعيد خلق الإنسان بعد موته وفنائه، ثم تحدثت عن البعث، وأن يوم الفصل بين العباد هو وقته حين يجمع الله الخلق للحساب، ثم تحدثت عن جهنم وإعدادها للكافرين، وعن الجنة وما أعد الله تعالى فيها للمتقين.

وانتهت هذه السورة الكريمة كما أسلفنا بالحديث عن يوم القيامة وما يتمناه فيه من اختاروا الكفر في الدنيا.

فقد بدأت السورة بتساؤل مشركي مكة عن وقوع يوم القيامة وانقسموا بين شاك ومنكر، فأكدت لهم أن خياراتهم لن تذهب عبثاً بل سيحاسبون عليها ﴿إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ كَانَ مِيقَـٰتًا ﴿١٧﴾﴾.

وتهددت المشركين بما ينتظرهم يوم الفصل ﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ﴿٢١﴾ لِّلطَّـٰغِينَ مَـَٔابًا ﴿٢٢﴾﴾.

وأن ذلك العقاب جاء مطابقاً لما يستحقونه من الجزاء بعد أن سجلت عليهم أعمالهم ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ كِتَٰبًا ﴿٢٩﴾﴾ بينما ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ﴿٣١﴾ حَدَآئِقَ وَأَعْنَٰبًا ﴿٣٢﴾﴾.

وحسمت الآية [٣٩] الأمر ﴿ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ ٱلْحَقُّ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ مَـَٔابًا﴾ فالأمر يعود إليهم في اختيار أعمالهم ﴿يَوْمَ يَنظُرُ ٱلْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ ٱلْكَافِرُ يَٰلَيْتَنِى كُنتُ تُرَٰبًۢا ﴿٤٠﴾﴾.

من سورة النازعات (٧٩)

بدأت هذه السورة المكية بالقسم بالملائكة الأطهار ونزعهم أرواح المؤمنين بلطف وأرواح المجرمين بعنف، إنه ولا شك جزاء أعمالهم، ثم تحدثت عن المشركين المنكرين للبعث وما سيكون عليه حالهم يوم الدين، ثم ذكرتْ الطاغيةَ فرعون وما حل به من الهلاك بالغرق هو وقومه، وانتقلت لذكر طغيان أهل مكة وتحديهم للرسول عليه السلام، وذكّرتهم بضعفهم أمام الكثير من خلق الله تعالى، وانتهت السورة الكريمة بتحديد وقت يوم القيامة، منكرة على المشركين استبعادهم لوقوعه.

فقد أشارت السورة لحال المشركين يوم القيامة وهم يرون ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ﴾ فإنهم في حال ﴿قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ ﴿٨﴾ أَبْصَٰرُهَا خَٰشِعَةٌ ﴿٩﴾﴾ فإن قلوبهم مضطربة وعيونهم ذليلة حقيرة مما يعانونه من الأهوال.

وتذكر موقف موسى عليه السلام من الطاغية فرعون وهو يدعوه للإيمان ﴿وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ ﴿١٩﴾﴾ ولكنه بدافع من الكبر والعناد ﴿فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ ﴿٢١﴾﴾ فماذا كان جزاؤه ﴿فَأَخَذَهُ ٱللَّهُ نَكَالَ ٱلْءَاخِرَةِ وَٱلْأُولَىٰٓ ﴿٢٥﴾﴾ فعاقبه تعالى على جميع أعماله.

وتقارن [الآيات ٣٧ و ٣٨ و ٣٩ و ٤٠ و ٤١] بين من اختار الطغيان ومتاع الدنيا وبين من اختار الإيمان والاحتكام للشرع لا للهوى ﴿فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴿٣٧﴾ وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾﴾.

من سورة عبس (٨٠)

بدأت هذه السورة المكية بذكر قصة الأعمى عبد الله بن أم مكتوم الذي عبس الرسول عليه السلام في وجهه، لأنه طلب منه أن يعلمه مما نزل عليه، بينما كان الرسول عليه السلام مشغولاً بدعوة مجموعة من كبراء قريش، فعاتبه ربه على عبوسه. ثم تحدثت عن كفر الإنسان بربه مع كثرة نعمه تعالى عليه، ثم أوردت الكثير من دلائل قدرة الله تعالى في هذا الكون مما يسره للإنسان من أسباب العيش فوق الأرض، وانتهت السورة الكريمة بذكر أهوال يوم القيامة، وما تستدعيه من فرار الإنسان من جميع أحبابه طلباً للنجاة بنفسه.

فبعد العقاب الذي أوردته السورة للرسول عليه السلام لفعل إرادي فعله هو العبوس قالت السورة ﴿كَلَّآ إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ ﴿١١﴾ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ﴿١٢﴾﴾ مبيّنة أن ما يدعوهم إليه القرآن هو موعظة وتبصرة لذوي الألباب، فللإنسان أن يختار الاعتبار والاتعاظ.

ثم تقول الآية [١٧] ﴿قُتِلَ ٱلْإِنسَـٰنُ مَآ أَكْفَرَهُۥ ﴿١٧﴾﴾ لعن الكافر ما أشد كفره بالله تعالى بالرغم من كثرة إحسانه إليه.

وبعد عرض الكثير من نعم الله تعالى على البشر يكون منهم الكفرة الفجرة ذوو ﴿وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ﴿٤٠﴾ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ ﴿٤١﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَفَرَةُ ٱلْفَجَرَةُ ﴿٤٢﴾﴾.

إنه تصوير للترغيب والترهيب بذكر المتقين والمجرمين وما ينتظر كُلّاً منهم يوم الدين.

من سورة التكوير (٨١)

بدأت هذه السورة المكية بالحديث عن يوم القيامة وما يصاحبه من تغير كوني هائل يشمل النجوم والكواكب، كما يشمل كل الوحوش والحيوانات، كما يشمل البشر. ثم تناولت الوحي، وحالة النبي عليه السلام الذي يتلقاه، وحال المخاطبين

به، وانتهت هذه السورة الكريمة بتفنيد مزاعم المشركين حول القرآن العظيم، وبيّنت أنه ذكر من الله تعالى لعباده.

فبعد بيان ما يلحق الكون بنجومه وجباله، والإشارة إلى أحياء الأرض من وحوش ونفوس، فإنها تذكر ﴿وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ﴿٨﴾﴾ تسأل عن الذنب الذي بسببه دفنت وهي حية، فبأي اختيار وإرادة أقدم دافنها على فعلته؟! ولذلك صرحت الآية [التالية ٩] ﴿بِأَىِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ ﴿٩﴾﴾.

وتقول الآية [١٤] ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّآ أَحْضَرَتْ ﴿١٤﴾﴾ أي علمت كل نفس ما عملت من خير أو شر، ثم تقسم السورة بأن القرآن العظيم ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ أي قول جبريل عليه السلام الذي أنزله بأمر ربه على نبيه محمد عليه السلام، ولن يكتمل إيمان دون التصديق الجازم بذلك.

وتؤكد الآيات الثلاث الأخيرة [٢٧ و ٢٨ و ٢٩] بأن القرآن تذكرة لكل الخلق ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٧﴾ لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٩﴾﴾ فليختر كل منكم ما يريد من الحق دون أدنى إكراه ولا إجبار بذلك.

من سورة الانفطار (٨٢)

تبدأ هذه السورة المكية بعرض مشاهد يوم القيامة بكل ما يقع فيه من انقلاب الكون في السماء والأرض، والبحر واليابسة، ثم أوردت ما يقع فيه الإنسان من اختيار الجحود والنكران لنعم ربه عليه، ثم وقفت مع سبب ذاك الجحود والإنكار، وما يجري من تسجيل كل صغيرة وكبيرة من أعماله من قبل ملائكة متعاقبين عليه، ثم أوردت انقسام الناس إلى أبرار وفجّار، وكل ذلك بسبب ما يجري على أيديهم من حسن أو سوء الاختيار، وانتهت السورة الكريمة بتصوير هول يوم القيامة.

فبعد الإشارة إلى الانقلاب الكوني يوم الدين تقول السورة ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ ﴿٥﴾﴾ ما أقدمت عليه من أفعال أثناء الحياة وما ادخرته لنفسها من

صالحات، ثم تخاطب السورة الإنسان ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلۡكَرِيمِ ۝٦﴾ فما الذي خدعك حتى عصيت ربك مع إحسانه إليك؟

وتتهدد السورة الإنسان الكافر ﴿وَإِنَّ ٱلۡفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٖ ۝١٤﴾ بالذات فتسجل هذه الملائكة أعمالهم من خير وشر.

وهنا تبيّن السورة توزع الناس حسب أعمالهم ومعتقداتهم بين الأبرار الأطهار والفجار الكفار، لينالوا يوم الدين والحساب ما يستحقونه من الجزاء.

من سورة المطففين (٨٣)

تبدأ هذه السورة بالتهديد والوعيد لمن يُخسرون الكيل والميزان حساباً لما ينتظرهم من حساب يوم الدين، ثم ذكرت ما ينتظره الفجار من الجزاء، وسوقهم إلى الجحيم مع التهديد لما سيؤول إليه مصيرهم، ثم تعرضت للأتقياء الأبرار، وما يتمتعون به من خالد النعيم يوم القيامة، جزاء حسن أعمالهم وسلامة معتقداتهم، وانتهت السورة الكريمة بذكر الأشقياء الضالين ومواقفهم من عباد الله الأخيار من هزء وسخرية.

فالسورة تبدأ بالإنذار الشديد بالعذاب الأليم لمن يرتكبون بمحض إرادتهم واختيارهم هذا الجرم، وهو تطفيف الكيل والميزان، ثم تبيّن للفجار الأشرار أين هو سجل أعمالهم، إنه في مكان ضيق في أسفل سافلين مما ينبئ أين سيؤول مصيرهم يوم الدين.

ثم تعلن بأن يوم القيامة، يوم الحساب، لا يكذب به إلا الأشقياء الذين يتجاوزون الحد في الكفر والضلال ﴿وَمَا يُكَذِّبُ بِهِۦٓ إِلَّا كُلُّ مُعۡتَدٍ أَثِيمٍ ۝١٢﴾ وهم يعلنون ﴿إِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ۝١٣﴾ يقولون إن القرآن الكريم وآياته ليست إلا قصصاً وخرافات قديمة.

وتكشف الآية [١٤] ﴿كَلَّاۖ بَلۡۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ۝١٤﴾ تكشف أن ذنوبهم طمست بصائرهم فصاروا مصرين على الغي والباطل.

وعند قذفهم في الجحيم يقال لهم ﴿ثُمَّ يُقَالُ هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ۝١٧﴾ فتحملوا مسؤولية تكذيبهم.

ثم تذكر موضع كتاب الأبرار، وأنه في مكان عال مشرّف في أعلى الجنّة ﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْأَبْرَارِ لَفِى عِلِّيِّينَ ۝١٨﴾.

ثم تذكر موضع الأبرار أنفسهم ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ۝٢٢ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ۝٢٣ تَعْرِفُ فِى وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ ٱلنَّعِيمِ ۝٢٤﴾ وأما شرابهم الذي يستدعي من الفجار ألف تفكير للسعي لذلك ﴿يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ ۝٢٥ خِتَٰمُهُۥ مِسْكٌ ۚ وَفِى ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ ۝٢٦ وَمِزَاجُهُۥ مِن تَسْنِيمٍ ۝٢٧ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾.

وأما موقف المجرمين من المؤمنين فقد كان في الدنيا صورة عن إجرامهم ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ كَانُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يَضْحَكُونَ ۝٢٩ وَإِذَا مَرُّوا۟ بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ۝٣٠﴾ بل كانوا على جرأة من سيطرت عليه شهوات الدنيا ومتعها، إذ كانوا يقولون عن الأبرار ﴿وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوٓا۟ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَضَآلُّونَ ۝٣٢﴾ وأي ضلال في الإيمان بالله ورسوله؟ إنه البعد عن المتع والشهوات، فيا لهذا الضلال العجيب!!

وتنتهي السورة بالآيات [**٣٤** و **٣٥** و **٣٦**] ﴿فَٱلْيَوْمَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنَ ٱلْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ۝٣٤ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ۝٣٥ هَلْ ثُوِّبَ ٱلْكُفَّارُ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ۝٣٦﴾ فانظروا أيها الفجار إلى ما انتهى إليه مصير المؤمنين في الآخرة وهم يضحكون منهم، وقد جلسوا على أسرّة من الدر والياقوت وأخذوا ينظرون إلى الفجار ويضحكون عليهم، فهل هذا الحال هو الذي تريدونه أيها الفجار، فانتظروا جزاء سخريتكم واستهزائكم بالمؤمنين.

سورة الانشقاق (٨٤)

تبدأ هذه السورة المكية بذكر بعض مشاهد الآخرة، وما يحدث في الكون في ذلك اليوم من انقلاب.

ثمّ تتحدث عن خلق الإنسان وكدّه لتحصيل رزقه، ليعمل من الصالح والطالح من الأعمال ما يلاقي له الجزاء العادل.

ثم تناولت موقف المشركين من هذا القرآن العظيم، وما سيلاقونه من شدائد يوم الدين.

وانتهت السورة الكريمة بتوبيخ المشركين لإصرارهم على الكفر بالله مع أن آياته واضحة.

ففي الآية [٦] تخاطب السورة الإنسان فتقول ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدۡحٗا فَمُلَٰقِيهِ ۝٦﴾ إنك مجد بأعمالك من خير وشر طيلة حياتك لتنال جزاء كدحك الإرادي الاختياري من ثواب وعقاب.

وسترى غداً يوم الدين أنك ستكون على صنفين حقيقِيّيْن ﴿فَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ۝٧ فَسَوۡفَ يُحَاسَبُ حِسَابٗا يَسِيرٗا ۝٨ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦ مَسۡرُورٗا ۝٩ وَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهۡرِهِۦ ۝١٠ فَسَوۡفَ يَدۡعُواْ ثُبُورٗا ۝١١ وَيَصۡلَىٰ سَعِيرًا ۝١٢﴾ فأصحاب اليمين من الصنف الأول سيكون حسابهم هيناً فيرجع إلى أهله في الجنة مسروراً، وأما أصحاب الشمال من وراء الظهر فإنهم يتمنون الهلاك من شدة العذاب.. فلماذا لا يصدقون بالقرآن ويتوقفون عن تكذيبه، مع أن الله عالم بصدورهم، ولن ينجوا من العذاب الأليم إلا إذا آمنوا وعملوا الصالح من الأعمال مع المؤمنين... ﴿فَمَا لَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ۝٢٠﴾.

من سورة البروج (٨٥)

بدأت هذه السورة المكية بالقسم بالسماء ونجومها ومداراتها، ثم بيوم القيامة وبالرسل والخلق، على هلاك المجرمين الذين رفضوا الإيمان وطرحوا أهل الإيمان في النار ليجبروهم على ترك دينهم.

ثم ذكرت الإنذار لأولئك الفجار الذين فتنوا عباد الله تعالى وأولياءه.

وانتهت السورة الكريمة بالإشارة إلى قصّة الجبّار الطاغية فرعون، وما أصابه وقومه من هلاك ينتظر أمثاله ممن اختاروا التجبّر والبغي في الأرض وأصرّوا على محاربة الله ورسله.

ففي آيتيها [٧ و ٨] تقول السورة ﴿وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ۝٧﴾ تبيّن أنّهم بمحض إرادتهم يمارسون الحرق بالنار للمؤمنين الذين اختاروا الإيمان.

وتعلن السورة في آيتها [١٠] ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُوا۟ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا۟ فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ ٱلْحَرِيقِ ۝١٠﴾ تعلن بأن هؤلاء الطغاة الذين يحرقون ويعذبون من اختاروا الإيمان من الرجال والنساء، وأصروا على الثبات عليه فلهم عذاب جهنم والحرق في النار كما حرقوا الآخرين من المؤمنين.

وأما أولئك الذين اختاروا التصديق والإيمان والأعمال الصالحة فإن جزاءهم جنات تجري من تحتها الأنهار.

وليعلموا هم وكل جبار بأن الله تعالى ﴿فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ۝١٦﴾ قادر على تنفيذ كل ما يريده ويحكم به بحق أولئك المجرمين المصرين على إنكار الحق وتكذيبه.

من سورة الطارق (٨٦)

بدأت هذه السورة المكية بالقسم بالسماء وما فيها من كواكب ساطعة على أن كل إنسان له من يحرسه من الملائكة، ثم أوردت البراهين على قدرة ربّ العالمين على إحياء الإنسان بعد موته ليحاسب على أعماله، ثم ذكرت شيئاً مما يجري يوم الحساب من كشف الأسرار، ووقوف الإنسان بين يدي الديّان دون معين ولا نصير، وانتهت هذه السورة الكريمة بذكر القرآن العظيم معجزة المصطفى عليه السلام الخالدة على جميع الناس، ثم بيّنت صدق هذا الكتاب الخالد وما ينتظر أولئكَ الكفرةَ المجرمينَ من العذاب الأليم.

ففي الآية [٤] من السورة تقول ﴿إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ ۝٤﴾ عليها حفاظ من الملائكة يحصون عليها ما تكسبه من خير وشر.

وتذكّر الآيتان [٩ و ١٠] ﴿يَوْمَ تُبْلَى ٱلسَّرَآئِرُ ۝٩ فَمَا لَهُۥ مِن قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ ۝١٠﴾ تذكّرا الإنسان بأنه لا أسرار في صدره يخفيها، بل ستكشف ليجد نفسه وقد فُضحت

جميع أسراره دونما معين ولا ناصر يحميه من حساب ربّ العالمين على ما اختاره من أعمال في حياته قبل مماته.

وها هي الآيات الثلاث الأخيرة من السورة تعلن ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ﴿١٥﴾ وَأَكِيدُ كَيْدًا ﴿١٦﴾ فَمَهِّلِ ٱلْكَٰفِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًۢا ﴿١٧﴾﴾ فدعهم يعملون لإطفاء نور الله فسيجدون النكال مع الإمهال الذي ليس بأكثر من استدراج لهم.

من سورة الأعلى (٨٧)

تبدأ هذه السورة المكية بتنزيه الله تعالى خالق كل شيء ومبدعه ومقدّر كل شيء بقدره، ثم تتحدث عن القرآن والوحي، وتُطَمْئِنُ الرسول عليه السلام بأنه سيحفظ هذا الكتاب الكريم دون صعوبة ولا نسيان، ثم أمرت بالتذكير بهذا القرآن بالموعظة الحسنة التي تستجيب لها النفوس الحيّة وتتّعظ بها العقول النيّرة.

ثم انتهت السورة الكريمة ببيان فوز أصحاب النفوس الزكية والأعمال الطيبة.

وتعلّق الآيتان [٦ و ٧] أمراً في غاية الأهمية في حق الرسول عليه السلام ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ ﴿٦﴾ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۚ إِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ وَمَا يَخْفَىٰ ﴿٧﴾﴾ فأنت يا محمد ستحفظ هذا القرآن في صدرك ولا تنساه إلا ما أراد الله تعالى نسخه فإنك تنساه، فهذا مع رسول أميّ لا يقرأ ولا يكتب معجزة وبرهاناً على صدق نبوته عليه السلام.

وتؤكد الآيات [٩ و ١٠ و ١١ و ١٢] ﴿فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكْرَىٰ ﴿٩﴾ سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ ﴿١٠﴾ وَيَتَجَنَّبُهَا ٱلْأَشْقَى ﴿١١﴾ ٱلَّذِى يَصْلَى ٱلنَّارَ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿١٢﴾﴾ تؤكد أن أصحاب القلوب الطيبة التقيّة هم الذين ينتفعون بالتذكير، وأما من قست قلوبهم وطاشت عقولهم فلا ينتفعون وبالنار يصلون.

وتعلق الآيتان [١٤ و ١٥] ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ﴿١٥﴾﴾ بأن الفلاح في الآخرة من نصيب من تطهروا من الذنوب و الآثام وعبدوا الله تعالى بإرادة واختيار.

من سورة الغاشية (٨٨)

بدأت هذه السورة المكية بتناول موضوع يوم القيامة وأهوالها وما يلقاه الكافر فيها من عذاب، وما يلقاه المؤمن من سعادة، ثم وقفت مع براهين وأدلة لرب العالمين، وقدرته العظيمة، سواء في خلق الإبل على الأرض أو خلق السماء ورفعها، أو الجبال وضخامتها، أو الأرض وامتدادها، وكلها آيات وعلامات على وحدانية الله تعالى وعظيم قدرته وسلطانه، وانتهت السورة الكريمة بتذكير الناس جميعاً بأنهم لا بد راجعون إلى الله تعالى ليحاسبهم على أعمالهم ومعتقداتهم إن خيراً فخير وإن شراً فشر.

ففي الآية الرابعة تقرر بأن هناك يوم القيامة صنفاً من الناس يصلى العذاب الأليم ﴿تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً ﴿٤﴾﴾ وتبيّن الآية الثالثة السابقة بأن سبب ذلك لأنها قضت حياتها ﴿عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ﴿٣﴾﴾ في عمل دائب لكل ما يشقيها يوم القيامة.

وبالمقابل هناك صنف آخر من الناس ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ ﴿٨﴾﴾ لماذا ﴿لِّسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ ﴿٩﴾﴾ لأعمالها في الدنيا من طاعة الله تعالى وطلب رضوانه.

وتؤكد الآيتان [٢١ و ٢٢] ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ﴾ تؤكد بأن الرسول عليه السلام لم يكن في مكة إلا مرشداً وواعظاً وليس مكرهاً لأحد على الإيمان، ولذلك ليعلم من أعرض عن التذكير وأصرّ على الكفر بأن عذاباً أكبر من عذاب الدنيا ينتظره.

من سورة الفجر (٨٩)

تبدأ هذه السورة المكية بالقسم بمخلوقات عظيمة ومكرمة عند رب العالمين من فجر، وليال عشر هي العشر الأوائل من ذي الحجة أو العشر الأواخر من رمضان، وغيرهما بأن المشركين سيعذبون يوم الدين، ثم تذكر إشارات إلى بعض الأمم التي

كذبت رسل الله تعالى من عاد وثمود وقوم فرعون، وبيّنت ما حلّ بهم رغم جبروتهم من الدمار، ثم تحدّثت عن ابتلاء الله تعالى للعباد في الدنيا سواء كان بالخير والمال الكثير، أو بالفقر والمال القليل وإشارة إلى حب الإنسان بطبيعته وفطرته للمال، وانتهت السورة الكريمة بذكر يوم القيامة، وكيف يتمنى الكافر بحسرة شديدة لو كان قد أكثر من الأعمال الطيبة لهذا اليوم، ولكن أضاع على نفسه فرصة الندم والتوبة بموته كافراً.

ففي ذكر تلك الأقوام المتجبرة من عاد وثمود وقوم فرعون تذكير لمشركي مكة بأن أولئك كانوا أقوى وأشدّ منهم، ولكنهم نالوا جزاءهم بالعذاب بالدنيا قبل عذاب الآخرة الأشدّ والأبقى ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ۝٦﴾.

وتعلن الآية [١٢] ﴿فَأَكْثَرُوا۟ فِيهَا ٱلْفَسَادَ ۝١٢﴾ بأن قوم فرعون أفسدوا في البلاد فحلّ بهم ما حلّ من صنوف العذاب التي انتهت بالغرق.

تتحدث السورة في آيتيها [١٥ و ١٦] ﴿فَأَمَّا ٱلْإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكْرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَكْرَمَنِ ۝١٥ وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَهَٰنَنِ﴾ فهذا تصوير من الخالق سبحانه لمخلوقه الإنسان، وكيف يتقلب عند الابتلاء بالغنى والفقر بين وصف الغنى بالتكريم ووصف الفقر بالإهانة، وينسى أن الحالتين مجرد اختبار وابتلاء له ليظهر مدى اعترافه بنعم الله تعالى عليه وشكره تعالى عليها عند الغنى وصبره على الفقر، فالتكريم ليس بالغنى والإهانة ليست بالفقر وإنما بالشكر والصبر إن أحسن الذكر.

وهنا أوردت السورة مجموعة من الحالات التي تكشف عن حقيقة فطرة الإنسان وطبيعته ﴿وَتُحِبُّونَ ٱلْمَالَ حُبًّا جَمًّا ۝٢٠﴾ فهو كحالتهم في الجاهلية كانوا لا يعطون المرأة ولا الصغير من الميراث، وكانوا من السطوة والجشع والبطر بحيث لا يرون مكانة إلا لذوي المال والجبروت.

ويوم القيامة يؤتى بجهنم ليراها الكفار قبل أن يدخلوا فيها ﴿وَجِا۟ىٓءَ يَوْمَئِذٍۭ بِجَهَنَّمَ ۚ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكْرَىٰ ۝٢٣﴾ ولكن لا نفع لهذا التذكر وقد ذهبت فرصة التوبة.. وعندها يأخذ الإنسان في الندم والتحسّر ﴿يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى قَدَّمْتُ لِحَيَاتِى ۝٢٤﴾ دون أي نفع له من ذلك.

وتنهي السورة بمخاطبة النفس المؤمنة المطمئنة بجانب ربها ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفۡسُ ٱلۡمُطۡمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرۡجِعِيٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةٗ مَّرۡضِيَّةٗ ﴿٢٨﴾ فَٱدۡخُلِي فِي عِبَٰدِي ﴿٢٩﴾ وَٱدۡخُلِي جَنَّتِي ﴿٣٠﴾﴾ أن ارجعي يوم القيامة إلى رضوان ربك وجنته بما منحك من النعيم، وانضمي إلى زمرة عباد الله الصالحين، وادخلي جنة ودار الأبرار الصالحين.

من سورة البلد (٩٠)

تبدأ هذه السورة المكية بالقسم بالبلد الحرام مكة مكان الكعبة ومكان سكن الرسول عليه السلام، بأن الإنسان قد خُلق في تعب ومشقة، كما أقسم تعالى بآدم عليه السلام وجميع ذريته من المؤمنين الأبرار، ثم تتحدّثُ السورة عمن اغتروا بقوتهم من كفار مكة من مثل أبي الأشد بن كلدة، وهو الذي كان ينفق ماله مفاخرة، ثم أوردت شيئاً من شدائد يوم القيامة التي لن يتمكن الإنسان أي إنسان من التخلص منها دون الإيمان الحق والعمل الصالح، وانتهت السورة الكريمة بتمييز المؤمنين الأبرار عن الأشقياء الكفار، وأوردت مصير كل منهما.

إنه الاختيار للأعمال والمعتقدات وما تجره على صاحبها من خير أو شر.

والآية الرابعة من السورة تقول ﴿لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ فِي كَبَدٍ ﴿٤﴾﴾ فاطمئن يا محمد لما تكابده من كفار مكة، وهل حسب ذلك المتكبر بقوته وماله أن أحداً لن يقدر عليه ﴿أَيَحۡسَبُ أَن لَّن يَقۡدِرَ عَلَيۡهِ أَحَدٞ ﴿٥﴾﴾.

وهل نسي بأن الله تعالى هو الذي يدل على طريقي الخير والشر بما ينزله من هدى لرسوله ﴿وَهَدَيۡنَٰهُ ٱلنَّجۡدَيۡنِ ﴿١٠﴾﴾ والاختيار بعد ذلك للإنسان وحده: إما طريق الهدى أو طريق الضلال، وبالتالي الجزاء بالجنة أو النار ولا بدّ لقبول الأعمال الصالحة من أن تقوم على الإيمان، وعندها يكون صاحبها من أصحاب الميمنة، وإلا فمن أصحاب المشأمة وجزاؤه النار.

من سورة الشمس (٩١)

بدأت هذه السورة المكية بالقسم بسبعة أشياء من مخلوقات الله تعالى:

بالشمس وضوئها، كناية عن تقديم أخطر الأشياء بين المخلوقات، وبالقمر بعدها، إشارة إلى تبعيته لها، وبالنهار بطلوعها، إشارة إلى ترابطه بها، وبالليل بغيابها، بيان لتبعيته لها، وبالسماء وبنائها، تأكيداً لقدرته تعالى العظيمة على البناء بلا عمد، وبالأرض وبسطها، تأكيداً لقدرته تعالى العظيمة على بسط الأرض وتذليلها لحركة الإنسان عليها، وبالنفس وتسويتها في أحسن تقويم تمييزاً لها عن جميع المخلوقات، ولكن تمييز النفس البشرية قد جاء بما أودعه فيها من قدرة التمييز بين الشر والخير، والقدرة على الاختيار بينهما، ﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴿٨﴾﴾.

ولكن أين الفوز والخسران لدى الإنسان؟ إنه بما يقوم به بإرادته واختياره من تزكية وتطهير لتلك النفس من الشر ودفعها في طريق الخير، وعندها لن يقع فيما وقع فيه الطغاة المتجبرون من أمثال ثمود قوم صالح. فماذا فعلوا؟ ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَآ ﴿١١﴾﴾.

فقد كذبوا بنبيهم صالح عليه السلام بسبب طغيانهم، وذلك حين انطلق أشقى القوم بسرعة وعقر الناقة ويدعى (قدار بن سالف) فوصفته السورة ﴿إِذِ ٱنۢبَعَثَ أَشْقَىٰهَا ﴿١٢﴾﴾ الذي لم يبال بتحذير نبيهم صالح عليه السلام ﴿فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ نَاقَةَ ٱللَّهِ وَسُقْيَٰهَا ﴿١٣﴾﴾ فعقرها فدمرهم الله تعالى جميعاً دونما خوف من إهلاكهم، لأنه العقاب العادل ولا يكون الخوف إلا مع العقاب الظالم.

من سورة الليل (٩٢)

بدأت هذه السورة المكية بالقسم بالليل وظلامه، وما يستدعيه هذا الظلام عندما يلف الكون من الركون للراحة والنوم، ثم أقسمت بالنهار وضوئه عندما يحل محل

الظلام فيبعث في النفس الحركة والنشاط، ثم بخلق الذكر والأنثى من جميع الأحياء ليتكاملوا التكامل الفطري الطبيعي، وأجابت على هذه الأقسام باختلاف سعي الإنسان بين تقي وشقي، وصالح وطالح، ثم صنّفت البشر ليتلمس كل إنسان مساره وطريقه، أهو من أصحاب الحسنى واليسرى أم من أصحاب البخل والعسرى.

ثم نبّهت إلى أن المال لن ينقذ صاحبه الشرير من التردّي في جهنم، بينما ينتهي صاحب المال الطيب الحلال في جمعه وإنفاقه إلى الحصول على رضا الله تعالى، كما حصل مع أبي بكر الصديق رضي الله عنه عندما حرر بلالاً من العبودية ابتغاء وجه الله تعالى، إنها الاختيارات التي تؤدي بأصحابها إلى اليسر أو إلى العسر تبعاً لما كانت عليه تلك الاختيارات: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ﴿٦﴾ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ ﴿٨﴾ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ ﴿٩﴾ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ ﴿١٠﴾﴾.

وتؤكد الآية [١٢] ﴿إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ ﴿١٢﴾﴾ بأن تبيّن للإنسان طريق الهدى من الضلال وهو بنفسه وإرادته يختار أياً من الطريقين، فإن اختار التكذيب والإعراض عن الإيمان والعمل الصالح فهو على غير الدرب السليم وهو الأشقى ﴿فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ ﴿١٤﴾ لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى ﴿١٥﴾ الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٦﴾ وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى ﴿١٧﴾ الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾﴾.

من سورة الضحى (٩٣)

تبدأ هذه السورة المكية بالقسم على تأكيد أن الله تعالى لم يهجر رسوله محمداً عليه السلام ولم يبغضه كما زعم المشركون، ثم تبشره عليه السلام بالعطاء الجزيل في الآخرة ومنه الشفاعة العظمى، ثم تذكره عليه السلام بما كان عليه في الصغر من يتم، وفقر، وضياع فأحاطه سبحانه برعايته، وأغناه من فقره، وهداه من ضياعه، وانتهت السورة بتوصيته عليه السلام بالعطف على اليتيم، والمساعدة للمحتاج، ومواساة المسكين.

فقد أكدت الآية الثالثة ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ۝٣﴾ بأن ما يزعمه مشركو مكة من هجر الله تعالى لرسوله وبغضه له ما هو إلا كذب وافتراء.

وأكدت الآية [٥] ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ ۝٥﴾ بأن عليه أن ينتظر الكثير من النعم التي ترضيه وتجعله يرضى عن عطاء ربه لأمته، وأما الآية [٧] ﴿وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ﴾ فتعني الضياع بسبب البحث عن الهدى الذي ما كان ليكون من صنع إنسان ولو كان نبياً مرسلاً دون وحي، وتنتهي السورة الكريمة بالآية [١١] ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ۝١١﴾ فحدّث بفضل الله عليك وبالذات بإنزال القرآن إليك لترشد العباد إلى طريق الرشاد.

من سورة الشرح (٩٤)

تبدأ هذه السورة المكية، وتسمى الانشراح أيضاً، بذكر حادثة شرح صدره عليه السلام بالإيمان، وملء قلبه بالعرفان، ثمّ تذكر تخليصه من الذنوب والأوزار التي لم يرتكبها مخالفاً لأمر ربه ولكن قبل نزول أمر ربه إليه مما تعتبر أعباء حملها على كاهله دون تقصّد، كيف ذاك والله تعالى بإنزال الرسالة عليه، وتكليفه بتبليغها قد رفع قدره أكثر وأكثر، ثم يطمئنه سبحانه بأن العسر لا يمكن أن يغلب يسرين، فليستعد للنصر في حينه على كل هذا الابتلاء، وما عليه إلا أن يستعد لذاك النصر بالتعب في العبادة والطاعة.

فالسورة تتحدث عن أمرين اثنين: الأول ما منحه الله تعالى لرسوله عليه السلام من النعم ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ۝١﴾ بأن مُلئ بالحكمة ﴿وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ۝٢﴾ التي علقت عليك مما لا تعتبر معاصي كل الأنبياء معصومون عنها ولكنها من باب خلاف الأولى، ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ۝٤﴾ بأن قرن اسمك باسم الله تعالى في الشهادتين وغيرها، والثاني ما أمره تعالى لرسوله من الصبر على العسر من أذى المشركين، وأنه لا بدّ أن يلحقه اليسر بالنصر المؤزر المبين، وأنَّ عليه متى فرغ من دعوته أن يتعب في عبادة ربه، وبذلك تكتمل خياراته في طاعة ربه.

من سورة التين (٩٥)

تبدأ هذه السورة المكية بالقسم بأقدس بقاع في الأرض ألا وهي بيت المقدس، وجبل الطور ومكة المكرمة، أقسمت بتلك الأماكن المقدسة على أن الإنسان قد خلقه الله تعالى في أجمل صورة وأحسن شكل بين جميع المخلوقات، وأن ذلك مما يستدعي منه الشكر لخالقه، ولكن استنكرت من البشر الذين يصرون على الجحود والنكران، فردَّتْهم من أفضل حال إلى أسوأ حال، ولكنها حافظت لمن اختاروا الإيمان وصالح الأعمال على الأجر والثواب العظيمين غير المنقوصين وغير المؤقتين.

فقد بدأت السورة بالقسم بثلاث مواقع الأشرف فيها مكة المكرمة وجاءت الثالثة، والشريف منها وهي بيت المقدس، وجاءت الأولى، وأشرف منها، وهي طور سيناء، وجاءت الثانية، وهكذا كما قالت التوراة: جاء الله من طور سيناء، الجبل الذي كلّم الله عليه موسى، وأشرف من ساعير، يعني جبل بيت المقدس الذي بعث الله منه عيسى، واستعلن من جبال فاران، يعني جبال مكة التي أرسل الله منها محمداً عليه السلام.

فالسورة قد أقسمت على أن الله تعالى قد خلق الإنسان، جنس الإنسان، على أفضل هيئة وأكمل صورة، ومنحه من العقل والإدراك ما يؤهله لمهمة حمل رسالته وتبليغ أمانته، ولكن ما إن يصر على اختيار ما يرده من العلو والسمو في مكانته الخلقية إلى الدنو والسفلية في أعماله الخُلقية، بالتخلي عن فطرته السليمة وعقله الواعي، حتى يهويَ مع الجاحدين إلى الدركات السفلى من الجحيم.

وأما أولئك الناس الذين اختاروا الإيمان بالله تعالى ورسله وخاتمهم محمد عليه السلام، والتزموا الأعمال الصالحة في طاعة ربهم ورسوله، فإن ثوابهم غير مقطوع وغير محدود بزمان.. ﴿وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ ﴿١﴾ وَطُورِ سِينِينَ ﴿٢﴾ وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ ﴿٣﴾ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾ ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ ﴿٥﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٦﴾ فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِٱلدِّينِ ﴿٧﴾ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَحْكَمِ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٨﴾﴾.

فهل أيها الإنسان تجد ما يكفيك بحسن صورتك وكمال عقلك ما يجعلك تشكر الله تعالى، وتؤمن بكل ما أمرك به، فتتجنب كل ما نهاك عنه وتلتزم كل ما دعاك إليه؟

فما الذي يدعوك بعد كل تلك الدلائل والبراهين التي تراها في ذاتك وخارج ذاتك على وجود الله تعالى ووحدانيته وقدرته وعلمه، فما الذي يدعوك لإنكار الله تعالى وإنكار ما أخبرك به بيقين من البعث والنشور والحساب والعقاب؟

فهل لك أيها الإنسان أن تتصور من هو أحكم من الله تعالى الذي خلقك بهذا الكمال مميزاً عن كل المخلوقات، وأسند إليك تبعات كمالك ألا وهي أمانة حمل رسائله على مدى البشرية؟!

من سورة العلق (٩٦)

تبدأ هذه السورة المكية، سورة اقرأ، بالإشارة إلى معجزة القرآن الخالدة، متضمنة الأمر بالقراءة لما ينزله وسينزله عليه بالوحي، ثم أشارت إلى أمر طغيان الإنسان بسبب ثرائه وجاهه، وذلك بدلاً من شكر الخالق على نعمائه، ثم تحدثت عن قصة أبي جهل الطاغية اللعين، فرعون هذه الأمة، مما هدد به الرسول عليه السلام بأنه سيطأ رقبته لو رآه يصلي، فحاول فكادت الملائكة أن تمزقه.

وانتهت السورة الكريمة بالتهديد والوعيد لذاك الشقي الكافر، هو وأمثاله الذين يحاولون أن يمنعوا الصلاة في بيوت الله والدعوة إلى الله في كل مكان، بالتهديد بأشد أنواع العقاب إن لم يرتدع عن طغيانه وضلاله، كما أمرت الرسول عليه السلام أن لا يصغي لوعيده وتهديده وأن يواصل طاعة ربه وعبادته.

فلا شك أن على الإنسان أن يُقبل بدافع إرادته واختياره على التعلّم والقراءة والكتابة، وبالذات لما يلزمه من العلوم الشرعية حتى لا يقع في الحرام ومخالفة أوامر الله تعالى ونواهيه بسبب جهله ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ۝١﴾.

وذكرت الإنسان بأن اتباع الهوى، وتجاوز الحد في الطغيان على الله تعالى

وعباده سيّئُ العاقبة في الدنيا والآخرة، وحذرت من ذلك أشد تحذير ﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ﴿٦﴾ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ﴿٧﴾﴾.

وذكّرت أن مصير الإنسان إلى الحساب يوم الحساب، ولن يفلت عند الطغيان من العقاب ﴿إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجْعَىٰٓ ﴿٨﴾﴾.

وتهددت وتوعدت السورة فرعون هذه الأمة أبا جهل الذي كان ينهى الرسول عليه السلام عن الصلاة، ويجزم بأنه سيطأ رقبته لو رآه يصلي، ونسي أن له رباً يحميه حتى كادت الملائكة أن تتناوله مزقاً لو فعل فعلته المنكرة التي كان يهدد بها ﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يَنْهَىٰ ﴿٩﴾ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰٓ ﴿١٠﴾﴾.

فكيف يفكر هذا اللعين أبو جهل بذاك التهديد وينسى أن محمداً على الهداية وطريق الرشاد وليس كما يظن أنه على الباطل ﴿أَرَءَيْتَ إِن كَانَ عَلَى ٱلْهُدَىٰٓ﴾ ثم ماذا يفعل هذا اللعين لو أن ما يأمر به محمد هو التقوى والخوف والخشية من الله تعالى وليس الأمر بالباطل ﴿أَوْ أَمَرَ بِٱلتَّقْوَىٰٓ ﴿١٢﴾﴾.

وتهددت السورة أبا جهل وأمثاله لتكذيبهم بدعوة الرسول عليه السلام وبعدهم عن الإيمان به، بأن الله تعالى يرى ويعلم ما يفعلونه، وسيعاقبهم على ذلك أشد العقاب ﴿أَرَءَيْتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰٓ ﴿١٣﴾﴾ ﴿أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ ﴿١٤﴾﴾ وأوضحت ما ينتظر هذا اللعين من العقاب لو استمر في طغيانه وضلاله ﴿كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًۢا بِٱلنَّاصِيَةِ ﴿١٥﴾﴾ ﴿نَاصِيَةٍ كَٰذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ﴿١٦﴾﴾.

ودعت السورة في نهايتها الرسول عليه السلام وكل من يتبعه، إلى مواصلة الطاعة لله تعالى، وعدم الاهتمام بتهديدات هذا اللعين وأمثاله في كل زمان ومكان.

من سورة القدر (٩٧)

تبدأ هذه السورة المكية وتنتهي بالحديث عن ليلة القدر وفضلها، فقد بادرت بذكر شرفها بنزول القرآن الكريم فيها من بيت العزة إلى السماء الدنيا دفعة واحدة،

ثم أنزل بما يناسب الحوادث طيلة ثلاث وعشرين سنة هي فترة حياة الرسول عليه السلام منذ تكليفه بالرسالة حتى انتقاله إلى جوار ربه، ثم أشارت إلى فضل ليلة القدر التي نزل فيها القرآن الكريم في قيمتها من حيث الطاعات وأنها أفضل من ألف شهر ليس فيها ليلة القدر، ثم ذكرت فضلاً ثالثاً لليلة القدر بأن الملائكة تنزل فيها بكل قضاء وقدر للسنة التالية.

وأخيراً انتهت ببيان أن الله تعالى قد خص تلك الليلة بفضل أنها سلام، أي: لا يحصل للإنسان فيها من أولها حتى طلوع فجرها إلا الخير والبركة والسلام.

فعندما يصف المولى سبحانه ليلة القدر بأنها خير من ألف شهر ﴿لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ خَيۡرٞ مِّنۡ أَلۡفِ شَهۡرٖ ۝٣﴾ يؤكد أن هذا الشرف والفضل في خيريتها من ألف شهر، مما يدفع المؤمن العامل للصالحات أن يحرص على قيامها وإجراء الأعمال الصالحة فيها لما لها من منزلة عند الله تعالى.

وعندما يبيّن أنها سلام ﴿سَلَٰمٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطۡلَعِ ٱلۡفَجۡرِ ۝٥﴾ يبيّن أن من سلامها أن الملائكة تسلم فيها على المؤمنين، وأن الله تعالى لا يقدر فيها إلا الخير والسلامة لبني الإنسان.

من سورة البيّنة (٩٨)

تبدأ هذه السورة المدنية ـ سورة لم يكن ـ بذكر اليهود والنصارى وتكذيبهم لبعثة الرسول محمد عليه السلام بعد ظهورها، مع أنهم كانوا يؤمنون بها من كتبهم قبل ذلك، ثم تحدثت السورة عن عنصر الإخلاص لله تعالى كأساس من عناصر الإيمان في جميع الأديان وإلا وقع الإنسان في الكذب والنفاق، ثم قارنت السورة بين أهل الإجرام وشر الخلق من كفرة أهل الكتاب والمشركين، وبين أهل الإيمان وصالح الأعمال من الطرفين، وأبرزت مصير كل منهم بين خلود شر البرية في نار جهنم وخلود خير البرية في جنات عدن.

فقد بدأت السورة ببيان اختيار من كفر من أهل الكتاب والمشركين الكفر والجحود

لرسالة الإسلام بعد أن ظهرت وظهر رسولها، فالعجب العجاب من ذوي الألباب، إذ بعد أن ظهرت أمام أعينهم وعقولهم الرسالة والرسول وعرفوه حق المعرفة، عاندوا في التكذيب ﴿لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ﴿١﴾﴾ و ﴿وَمَا تَفَرَّقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ﴿٤﴾﴾.

وعندما تذكر السورة ما أمروا به من الإخلاص في العبادة ومن إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة كأخص ما يكون من الطاعات، ذكرت أن ذلك هو الدين القويم ﴿وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ﴿٥﴾﴾ مما يفرض على أهل الكتاب من اليهود والنصارى ومن المشركين أن يفردوا الله تعالى بالعبادة، ولا يشركوا به أحداً لا من أنبيائهم ولا من رهبانهم وأحبارهم وأوثانهم، لأن في ذلك الإخلاص لله تعالى في الإيمان والعبادة والطاعة، الأمر الذي يستدعي من كل منهم وأمثالهم من غير المؤمنين أن يعيدوا النظر في معتقداتهم وأعمالهم، وأن يختاروا الإيمان الحق والعمل الصالح.

وعندما حددت السورة مصير الذين كفروا من أهل الكتاب من اليهود والنصارى ومن المشركين بأنهم إلى نار جهنم حيث الخلود فيها لهم ولأمثالهم من شر المخلوقات لعدم إيمانهم بالله ورسوله ورسالته، عندما حددت ذلك دعت البشر كلهم ممن أساء الاختيار في الإيمان فوقع في الكفر أو الشرك. أن يعيدوا النظر في اختياراتهم وينقذوا أنفسهم من هذا المصير المشؤوم ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ فِى نَارِ جَهَنَّمَ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمْ شَرُّ ٱلْبَرِيَّةِ﴾.

وعندما حددت السورة مصير الذين اختاروا الإيمان وصالح الأعمال من أولئك المشركين وأهل الكتاب فأصبحوا خير البرية، وبينت مصيرهم أنهم إلى الإقامة الخالدة في جنات عدن،وأنهم تحت رضى الله تعالى عن أعمالهم وطاعاتهم، وأنهم راضون عن الله تعالى بما كافأهم به على إيمانهم وطاعاتهم، فعندما حددت هذا المصير دعت كل من أحسن الاختيار أن يثبت عليه ويدعو له ويصبر على الابتلاء فيه ليكون ممن خشي ربه ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ ﴿٧﴾﴾ ﴿جَزَآؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّـٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ رَبَّهُۥ ﴿٨﴾﴾.

من سورة الزلزلة (٩٩)

تبدأ هذه السورة المدنية وتنتهي بالحديث عن يوم القيامة وما يحصل فيه من شدائد وأهوال.

فتذكر الزلزال العنيف الذي يصيب الأرض في ذلك اليوم،فتخرج كل ما فيها، وتتحدث بأمر ربها عن كل ما حصل عليها من أعمال مهما صغرت، ويصدر الموتى من قبورهم متفرقين، ويقف كل إنسان أمام أعماله صغيرها وكبيرها، فيساق الناس للحساب ليحمل المسيء إساءته مهما صغرت،ويحمل المحسن حسنته مهما صغرت.

فالوعيد والتهديد يلاحق الإنسان سواء كان مسيئاً أو محسناً بخروج جثته يوم القيامة من الأرض، ليساق مع غيره في المحشر إلى يوم الحساب ﴿وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ۝٢﴾.

وهنا تجيب الأرض بأمر ربها على تساؤل الإنسان ﴿وَقَالَ ٱلْإِنسَـٰنُ مَا لَهَا ۝٣﴾ بجواب جاء بأمر ربها ﴿بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ۝٥﴾.

ولا ينتظر الحشر المزيد من تساؤل الناس إذ ﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا أَعْمَـٰلَهُمْ ۝٦﴾ فيتمنى كل فرد أن يعفو الله تعالى عن سيئاته ويضاعف من حسناته، وما ذلك إلا تابع لرحمة الله وغفرانه، وعفوه وإحسانه وإلا فإن ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ۝٨﴾ فليجدّ ويجتهد في خياراته الفضلى في هذه الدنيا قبل أن تضيع فرصة قبول التوبة وشمول المغفرة، والحصول على الشفاعة.

من سورة العاديات (١٠٠)

تبدأ هذه السورة المكية بالقسم بخيول المجاهدين في سبيل الله تعالى، وما تحدثه من شرار بحوافرها، ومن غبار تثيرهُ بركضها، تقسم بخيول المجاهد على ماذا؟ ولماذا خيول المجاهدين بالذات؟

لا شك أن لهذه الخيول شرفاً وأي شرف؛ تستحق معه هذا التكريم بالقسم الرباني بها، ثمّ إن في ذلك إشارة كلية لدور الخيول في مرحلة قادمة، وهذا ما تحقق في المرحلة المدنية، مرحلة الدولة بعد مرحلة الدعوة، وأما على ماذا أقسمت بخيول المجاهدين، إنه على كنود الإنسان وجحوده لنعم الله تعالى وآلائه عليه، وعلى حبه الشديد للمال.

وأخيراً تتهدد السورة الإنسان الجاحد بالذات، والذي يقضي عمره في الركض وراء جمع المال، بأنه سيموت وسيبعث يوم الحساب ليجازى على ذلك كله، فعندما تقول السورة في آيتها الثالثة ﴿فَٱلْمُغِيرَٰتِ صُبْحًا ۝٣﴾ كأنها تحدد أفضل الأوقات للغارة الحربية الناجحة في سبيل الله تعالى.

وعندما تقول الآية [٧] ﴿وَإِنَّهُۥ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ ۝٧﴾ تؤكد أن ظهور الجحود واضح على الإنسان الكنود مما لا يحتاج معه إلى شاهد عليه بل تكفي شهادته على نفسه.

وعندما تتهدده في الآيات الأخيرة [٩، ١٠، ١١] ﴿أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِى ٱلْقُبُورِ ۝٩ وَحُصِّلَ مَا فِى ٱلصُّدُورِ ۝١٠ إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌۢ ۝١١﴾ فإنها تؤكد له البعث والحساب والجزاء، وما عليه إلا أن يعيد النظر في كنوده ويختار الإنفاق في سبيل الله.

من سورة القارعة (١٠١)

تبدأ هذه السورة المكية بالإشارة إلى يوم القيامة وما فيه من شدائد وأهوال، لتقول للإنسان هل أحسنت اختيار أعمالك في الدنيا لتنقذ نفسك من فظائع ذلك اليوم الرهيب؟

وها هي تخص الناس بالذكر وما يكون عليه حالهم وهم منتشرون يوم القيامة بعد أن يبعثوا من قبورهم ويساقوا في المحشر، إنهم سيكونون كالفراش المنتشر في حيرة واضطراب، ثم تأتي لذكر ما هو أقوى من الإنسان، إنها الجبال وكيف يكون حالها في ذلك اليوم؟ إنها تكون كالصوف الملون المنفوش المتطاير الذي تضطرب العين وتحتار مع رؤية منظره، ثم تنتهي السورة الكريمة لتتحدث عن الأخيار ونهايتهم إلى العيش الهني الرضي في جنات النعيم وقد رجحت موازين حسناتهم، وعن الأشرار ومصيرهم إلى الهاوية وقعر النار!!

فعندما تصف الناس ﴿يَوْمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ ﴿٤﴾﴾ فهي تقول لهم عن استعداداتهم واختياراتهم في حياتهم الدنيا.

وعندما تبيّن انقسام الناس بين أصحاب الموازين الثقيلة الراجحة بحسناتها، والراضية بعيشها ﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٦﴾﴾ ﴿فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ﴾ وبين أصحاب الموازين الخفيفة المرجوحة بحسناتها و المنتهية بأصحابها إلى الهاوية والنار الحامية ﴿وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٨﴾﴾ ﴿فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ﴿٩﴾﴾ ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ ﴿١٠﴾﴾ ﴿نَارٌ حَامِيَةٌۢ ﴿١١﴾﴾ عندها تثير الرعب في الإنسان ليختار بين المصيرين.

من سورة التكاثر (١٠٢)

بدأت هذه السورة المكية بالحديث عن الانشغال في جمع المال وتكثير الأولاد بدلاً من العمل لطاعة الله، وتهددت من ينشغلون بذلك بما سوف يرونه رؤية العين يوم الحشر والحساب من نار الجحيم، وأكدت أن الإنسان سوف يُسأل يوم الحساب عن كل نعيم عايشه في الدنيا وانشغل بتكثيره والتمتع به.

فأين حُسن الاختيار بين الانشغال في متع الدنيا وفي نعيم الآخرة.

فعندما تبدأ السورة بالتحذير من الانشغال في تكثير الأموال والأولاد والمتاع في الدنيا حتى يوافي الإنسانَ الأجلُ ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ۝١ حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ ۝٢﴾ فإنها تحذر من هذا الانشغال بالمهم عن الأهم في هذه الحياة الدنيا ومتعها، وتدعو إلى الجد في اختيار العمل للآخرة قبل وأكثر من الدنيا.

وعندما تهدد ﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٣ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٤﴾ تؤكد بأن الإنسان سيعلم ويعرف ما ينتظره يوم الحساب بكل تأكيد فليعمل بحسن الاختيار.

وعندما تحذر ﴿كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ ٱلْيَقِينِ ۝٥ لَتَرَوُنَّ ٱلْجَحِيمَ ۝٦ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ ٱلْيَقِينِ ۝٧ ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ۝٨﴾ فإنها تؤكد أمرين: رؤية الجحيم الحتمية، والسؤال عن كل نعيم كثرّه وانشغل فيه عن طاعة ربه أو استمتع فيه في دنياه.

من سورة الهمزة (١٠٣)

تبدأ هذه السورة المكية وتنتهي بالحديث عمن يلمز الناس ويهمزهم، والذي يستهويه جمع المال وتكديسه في أوعيته دون إنفاقه في حقّه، وكأنه سيكون سبباً لخلوده في هذه الدنيا، ثم تتحدث عن مآل هذا المخدوع بالدنيا المغرور بأموالها،

فتؤكد له بأن ما ينتظره يوم الحساب من الرعب بحيث يفرض عليه أن يفكر ألف مرة ومرة فيما يفعله قبل أن يوافيه الأجل، إنها نار تحطّم عظامه وتأكل جسمه بانتظاره جزاء سوء أفعاله، فعليه أن يتوقف هذا الأخنس من شريق وأمثاله عن ممارسة هذا العمل المشين بالطعن في الناس، وبجمع الأموال ظناً أن في ذلك الخلودَ في الدنيا ومتاعها.

فالسورة عندما تبدأ بالتهديد للهماز اللماز ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ۝١﴾ تؤكد أن من يطعن الناس في أعراضهم ويسخر منهم بعيونه وحواجبه لن يجد يوم الحساب إلا الويل والعذاب الشديد، وليتوقف عن ذلك وعن جمع الأموال والحفاظ عليها في أوعيتها دون الإنفاق منها في حقها في سبيل الله تعالى، لأنها لن تكون سبباً لخلوده في الدنيا ومتاعها ﴿ٱلَّذِى جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُۥ ۝٢ يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُۥٓ أَخْلَدَهُۥ ۝٣﴾.

وعندما تتهدده ﴿كَلَّا ۖ لَيُنۢبَذَنَّ فِى ٱلْحُطَمَةِ ۝٤ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحُطَمَةُ ۝٥ نَارُ ٱللَّهِ ٱلْمُوقَدَةُ ۝٦ ٱلَّتِى تَطَّلِعُ عَلَى ٱلْأَفْـِٔدَةِ ۝٧ إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ ۝٨ فِى عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍۭ ۝٩﴾ فإنها تؤكد لهؤلاء الناس ما ينتظرهم من شديد العذاب يوم القيامة، بإلقائهم في تلك النار التي تحطّم العظام، والتي تحرق القلوب بشديد حرارتها لأنها مقفلة وبأعمدة ممتدة.

من سورة الفيل (١٠٤)

تبدأ هذه السورة المكية وتنتهي بالحديث عن أصحاب الفيل الذين جاؤوا من الحبشة بقيادة أبرهة الأشرم لهدم الكعبة المشرّفة، ولكن الله تعالى جعل كيدهم في نحورهم وهزمهم شر هزيمة بمخلوق من مخلوقاته الضعيفة هو الطير.

وعندما تقول السورة بأن الله تعالى قد تولى بنفسه الدفاع عن حرم مكة بأن جعل كيد عدوه في ضياع وخسارة، فإنه سبحانه يؤكد للإنسان بأنه مهما تكبر وتجبر

فإنه لن يصل إلى شيءٍ من قدرة الله تعالى عليه، وما عليه إلا التفكر والتدبر ليحسن اختيار أعماله.

وعندما تقول السورة في آيتها الثانية ﴿أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ ۝٢﴾ فإنه سبحانه يؤكد ذاك المعنى ليحسن الإنسان اختياراته، وعندما يرسل سبحانه على عدوه المتجبر المتغطرس مخلوقاً ضعيفاً من مخلوقاته هو الطير ﴿وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ۝٣﴾ فإنه يؤكد للإنسان بأنه لا يملك أن يدافع عن نفسه حتى أمام الضعيف من مخلوقات الله؛ فليعد حسابات اختياراته قبل فوات الأوان.

وعندما رمتهم تلك الطيور بما حملته من حجارة من الطين اليابس فقضت عليهم، عرفتهم بأنهم لم يلزمهم للقضاء عليهم أكثر من هذا النوع من الحجارة الضعيفة، فعليهم وعلى الإنسان مهما تجبر وتكبر أن يفكر في نفسه ويتدبر أمره، ويحسن اختياره، وإلا فإنه سينتهي مثلهم ﴿فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ﴾ كقش أكل وطرح.

من سورة قريش (١٠٥)

بدأت هذه السورة المكية بذكر ما اعتاد أهل مكة القيام به من رحلة في الشتاء إلى اليمن وأخرى إلى الشام في الصيف، مشيرة إلى ما كانت تجلبه تلك الرحلتان لهم من منافع من خلال التجارة فيهما، ثم ذكّرت بأن المنعم المتفضل عليهما من أرزاق في التجارة في هاتين الرحلتين يفرض عليهم أن يفردوه بالعبادة وهو الرب الذي أنقذ لهم بالأمس هذا البيت من أصحاب الفيل، وجلب لهم بهاتين الرحلتين الرزق الكثير، في جو من الأمن والاستقرار والبعد عن الخوف والدمار.

فعندما تخص هذه السورة قريشاً بالذكر فإنه تكريم لهم بين يدي تكريم آخر بتيسير الرزق الوفير لهم من خلال رحلتي الشتاء والصيف.

وعندما تأمر السورة قريشاً ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَٰذَا الْبَيْتِ ۝٣﴾ تأمرهم بعبادة الله

تعالى وتخصُّهُ سبحانه بـ ﴿رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ﴾ فإنها تذكرهم بما فعله سبحانه عندما دفع ضرَّ الأحباش عن بيته سبحانه، مما يفرض عليهم أن يخصوه بالشكر والطاعة.

وعندما تذكرهم ﴿ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۭ ﴿٤﴾﴾ فإنها تذكرهم بأن من أطعمهم من الجوع الشديد الذي يعيشونه، وأن من أنقذهم من الخوف الشديد الذي كانوا يقاسونه، والذي هو الله سبحانه وتعالى، فإن ذلك يقتضي أن يشكروه ويطيعوه ويعبدوه وحده لا شريك له.

فهل أحسن الاختيار؟

من سورة الماعون (١٠٦)

تحدثت هذه السورة المكية بإيجاز عن نوعين من الناس: من يجحد نعم الله تعالى ويكذب بالبعث والجزاء، ومن ينافق ويرائي الناس ابتغاء مرضاتهم.

فأبرزت أن من صفات المكذب بيوم الدين، يوم الحساب، إيقاعَ الأذى باليتيم وعدم إطعام المسكين، كما أبرزت أن من صفات المنافقين أنهم يتغافلون عن مواعيد صلاتهم إذا صلوا، ويراؤون الناس في حسن أعمالهم إذا عملوا.

فعندما خاطبت السورة ﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ﴿١﴾﴾ عندما خاطبت الرسول عليه السلام، وخاطبت كل مؤمن من أتباعه، ليعرف من هو المكذب بيوم الحساب، ما هي أوصافه، لفتت نظرهم إلى معرفة هذا النوع من الناس الأشرار، وشرهم وقبحهم آتيان من سوء أعمالهم مع أضعف الناس في المجتمع وهم الأيتام والمساكين، فكأنها تقول لهم: ماذا تنتظرون من هذا الشر والقبح؟

وعندما ذكرت ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴿٥﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ ﴿٦﴾ وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ ﴿٧﴾﴾ بيّنت أن العذاب الشديد لأولئك الغافلين عن صلاتهم والذين يُصَلُّون إذا صَلَّوْا رياء لا تقرباً وطاعة لله تعالى، وهم الذين تنقصهم صفة المروءة ببخلهم حتى عن المساعدة بأتفه الأدوات كالصحن والفأس والدلو.

فاحذروا أيها المؤمنون من ذلك وأحسنوا يحسن الله إليكم.

من سورة الكوثر (١٠٧)

تحدثت هذه السورة المكية عن كرم الله تعالى وفضله العظيم على نبيّه الكريم، فقد أعطاه الخير الكثير في الدنيا والآخرة، وخصّه بنهر الكوثر الذي وصفه عليه السلام «هو نهر في الجنة..»

كما أمرت الرسول عليه السلام بإدامة الصلاة ونحر الهدي شكراً لله تعالى على ما تفضّل به عليه، مما يستدعي الشكر على كل خير.

وانتهت السورة الكريمة بتطمين الرسول عليه السلام بأنه تعالى ناصره على أعدائه، سواء العاص بن وائل الذي كان يصف الرسول عليه السلام بالأبتر لموت أبنائه أو غيره ممن يتعرضون للرسول عليه السلام بأي ذكر سيئ.

فعندما تقول السورة ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ۝١﴾ فإنها تؤكد للرسول عليه السلام مكانته عند ربه عندما أعطاه الخير الكثير في الدنيا والآخرة، ومنه هذا النهر المبارك العظيم في جنة النعيم.

وعندما تأمر السورة الرسول عليه السلام بدوام إقامة الصلاة وأن يتقرّب في ذلك وينحَرَ الهدي ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ۝٢﴾ فإنها تربط الصلاة بالحج، تربط طاعة الله وعبادته بالتصدّق على المساكين.

وعندما تخبره عليه السلام ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ ۝٣﴾ فإنها تؤكد له نصره على أعدائه بأن ذكره سيكون مرفوعاً إلى يوم الدين، بينما ذكر من يتهجمون عليه هو المقطوع.

فتنبهوا يا من تتطاول ألسنتهم على الرسول عليه السلام واحذروا سوء كلماتكم.

من سورة (الكافرون) (١٠٨)

تحدّثت هذه السورة المكية عن توحيد الله تعالى في العبادة، والبراءة من شرك المشركين وضلال الضالين.

فعندما طلب المشركون من الرسول عليه السلام أن يعبد آلهتهم سنة ويعبدوا هم إلهه سنة قطعت هذه السورة عليهم أطماعهم، فهي عندما تكرر بأنه عليه السلام لا يعبد ما يعبدون، ولا هم يعبدون ما يعبد فإنها تحسم النزاع بين أهل الإيمان وعبدة الأوثان، وتسفه فكرة العبادة المتبادلة.

فعندما تبدأ السورة بالآية الأولى ﴿قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْكَـٰفِرُونَ ۝١﴾ تطلب من الرسول عليه السلام أن يخاطبهم بصفتهم كفاراً دون تلميح بل بكل تصريح بالرغم من كرههم لهذا الخطاب.

وعندما تطلب منه عليه السلام في الآيتين الثانية والثالثة ﴿لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۝٢ وَلَآ أَنتُمْ عَـٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ﴾ فإنها نتيجة رفض دعوتهم لهذا التبادل بين عبادة الله وعبادة الأصنام في ذاك الموقف الذي دعوه عليه السلام للمبادلة.

وعندما تكرر الطلب بشكل آخر في الآيتين [٤ و ٥] ﴿وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ۝٤ وَلَآ أَنتُمْ عَـٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝٥﴾ فإنها ترد طلبهم حتى في المستقبل.

وتنتهي للحسم [بآية ٦] ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ ۝٦﴾ بأن لي دين التوحيد ولكم دين الوثنية، ومن المستحيل الجمع أو المبادلة بينهما لا في الحاضر ولا المستقبل.

من سورة النصر (١٠٩)

تتحدث هذه السورة المدنية عن فتح مكة الذي به دخل الناس في دين الإسلام، وارتفعت بِهِ راية التوحيد، وذوت ملة الأصنام.

لقد أخبرت هذه السورة بفتح مكة قبل وقوعه، فكانت دليلاً من أدلة صدق نبوته عليه السلام، وأمرته عليه السلام أن ينزه الله تعالى ويحمده على هذا الفضل الكريم الذي تفضل به عليه بفتح مكة، كما أمرته عليه السلام أن يستغفر الله تعالى ويتوب إليه، إشارة إلى قرب حلول أجله عليه السلام فليعد إليه تعالى كثير التوبة وعظيم الرحمة للمؤمنين من عباده.

فالسورة الكريمة تخاطب الرسول عليه السلام فتذكره بالنعمة التي أنعمها عليه وعلى المؤمنين بفتح مكة القريب، والذي يدل إخباره عليه السلام به على علم من أعلام النبوة ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ۝١﴾.

وتورد إشارة إلى إقبال العرب بعد فتح مكة للدخول في دين الله الإسلام جماعات جماعات، ذلك أنهم كانوا ينتظرون ظهوره عليه السلام على قومه، فلم تمض سنتان حتى ساد الإسلام الجزيرة العربية من جميع أطرافها ﴿وَرَأَيۡتَ ٱلنَّاسَ يَدۡخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفۡوَاجٗا ۝٢﴾ ودعته عليه السلام لتعظيم ربه وحمده على هذه النعم وشكره على هذا الفتح المبين، لأنها كما أخبر عنها عليه السلام ولم يعش بعدها سوى ثمانين يوماً. . ﴿فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَٱسۡتَغۡفِرۡهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا ۝٣﴾.

من سورة المسد (١١٠)

تتحدث هذه السورة المكية التي تسمى سورة اللهب وسورة تبت عن هلاك أبي لهب الذي كان شديد العداء للرسول ورسالته.

وعندما زعم أنه بغناه وأمواله سيخلص نفسه من العذاب الذي يتهدده به عليه السلام، أكد له سبحانه أنها لن تغني عنه شيئاً، كما لم يغن عنه أولاده الثلاثة عتبة ومعتب وعتيبة شيئاً؛ إذ أسلم الأولان عند فتح مكة وافترس الأسد الثالث عتيبة بدعاء الرسول عليه السلام «اللهم سلّط عليه كلباً من كلابك» كما هلك أبو لهب بعد وقعة بدر بسبع ليال بمرض كالطاعون أنتن منه حتى عافه أولاده واستقذروا جثته فواروه بالحجارة.

وأما امرأته العوراء أم جميل ابنة أبي سفيان فكانت توقع العداوة والبغضاء بين الناس، وتلقي الشوك في طريق الرسول عليه السلام لتؤذيه، فاستحقت حبلاً من الليف حول عنقها لتهان به وهي المتعالية بنسبها بين الناس.

فعندما قالت السورة ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١﴾ دعت عليه بالهلاك؛ فهلك هذا الشقي المدعو عبد العزى بن عبد المطلب، وهي تعطي صورة عن استحالة الاستعانة بقربه من النبي عليه السلام أن ينقذه من العذاب الذي حلّ به في الدنيا وينتظره في الآخرة، والعوراء أم جميل بنت أبي سفيان لم يفدها أيضاً حسبها ونسبها في إنقاذها من العذاب ففارقها زوجها على أسوأ ميتة، وفارقها أولادها على الرغم منها؛ إذ أسلم اثنان ومات الثالث فريسة للأسد في رحلة للشام.

فهل نفع هذا الرجل حسبه ونسبه، وهل نفع زوجته حسبها ونسبها؟! إنه سوء الاختيار والعياذ بالله.

من سورة الإخلاص (١١١)

بدأت هذه السورة المكية وانتهت بالحديث عن صفات الله تعالى، فذكرت أنه الواحد الأحد، وأنه المقصود على الدوام، الغني عما سواه، وأنه المنزه عن صفات النقص، والمجانسة والمماثلة، وأنه سبحانه منزه عن تثليث النصارى وثنوية اليهود وشرك المشركين.

فعندما تبدأ السورة مخاطبة الرسول عليه السلام أن يقول جواباً لمن سأله من المشركين أن يصف لهم ربه فنزلت ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ﴾ وأجب يا محمد هؤلاء المشركين المستهزئين بأن ربك الذي تعبده واحد أحد لا شريك له، ولا شبيه ولا نظير له، لا في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله ﴿ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢﴾.

وأجبهم يا محمد أن ربك واحدٌ لا ثاني له في العدد، وواحدٌ لا نظير له ولا شريك، وواحدٌ لا يتقسم ولا يتبعض ﴿ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌ ۝٤﴾.

وأجبهم يا محمد أن ربك ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾، فهو سبحانه لا نظير يساميه ولا قريب يدانيه ﴿وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدُۢ ﴿٤﴾﴾.

وأجبهم يا محمد أن ربك أزلي لا يحد بزمان مضى، ولا يحده زمان قادم، فهل تنبه المجدفون في حقه سبحانه إلى هذه الحقيقة ليحسنوا الخيار؟

من سورة الفلق (١١٢)

بدأت هذه السورة المكية بمخاطبة الرسول عليه السلام وكل أتباعه من المؤمنين أن يلجؤوا إلى حمى الله تعالى، ويستعينوا به ضد شر مخلوقاته، بشكل عام شامل، ثم حددت مجموعة من مصادر الشر لشدة أذاها أكثر من غيرها: فجاءت ظلمة الليل كلما جن على الإنسان، ثم سحر الساحرات المعتمد على النفث في العقد، ثم حسد الحساد وما يتمنونه لغيرهم من ذهاب النعمة عنهم.

فعندما دعت الرسول عليه السلام ليلجأ إلى الله تعالى بصفة رب الصبح الذي يبدد بنوره ظلمة الليل والنفوس معاً، فإنها حددت له عليه السلام الشرور التي بسببها يلجأ إلى الله تعالى؛ مبيّنة أنها في رأس قائمة الشرور التي يستعان بالله تعالى منها.

وعندما وضعت شر ظلمة الليل في رأس قائمة الشرور التي يستعاذ بالله تعالى منها، أنذرت الإنسان وحذرته من هذه الظلمة وما بداخلها من انتشار أهل الشر من الإنس والجن والدواب والهوام.

وعندما وضعت سحر الساحرات والأخص ما اعتدن عليه من النفث في العقد، فقد نبهت لما تحدثه من أذى بين الناس عامة والأزواج بخاصة، وعندما ختمت الشرور بشر الحاسد عندما يحسد ويتمنى زوال النعمة عن غيره فإنها تحذر من هذا الشر المستطير في إيقاع الأذى بين الناس. . فأين الخيار الحسن؟!

من سورة الناس (١١٤)

تبدأ هذه السورة المكية، ثاني المعوذتين باللجوء إلى رب الناس، رب الأرباب، من شر شياطين الإنس والجن، إنها السورة الخاتمة لكل سور القرآن الكريم، إنها تعلم المسلم كيف يدعو ربه في ختام أعماله، فتدعو الرسول عليه السلام وتدعو معه كل مسلم من أتباعه بأن يستعين بالله تعالى بوصفه:

رب الناس، فلا رب سواه يرعاهم ويتدبر أمورهم، ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾.

وملك الناس، فلا ملك يملك أمورهم وشؤونهم غيره، ﴿مَلِكِ ٱلنَّاسِ﴾.

وإله الناس، فهو إله ولا معبود لهم يعبدونه غيره، ﴿إِلَـٰهِ ٱلنَّاسِ ۝٣﴾.

فهذا التقديم للدعاء والرجاء هو البدء بسؤاله تعالى بما يليق من أسمائه الحسنى، وعندما يلجأ إلى الله تعالى بهذه الصفات الثلاث فإنه يحدد ما يستجير بالله تعالى منه:

إنه الوسواس الخناس ﴿مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ۝٤﴾.

هذا الوسواس الذي يعتمد في غوايته على الهمس والدغدغة للعواطف والمشاعر، ولا يعتمد على الحجة والبرهان.

وهذا الخناس الذي يتوارى من تنبه الإنسان محل الغواية والوسوسة منه، فإذا ذكر الله تعالى توارى واختفى، وإذا غفل عن ذكره تعالى هاجم القلب فاقتحمه، ولذلك كانت خطورة وسواس الجن أخفى من وسواس الإنس الذين ما أسرع ما يكشفون أوراقهم، فهو ﴿ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ۝٥﴾.

فأين أنت أيها الإنسان من هذه الغواية، وأين حسن اختيارك!؟

الدعاء

بسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام على سيدي رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه.

اللهم يا ذا الجلال والإكرام، يا ذا المنة والعطاء، يا ذا الكرم والسخاء تولَّنا بعنايتك ورعايتك في الأمور كلها، ولا تكلنا إلى أنفسنا طرفة عين ولا أكثر ولا أقل من ذلك.

اللهم نحن عبادك وعبيدك وأبناء عبادك وعبيدك، نواصينا بيدك، أعمارنا ملك قضائك وقدرك، أرزاقنا ملك حكمك وتقديرك، فخذ بأيدينا لكل ما تحبه وترضاه في الدنيا والآخرة.

اللهم هذه أمتنا الإسلامية، تجاسر عليها البعيد والقريب، ولا منقذ لها إلا أنت، فنصرَكَ العزيزَ المبين؛ ندعوك ونلح في الدعاء؛ ولا ناصر لنا غيرك يا قوي يا عزيز.

اللهم هذا جهدي الذي تمَّ بتوفيقك؛ أرجو أن تجعل فيه الخير للإسلام والمسلمين، وأن تخلفه لي في ميزان حسناتي يوم الدين؛ يا أرحم الراحمين ورب الأكرمين يا حي يا قيوم.

والحمد لله رب العالمين

الكاتب

القسم الثاني

هل كل آيات الله مفهومة للقارئ؟

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

بالرغم من عدد مرات تلاوتي للقرآن الكريم التي تعجزني عن العدِّ على مدى سنوات عمري التي قاربت الثمانين، فإنني وقد منحني المولى سبحانه المزيد من العلم عن معاني الآيات والكلمات؛ شعرت، بل أدركت أن هناك الكثير من الكلمات، بل الآيات التي ما زالت تصعب على القارئ في فهمها ومعرفة مقصودها سواء من حيث سبب النزول ومناسبته أو من حيث معانيها. . . .

ولذلك فقد وجدت نفسي بحاجة إلى هذا الفهم والمعرفة السليمة لمثل تلك الآيات. .

وعندما أسميت هذا البحث هذه التسمية قصدت فعلاً إلقاء الضوء على معاني ومقاصد الكثير من الآيات التي أظن القارئ المسلم بحاجة لمزيد من المعرفة حولها. . .

إنني لا أدعي تمثيل كل مسلم في فهمي ومعرفتي، فهي ما زالت متواضعة بالرغم من الجهد الكثير الذي بذلته في ذلك، والذي يمكن للقارئ الكريم أن يلمسه من خلال هذا البحث والبحث الذي سبقه: (هل الإنسان مسيّر أو مخيّر؟) الذي تركز حول هذه المعاني الواردة في جميع سور القرآن الكريم، وقبله كتاب (دعوة من جامع الأحكام) الذي صدر في مجلدين بأربعة أجزاء حول هذه المعاني أيضاً وإن جاءت في الكثير منها من تفسير الإمام القرطبي رحمه الله وجزاه خيراً.

وسأبقى أرجو من الله العلي القدير أن أكون قد وفقت في المساهمة في هذا المجال والله من وراء القصد وكفى.

الكاتب

من تفسير سورة الفاتحة [١]

سورة الفاتحة مكية في ٧ آيات

وتسمى الفاتحة لافتتاح القرآن الكريم بها لأنها أول القرآن في الترتيب لا في النزول. وتحتوي على مقاصد القرآن الأساسية من عقيدة وعبادة وتشريع، ولذلك سميت أم الكتاب. وروى البخاري أن النبي ﷺ قال لأبي سعيد بن المعلى: (لأعلمنك سورة هي أعظم السور في القرآن، ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ هي السبع المثاني والقرآن العظيم الذي أوتيته).

و ﴿ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ كلمة تدل على جميع مخلوقات الله تعالى، وتشمل الإنس والجن والملائكة والشياطين كما قال الفراء. ومعنى ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣﴾ عظيم الرحمة دائم الإحسان، فالرحمن للعظمة والرحيم للدوام. وقال الخطابي: الرحمن تعم المؤمن والكافر بينما الرحيم خاصة بالمؤمن ﴿وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ [الأحزاب: ٤٣].

الفرق بين لفظ الجلالة (الله) وكلمة الإله أن اسم الجلالة علم للذات المقدسة ومعناه المعبود بحق، وأما كلمة الإله فهي اسم يطلق على الله تعالى كما يطلق على غيره من المعبودات بحق أو باطل.

نسب النعمة والإنعام إلى الله تعالى ﴿أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ ولم ينسب إليه الضلال والإضلال والغضب وذلك لتعليم العباد الأدب مع الله تعالى؛ فالشر لا ينسب إليه تعالى أدباً وإن كان منه تقديراً. وفي ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ﴾ الترغيب بفضل الله وكرمه ورحمته، وفي ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٤﴾ الترهيب بالحساب، وفي الاثنين معاً ترغيب بالرحمة وترهيب بالعدالة والحساب.

من تفسير سورة البقرة [٢]

سورة البقرة مدنية في ٢٨٦ آية

وقد اشتملت على معظم الأحكام التشريعية من عقائد وعبادات ومعاملات وأخلاق وزواج وطلاق وغيرها من الأحكام الشرعية. وقد أسهبت السورة في الحديث عن اليهود لمجاورتهم للمسلمين في المدينة المنورة؛ لتنبه المؤمنين إلى جرائمهم التي ارتكبوها في إفسادهم في الأرض، وقد زاد الحديث عنهم على الثلث من السورة الكريمة، وأما بقية السورة فقد تناولت التشريع اللازم للمسلمين وهم في بداية تكوين الدولة الإسلامية ففصلت أحكام الحج والعمرة وأحكام الجهاد في سبيل الله تعالى، وشؤون الأسرة، ثم تناولت جريمة الربا وحملت حملة عنيفة على المرابين، وذكَّرت بعدها بيوم الحساب حين يجازى الإنسان على عمله إن خيراً فخير وإن شراً فشر، وانتهت السورة بدعوة المؤمنين للتوبة والإنابة والدعاء إلى الله تعالى في طلب النصرة على الكفار..

وقد قال ﷺ: (لا تجعلوا بيوتكم مقابر، إن الشيطان ينفر من البيت الذي تقرأ فيه سورة البقرة).

﴿خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْۖ وَعَلَىٰٓ أَبْصَٰرِهِمْ غِشَٰوَةٌۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ۝٧﴾ ذلك أن القلوب مفاتيح العقول إذا كثرت عليهما الذنوب طمست نور البصيرة فيهما، فلا مسلك للإيمان إليهما، ولا مخلص عنها للكفر ﴿بَلْ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ﴾ [النساء: ١٥٥].

وأما الختم على الأسماع والغشاوة على الأبصار فهي الغطاء؛ لأنهم كانوا يسمعون الحق فلا يقبلونه ويرون الحق فلا يستجيبون له.

﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ۝٩﴾؛ فهم يعتقدون أنهم يخدعون الله تعالى وما علموا أن الله لا يُخدع؛ لأنه لا تخفى عليه خافية، وأما المؤمنون فإنهم قد يخدعونهم، ولكنهم في الحقيقة لا يخدعون إلا أنفسهم لأن النتيجة عليهم، دون أن يفطنوا لذلك لغفلتهم وحماقتهم.

﴿ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَـٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ١٥﴾ [١٥] فهو سبحانه يجازيهم على استهزائهم بالإمهال ثم بالنكال. ﴿وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ ١٨٣﴾ [الأعراف ١٨٣] فعندما يمهلهم يزيدهم بتركهم ضلالاً وكفراً.

﴿فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَـٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ﴾ [١٧] هؤلاء المنافقون كمن أشعل ناراً في الظلام الشديد فأبصر بنورها ولكنها ما أن طفئت حتى صار في الظلام الشديد ثانية. فهم مترددون بين الإيمان والكفر، إذ ما أن تخلَّوا عن الإيمان حتى رجعوا للكفر.

﴿كُلَّمَا رُزِقُوا۟ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا قَالُوا۟ هَـٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ وَأُتُوا۟ بِهِۦ مُتَشَـٰبِهًا﴾ [٢٥] فكلما أعطي المؤمنون رزقاً من ثمار الجنة قالوا بأنه قد قدِّم إليهم من قبل فتقول لهم الملائكة: كل يا عبد الله، فاللون واحد والطعم مختلف.

﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَـٰوَٰتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ٢٩﴾ فخلق الأرض للانتفاع والاعتبار.

وأما ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾ فهي أن وجَّه سبحانه إرادته إلى السماء، ﴿فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَـٰوَٰتٍ﴾ أي قضاهن سبع سموات محكمة البناء.. هذا وقد خلق الله تعالى الأرض أولاً ثم السماء.

﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [٢٠] فالخليفة قد يكون واحداً وقد يكون قوماً، فإن كان واحداً فقد أعلم الله تعالى الملائكة بفطرته، وأنه سيقع منه سفك الدماء كما يقع منه حمايتها، وإن كان قوماً فإن منهم من يسفك الدماء وليس كلهم.

﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا﴾ [٣١] علمه اسم كل شيء صغيراً كان أو كبيراً مما يدل على أن الله تعالى قد خصَّ آدم بعلم غزير.

﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَـٰفِرِينَ ٣٤﴾ فالسجود هنا للتكريم لا للعبادة، وإبليس لم يكن من الملائكة قط، لأن إبليس عصى والملائكة لا يعصون، ولأن إبليس خُلق من النار والملائكة من نور، ولأن الملائكة

لا ذرية لهم وإبليس له ذرية، ولأن النص في سورة الكهف ﴿إِلَّآ إِبۡلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلۡجِنِّ﴾ يؤكد ذلك.

﴿قُلۡنَا ٱهۡبِطُواْ مِنۡهَا جَمِيعٗاۖ فَإِمَّا يَأۡتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدٗى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ٣٨ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ فقد أنزل الثلاثة آدم وحواء وإبليس من السماء إلى الأرض، وكانت الأرض هي مكان عيشهم طيلة الحياة الدنيا، وقد أنعم الله تعالى على آدم وحواء وذريتهما بأن جعل لديهم الاستعداد ـ بقضائه وقدره ـ على اتباع الهدى أو الكفر به، والأمر إليهما دليل الاختيار في الاتباع أو العصيان، ولذلك رتَّب سبحانه على ذلك الجزاء بالجنة أو النار. وأما إبليس فقد ﴿أَبَىٰ وَٱسۡتَكۡبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ منذ اليوم الأول من لقائه بآدم وزوجه فلا مجال له للاختيار إذ عزم على العصيان والكفر طيلة الحياة الدنيا فقضي عليه بالنار هو وكل من يستجيب لغوايته وعصيانه.

﴿وَلَا تَلۡبِسُواْ ٱلۡحَقَّ بِٱلۡبَٰطِلِ وَتَكۡتُمُواْ ٱلۡحَقَّ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٤٢﴾ فإياكم يا بني إسرائيل أن تخلطوا الحق المنزل من الله بالباطل الذي تجترحونه ولا تحرفوا ما في التوراة بالبهتان الذي تفترونه، ولا تخفوا ما في كتابكم من أوصاف محمد ﷺ وأنتم تعرفونه أنه حق..

﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَنِّي فَضَّلۡتُكُمۡ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ٤٧﴾ فاشكروا ذلك بطاعتي، واعلموا أني فضلت آباءكم على عالمي زمانهم بإرسال الرسل وإنزال الكتب، وتفضيل الآباء شرف للأبناء، ويبقى هذا التفضيل لمن آمن بالله تعالى وأطاعه.

﴿وَإِذۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡفُرۡقَانَ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ٥٣﴾ فالكتاب هنا هو التوراة، والفرقان هو التوراة، فالعطف جاء من باب أن صفة التوراة تفرق بين الحق والباطل.

﴿وَإِذۡ قُلۡتُمۡ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤۡمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهۡرَةٗ فَأَخَذَتۡكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَأَنتُمۡ تَنظُرُونَ ٥٥﴾ فقد رفضوا الإيمان بأن ما كانوا يسمعونه هو كلام الله تعالى لموسى وهو يوحي إليه بالتوراة، فصعقهم تعالى وماتوا يوماً وليلة ثم أحياهم الله تعالى، وهم السبعون الذين كانوا مع موسى؛ ليشكروا الله تعالى على هذه النعمة نعمة الإحياء بعد الموت الحقيقي.

﴿وَإِذْ قُلْنَا ٱدْخُلُوا۟ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ﴾ [٥٨] هي بيت المقدس.

﴿ٱهْبِطُوا۟ مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ﴾ [٦١] أي ادخلوا أي بلد من البلدان لتجدوا هناك مثل هذه الأشياء التي طلبتم.

﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ﴾ [٦١] أي لزمهم الذل والهوان طيلة الحياة، وأما ما يظهر عليهم من القوة والتسلط فذلك بحبل من الله وحبل من الناس إذ أخذوا بأسباب القوة حين تخاذل عنها عدوهم.

﴿وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾ [٦١] فكان قتلهم شديد الشناعة عظيم القبح فلا مجال للحق فيه، وإنما هو من باب شدة العدوان لذا وصف بذلك.

﴿قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌۢ بَيْنَ ذَٰلِكَ﴾ [٦٨] إنها بقرة لا بالكبيرة الهرمة ولا بالصغيرة على السواء وإنما هي عوان بين الكبر والصغر.

﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَٱدَّٰرَْٰٔتُمْ فِيهَا ۖ وَٱللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٧٢﴾﴾ والقتل حصل من الوارث ابن الأخ لعمه، والتنازع وقع فيما بينهم بحق من قتله، فأمروا بذبح بقرة وضرب الميت بشيء منها فأحيي الميت وأخبر بقاتله وعاد للموت، فقتلوا الفتى بعمه.

﴿وَقَالُوا۟ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً﴾ [٨٠] فقد زعموا أنهم سيعذبون لسبعة أيام بعدد أيام عبادتهم للعجل أو سبعة أيام بيوم واحد عن كل ألف سنة من عمر الدنيا.. وكل هذا من ظنونهم وأكاذيبهم. وأما ما فعلوه من تحريف للتوراة وحاولوه في الإسلام فهو بمعنى التأويل الباطل، كما وقع في القرآن من الجهلة أو الملحدين، أو بمعنى إسقاط الآية ووضع كلام بدلاً منها، وهذا حفظ الله تعالى منه القرآن، ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾﴾ [الحجر: ٩].

فليطمئن المؤمنون لكتابهم وليخسأ الكافرون في أفعالهم.

﴿ثُمَّ أَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنكُم مِّن دِيَٰرِهِمْ تَظَٰهَرُونَ عَلَيْهِم بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَٰرَىٰ تُفَٰدُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ﴾ [٨٥] فكان بنو قريظة متحالفين مع الأوس وبنو النضير متحالفين مع الخزرج، فإذا شبت الحرب بين الأوس والخزرج قاتل كل فريق من اليهود مع حلفائه فيقتل اليهودي أخاه اليهودي من الفريق الآخر ويخرجونهم من بيوتهم وينهبون أثاثهم وأموالهم

وذلك كله حرام عليهم في دينهم بنص التوراة، وكانوا يفكون الأسرى من الفريق المغلوب بعد انتهاء الحرب..

﴿وَقَالُواْ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ بَل لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾﴾ أي زعموا أنهم لا يفقهون ولا يعون ما يقوله محمد ﷺ لهم، وهم بكفرهم بالقرآن ورسوله ملعونون ومطرودون من رحمة الله تعالى والقليل منهم من آمن أو حسن إيمانه.

فالآية أسندت الكفر بشكل صريح إليهم فاستحقوا جزاء الطرد لذلك، وذكرت الآية على لسان بني إسرائيل بأن قلوبهم مغلفة فلا يصل إليها الإيمان، كما ذكرت الآية **٩٣** من بعدها ﴿وَأُشْرِبُواْ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ﴾ بأن الكفر قد شربته قلوبهم، فما المقصود بالقلب هنا وفي كل مواضع الإيمان أو الكفر؟ إنه الدماغ وكونه موضع العقل والعلم وتلقي المعارف. وإلا فالقلب كعضو مركزي لضخ الدم في الإنسان يتحمل مسؤولية الإبقاء على التفكير في العقل؛ لأنه بتوقف القلب يتوقف التفكير، وبتوقف التفكير ينتهي مجال الإيمان أو الكفر، وأما ما أسنده الكثير من المفسرين للقلب بأنه موضع العقل والعلم فإنه تقيد باللفظ القرآني وليس بالمعنى.

﴿وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَ﴾ [١٠٢] فقد اتبع اليهود طرق السحر التي كانت تحدثهم بها الشياطين في عهد سليمان فشاع السحر بين الناس بسبب ذلك ولا سيما عندما اتبعوا ما أنزل على الملكين اللذين أنزلهما الله تعالى ابتلاء للناس وامتحاناً، واللذين كانا يقولان لمن يتعلم عنهما السحر بأن هذا هو امتحان من الله وابتلاء فلا تستعمله للإضرار بالناس وإلا تكفر بسبب ذلك، لأن من تعلمه ليدفع ضرره عن الناس فقد نجا، ومن تعلمه ليلحق الضرر بالناس فقد ضل وهلك.. وقد اشتهر عن اليهود إنكارهم لنبوة سليمان عليه السلام ووصفه بالساحر فقط.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقُولُواْ رَٰعِنَا وَقُولُواْ ٱنظُرْنَا وَٱسْمَعُواْ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٠٤﴾﴾ وهذا أول خطاب للمؤمنين في هذه السورة، وقد خوطبوا به ثمان وثمانين مرة. وقد أمروا ألا يستعملوا كلمة (راعنا) بمعنى أمهلنا لنحفظ عنك، لأن

اليهود كانوا يستعملونها لسب الرسول ﷺ بمعنى الرعونة والحمق وأمروا أن يستعملوا بدلاً منها كلمة (انظرنا)، مما يدل على وجوب مراعاة الكلمات والمعاني في الخطاب، وخاصة الشرعي حتى لا تقع المخالفة الشرعية.

﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ﴾ [١٠٦] فقد استنكر اليهود النسخ في القرآن باستبدال الحكم بحكم آخر فأكده هنا رب العالمين، وأكد معه محو الآية من الذاكرة، وهي معنى ننسها. فاليهود يرفضون النسخ لأنه يقود إلى نسخ شريعتهم بالشريعة الإسلامية.

﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿١١٥﴾﴾ نزلت هذه الآية فيمن أضاع جهة القبلة فأخبره تعالى بأن للإنسان أن يتوجه حيث أمره الله تعالى إذ ستكون هناك قبلته التي يرضاها لكم. ففي مكان قد تكون القبلة إلى الشرق من الإنسان، وقد تكون في مكان آخر إلى الغرب منه، وقد تكون إلى الجنوب أو إلى الشمال منه، وكل ذلك تابع لمكان الإنسان من القبلة وهي الكعبة المشرفة في مكة المكرمة.

﴿وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا سُبْحَٰنَهُۥ بَل لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ﴾ [١١٦] فاليهود قالت بأن عزيراً ابن الله، والنصارى قالت بأن المسيح ابن الله، والمشركون قالوا الملائكة بنات الله، والله تعالى منزه عن ذلك إذ كل من في السموات والأرض خاضع عابد لله تعالى.

﴿وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَٱتَّخِذُوا۟ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى﴾ [١٢٥] جعلنا الكعبة المشرفة مرجعاً للناس ومكان أمن يطمئن من يلجأ إليه. وأما مقام إبراهيم فهو الحجر الذي كان يقوم عليه إبراهيم لبناء الكعبة، فعليكم بالصلاة عنده.

﴿رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾﴾ فقد دعا الخليل ﵇ ربه أن يرسل فيهم رسولاً منهم فاستجاب له بإرسال محمد ﷺ ليقرأ عليهم القرآن ويعلمهم إياه مع السنة المطهرة، ويطهرهم من رجس الوثنية.

﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [١٣٤] فاعلم يا محمد أن ملة الخليل ﵇ وجماعته قد مضت في الزمان الغابر،

ولها ثواب ما عملته من حسنات كما لكم أنت يا محمد وأمتك ثواب ما كسبتم وتكسبون، ولن تسألوا عما فعلوه من سيئات، ذلك أن حسناتهم بطاعة أوامر الله تعالى ونواهيه مما يختلف من حيث المنهاج والشريعة عما أنتم يا أمة محمد عليه، ولذلك كانت حسناتهم غير حسناتكم وسيئاتهم غير سيئاتكم، والكل سيحاسب عن حسناته وسيئاته هو دون الآخر مع أن الكل سيكون محاسباً عن دين الإسلام، دين الخضوع لأوامر الله تعالى ونواهيه التي أنزلها سبحانه شريعة ومنهاجاً لكل رسول ليبلغها لقومه، حتى جاء محمد ﷺ فكانت شريعته ومنهاجه المختلفين عن السابقين هي شريعة البشرية كلها وليس لقوم دون قوم كالسابقين.

﴿وَقَالُواْ كُونُواْ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ تَهْتَدُواْۗ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِـۧمَ حَنِيفًاۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٣٥﴾﴾ فزعم اليهود أن الخليل عليه السلام كان يهودياً، وزعم النصارى أنه كان نصرانياً، وزعم كل منهم أن من يتبع ملتهم يكون على الهدى، فردَّ عليهم تعالى بأن دين التوحيد الذي عليه إبراهيم المائل عن الأديان الباطلة إلى الدين الحق هو الهدى وليس أي شرك آخر.

﴿صِبْغَةَ ٱللَّهِۖ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةًۖ وَنَحْنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ ﴿١٣٨﴾﴾ صبغة الله هي دينه، فما عليه المؤمنون من الإيمان وهو دين الله الظاهر عليهم كالصبغ في الثوب هو الدين الحق الذي يلتزمه المسلمون ويعبدون الله تعالى عليه.

﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِۖ﴾ [١٤٩] تكرر الأمر باستقبال الكعبة ثلاث مرات؛ كانت الأولى لمن هو بمكة، والثانية لمن هم في بقية البلاد، والثالثة لمن خرج في سفر.

﴿فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُواْ لِى وَلَا تَكْفُرُونِ ﴿١٥٢﴾﴾ أي اذكروني بالعبادة والطاعة أذكركم بالثواب والمغفرة، واشكروا نعمتي عليكم ولا تنكروها بالعصيان.

﴿وَلَا تَقُولُواْ لِمَن يُقْتَلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتٌۢۚ بَلْ أَحْيَآءٌ وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ ﴿١٥٤﴾﴾ لا تقولوا للشهداء بأنهم أموات؛ لأنهم في حياة برزخية أسمى من هذه الحياة وهم يرزقون عند ربهم.

﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِۖ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَاۚ﴾ [١٥٨] أي من شعائر دين الله تعالى، فلا حرج على من حج أو

اعتمر أن يسعى بين الصفا والمروة لله تعالى وليس كما كانت تفعل الجاهلية للتمسح بالصنم أساف على الصفا وبالصنم نائلة على المروة.

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِۗ﴾ [١٦٥] أي يعبدون أصناماً ويحبونها كما يحب المؤمنون الله تعالى وإن كان حب المؤمنين هذا أشد من حبهم لأصنامهم.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَـٰتِ مَا رَزَقْنَـٰكُمْ وَٱشْكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١٧٢﴾﴾ فالخطاب هنا للمؤمنين ليأكلوا من رزق الله تعالى من الطيبات وليس من الخبيثات، وأما الآية السابقة ١٦٨ ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِى ٱلْأَرْضِ حَلَـٰلًا طَيِّبًا﴾ فالخطاب عام لجميع البشر ليأكلوا من كل ما خلقه تعالى في الأرض من الحلال الطيب، فكلا الآيتين حددت نوع ما لهم أكله وهو الحلال الطيب، حلال لأن الله تعالى أجاز أكله ولم يحرمه، وطيب لأن النفس تستسيغه وتستلذ بأكله ولا تكرهه وتبغض أكله.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ﴾ [١٧٤] وهم اليهود، وبالذات رؤساؤهم الذين كتموا نعت النبي ﷺ ليواصلوا أكل الهدايا والمال المحرم الذي كانوا يأخذونه من أتباعهم.

﴿وَلَكُمْ فِى ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَـٰٓأُوْلِى ٱلْأَلْبَـٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧٩﴾﴾ بأن يخاف القاتل من القتل إذا قتل غيره فيتجنب قتل الآخرين ليبقي على حياته. والفرق هائل بين الآية ﴿وَلَكُمْ فِى ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ﴾ وبين المثل العربي (القتل أنفى للقتل) من حيث بلاغة التركيب ودقة المعنى، فالآية جعلت القصاص سبباً للحياة، وأما المثل فقد جعل القتل سبباً للحياة، والقتل منه الظلم، هذا وقد ذكر السيوطي في الإتقان عشرين وجهاً من وجوه التفريق بين الآية والمثل، مما يجزم بمدى عظم الإعجاز القرآني.

﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍۖ﴾ [١٨٤] فقد فُرض الصوم من الفجر إلى غروب الشمس على كل مسلم بالغ عاقل مستطيع بلا مشقة، وأما إذا كان قادراً بصعوبة أو مشقة من ضعف وشيخوخة، فيجوز له أن يفطر الأيام التي يقدر عليها بصعوبة على أن يطعم مسكيناً لكل يوم يفطر، وإن كان له أن يطعم أكثر من

مسكين. كما يجوز له أن يصوم مع المشقة وفي ذلك خير للصائم أكثر من الإفطار بسبب ما في الصوم من الأجر.

﴿وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ [١٨٥] وكذلك الحال للصائم أن يفطر إذا كان مريضاً أو مسافراً ثم يصوم بعد عودة العافية إليه أو بعد انتهاء سفره بعدد الأيام التي أفطرها بمرضه أو سفره.

﴿وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ وَتُدْلُواْ بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ لِتَأْكُلُواْ فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٨﴾﴾ لا تأكلوها بالحرام مثل الربا، ولا تدفعوها إلى الحكام رشوة لتأخذوا أموال الناس بالباطل. فمن دفع رشوة لأي موظف فهي للحكام، وعليه أن يحذر من دفع الرشوة ليستعين بمن دفع له ليأكل مال غيره بدون حق، وأما أن يدفعها للحصول على حقه هو فذاك شأن آخر والإثم يلحق الآكل ولا يلحق الدافع.

﴿وَقَٰتِلُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓاْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿١٩٠﴾﴾ وكان القتال في بداية تكوين الدولة الإسلامية لرد العدوان فقط ولكنه نسخ بآية براءة ﴿وَقَٰتِلُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً﴾ [التوبة ٣٦] وذكر بأن الآية بعدها ﴿وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ ۚ وَٱلْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلْقَتْلِ ۚ﴾ قد نسخت آية القتال لرد العدوان فقط وجعلته قتال مبادرة ولا سيما أن الآية ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ ۖ﴾ [١٩٣] لأنها أمرت المجاهدين أن يقاتلوا الكفار حتى يكسروا شوكتهم ويصبح دين الله تعالى الإسلام هو الظاهر على جميع الأديان.

﴿وَأَنفِقُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ ۛ وَأَحْسِنُوٓاْ ۛ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [١٩٥] أنفقوا في الجهاد، ولا تشتغلوا في الأموال والأولاد فتهلكوا وذلك من إحسان الأعمال المحبوبة لله.

﴿ثُمَّ أَفِيضُواْ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ وَٱسْتَغْفِرُواْ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٩٩﴾﴾ تكون الإفاضة من عرفات وليس من مزدلفة كما كانت تفعل قريش التي كانت تزعم أنهم أهل الله والحرم، وأن مكان إفاضتهم هو مزدلفة لأنها من الحرم، فأمرهم الله تعالى أن يفيضوا من عرفات مع الناس، كما عليهم أن يطلبوا من الله المغفرة على معصيتهم السابقة إذ كانوا يسمون الحمس بحجة شدة تمسكهم بالطاعات.

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُۥ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيُشْهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِى قَلْبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ ﴿٢٠٤﴾﴾ وهو الأخنس بن شريق وأمثاله في كل زمان من المنافقين.

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ﴾ [٢٠٧] وهو صهيب الرومي الذي تنازل لمشركي مكة عن أمواله مقابل أن يخلّوا بينه وبين الهجرة من مكة إلى المدينة ليلحق بالرسول ﷺ فقال له الرسول ﷺ: (ربح البيع صهيب ربح البيع صهيب).

﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۚ﴾ [٢١٣] فقد كان الناس في أول عهدهم بآدم عليه السلام على دين واحد ووفاق ولكنهم اختلفوا في الأفهام فانقسموا فبعث لهم الأنبياء ليوحدوهم من جديد على التوحيد والطاعة فواصلوا الاختلاف بين مؤمنين بما أنزل الله وكافرين به، فاستمر نزول الكتب إلى الأنبياء ليبشروا المؤمنين بالخير في الدنيا والآخرة وينذروا الكافرين بالشقاء فيهما مهما تمتعوا في هذه الحياة..

﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ ٱلْعَفْوَ ۗ﴾ [٢١٩] والعفو هو المال الزائد عن الحاجة فلا يعمد الإنسان وينفق أصل ماله فيعرض نفسه للمتاعب.

﴿نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا۟ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ ۖ﴾ [٢٢٣] فالحرث شق الأرض لوضع البزار للإنبات، وفي هذه الكلمة دليل على وجوب قصد الولد من مباشرة المرأة، وهذا يلزم الزوج أن يأتي زوجته من قبلها لا من دبرها. وأما ﴿فَأْتُوا۟ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ ۖ﴾ فهو المباشرة للزوجة بأي كيفية كانت سواء قياماً أو قعوداً أو اضطجاعاً، ولا تعني ﴿أَنَّىٰ﴾ في أي مكان شئتم سواء كان القبل أو الدبر لأن الآية التي سبقتها ﴿فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُ ۚ﴾ [٢٢٢] تؤكد الإتيان من القبل لا الدبر، ولأن بداية هذه الآية حددت بأن الزوجة ﴿حَرْثٌ﴾ يعني لوضع البزار للإنبات وهذا لا يكون إلا في القبل.

﴿وَلَا تَجْعَلُوا۟ ٱللَّهَ عُرْضَةً لِّأَيْمَٰنِكُمْ أَن تَبَرُّوا۟ وَتَتَّقُوا۟ وَتُصْلِحُوا۟ بَيْنَ ٱلنَّاسِ ۗ﴾ [٢٢٤] فلا تجعلوا الحلف بالله تعالى مانعاً لكم من أعمال البر والخير. فإذا حلفتم على مثل ذلك أو على محرم فكفّروا عن أيمانكم وامضوا في عمل البر.

﴿لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ ۖ فَإِن فَآءُو فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢٦﴾﴾ فمن

يحلف ألا يجامع امرأته، عليه أن يلتزم أربعة أشهر يمكنه أثناءها أن يراجعها فيجامعها، ويمكنه أن يطلقها بعدها.

﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِۚ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌۗ﴾ [٢٢٨] فللزوجات مثل الأزواج من الحقوق وإن كان للأزواج مسؤولية القوامة بالرعاية والإنفاق فهي درجة تكليف لا تشريف.

﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا ٱفْتَدَتْ بِهِۦۗ﴾ [٢٢٩] وهذا هو الخلع بأن تطلب الزوجة من زوجها أن يطلقها مقابل التنازل عن مهرها كله أو بعضه أو مقابل مال تدفعه له. وقد كان خلع امرأة ثابت بن قيس أول خلع في الإسلام إذ ردت إليه المهر كاملاً وكان حديقة.

﴿وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِۖ﴾ [٢٣٣] أي المطلقات إذا كن والدات فواجب رضاعة أولادهن لمدة سنتين كاملتين ﴿لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَۚ﴾ وإذا لم يرد فله ذلك.

﴿لَا تُضَآرَّ وَٰلِدَةٌۢ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَّهُۥ بِوَلَدِهِۦۚ﴾ [٢٣٣] أي الوالدان فلا يضر أحدهما الآخر بسبب الولد، فهي لا تَمتنع عن إرضاعه وهو لا يُنتزع منه الطفل.

﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ ﴿٢٣٨﴾﴾ جاء الأمر بالمحافظة على جميع الصلوات الخمس والصلاة الوسطى، وهي صلاة العصر على الراجح، لما في ذلك من دعوة إلى التسامح والإحسان في التعامل مع المطلقات.

﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا وَصِيَّةً لِّأَزْوَٰجِهِم مَّتَٰعًا إِلَى ٱلْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍۚ﴾ [٢٤٠] بأن يوصي الزوج قبل أن يموت بأن تمتع أزواجهم بعدتهم لمدة سنة كاملة، وكان هذا قبل نسخ المدة إلى أربعة أشهر وعشرة أيام فقط.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَٰرِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُواْ ثُمَّ أَحْيَٰهُمْۚ﴾ [٢٤٣] فقد خرج هذا القوم، وكانوا سبعين ألفاً من بني إسرائيل هرباً من الموت فأماتهم الله ثمانية أيام ثم أحياهم بدعوة نبيهم فعاشوا بعدها طويلاً.

﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ءَايَةَ مُلْكِهِۦٓ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَٰرُونَ تَحْمِلُهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُۚ﴾ [٢٤٨] دلل على صدق العطاء الرباني للملك طالوت بالتابوت الذي سيأتيهم وتراه عيونهم وهو

يحمل بين السماء والأرض من قبل الملائكة، وسيكون فيه عصا موسى وبعض ملابسه ورضاض الألواح.

﴿فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُ﴾ [٢٥١] فهزم جيش طالوت جيش جالوت على قلة عددهم بنصر الله تعالى، وتولى داود الملك بعد جالوت لوعد وعده له أن يزوجه ابنته إذا قتل جالوت وأن يوصي له بالملك من بعده. كما جعله تعالى نبياً على بني إسرائيل.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَٰعَةٌ وَٱلْكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٥٤﴾﴾ إنها دعوة للإنفاق في سبيل الله من مال الله قبل أن يجيء يوم القيامة الذي لا تفتدى فيه النفس بمال في صفقة كالبيع، والذي لا مودة صداقة فيه تدفع العذاب، والذي لا أحد فيه يشفع عنه السيئات إلا بإذن الله تعالى، ذلك لأن الكافر هو من ظلم نفسه فحرمها من ذلك كله يوم القيامة.

﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ [٢٥٥] أي أحاط كرسيه السموات والأرض، وقال ابن عباس: علمه ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا﴾ [غافر٧] وفي الحديث الشريف (اسم الله الأعظم الذي إذا دعي به أجاب في ثلاث: سورة البقرة وآل عمران وطه) وهو الحي القيوم: في البقرة: الله لا إله إلا هو الحي القيوم، وفي آل عمران: الله لا إله إلا هو الحي القيوم، وفي طه: وعنت الوجوه للحي القيوم.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِۦمَ فِى رَبِّهِۦٓ﴾ [٢٥٨] وهو النمروذ بن كنعان وكان يملك بلاد ما بين النهرين.

﴿أَوْ كَٱلَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْىِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِاْئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُۥ﴾ [٢٥٩] ويقال: إنه عزير.

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِۦمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى﴾ [٢٦٠] فأخذ الطيور الأربعة: طاووس وحمام وغراب وديك، وقطعهن ووزعهن على أربعة جبال وأبقى الرؤوس معه ثم دعاهن فتجمعت أجزاؤهن وعدن أحياء كما كانت بقدرة الله تعالى..

ففي هذه الأمثلة الثلاثة أدلة على وجود الله تعالى ووحدانيته وعلى قدرته وإحيائه للموتى للحشر والحساب.

﴿وَلَا تَيَمَّمُوا۟ ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغْمِضُوا۟ فِيهِ﴾ [٢٦٧] نهي عن الإنفاق بالمال الخبيث، وبالمال الحرام، وبالمال الفاقة، والذي لو أعطي للإنسان لما قبله إلا إذا تساهل وتنازل مما يسمى إغماض العين عنه وعما فيه من العيوب أو الخسة.

﴿إِن تُبْدُوا۟ ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِىَ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ [٢٧١] ففي إظهار الصدقة تشجيع على العطاء، وفي إخفائها بعد عن الرياء، وفي كلا الحالين لا بد من نية التقرب إلى الله تعالى لا استرضاء لأحد من الناس.

﴿وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [٢٨١] أي احذروا أيها المؤمنون يوم القيامة، احذروا الحساب على كل أعمالكم دون أدنى ظلم.

كانت هذه الآية آخر ما نزل من القرآن وبنزولها انقطع الوحي، وقال ابن كثير: هذه الآية آخر ما نزل من القرآن العظيم وقد عاش النبي ﷺ بعد نزولها تسع ليال ثم انتقل إلى جوار ربه.

﴿وَإِن تُبْدُوا۟ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ﴾ [٢٨٤] فسواء أظهرتم ما في أنفسكم من السوء أو لم تظهروه فإن الله تعالى يعلمه ويحاسبكم عليه.

وقد اشتد هذا الأمر على أصحاب النبي ﷺ فجاؤوه فقالوا: كلفنا من الأعمال ما نطيق: الصلاة والصيام والجهاد والصدقة، وقد أنزلت عليك هذه الآية ولا نطيقها فقال ﷺ: (أتريدون أن تقولوا كما قال أهل الكتابين من قبلكم ﴿سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا﴾ [البقرة ٩٣] قولوا: ﴿سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾ [البقرة ٢٨٥] فلما قرؤوها أنزل الله تعالى ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ﴾ ونسخها الله تعالى فأنزل ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ﴾ [البقرة ٢٨٦].

﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا﴾ [٢٨٦] فلا تكلفنا يا رب من الأعمال ما عجزت عنه الأمم من قبلنا كقتل النفس في التوبة وقطع موضع النجاسة.

﴿رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ﴾ من التكاليف والبلاء.

﴿وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ﴾ أمح ذنوبنا واستر سيئاتنا وارحمنا ﴿أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ على أعدائنا وأعداء دينك الكافرين، وقال ﷺ (من قرأ بالآيتين من آخر سورة البقرة في ليلة كفتاه).

من تفسير سورة آل عمران [٣]

سورة آل عمران مدنية في ٢٠٠ آية

﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ﴾ [٧] فقد أنزل تعالى القرآن الكريم على محمد ﷺ فيه آيات واضحات الدلالة لا غموض فيها؛ كآيات الحلال والحرام، وهن أساس الكتاب، كما أن فيه آيات أخر فيها اشتباه في الدلالة على كثير من الناس، فمن رد المتشابه إلى المحكم فقد اهتدى ومن عكس ذلك فقد ضل ولذلك قال تعالى ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ أي أن من كان في قلبه ميل عن الهدى نحو الضلال فيتبع المتشابه ويفسره حسب هواه وذلك طلباً لفتنة الناس عن دينهم، مع أنه لا يعلم تفسير المتشابه إلا الله تعالى. وأما الراسخون في العلم فقد اختلف في حقهم: أمنهم من يعلمون المتشابه بتوفيق الله تعالى لهم؟ أم أن علمه مقصور على الله تعالى، وما دور العلماء إلا الإيمان بأن المتشابه والمحكم حق وصدق لأنهما من الله تعالى.

وعندما يفرق الإمام القرطبي بين المتشابه والمحكم فيقول بأن المتشابه هو ما كان علمه إلى الله تعالى وحده، وأن المحكم ما عرف تأويله وفهم معناه وتفسيره، فإن ذلك يظهر من الأمثلة التي يوردها القرآن الكريم كوقت قيام الساعة، وخروج يأجوج ومأجوج، وخروج الدجال، ونزول عيسى، والحروف المقطعة في أوائل السور.

﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ فِي فِئَتَيْنِ ٱلْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَٰتِلُ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْيَ ٱلْعَيْنِ وَٱللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾ [١٣] فقد خاطبت الآية معشر اليهود بأنه قد كان لهم عبرة في جماعتين التقتا للقتال يوم بدر، جماعة مؤمنة وجماعة كافرة، وكان الكفار يرون المؤمنين ضعفيهم في العدد ليخافوا منهم ويجبنوا عن قتالهم، وما ذلك إلا من نصر الله للمؤمنين.

﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ ﴿١٤﴾﴾ فقد حُسن الميل نحو الشهوات ابتداء بالنساء وانتهاء بالحرث والمزروعات، ولكن كل ذلك زينة فانية زائلة، بينما ما عند الله هو حسن المرجع والثواب والأفضل من كل متع الدنيا وزينتها.

﴿وَمَا ٱخْتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ﴾ [١٩] فقد اختلف اليهود والنصارى في أمر الإسلام ونبوة محمد ﷺ وذلك بعد أن علموا بالحجج الواضحة حقيقة الأمر، فكان كفرهم عن استكبار وعناد، وكان ضلالهم عن علم وذلك من باب الحسد وحب الرئاسة.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ ٱلَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِٱلْقِسْطِ مِنَ ٱلنَّاسِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢١﴾﴾ فهؤلاء هم اليهود الذين يكذبون بما أنزل الله ويقتلون أنبياء الله بغير جريمة كقتلهم زكريا وابنه يحيى عليهما السلام، كما كانوا يقتلون الدعاة إلى الله والآمرين بالخير والعدل، فأولئك لهم عذاب مهين.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ كِتَٰبِ ٱللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾﴾ فأمر هؤلاء اليهود العالمين بالتوراة يثير العجب، إذ يرفضون حكم التوراة. فعندما زنى اثنان منهم رفضوا حكمهم بالرجم بحجة أنه ليس في كتابهم وهم كاذبون.

﴿إِلَّا أَن تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَىٰةً﴾ [٢٨] فقد حرم تعالى موالاة الكافرين ولم يستثن من ذلك إلا حالة الخوف، فعندها يمكن موالاتهم باللسان لا بالقلب. وهذا من باب مداراة السفهاء ودفع أذاهم وخطرهم عن المؤمنين.

﴿إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ رَبِّ إِنِّى نَذَرْتُ لَكَ مَا فِى بَطْنِى مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٥﴾﴾ وامرأة عمران هي حنة بنت فاقود. فقد طلبت الآية من النبي ﷺ أن يذكر بأن امرأة عمران قد نذرت لعبادة الله تعالى ما كانت تحمله في بطنها، ودعت الله تعالى أن يقبل نذرها ﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ۖ﴾ [٣٧] فكان يجد عندها فاكهة الصيف في الشتاء وبالعكس.

﴿وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [٤٢] أي اذكر يا محمد! بأن الله تعالى قد اختار مريم من بين النساء لتكون صاحبة كرامات، وطهرها من الأدناس واتهام اليهود لها بالفاحشة، واختارها على سائر نساء العالمين لتكون محل قدرة الله تعالى في الإنجاب دون أب.

﴿وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَٰمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ﴾ [٤٤] فقد تنافسوا على كفالة مريم حين ألقوا سهامهم للقرعة، كل يريدها في كنفه ورعايته.

﴿وَيُعَلِّمُهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴿٤٨﴾﴾ بأنه يتعلم الكتابة والسداد في القول والعمل ويجعله يحفظ التوراة والإنجيل، وقد كان.

﴿وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى حُرِّمَ عَلَيْكُمْ ۚ﴾ [٥٠] وفي هذا نسخ لبعض التوراة مما يرد على من يقول من الأحبار بأنه لا نسخ في التوراة.

﴿وَمَكَرُوا۟ وَمَكَرَ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴿٥٤﴾﴾ ومكر الله تعالى هو استدراج عباده من حيث لا يعلمون. فقد أراد اليهود قتل عيسى عليه السلام فنجاه الله من شرهم ورفعه إلى السماء وألقى شبهه على الخائن يهوذا، وسمي هذا المكر من باب المشاكلة إذ كان الله أقواهم مكراً بحيث جعل تدميرهم في تدبيرهم، فقد رفعه تعالى إلى السماء، ثم إنه سبحانه يتوفاه بعد إنزاله إلى الدنيا.. فقد جاءت ﴿إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ﴾ [٥٥] من باب التقديم والتأخير، فقد رفعه تعالى ليبقى حياً في السماء ثم ينزله للأرض ليتوفى بانتهاء أجله.

﴿فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا۟ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٦١﴾﴾ فدعاهم الرسول عليه السلام للمباهلة ولكنهم من خوفهم امتنعوا وقبلوا بالجزية، وفي ترك النصارى

الملاعنة لعلمهم بصدقه عليه السلام شاهد على صحة نبوته، وقد أكد ذلك قوله تعالى بعدها ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْقَصَصُ ٱلْحَقُّ﴾ [٦٢] فهذا الذي قصصناه عليك يا محمد في شأن عيسى هو الحق الذي لا شك فيه.

﴿قُلْ إِنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ﴾ [٧٣] فقل يا محمد لأهل الكتاب من اليهود والنصارى بأن النبوة بيد الله تعالى، كما أن الفضل والخير بيد الله يؤتيه من يشاء وليس لأحد أن يدعي حصر النبوة فيه سواء كان شخصاً أو جماعة.

﴿وَمِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَّا يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَآئِمًا﴾ [٧٥] كعبد الله بن سلام أودعه قريشي ألف وقية ذهباً فأداها إليه، ومنهم فنحاص بن عازوراء الذي ائتمنه قريشي على دينار فجحده، إلا إذا كنت ملازماً له ومشهداً عليه، فهذان الصنفان موجودان بين اليهود ولا سيما لأنهم يدّعون بأن دينهم يستحل أموال غيرهم ولا سيما الأميين العرب ﴿قَالُوا۟ لَيْسَ عَلَيْنَا فِى ٱلْأُمِّيِّۦنَ سَبِيلٌ﴾ [٧٥]

﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾ فبعد بعثة النبي محمد ﷺ لن يقبل الله من أحد ديناً وشريعة غير شريعة الإسلام، ومن يدين بغير الإسلام سيخلد في النار.

﴿كَيْفَ يَهْدِى ٱللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا۟ بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ وَشَهِدُوٓا۟ أَنَّ ٱلرَّسُولَ حَقٌّ وَجَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٦﴾﴾ وهؤلاء هم أهل الكتاب من اليهود والنصارى الذين أنكروا نبوة محمد بعد أن كانوا يؤمنون بها حسب تبشير كتبهم، فأي حسد هذا الذي قادهم إلى الجحود والكفر وهم يرون الحجج والبينات الواضحات؟!

﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٦﴾﴾ فقد ردت الآية على أهل الكتاب الذين زعموا بأن بيت المقدس هي قبلة النبيين فكيف يتحول محمد إلى مكة؟! فردت عليهم هذه الآية أن مكة والحرم فيها هو أول بيت لعبادة الله في الأرض.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تُطِيعُوا۟ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ كَٰفِرِينَ ﴿١٠٠﴾﴾ فقد حاول اليهودي شاس بن قيس أن يفتن المسلمين بإيقاع العداوة بين الأوس والخزرج لولا أن أنقذهم تدخل رسول الله ﷺ بقوله لهم:

(أبدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم، بعد أن أكرمكم الله بالإسلام وقطع به عنكم أمر الجاهلية وألف بينكم؟) فألقوا السلاح وبكوا وتعانقوا ثم انصرفوا مع رسول الله ﷺ سامعين مطيعين.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ﴾ [١٠٢] وهو أن يطاع فلا يعصى، ويذكر فلا ينسى، ويشكر فلا يكفر كما قال ابن مسعود.

﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾﴾ أمر الله المسلمين أن تكون منهم جماعة للدعوة إلى الله مما يسمى بالحزب ما دام عملها دعوة إلى الإسلام بجميع عقائده وأحكامه، وأمر بكل معروف من الشريعة، ونهي عن كل منكر في الشريعة. وقد أيد هذا المعنى الآية ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِۗ﴾ هذه الآية شددت على عمل الجماعة أو الحزب الشامل لكل معروف ولكل منكر أمراً ونهياً على أن يقوم ذلك كله على الإيمان بالله تعالى.

﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوٓاْ إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ ٱلنَّاسِ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْمَسْكَنَةُۚ﴾ [١١٢] فقد لزم أهل الكتاب الذل والهوان أينما وجدوا إلا إذا اعتصموا بذمة الله وذمة المسلمين، واستوجبوا غضب الله الشديد، ولزمتهم الفاقة والخشوع بسبب جحودهم بآيات الله وقتلهم الأنبياء ظلماً وطغياناً، وبسبب تمردهم وعصيانهم لأوامر الله تعالى.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّواْ مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِۖ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١١٨﴾﴾ فالآية تأمر المؤمنين أن يتجنبوا استخدام غير المؤمنين كحاشية لهم في أي مجال من المجالات لأنهم لا يقصرون في الفساد ويتمنون الأذى والمشقة لهم، ويصل بهم كراهتهم أن تظهر في كلماتهم وإن كانت صدورهم فيها أكثر من ذلك بكثير من الكراهة. وهذه الآية تخص أكثر ما تخص الحاكم وبطانته أو حاشيته، لكي يحذر كل الحذر أن يستبطن المنافقين بالذات الذين لا يرضون حتى الحسنة البسيطة إذا تحققت للمؤمنين، ولكنهم يفرحون لأي مصيبة تحل بهم.. ﴿إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُواْ بِهَاۖ﴾ [١٢٠]

﴿وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ ٱلْمُؤْمِنِينَ مَقَٰعِدَ لِلْقِتَالِ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٢١﴾﴾ فقد بكر الرسول ﷺ يوم أحد لينزل المؤمنين في أماكنهم لقتال العدو.

﴿إِذْ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا وَٱللَّهُ وَلِيُّهُمَا ۗ﴾ [١٢٢] هما بنو سلمة وبنو حارثة عندما حاول رأس النفاق عبد الله بن أبي بن سلول أن يثبطهم فيرجعوا عن جيش المسلمين كما رجع هو وفئته التي كانت ثلث الجيش كله، ولكن الله تعالى عصمهم فمضوا مع الرسول عليه السلام.

﴿وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ﴾ [١٢٦] فليس النصر بالعَدد ولا العُدد ولا بالملائكة ولكنه بعون الله وحده.

﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿١٢٨﴾﴾ فعندما شج وجه النبي ﷺ في موقعة أحد وكسرت رباعيته قال: (كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم بالدم؟!) فنزلت ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ﴾ فتدبير العباد ليس لك في شيء يا محمد وإنما أمرهم إلى الله تعالى فهو سبحانه إما أن يهلكهم أو يهزمهم أو يتوب عليهم إن أسلموا أو يعذبهم إن أصروا على الكفر.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَأْكُلُوا۟ ٱلرِّبَوٰٓا۟ أَضْعَٰفًا مُّضَٰعَفَةً ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [١٣٠] فقد كان الربا في الجاهلية يزيد ويزيد مع كل تأخير في الدفع، فنهاهم تعالى في هذه الآية عن الربا في جميع أحواله ومنها هذه الحالة، فالأمر هنا ليس لتحديد الربا المحرم وإنما لتحريم هذه الحالة أيضاً من الربا.

﴿قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ﴾ [١٣٧] أي وقعت أحداث مضت في حق المكذبين لرسل الله بإهلاكهم بصنوف العذاب.

﴿إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ ٱلْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُۥ ۚ﴾ [١٤٠] إن أصابكم جرح في أُحُدٍ ففقدتم سبعين شهيداً فقد أصيبت قريش في بدر بسبعين شهيداً وسبعين أسيراً.

﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [١٤٢] فالعلم هنا كشف للعيان ليرى الناس ذلك، وليس علم للديان لأنه سبحانه يعلم كل شيء وكل فعل قبل أن يقع وبعد أن يقع..

﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِىٍّ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا۟ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا۟ وَمَا

ٱسۡتَكَانُواْۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٤٦﴾﴾ فكم من الأنبياء قد قاتل لإعلاء كلمة الله، وقاتل معه علماء وعباد فقتل منهم من قتل دون أن يضعفوا بسبب ما لحقهم من القتل والجراح، ولا خضعوا لعدوهم.

﴿وَلَقَدۡ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعۡدَهُۥٓ إِذۡ تَحُسُّونَهُم بِإِذۡنِهِۦۖ حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلۡتُمۡ وَتَنَٰزَعۡتُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِ وَعَصَيۡتُم مِّنۢ بَعۡدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَۚ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنۡيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلۡأٓخِرَةَۚ ثُمَّ صَرَفَكُمۡ عَنۡهُمۡ لِيَبۡتَلِيَكُمۡۖ وَلَقَدۡ عَفَا عَنكُمۡۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١٥٢﴾﴾ فقد نصركم الله تعالى بوعده لكم بالنصر فعملت سيوفكم في رقابهم بنصره تعالى ودعوته، ولكن ما أن انقسمتم بين من يطلب الغنائم وبين من يريد الجهاد والاستشهاد حتى نزل أربعون من الرماة الخمسين ولم يبق على الجبل إلا عشرة مع أميرهم عبد الله بن جبير الذين استشهدوا جميعاً حتى حلت الهزيمة فيكم جزاء مخالفتكم لأمر الرسول ﷺ ونزول الرماة عن الجبل مما مكن عدوهم من إيقاع الهزيمة بهم بعد أن كانوا منتصرين، ولكن الله تعالى عفا عنهم فعلتهم بفضله على المؤمنين لعلمه تعالى بأنهم أساؤوا تقدير الموقف ونسوا تشديد الرسول عليهم (لا تبرحوا أماكنكم حتى ولو رأيتمونا تخطفنا الطير).

﴿يَقُولُونَ لَوۡ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلۡأَمۡرِ شَيۡءٞ مَّا قُتِلۡنَا هَٰهُنَاۗ﴾ وهؤلاء هم المنافقون..

﴿وَشَاوِرۡهُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِۖ فَإِذَا عَزَمۡتَ فَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ﴾ [١٥٩] ما خاب من استشار ولكن كل ذي سلطان مطلوب منه أن يشاور أهل المشورة والرأي ليسمع آراءهم فيختار منها ما يراه أصلح لحل المشكلة وعندها يلزم بأمر يعقد أمره وينفذ ما رآه الأصلح.(ارجع إلى كتابنا الإيمان يغير الإنسان).

﴿وَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمۡوَٰتَۢاۚ بَلۡ أَحۡيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمۡ يُرۡزَقُونَ ﴿١٦٩﴾﴾ فهم كما قال عليه السلام (أرواحهم في جوف طير خضر، ترد أنهار الجنة، تأكل من ثمارها وتأوي إلى قناديل من ذهب معلقة في ظل العرش..).

﴿ٱلَّذِينَ ٱسۡتَجَابُواْ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعۡدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلۡقَرۡحُۚ﴾ وهم من شاركوا في أحد واستجابوا لنداء الرسول عليه السلام للحاق بقريش إلى حمراء الأسد ليرهبوهم ويمنعوهم من العودة لمهاجمة المدينة المنورة ولكنهم رجعوا منها دون قتال لأن قريشاً خافتهم

ولم ترجع للهجوم على المدينة ﴿فَٱنقَلَبُواْ بِنِعۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضۡلٖ لَّمۡ يَمۡسَسۡهُمۡ سُوٓءٞ﴾ [١٧٤].

﴿لَّقَدۡ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوۡلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٞ وَنَحۡنُ أَغۡنِيَآءُۘ﴾ [١٨١] وهم اليهود وقالوا ذلك من تحريف معنى ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِي يُقۡرِضُ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنٗا﴾ [البقرة ٢٤٥] فقد زعم فنحاص بن عازوراء أحد أحبارهم أن الله فقير وأنهم أغنياء، فغضب أبو بكر رضي الله عنه وضرب وجهه..

﴿ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ عَهِدَ إِلَيۡنَآ أَلَّا نُؤۡمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّىٰ يَأۡتِيَنَا بِقُرۡبَانٖ تَأۡكُلُهُ ٱلنَّارُۗ﴾ [١٨٣] وهم اليهود الذين زعموا ذلك كذباً فأبان سبحانه وتعالى كذبهم ﴿فَإِن كَذَّبُوكَ فَقَدۡ كُذِّبَ رُسُلٞ مِّن قَبۡلِكَ جَآءُو بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُنِيرِ ١٨٤﴾ فتأكد يا محمد أنهم سيكذبونك مهما أتيت لهم بحجج وبينات، فلا تبال بتكذيبهم.

﴿وَإِذۡ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكۡتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمۡ وَٱشۡتَرَوۡاْ بِهِۦ ثَمَنٗا قَلِيلٗاۖ فَبِئۡسَ مَا يَشۡتَرُونَ ١٨٧﴾ عندما أنكر اليهود العهد الذي أخذ على آبائهم بالإقرار بمحمد ﷺ وأخفوا ما ورد في التوراة.

﴿لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي ٱلۡبِلَٰدِ ١٩٦ مَتَٰعٞ قَلِيلٞ ثُمَّ مَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمِهَادُ ١٩٧﴾ فيا ذوي العقول إياكم أن تخدعوا بتنقل الكفار في البلاد طلباً للأموال والجاه، فكل ذلك هو مجرد متاع قليل يتمتعون به ثم يزول، وينتهي مصير أصحابه من الكفار في الآخرة إلى النار وبئس الفراش والقرار نار جهنم.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصۡبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾ [٢٠٠] اصبروا على مصاعب الطاعات وما يلحقكم في سبيل ذلك من الشدائد، كما غالبوا أعداء الله بالصبر على شدائد القتال وأهوال الحروب، والزموا ثغوركم استعداداً للغزو ورد الاعتداء، واحرصوا على الخوف من الله تعالى لتفوزوا بسعادة الدنيا والآخرة.

من تفسير سورة النساء [٤]

سورة النساء مدنية في ١٧٦ آية

﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ﴾ [١] خافوا الله تعالى الذي تناشدون بعضكم بعضاً به عندما تقولون: أسألك بالله، كما اتقوا الأرحام أن تقطعوها. وهكذا فقد أمر سبحانه بالخوف منه أولاً، ثم بالخوف على الأرحام ثانياً، حتى لا تتعرض للقطيعة، وفي هذا التلازم أهمية قصوى في نظر الإسلام للأرحام والحرص على صلتها.

﴿ذَلِكَ أَدْنَى أَلَّا تَعُولُوا﴾ [٣] فقد أمر تعالى عند الخوف من عدم العدل بين الزوجات الاقتصار على واحدة فقط، وجعل ذلك الحد الأدنى لتجنب الظلم الذي قد يقع بسبب التعدد، وفي كلمة (تعولوا) معنى آخر: قال الإمام الشافعي: وهو ألا تفقروا بكثرة العيال؛ أي أن الزواج من واحدة فيه مدعاة لتنظيم النسل وعدم الإكثار من الأولاد حتى لا يستطيع الأب الإنفاق على عليهم لكثرتهم.

﴿وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٩﴾﴾ وهذا بشأن الأوصياء، فعليهم الخوف على أطفالهم لو ماتوا وتركوهم للأوصياء. فعليهم أن يعدلوا في أموال اليتامى ليعدل في حق أولادهم بعد موتهم، وعليهم أن يحسنوا الكلام معهم كما يحبون أن يحسن لأولادهم من بعدهم.

﴿وَإِنْ كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَالَةً أَوِ امْرَأَةٌ وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا السُّدُسُ فَإِنْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي الثُّلُثِ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَى بِهَا أَوْ دَيْنٍ﴾ [١٢] فإذا كان الميت لا والد له ولا ولد وورثه أقاربه البعيدون، سواء كان الميت رجلاً أو امرأة، وكان له أخ أو أخت من أم فللأخ والأخت من أم السدس، وأما إذا كان هؤلاء الأخوة والأخوات من الأم أكثر من واحد فعليهم أن يقتسموا الثلث بالسوية فيما بينهم ذكوراً وإناثاً.

وأما الأخوة الأشقاء فيختلف نصيبهم عن الأخوة لأم فقط، فقد مات سعد بن

الربيع شهيداً في أُحُد وترك زوجه وابنتيها فقال ﷺ لأخ الزوج الشقيق: (أعط ابنتي سعد الثلثين، وأمهما الثمن، وما بقي فهو لك.) فتصبح التركة من **٢٤** وللبنتين الثلثان أي **١٦/ ٢٤** وللأم الثمن من التركة وهذا يساوي **٣/ ٢٤** فيصبح المجموع **١٩/ ٢٤** فيكون نصيب العم أو الأخ الشقيق للشهيد سعد هو الباقي ومقداره **٢٤/ ٢٤ - ١٩/ ٢٤** وهو يساوي **٥/ ٢٤** من التركة فقط. وأما لو كان عمهم هو أخ لأم وليس أخاً شقيقاً لأبيهم فإن الفرض يعطيه السدس وهو يساوي **٤/ ٢٤** وهكذا لا يتساوى نصيبه مع ما لو كان شقيقاً، فالعم الشقيق مكلف بمصالح البنات أكثر من العم لأم ولذلك زاد نصيبه في التركة عنه.

﴿وَٱلَّٰتِي يَأۡتِينَ ٱلۡفَٰحِشَةَ مِن نِّسَآئِكُمۡ فَٱسۡتَشۡهِدُواْ عَلَيۡهِنَّ أَرۡبَعَةٗ مِّنكُمۡۖ فَإِن شَهِدُواْ فَأَمۡسِكُوهُنَّ فِي ٱلۡبُيُوتِ حَتَّىٰ يَتَوَفَّىٰهُنَّ ٱلۡمَوۡتُ أَوۡ يَجۡعَلَ ٱللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلٗا ﴿١٥﴾﴾ فإذا زنت امرأة فلا بد من الشهود الأربعة من المسلمين الأحرار على ذلك، وعندها تحبس في البيت حتى الموت،وإذا زنى رجل فلا بد من ضربه وتوبيخه ﴿وَٱلَّذَانِ يَأۡتِيَٰنِهَا مِنكُمۡ فَـَٔاذُوهُمَاۖ﴾ [١٦] فاختلفت عقوبة الزانية عن الزاني لأنها تمنع من الخروج لينقطع عنها مجال الاختلاط بالرجال، وأما الزاني فيعاقب ولا يمنع من الخروج ليتحمل مسؤولية الكسب والإنفاق على عياله. وكان هذا العقاب في ابتداء التشريع، وبعدها نسخ بما نزل في سورة النور من الجلد لغير المتزوج أو المتزوجة والرجم لهما عند الزنى.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَحِلُّ لَكُمۡ أَن تَرِثُواْ ٱلنِّسَآءَ كَرۡهٗاۖ وَلَا تَعۡضُلُوهُنَّ لِتَذۡهَبُواْ بِبَعۡضِ مَآ ءَاتَيۡتُمُوهُنَّ﴾ فقد كانوا في الجاهلية يرثون الزوجة إذا مات عنها زوجها، فإما أن يتزوجها أحد أقارب المتوفى أو يزوجها لغيره أو يمنعها من الزواج، فمنع الإسلام هذا، كما صح أن يقوموا بمنعهن من الزواج ليأخذوا قسماً من المهر، وخاصة عندما يطلقها زوجها ويصطلح أمرهما فتريد أن تعود لزوجها فيمنعها أهلها من ذلك، فحرم ذلك الإسلام فجعل لها الحق في العودة لزوجها المطلق أو الزواج من غيره.

﴿فَإِن كَرِهۡتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَيَجۡعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيۡرٗا كَثِيرٗا﴾ [١٩] بأن يرزقه منها الذرية الطيبة وإن كان يكرهها.

﴿وَٱلۡمُحۡصَنَٰتُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡۖ﴾ [٢٤] فحرم الزواج من النساء

المتزوجات؛ ولكن يستثنى من ذلك السبي، فيمكن إتيانها بعد الاستبراء ولو كان لهن أزواج في دار الحرب لأن السبي يقطع عصمة الكافر.

﴿وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَآءَ ذَٰلِكُمْ أَن تَبْتَغُوا۟ بِأَمْوَٰلِكُم مُّحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ ۚ فَمَا ٱسْتَمْتَعْتُم بِهِۦ مِنْهُنَّ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً ۚ﴾ [٢٤] وأحل نكاح ما سوى المتزوجات، ممن أردتم نكاحهن بطريق شرعي، وممن يجب أن تدفعوا لهن المهور، لأنها تشبهها في الصورة إذ المهر دفع مال للمرأة مقابل بضعها أي الجماع فيه.

وفي هذه الآية استشهد القائلون بالمتعة مع أن الآية في مجموعها ترفض ذلك إذ تقول ﴿مُّحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ﴾ وهذا لا يكون إلا بالزواج. والمتعة ليست من الزواج في شيء إذ لا يترتب عليها حقوق لتستمتع بها، ثم إن المتعة قد ثبت حرمة نكاحها بالسنة والإجماع ولا عبرة بالقول المخالف لذلك.

﴿فَٱنكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ﴾ [٢٥] وأهل السبيِّ هم من يملكونهن من السادة المقاتلين.

﴿إِن تَجْتَنِبُوا۟ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ﴾ [٣١] فمن اجتنب الكبائر كفرّ الله عنه الصغائر بفضله ورحمته.

﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا۟ مَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بِهِۦ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبُوا۟ ۖ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبْنَ ۚ﴾ [٣٢] لا تحسدوا بعضكم بعضاً بما فضل الله بعض الناس على بعض من الجاه والمال، لأن ذلك قسمة من الله تعالى، فلكل من الرجال والنساء نصيب معين في الميراث ولكل جزاء عمله، وما على الإنسان إلا أن يسأل الله من فضله.

﴿وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَٰلِىَ مِمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ ۚ﴾ [٣٣] وجعل سبحانه لكل إنسان عصبة يرثون ماله مما تركه الوالدان والأقربون من الميراث. وكذلك ﴿وَٱلَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَٰنُكُمْ فَـَٔاتُوهُمْ نَصِيبَهُمْ ۚ﴾ فهؤلاء الذين حالفتموهم في الجاهلية على النصرة والإرث فأعطوهم حظهم من الميراث، وهذا كان في أول الإسلام ثم نسخ بآية الأنفال [٧٥] ﴿وَأُو۟لُوا۟ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ﴾..

﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَٱبْعَثُوا۟ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِۦ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَآ إِن يُرِيدَآ إِصْلَٰحًا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيْنَهُمَآ ۗ﴾ [٣٥] فإذا أراد الحكمان الإصلاح بين الزوجين فإن

التوفيق سيكون نصيب الزوجين، وهذا مما يدعو الحكمين للحرص على هذا القصد وبذل كل الجهد في تحقيقه.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقۡرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمۡ سُكَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعۡلَمُواْ مَا تَقُولُونَ﴾ [٤٣] فلا خشوع عندها، وهذا قبل تحريم الخمر، فالأمر هنا منصب على تجنب الصلاة في هذه الحالة، ولذلك كان في ذلك تهيئة لتحريم الخمر وليس قطعاً له.

﴿وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّىٰ تَغۡتَسِلُواْۚ﴾ [٤٣] كما تجنبوا الصلاة وأنتم في حالة الجنابة إلا بعد الاغتسال إذا توفر لكم الماء لذلك، وأما إذا لم يتوفر الماء وكنتم في أي حال من مرض لا مجال فيه لاستعمال الماء، أو من سفر لا يتيسر فيه الماء، أو من حدث أصغر كالبول والبراز ولا ماء معه، أو من جماع الزوجة ولا ماء للغسل، فاللازم في حال من هذه الأحوال أن يتيمم الإنسان بالتراب يمسح وجهه ويديه مرة واحدة لكل منها.

﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبٗا مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ يَشۡتَرُونَ ٱلضَّلَٰلَةَ وَيُرِيدُونَ أَن تَضِلُّواْ ٱلسَّبِيلَ ﴿٤٤﴾﴾ انظر يا محمد إلى أحبار اليهود الذين يختارون الضلالة على الهدى ويريدونكم أيها المؤمنون أن تكونوا مثلهم في ضلالهم.

﴿مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ يُحَرِّفُونَ ٱلۡكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ﴾ [٤٦] فقد غيروا نعت محمد ﷺ وأحكام الرجم وغيرها.

﴿مِّن قَبۡلِ أَن نَّطۡمِسَ وُجُوهٗا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰٓ أَدۡبَارِهَآ﴾ [٤٧] بأن نطمس الأنف والعين والحاجب حتى تصير كالأدبار، أي فتصبح كالأدبار فنجعل أبصارها في أدبارها كما قال الطبري: فيمشون القهقرى.

﴿أَوۡ نَلۡعَنَهُمۡ كَمَا لَعَنَّآ أَصۡحَٰبَ ٱلسَّبۡتِۚ﴾ [٤٧] بأن مسخهم الله، وجعل منهم قردة وخنازير جزاء ما فعلوه من مكر واحتيال يوم السبت عندما حبسوا السمك فيه ليجمعوه يوم الأحد.

﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبٗا مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡجِبۡتِ وَٱلطَّٰغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ هَٰٓؤُلَآءِ أَهۡدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ سَبِيلًا ﴿٥١﴾﴾ فهؤلاء اليهود بالرغم من علمهم بالتوراة يؤمنون بالأوثان والأصنام وما يعبد من دون الله، ولا يكتفون بذلك بل

يقولون لكفار قريش بأنهم أهدى سبيلاً من محمد وأصحابه.. مما استحقوا عليه لعنة الله وطردهم من رحمته.

ثم إنهم حسدوا النبي وأصحابه على الإيمان ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾ [٥٤]

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَـٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿٥٦﴾﴾ فسيدخلون ناراً عظيمة تشوي الوجوه والجلود، وكلما نضجت الجلود بدلت بجلود غيرها أكثر سمكاً وضخامة، حتى قيل في الحديث (وإن غلظ جلده سبعون ذراعاً، وإن ضرسه مثل أحد).

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَـٰنَـٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا﴾ فقد أخذ مفتاح الكعبة عنوة من عثمان بن طلحة عند فتح مكة ليدخلها الرسول ﷺ ويصلي فيها ركعتين، ثم نزلت الآية فأمر النبي ﷺ علياً أن يرد المفتاح لعثمان ويعتذر له فقال: آذيت وأكرهت ثم جئت تترفق. فقال: لقد أنزل الله في شأنك قرآناً ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَـٰنَـٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا﴾ وقرأ عليه الآية فأسلم عثمان. فأمر النبي ﷺ أن يبقى المفتاح في بني طلحة خالداً.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّـٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓا۟ أَن يَكْفُرُوا۟ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَـٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَـٰلًۢا بَعِيدًا ﴿٦٠﴾﴾ فقد رفض منافق حكم الرسول ﷺ في خصومة له مع يهودي، وطلب الاحتكام إلى عمر بن الخطاب فقتل المنافق وقال: هكذا أقضي فيمن لم يرض بقضاء الله ورسوله فنزلت الآية ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾.

﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّـٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُو۟لَـٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾﴾ فقد جاء رجل إلى النبي ﷺ وقال: يا رسول الله إنك لأحب إليَّ من نفسي وأحب إليَّ من أهلي، وإني لأكون في البيت فأذكرك فما أصبر حتى آتيك فأنظر إليك، وإذا ذكرت موتي وموتك عرفت أنك إذا دخلت الجنة رفعت مع النبيين وإن دخلتُ الجنة خشيتُ أن لا أراك، فلم يرد عليه النبي ﷺ حتى أنزل الله ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم﴾ الآية.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ خُذُواْ حِذۡرَكُمۡ فَٱنفِرُواْ ثُبَاتٍ أَوِ ٱنفِرُواْ جَمِيعٗا ٧١﴾ احـــــذروا أعداءكم ولا تنتظروا هجومهم عليكم بل هبوا للجهاد جماعات جماعات أو بشكل جيش كامل، فالأمر إليكم حسب تقديركم ﴿وَإِنَّ مِنكُمۡ لَمَن لَّيُبَطِّئَنَّ﴾ [٧٢] وهم المنافقون الذين ظاهرهم الإيمان فيحسبون مع المؤمنين، وهم يقومون بدور تثبيط العزائم عن الخروج للجهاد، ولذلك ﴿فَلۡيُقَٰتِلۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يَشۡرُونَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا بِٱلۡأٓخِرَةِۚ﴾ [٧٤] وهم المخلصون المنفقون أموالهم والمقدمون أنفسهم في سبيل الله.

﴿وَمَا لَكُمۡ لَا تُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلۡمُسۡتَضۡعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلۡوِلۡدَٰنِ﴾ [٧٥] وهم من منعتهم مكة من الهجرة إلى المدينة فتعرضوا لأصناف الأذى الشديد، فلا بد من إنقاذهم من ذلك، وبالفعل تحقق ذلك عند فتح مكة.

﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ قِيلَ لَهُمۡ كُفُّوٓاْ أَيۡدِيَكُمۡ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقِتَالُ إِذَا فَرِيقٞ مِّنۡهُمۡ يَخۡشَوۡنَ ٱلنَّاسَ كَخَشۡيَةِ ٱللَّهِ أَوۡ أَشَدَّ خَشۡيَةٗۚ﴾ [٧٧] فقد طلبوا القتال في مكة قبل الهجرة، فمنعوا من ذلك لأنهم في مرحلة الدعوة. وعندما انتقل الرسول ﷺ إلى مرحلة الدولة فرض عليهم القتال، فظهر الخوف الشديد على بعضهم، وهم المنافقون وطلبوا تأجيل القتال فنزل فيهم قرآن يفضحهم.

﴿وَإِن تُصِبۡهُمۡ حَسَنَةٞ يَقُولُواْ هَٰذِهِۦ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِۖ وَإِن تُصِبۡهُمۡ سَيِّئَةٞ يَقُولُواْ هَٰذِهِۦ مِنۡ عِندِكَۚ قُلۡ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِۖ فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلۡقَوۡمِ لَا يَكَادُونَ يَفۡقَهُونَ حَدِيثٗا﴾ [٧٨] فإذا أصابت المنافقين حسنة من نصر وغنيمة قالوا هذه من عند الله وذلك حسب زعمهم لأنهم أهل لذلك، وإن أصابتهم سيئة من هزيمة وجوع أعادوا سبب ذلك إلى اتباعهم للنبي ﷺ، فرد تعالى ﴿قُلۡ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِۖ﴾ [٧٨] برد زعمهم الباطل ببيان أن كل ما يقضيه الله تعالى ويقدره من خير وشر حسب تقدير الإنسان هو من عند الله تعالى، وأن على هؤلاء المنافقين أن يفهموا ذلك تماماً وليدعوا قلة الفهم، واذكر يا محمد وذكّر كل إنسان بأنه ﴿مَّآ أَصَابَكَ مِنۡ حَسَنَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٖ فَمِن نَّفۡسِكَۚ﴾ [٧٩] وهذه الآية جاءت جواباً على وصفهم لما يحل بهم مع المؤمنين من غنيمة أو هزيمة، كما بين تعالى في الآية السابقة. فما أصاب الإنسان من نعمة فمن عند الله تعالى من إحسانه وامتحانه، وما أصابه من مصيبة فمن عنده لأنه السبب فيها بما

ارتكبه من ذنوب كقوله تعالى ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٖ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖ ﴿٣٠﴾﴾ [الشورى: ٣٠].

﴿وَإِذَا جَآءَهُمۡ أَمۡرٞ مِّنَ ٱلۡأَمۡنِ أَوِ ٱلۡخَوۡفِ أَذَاعُواْ بِهِۦۖ وَلَوۡ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنۡهُمۡ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسۡتَنۢبِطُونَهُۥ مِنۡهُمۡۗ﴾ [٨٣] فعندما كان يأتي خبر ما للمنافقين عن المؤمنين بالظفر أو الهزيمة أذاعوه وتحدثوا به قبل أن يقفوا على حقيقته مع أن في إفساده مفسدة للمسلمين، مع أنه لو ترك هؤلاء المنافقون الكلام بذلك وردوه إلى الرسول ﷺ وإلى كبار الصحابة وأهل البصيرة منهم لعلمه الذين يستخرجونه منهم من الرسول ﷺ وأولي الأمر.

﴿فَقَٰتِلۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفۡسَكَۚ﴾ [٨٤] ولو كنت وحدك، ولكن ﴿وَحَرِّضِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ﴾ ليقاتلوا معك ودعك من المنافقين الذين لا همَّ لهم إلا الأذى للمسلمين، وامض في القتال في سبيل الله بنفسك وبمن يستجيب لتحريضك.

﴿فَمَا لَكُمۡ فِي ٱلۡمُنَٰفِقِينَ فِئَتَيۡنِ وَٱللَّهُ أَرۡكَسَهُم بِمَا كَسَبُوٓاْۚ﴾ [٨٨] فلماذا أيها المؤمنون تنقسمون إلى فئتين في حق المنافقين الذين رجعوا من القتال يوم أحد، فكان من المؤمنين من قال بقتلهم، ومنهم من قال بعدم قتلهم وإن كانوا قد رجعوا للكفر بنفاقهم وعصيانهم.

﴿فَإِنِ ٱعۡتَزَلُوكُمۡ فَلَمۡ يُقَٰتِلُوكُمۡ وَأَلۡقَوۡاْ إِلَيۡكُمُ ٱلسَّلَمَ فَمَا جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمۡ عَلَيۡهِمۡ سَبِيلٗا﴾ [٩٠] وهؤلاء المنافقون لا يجوز لكم أيها المؤمنون أن تقتلوهم إذا لم يقاتلوكم واستسلموا لكم، وأما إذا اشتركوا مع الكفار والمنافقين الآخرين في القتال ضدكم فعليكم قتلهم حيثما وجدتموهم.

﴿وَمَن يَقۡتُلۡ مُؤۡمِنٗا مُّتَعَمِّدٗا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدٗا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمٗا ﴿٩٣﴾﴾ هذا بالطبع إذا استحل قتل المؤمن فإنه يقع في الكفر.

﴿فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلۡمُجَٰهِدِينَ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ عَلَى ٱلۡقَٰعِدِينَ دَرَجَةٗۚ﴾ [٩٥] هذا التفضيل على القاعدين بدون عذر شرعي، وأما لو كانوا من ذوي الأعذار فهم مدعوون للجهاد بأموالهم إن كان لديهم أموال و لا يقدرون على الجهاد بالأنفس، ويبقى التفضيل بين المجاهدين والقاعدين من أهل الأعذار بدرجة، وذلك لأنهم يلتقون معهم في

النية للقتال. والدرجة كما قال ﷺ شيء عظيم (إن في الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين في سبيله ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض).

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ﴾ [٩٧] لأنهم كانوا قادرين على مغادرة أرض الشرك التي لا يسمح فيها بممارسة دينهم فهم يظلمون أنفسهم بالبقاء فيها، ولا يستثنى من ذلك ﴿إِلَّا ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴿٩٨﴾﴾ فهؤلاء يشملهم الله بعفوه.

﴿فَإِذَا قَضَيْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ ۚ فَإِذَا ٱطْمَأْنَنتُمْ فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ۚ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَٰبًا مَّوْقُوتًا ﴿١٠٣﴾﴾ فعلى المؤمنين أن يكثروا من الدعاء والذكر بعد تأديتهم لصلاتهم، وإذا كانوا يؤدون صلاة الخوف فليعودوا للصلاة كاملة بجميع أركانها وشروطها إذا ذهب الخوف، ولكن تبقى صلاة القصر كما قال ﷺ (صدقة تصدق الله بها عليكم فاقبلوا صدقته) وذلك إذا كانوا في مسافة القصر من السفر أو الغزو.

﴿وَلَا تُجَٰدِلْ عَنِ ٱلَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا﴾ [١٠٧] فعليك يا نبي الله، وعلى كل من يتولى أمراً من أمور المسلمين ألا يدافع عمن يرتكب خيانة أو معصية كما فعل طعمة بن أبيرق الذي سرق درعاً وأنكره واتهم به يهودياً، فظن الرسول ﷺ صدقه فهمَّ أن يدافع عنه ويوقع الحدّ على اليهودي لولا نزول جبريل ﷺ بالحقيقة، فهرب طعمة إلى مكة مرتداً، ومات في محاولة سرقة ثانية هناك، وعصم الله رسوله من الخطأ..

﴿إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ إِنَٰثًا وَإِن يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَٰنًا مَّرِيدًا ﴿١١٧﴾﴾ فقد كان العرب في الجاهلية يعبدون الأصنام ويسمونها بأسماء الإناث كاللات وعزة ومناة، وكل ذلك من تبعيتهم للشيطان المتمرد على طاعة ربه.

﴿وَلَءَامُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلْأَنْعَٰمِ﴾ [١١٩] أي يقطعون آذانها ليعلموها كسمات السائبة والبحيرة التي كانوا يضيفون الإبل إليها.

﴿وَلَءَامُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ ۚ﴾ [١١٩] بخصاء العبيد أو الحيوان وبالوشم وغيره، وقيل بأن المراد في ذلك ـ كما قال الطبري ـ هو تغيير دين الله بالكفر والمعاصي.

﴿لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِۗ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدْ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٢٣﴾﴾ فثواب الله لا يحصل بما يتمناه المسلمون ولا بما يتمناه أهل الكتاب وإنما بالإيمان والعمل الصالح.

﴿وَإِنِ ٱمْرَأَةٌ خَافَتْ مِنۢ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًاۚ وَٱلصُّلْحُ خَيْرٌۗ وَأُحْضِرَتِ ٱلْأَنفُسُ ٱلشُّحَّۚ﴾ [١٢٨] فإذا نفر الزوج من زوجته لأي سبب، من دمامتها أو سوء عشرتها وأعرض عنها لامرأة أخرى، فيمكن أن تصلح معه بأن تتنازل عن حقها في البيت أو النفقة مقابل عدم الطلاق. وهذا الصلح خير من الطلاق وإن كان من فطرة الإنسان ـ زوجاً أو زوجة ـ البخل الشديد بما لديه.

﴿وَلَن تَسْتَطِيعُوٓا۟ أَن تَعْدِلُوا۟ بَيْنَ ٱلنِّسَآءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْۖ﴾ [١٢٩] وهذا في الميل القلبي وليس في المبيت والإنفاق التي يجب العدل فيهما.

﴿إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَاۖ﴾ [١٣٥] فأدوا الشهادة بالعدل دون تحيز لغني ولا ضد فقير؛ لأن كلا منهما إلى الله وحده أمره، فهو الذي رزق الغني وقدر الفقر على الفقير وهو سبحانه العالم بمصلحة كل منهما وموضع منفعته.

﴿بَشِّرِ ٱلْمُنَٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣٨﴾ ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَۚ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴿١٣٩﴾﴾ فلينتظر المنافقون العذاب الأليم يوم القيامة لأنهم يوالون ويناصرون الكافرين ظناً منهم بأن العزة والمكانة عندهم، وليعلموا ويتأكدوا بأن العزة كلها لله تعالى وحده وليس للكافرين منها شيء.

﴿وَلَن يَجْعَلَ ٱللَّهُ لِلْكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا ﴿١٤١﴾﴾ أي لن يمكّن الكفار من رقاب المؤمنين لإبادتهم، وإن حصل لهم ظفر أحياناً فإن العاقبة للمتقين في الدنيا والآخرة.

﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ وَأَصْلَحُوا۟ وَٱعْتَصَمُوا۟ بِٱللَّهِ وَأَخْلَصُوا۟ دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَۖ وَسَوْفَ يُؤْتِ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٤٦﴾﴾ فالمنافقون جزاؤهم في أسفل دركات النار لأنهم أسوأ وأخطر من الكفار على المؤمنين، ولن تقبل توبتهم إلا بأربعة قيود: أن يتوبوا عن نفاقهم بصدق، وأن يصلحوا ظاهرهم وباطنهم، وأن يعتصموا بأوامر الله ونواهيه،

وأن يخلصوا في إيمانهم وعقيدتهم لله تعالى وحده دون شريك، وعندها سيكونون في زمرة المؤمنين.

﴿لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلْجَهْرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِمَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا ﴿١٤٨﴾﴾ فالله تعالى يحرم إعلان القول السيئ ضد أي إنسان إلا إذا كان ظالماً، وعندها يجوز الحديث عن ظلمه حتى يعرفه الناس ويتجنبوا ظلمه.

﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ ۚ﴾ فاليهود لم يقتلوا السيد المسيح ولم يصلبوه ولكنهم قتلوا شبيهه، وبالرغم من ذلك فإنهم اختلفوا في المقتول فيما إذا كان عيسى أو غيره حتى قالوا: إذا كان هذا المقتول عيسى فأين صاحبنا، وإذا كان هو صاحبنا فأين عيسى؟!

﴿لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشْهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيْكَ ۖ أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَشْهَدُونَ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿١٦٦﴾﴾ فالله تعالى يشهد لك يا محمد بأنك رسوله الذي أنزل إليه القرآن، وتشهد على ذلك الملائكة وإن كانت شهادة الله تكفي.

﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ ۚ إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ ۖ﴾ [١٧١] فيا أيها النصارى لا تتجاوزوا الحد في وصفكم للسيد المسيح بأنه ابن الله أو أنه إله فهو رسول الله وكلمته (كن)، وروح منه أي روح أوصلها جبريل إلى صدر مريم بنفخه فيه.

وعندما زعموا بأن في وصف المسيح بالعبد لله تحقير له، رد عليهم القرآن ﴿لَّن يَسْتَنكِفَ ٱلْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ٱلْمُقَرَّبُونَ ۚ﴾ [١٧٣] فالكل عبيد لله تعالى.

من تفسير سورة المائدة [٥]

سورة المائدة مدنية في مائة وعشرين آية

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِۚ﴾ [١] كل عقد وعهد مما أحله الله وحرمه في القرآن والسنة.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحِلُّواْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ﴾ [٢] لا تستحلوا حرمات الله ولا تعتدوا حدوده. ولا سيما ما حرم عليكم أثناء الإحرام. ﴿وَلَا ٱلشَّهۡرَ ٱلۡحَرَامَ وَلَا ٱلۡهَدۡيَ وَلَا ٱلۡقَلَٰٓئِدَ﴾ [٢] ولا تستحلوا القتال في الشهر الحرام، ولا تستحلوا ما أهدي إلى البيت أو قلد بقلادة الهدي. ﴿وَلَآ ءَآمِّينَ ٱلۡبَيۡتَ ٱلۡحَرَامَ يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّن رَّبِّهِمۡ وَرِضۡوَٰنٗاۚ﴾ ولا تستحلوا قتال القاصدين إلى بيت الله الحرام لحج أو عمرة. ﴿وَإِذَا حَلَلۡتُمۡ فَٱصۡطَادُواْۚ﴾ [٢] وأما عندما ينتهي النسك فلا حرج من الصيد ﴿وَلَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شَنَـَٔانُ قَوۡمٍ أَن صَدُّوكُمۡ عَنِ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ أَن تَعۡتَدُواْۘ﴾ [٢]، وإياكم أن يحملكم كرهكم لقريش لأنها منعتكم من الوصول للمسجد الحرام لتأدية العمرة، على أن تعتدوا عليهم.

﴿وَمَآ أُهِلَّ لِغَيۡرِ ٱللَّهِ بِهِۦ﴾ [٣] ما ذكر عليه غير اسم الله أو ذبح لغير الله. وأما ﴿وَٱلۡمَوۡقُوذَةُ﴾ فهي الحيوان المضروب بعصا أو حجر، فهذه وكل ما ورد من الأكل الحرام يبقى محرماً إلا إذا ذبح ذبحاً شرعياً قبل الموت فإنه حلال، وأما ما ذبح على النصب وهي أحجار منصوبة للعبادة، فإنه حرام. وكذلك ﴿وَأَن تَسۡتَقۡسِمُواْ بِٱلۡأَزۡلَٰمِۚ﴾ [٣] فهو عمل حرام لأنه طلب معرفة ما قسم له من خير أو شر بضرب القداح، التي كتب على بعضها، نهاني ربي، وعلى بعضها: أمرني ربي، وبعضها غفل، فيعمل بالأمر ويتجنب النهي ويعيد الغفل حتى يخرج الأمر أو النهي فيعمل به.

﴿فَمَنِ ٱضۡطُرَّ فِي مَخۡمَصَةٍ غَيۡرَ مُتَجَانِفٖ لِّإِثۡمٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ [٣] فمن ألجأته الضرورة لتناول محرم فيجوز له ذلك، لأن الضرورات تبيح المحظورات.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ هَمَّ قَوۡمٌ أَن يَبۡسُطُوٓاْ إِلَيۡكُمۡ أَيۡدِيَهُمۡ فَكَفَّ أَيۡدِيَهُمۡ عَنكُمۡۖ﴾ [١١] ذلك أن بني النضير قد أرادوا أن يلقوا

الرحى على رأس الرسول ﷺ ويغدروا به وبأصحابه فأنقذهم الله تعالى من ذلك بإخباره ﷺ بمكيدتهم.

﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ عَلَىٰ فَتۡرَةٖ مِّنَ ٱلرُّسُلِ أَن تَقُولُواْ مَا جَآءَنَا مِنۢ بَشِيرٖ وَلَا نَذِيرٖۖ﴾ [١٩] فقد جاء يا معشر اليهود والنصارى محمد ﷺ ووضح الشرائع مع انقطاع من الرسل وتلاشي الدين، فكانت الفترة بين عيسى ومحمد مدتها (٥٦٠) سنة لم يبعث فيها رسول، ثم جاء محمد بشيراً ونذيراً فلا حجة لكم.

﴿وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱبۡنَيۡ ءَادَمَ بِٱلۡحَقِّ إِذۡ قَرَّبَا قُرۡبَانٗا فَتُقُبِّلَ مِنۡ أَحَدِهِمَا وَلَمۡ يُتَقَبَّلۡ مِنَ ٱلۡأٓخَرِ قَالَ لَأَقۡتُلَنَّكَۖ﴾ [٢٧] ذلك أن حواء كانت تلد كل ولادة ذكراً وأنثى فيتزوج الذكر من الأنثى في البطن السابق، والأنثى من الذكر في البطن اللاحق، فرفض قابيل لأن توأمته كانت أجمل، وسارت بعدها عملية القتل لأن قربان قابيل لم يقبل لأنه قدم أسوأ زرعه كمزارع، بينما قُبل قربان هابيل إذ نزلت نار فأكلت كبشه الممتاز، فازداد قابيل حسداً وسخطاً على أخيه هابيل وتوعده بالقتل، وبالفعل قتله.

﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوۡ يُصَلَّبُوٓاْ أَوۡ تُقَطَّعَ أَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم مِّنۡ خِلَٰفٍ أَوۡ يُنفَوۡاْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِۚ﴾ [٣٣] فقد قتل العرنيون الذين مرضوا في المدينة راعي إبل الصدقة التي أرسلهم الرسول عليه السلام إليها وساقوها، فقبض عليهم فقطعت أيديهم وأرجلهم وفقئت عيونهم وماتوا في الحر، وأما عقوبة قطاع الطرق فتختلف حسب جريمتهم ومنها النفي أو الحبس في بلد آخر...

﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقۡطَعُوٓاْ أَيۡدِيَهُمَا جَزَآءَۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلٗا مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ٣٨﴾ قطع اليد من الرسغ جزاء قبيحهما وعقوبة من الله، ولذلك ﴿فَمَن تَابَ مِنۢ بَعۡدِ ظُلۡمِهِۦ وَأَصۡلَحَ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيۡهِۗ﴾ [٣٩] فإذا تاب السارق بعد قطعه وصلحت حاله فإن الله تعالى لا يعذبه يوم القيامة.. وهنا لا بد من وقفة: لماذا قدم السارق على السارقة هنا وقدمت الزانية على الزاني في سورة النور ﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي فَٱجۡلِدُواْ﴾ [النور ٢]؟ والحكمة في ذلك أن الرجل على السرقة أجرأ والزنى من المرأة أشنع وأقبح، فناسب المقام الذكر في كل منهما. هذا أولاً. ثانياً: اعتراض الغربيين و الملحدين على قطع يد السارق مردود؛ لأن الشارع الحكيم

في حكمه بقطع يد السارق منع هذا الجيش الجرار من السراق والمجرمين الذين يملؤون السجون ليخرجوا أشد سطوة بعد أن يستمتعوا فترة قصيرة في السجن المرفه في البلاد الغربية بالذات..

﴿وَمِنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّٰعُونَ لِقَوْمٍ ءَاخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ﴾ فمن اليهود من يحرص كل الحرص على الكذب وهم بنو قريظة، ومنهم شديدو السماع لقوم آخرين هم يهود خيبر ممن يحقدون على الرسول ﷺ فلا يأتون إلى سماعه..

﴿يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَٰذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمْ تُؤْتَوْهُ فَٱحْذَرُواْ﴾ [٤١] فهم يوافقون على عقوبة الجلد وأما الرجم فلا، إنه التحريف.

﴿فَإِن جَآءُوكَ فَٱحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾ [٤٢] فلك يا محمد أن تحكم لفض المشكلة إذا عرضت عليك ولك أن ترفض التدخل..

﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [٤٤].

﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٥﴾﴾ [٤٥].

﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ [٤٧].

نزلت هذه الآيات بحق أهل الكتاب من اليهود والنصارى ولكن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، ولذلك هي تشمل المسلمين وغيرهم من أهل الكتاب، فإذا كان الحاكم لا يؤمن بشرع الله، أو لا يؤمن بصلاحيته للحكم فهو كافر، وإذا كان يؤمن بشرع الله وبصلاحيته ولكنه يمارس الاضطهاد في تطبيقه ويتعدى على حقوق الله وحقوق العباد فهو ظالم، وإذا كان يؤمن به وبصلاحيته ولكنه يتجاوز الحدود المرسومة لهذا الشرع وتطبيقه فهو فاسق.

﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ [٤٨] فقد أنزل القرآن على محمد ﷺ مصدقاً بالكتب السابقة من توراة وإنجيل ولكنه مهيمن عليها، أي ناسخ لها مما يفرض الحكم بالقرآن ونبذ أهواء الآخرين، ذلك لأن الله تعالى قد أنزل لكل أمة شريعة ومنهاج تطبيق لهذه الشريعة تختلف من أمة إلى أخرى، مما يجعل شريعة الإسلام ومنهاجها حالّةً محل الشرائع السابقة ومناهجها بعد أن هيمنت عليها ونسختها وحلت محلها، ولا مجال

للتساهل في الحكم بها كاملة غير منقوصة ﴿وَٱحۡذَرۡهُمۡ أَن يَفۡتِنُوكَ عَنۢ بَعۡضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ﴾ [٤٩] لأنهم بالحقيقة لا يريدون حكم الله وإنما حكم الباطل ﴿أَفَحُكۡمَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ يَبۡغُونَۚ وَمَنۡ أَحۡسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكۡمٗا لِّقَوۡمٖ يُوقِنُونَ﴾ [٥٠]

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَكُمۡ هُزُوٗا وَلَعِبٗا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكُمۡ وَٱلۡكُفَّارَ أَوۡلِيَآءَۚ﴾ [٥٧] كان رفاعة بن زيد وسويد بن الحارث قد أظهرا الإسلام ثم نافقا، فأنزل تعالى تحذيراً لمن يوادونهما من الإسلام. وهذا النص مما يشملهما ويشمل جميع أعداء الدين الساخرين من الدين سواء كانوا من اليهود والنصارى أو غيرهم من الكفار ﴿مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكُمۡ وَٱلۡكُفَّارَ﴾ [٥٧] فلا تجوز محبتهم ولا مناصرتهم بل يجب بغضهم ومعاداتهم..

﴿وَأَلۡقَيۡنَا بَيۡنَهُمُ ٱلۡعَدَٰوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ﴾ [٦٤] فقد ألقى تعالى العداوة والبغضاء بين اليهود فهم مختلفون متباغضون متعادون مهما أظهروا من تآلف، وسيبقون كذلك إلى يوم القيامة.

﴿وَلَوۡ أَنَّهُمۡ أَقَامُواْ ٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِم مِّن رَّبِّهِمۡ لَأَكَلُواْ مِن فَوۡقِهِمۡ وَمِن تَحۡتِ أَرۡجُلِهِمۚ مِّنۡهُمۡ أُمَّةٞ مُّقۡتَصِدَةٞۖ وَكَثِيرٞ مِّنۡهُمۡ سَآءَ مَا يَعۡمَلُونَ ٦٦﴾ أي: ولو استقاموا على طاعة الله كما في التوراة والإنجيل والقرآن الذي نسخ شرائعهما لوسّع الله عليهم الأرزاق، لأن منهم جماعة معتدلة مستقيمة بعيدة عن الغلو والتقصير وهم من آمنوا بمحمد عليه السلام كعبد الله بن سلام والنجاشي، ولكن الكثير منهم من الأشرار سيئي الأفعال والأقوال.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥۚ وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ﴾ [٦٧] بلّغ يا محمد رسالة ربك كاملة غير منقوصة، ولا تخف من أحد مكروهاً، واحذر أن تكتم شيئاً منه وإلا فما بلغت رسالته، وفي هذا أمر لحملة العلم من المسلمين ألا يكتموا شيئاً من أمر شريعته. وقد أطل ﷺ على الناس بعد أن عصمه الله من أذى الناس وكان محروساً منها، أطل عليهم وقال: (انصرفوا أيها الناس فقد عصمني الله ﷻ).

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ٦٩﴾ فهؤلاء هم المسلمون، واليهود،

وعبدة الكواكب، وأتباع عيسى، فكل من يؤمن إيماناً صادقاً ويعمل صالحاً منهم فلا خوف عليهم يوم القيامة ولا حزن يلحقهم، لتخليهم عن متع الدنيا. وهذا يعني أن من يوافق منهم في معتقداته وأعماله الشريعة الإسلامية فلا يشعر بخوف من المستقبل ولا بحزن على الماضي.

﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓا۟ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا۟ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا۟ كَثِيرًا وَضَلُّوا۟ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴿٧٧﴾﴾ فيا معشر اليهود والنصارى لا تتجاوزوا الحد في دينكم، وتقولوا كما قال أسلافكم بأن عيسى إله أو ابن إله، ولا تتبعوا أسلافكم الذين كانوا على الضلال قبل بعثة النبي ﷺ وهم قد أضلوا كثيراً من الناس بإغوائهم لهم، وهم قد ضلوا عن الطريق المستقيم فهم من ضلوا من قبل ومن بعد..

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُحَرِّمُوا۟ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٨٧﴾﴾ فقد فكر بعض الصحابة أن يحرموا على أنفسهم أكل اللحم وإتيان النساء وأن يُخصوا أنفسهم لأنهم يريدون التبتل فمنعهم تعالى من ذلك لأنه تحريم للطيبات.

﴿لَيْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوٓا۟ إِذَا مَا ٱتَّقَوا۟ وَّءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ثُمَّ ٱتَّقَوا۟ وَّءَامَنُوا۟ ثُمَّ ٱتَّقَوا۟ وَّأَحْسَنُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٩٣﴾﴾ فلا إثم على من شرب الخمر قبل التحريم، ولو مات وهي ما زالت في بطنه. فلا إثم عليهم إذا تجنبوا المحرم وثبتوا على الإيمان والعمل الصالح، واجتنبوا ما حرمه تعالى معتقدين بحرمته، واستمروا على تقوى الله واجتناب محارمه وعمل الصالحات..

﴿أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ ٱلْبَحْرِ وَطَعَامُهُۥ مَتَٰعًا لَّكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ ۖ وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ ٱلْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا ۗ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٩٦﴾﴾ فصيد البحر كالسمك وغيره حلال للمقيم والمسافر، وصيد البر محرم على المحرمين في حج أو عمرة فليحذر منه.

﴿۞ جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلْكَعْبَةَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ قِيَٰمًا لِّلنَّاسِ وَٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ وَٱلْهَدْىَ وَٱلْقَلَٰٓئِدَ ۚ ذَٰلِكَ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [٩٧] فقد جعل سبحانه الكعبة المشرفة صلاحاً للناس في أمر دينهم ودنياهم لما يسببه من تدبير أمور معاشهم ومعادهم، وأما الأشهر الحرم الأربعة: ذو القعدة وذو الحجة

والمحرم ورجب فهي قيام لهم لأمنهم القتال فيها، وأما الهدي والقلائد: فالهدي ما يُهدى للحرم من الأنعام، والقلائد هي البُدن التي تقلد من شجر الحرم لتأمن هي وأصحابها فهي من القيام للناس، فالله تعالى يعلم مصالحكم في ذلك كله وغيره فاتقوه.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَسۡـَٔلُواْ عَنۡ أَشۡيَآءَ إِن تُبۡدَ لَكُمۡ تَسُؤۡكُمۡ وَإِن تَسۡـَٔلُواْ عَنۡهَا حِينَ يُنَزَّلُ ٱلۡقُرۡءَانُ تُبۡدَ لَكُمۡ عَفَا ٱللَّهُ عَنۡهَاۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٠١﴾﴾ فلا تسألوا الرسول عن أمور لا حاجة لكم بها، إن ظهرت لكم ساءتكم فتندموا على السؤال عنها، وإن سألتم عنها في زمان نزول الوحي تظهر لكم والله تعالى عفا عنكم سؤالكم وتجاوز عن عقوبتكم الأخروية.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرۡجِعُكُمۡ جَمِيعٗا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿١٠٥﴾﴾ فاحفظوا نفوسكم بعيدة عن المعاصي والزموا الصلاح، ولا يضركم ضلال غيركم إن كنتم مهتدين، ومن الاهتداء أن ينكروا المنكر ولا يسكتوا عليه بحجة عدم المسؤولية.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ شَهَٰدَةُ بَيۡنِكُمۡ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ حِينَ ٱلۡوَصِيَّةِ ٱثۡنَانِ ذَوَا عَدۡلٖ مِّنكُمۡ أَوۡ ءَاخَرَانِ مِنۡ غَيۡرِكُمۡ إِنۡ أَنتُمۡ ضَرَبۡتُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَأَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةُ ٱلۡمَوۡتِۚ تَحۡبِسُونَهُمَا مِنۢ بَعۡدِ ٱلصَّلَوٰةِ فَيُقۡسِمَانِ بِٱللَّهِ إِنِ ٱرۡتَبۡتُمۡ لَا نَشۡتَرِي بِهِۦ ثَمَنٗا وَلَوۡ كَانَ ذَا قُرۡبَىٰ وَلَا نَكۡتُمُ شَهَٰدَةَ ٱللَّهِ إِنَّآ إِذٗا لَّمِنَ ٱلۡأٓثِمِينَ ﴿١٠٦﴾﴾ فإن أوشك أحدكم أن يموت فيجب أن يُشهد على وصيته شخصين عدلين مسلمين، أو من غير المسلمين إن لم يوجد مسلمون وكنتم في السفر وشعرتم بالموت. وتكون الشهادة بعد صلاة العصر في المسجد فيحلفان بالله إن ارتبتم في شهادتهما قائلين: لا نحابي بشهادتنا أحداً ولا نستبدل قسمنا بالله بأي عرض من الدنيا ولا نكتم الشهادة حتى لا نكون من الآثمين.

﴿إِذۡ قَالَ ٱلۡحَوَارِيُّونَ يَٰعِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ هَلۡ يَسۡتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيۡنَا مَآئِدَةٗ مِّنَ ٱلسَّمَآءِۖ قَالَ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُواْ نُرِيدُ أَن نَّأۡكُلَ مِنۡهَا وَتَطۡمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعۡلَمَ أَن قَدۡ صَدَقۡتَنَا وَنَكُونَ عَلَيۡهَا مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿١١٣﴾﴾.

فقد سألوا عيسى فيما إذا كان ربه يقدر على إنزال مائدة من السماء عليهم، فكان سؤالهم للاطمئنان وليس من باب الشك لأنهم مؤمنون حقاً، فهم يريدون أن

يأكلوا من تلك المائدة تبركاً، وتسكن نفوسهم بزيادة اليقين، ولكي يصلوا إلى علم اليقين بصدقه في دعوى النبوة، ويشهدوا بذلك عند من لم يحضرها من الناس.

وفي الحديث: [أنزلت المائدة من السماء خبزاً ولحماً وأمروا ألّا يدخروا لغد ولا يخونوا فخانوا وادخروا ورفعوا لغد فمسخوا قردة وخنازير].

من تفسير سورة الأنعام [٦]

سورة الأنعام مكية في ١٦٥ آية

﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلًا ۖ وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُۥ ۖ ثُمَّ أَنتُمْ تَمْتَرُونَ﴾ [٢].

فالله تعالى هو الذي خلقكم يا بشر من طين، أي خلق أباكم آدم، ثم قضى وحتم لكل منكم بمدة يعيشها في حياته حتى يموت، وبعدها له ولكل الموتى أجل آخر، هو بعثهم من القبور للحشر والحساب، فللإنسان أجل لحياته وأجل لبعثه.

﴿قُلْ أَىُّ شَىْءٍ أَكْبَرُ شَهَٰدَةً ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ شَهِيدٌۢ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ۚ وَأُوحِىَ إِلَىَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ ۚ﴾ . . [١٩].

فقل لزعماء مكة المشركين، بأن أعظم شاهد لي على صدق النبوة هو الله وكفى بشهادة الله لي شهادة، ولتعلموا بأن القرآن قد أوحي إلي لأنذركم به أنتم وكل من بلغه إلى يوم القيامة.

﴿ٱنظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ ۚ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٢٤﴾﴾.

فانظر يا محمد كيف كذبوا على أنفسهم عندما نفوا الشرك عنها أمام علّام الغيوب، وانظر كيف بطلت شفاعة آلهتهم وغاب شركاؤهم ممن كانوا يفترون على الله تعالى.

﴿وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ ۖ وَلَلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [٣٢].

أي أن الحياة الدنيا باطل وغرور بسبب قصر مدتها وفناء لذتها، بينما الدار

الآخرة وما فيها من أنواع النعيم هي الخير لعباد الله المتقين من دار الفناء لأنها دائمة لا يزول عنها مقامها ولا يذهب سرورها.

﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ ۖ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٣٣﴾﴾.

فإن الله تعالى يعلم بأن مشركي مكة يكذبونك بوصفهم لك بالساحر والشاعر والكاهن والمجنون، فهم في الحقيقة لا يكذبونك بل يعتقدون صدقك ولكنهم لعنادهم يجحدون دعوتك، وقد قالها أبو جهل: ما نكذبك يا محمد وإنك عندنا لمصدق وإنما نكذب ما جئتنا به.

﴿وَإِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنِ ٱسْتَطَعْتَ أَن تَبْتَغِىَ نَفَقًا فِى ٱلْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِى ٱلسَّمَآءِ فَتَأْتِيَهُم بِـَٔايَةٍ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى ٱلْهُدَىٰ ۚ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٣٥﴾﴾.

فإن كان يا محمد قد صعب عليك إعراضهم عن الإسلام، وقدرت أن تجد مسكناً لك في جوف الأرض أو مصعداً في السماء فتأتيهم بآية مما طلبوه فافعل، ولكن لتعلم بأن الله لو قضى بهدايتهم إلى الإيمان رغماً عنهم لفعل فلا تكن يا محمد ممن يجهل حكمة الله تعالى ومشيئته الأزلية.

﴿فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟ بِمَآ أُوتُوٓا۟ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾ فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ۚ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٥﴾﴾.

فعندما ترك الكافرون ما وعظوا به فتح الله تعالى عليهم الشيء الكثير من النعم والخيرات من باب الاستدراج لهم، وما أن فرحوا بذلك النعيم واشتد بطرهم حتى أخذهم تعالى بعذابه فجأة فإذا هم يائسون من كل خير، وإذا بهم يهلكون عن آخرهم. مما يستدعي الحمد لله رب العالمين على نصره رسله وإهلاك الكافرين المكذبين لهم.

﴿قُل لَّوْ أَنَّ عِندِى مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِۦ لَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٨﴾﴾.

فقل يا محمد لهؤلاء المشركين العاندين: لو أن بيدي أمر العذاب الذي تستعجلونه لعجلته لكم لأستريح منكم، ولكنه بيد الله تعالى العالم بكم وبموعد عقوبتكم إن كانت عاجلاً أو آجلاً..

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِٱلنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰٓ أَجَلٌ مُّسَمًّى ۖ ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٦٠﴾﴾.

إنه تعالى الذي ينيمكم بالليل ويعلم ما كسبتم من العمل بالنهار، ثم يوقظكم بالنهار لتبلغوا نهاية أعماركم في الحياة الدنيا، ثم ترجعون إلى الله يوم القيامة ليخبركم بأعمالكم ويجزيكم عليها إن خيراً فخير وإن شراً فشر..

﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِذْ قَالُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍ ۗ قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَـٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ ۖ﴾.. [٩١].

فإن اليهود لم يعرفوا الله حق معرفته، ولا عظموه حق تعظيمه حين أنكروا الوحي وبعثة الرسل، فقالوا بأنه لم تنزل أي كتب على أحد من البشر، وقال بذلك حبرهم مالك بن الصيف، الذي وصل به العناد إلى إنكار نزول التوراة على موسى، فلم يكن غريباً أن ينكروا نزول القرآن على محمد ﷺ.

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِىَ إِلَىَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَىْءٌ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۗ﴾.. [٩٣].

فقد زعم مسيلمة الكذاب والأسود العنسي أنهما نبيان، كما زعم النضر بن الحارث ومن معه من المستهزئين بأنهم أتوا بكلام يعارض القرآن، وكان من السخف بحيث لا يستحق الذكر.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ ۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْـَٔايَـٰتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ ﴿٩٨﴾﴾.

فقد خلق تعالى الخلق من البشر من نفس واحدة هو آدم ﵇، وجعل في الأرحام مستقراً لكل مولود من والدته، كما جعل الأرض مستودعاً لكل الموتى حتى يوم البعث، وفي هذا ما يرشد العقول إلى الحق.

﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَـٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَـٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾﴾.

فلا أحد من المخلوقات يدرك الخالق ببصره بينما الله تعالى الخالق المدبر هو الذي يدرك كل مخلوقاته، لأنه سبحانه يحيط بكل شيء مهما خفي، وهو سبحانه اللطيف بعباده الخبير بمصالحهم.

فالنفي في الآية قد جاء للإدراك وليس للرؤية كما قال ابن كثير، فيوم القيامة

يتجلى للمؤمنين من عباده ليروهُ، ولا شك أن ذلك لن يكون إلا إذا منحهم قدرة خاصة ليست لديهم في الدنيا.

وهكذا ـ بغض النظر عن التأويلات للنصوص ـ فرؤية المولى سبحانه غير متحققة للبشر يوم القيامة دون هبة خاصة لهم غير متوفرة في الحياة الدنيا، وعندها ينتهي هذا الخلاف بين المعتزلة وغيرهم ممن ينفون الرؤية وبين أهل السنة الذين يثبتونها.

﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَٰفِرِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢٢﴾﴾.

فحمزة عندما كان مشركاً كان في نظر الإسلام ميتاً وعندما آمن صار حياً، وهكذا كل كافر. فعندما آذى أبو جهل الرسول ﷺ وعلم حمزة جاءه وأعلن إسلامه تحدياً..

﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ قَدِ ٱسْتَكْثَرْتُم مِّنَ ٱلْإِنسِ ۖ وَقَالَ أَوْلِيَآؤُهُم مِّنَ ٱلْإِنسِ رَبَّنَا ٱسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَآ أَجَلَنَا ٱلَّذِىٓ أَجَّلْتَ لَنَا ۚ قَالَ ٱلنَّارُ مَثْوَىٰكُمْ خَٰلِدِينَ فِيهَآ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾.

فاذكر يوم يجمع الإنس والجن للحساب، فيقال للجن بأنهم استكثروا من إضلال وإغواء الإنس، فيرد من أطاعهم من الإنس بأنهم قد انتفعوا ببعضهم البعض؛ فقد دلهم الجن على الشهوات فانتفعوا منهم بطاعتهم لهم في الانغماس فيها، وها هم قد استمروا مع ذلك حتى الموت، فكان جزاؤهم النار مستقراً لهم جميعاً يخلدون فيها إلى ما شاء الله من الزمان...

﴿وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّى بَعْضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿١٢٩﴾﴾.

فكما متعنا الإنس والجن بعضهم ببعض فإننا نسلط بعض الظالمين على بعض لكسبهم للمعاصي والذنوب. وفي هذا تهديد للظالم ليمتنع عن ظلمه.

﴿قُلْ يَٰقَوْمِ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّى عَامِلٌ ۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن تَكُونُ لَهُۥ عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِ ۗ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿١٣٥﴾﴾.

فقل لهم يا محمد منذراً متوعداً أن يثبتوا على كفرهم ومعاداتهم للإسلام، وأني

ثابت بالمقابل على دين الله، ويوم القيامة سوف تعلمون من تكون له النهاية الطيبة، فلن يفوز الظالمون بمطلوبهم ذاك اليوم.

﴿ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ مِّنَ ٱلضَّأْنِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْمَعْزِ ٱثْنَيْنِ قُلْ ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلْأُنثَيَيْنِ أَمَّا ٱشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ ٱلْأُنثَيَيْنِ نَبِّـُٔونِى بِعِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٤٣﴾﴾.

فقد خلق تعالى لكم من الأنعام ثمانية أنواع أحل لكم أكلها: من الضأن الكبش والنعجة، ومن المعز التيس والعنز، فهل حرم الله عليكم الذكرين من الضأن والمعز أيها المشركون أم الأنثيين منهما؟ وهل حرم ما حملت إناث الجنسين ذكراً أو أنثى؟ فهل لديكم علم بهذا أم هو الظن والافتراء على الله تعالى؟

﴿سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَىْءٍ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُوا۟ بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَآ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ ﴿١٤٨﴾﴾.

فإن مشركي العرب سيقولون بأن الله لو أراد ما كفرنا ولا أشركنا لا نحن ولا آباؤنا، فاحتجوا على شركهم وتحريمهم بإرادة الله تعالى كما يقول العصاة: هذا قدر الله لا مهرب ولا مفر منه،

إنه لا حجة لهم في هذا لأنهم مكلفون مأمورون بفعل الخير وترك القبيح، بفعل الحلال وترك الحرام، ولكن مثل هذا القول منهم لا يلجأ إليه إلا السفهاء عندما تدفعهم الحجة.. إنها نزعة جبرية يلجأ إليها العصاة لتبرير ذنوبهم..

﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾﴾.

فقل يا محمد للناس كافة بأن هذا الذي أوصيكم بأحكامه العشرة هو ديني المستقيم وشرحي القويم الذي أدعوكم للتمسك به، وعدم اتباع الأديان المختلفة والطرق الملتوية التي تبعدكم عن سبيل الهدى، وهو واحد وأما سبل الضلال فكثيرة متنوعة.

من تفسير سورة الأعراف [٧]

سورة الأعراف مكية في ٢٠٦ آيات

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿١١﴾﴾.

فقد خلق تعالى آدم على غير صورة أولاً، ثم جعله على صورة معينة، ثم أمر الملائكة أن تسجد له تكريماً فسجدوا كلهم، وأما إبليس الذي كان يعايشهم رفض السجود وعصى أمر الله تعالى فطرده من الجنة ﴿قَالَ فَٱهْبِطْ مِنْهَا﴾.. فطلب من الله تعالى أن يبقيه حتى يوم البعث فأعطاه طلبه..

﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ لِيُبْدِىَ لَهُمَا مَا وُۥرِىَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَٰتِهِمَا﴾ [٢٠].

فزيّن الشيطان لهما باليمين الأكل من تلك الشجرة ﴿وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّى لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢١﴾﴾ فصدقاه لأنهما لم يكونا يعتقدان بوجود الحالف الكاذب. وأما كيف عاد إلى الجنة وقد طرد منها إلى الأرض فذلك من مقتضى الإنظار والسماح له بأن يقعد لبني آدم من كل جهة للغواية فرجع ليوسوس لآدم وحواء حيث أعطاهما تعالى الخيار في الاستجابة للوسوسة أو رفضها فاستجابا بخديعة إبليس التي دعمها باليمين الكاذب.

وهكذا كانت الوسوسة بقصد الوقوع في انكشاف العورات، مما يدل على مدى شناعة وقبح ذلك ولا سيما مع هذا التزيين الذي تستجيب له بنات المسلمين في ارتداء ملابس التعري أو شبه التعري، فهي لعبة الشيطان وإن كان ذلك لا يبعد عن وسوسة شياطين الإنس كما هو من صنع شياطين الجن أي إبليس وأعوانه منهم.

﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾.

فقد علّم تعالى آدم هذه الكلمات ـ كما قال الطبري ـ الواردة في هذه الآية تصديقاً لقوله تعالى: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ﴾ [البقرة: ٣٧] فتوجه بها إلى الله تعالى معترفاً هو وزوجه حواء بالخطيئة وتابا من الذنب وطلبا من الله المغفرة والرحمة حتى يتخلصا من خسارة الدنيا والآخرة.

﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفۡتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ كَمَآ أَخۡرَجَ أَبَوَيۡكُم مِّنَ ٱلۡجَنَّةِ يَنزِعُ عَنۡهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوۡءَٰتِهِمَآۚ﴾. . [٢٧].

فاحذروا يا بني آدم فتنة الشيطان فتستجيبوا لغوايته كما استجاب أبوكم آدم فأخرج من الجنة، وأنتم سيضيع عليكم دخول الجنة في الآخرة، وأما في الدنيا فتتعرضوا لأقبح الأفعال من كشف العورات. . وغيرها، وتصبح لديكم الجرأة في نسبة ما تفعلونه من فواحش إلى ميراث آبائكم وإلى الله تعالى بحجة أنكم لا تملكون الخروج عن أمر الله تعالى وإرادته، فعليكم أن تعلموا ﴿قُلۡ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأۡمُرُ بِٱلۡفَحۡشَآءِۖ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾ فكيف تسندون أعمالكم المنكرة إلى الله تعالى الذي لا يأمر بمنكر؟!

﴿وَنَزَعۡنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنۡ غِلٍّ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهِمُ ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ وَقَالُواْ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهۡتَدِيَ لَوۡلَآ أَنۡ هَدَىٰنَا ٱللَّهُۖ لَقَدۡ جَآءَتۡ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلۡحَقِّۖ وَنُودُوٓاْ أَن تِلۡكُمُ ٱلۡجَنَّةُ أُورِثۡتُمُوهَا بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿٤٣﴾﴾.

فقد طهر تعالى قلوب المؤمنين الذين أدخلوا الجنة من الحسد والبغضاء فلا تحوي إلا المحبة والتعاطف، كما أنهم يتمتعون بمساكن تجري أنهار الجنة من تحتها، وتجدهم وهم يحمدون الله تعالى ويشكرونه على أن وفقهم لطريق الجنة وأنه لولا هداية الله تعالى بما أنزله على رسله ووفق إليه عباده لما دخلوا الجنة، وأن رسل الله تعالى قد أوصلوا لنا الحق من الله تعالى فصدقناهم فيما أخبرونا عن الله تعالى، وهكذا نجد الملائكة تنادينا أن هذه هي الجنة التي أعطيت لنا بسبب أعمالنا الصالحة في الدنيا. .

فلا جبر ولا إكراه على اتباع الهدى ولكنه العمل الاختياري الذي يورث الجنة إذا كان خيراً ويورث النار إذا كان شراً. .

﴿وَلَقَدۡ جِئۡنَٰهُم بِكِتَٰبٖ فَصَّلۡنَٰهُ عَلَىٰ عِلۡمٍ هُدٗى وَرَحۡمَةٗ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ﴿٥٢﴾﴾.

فقد جاء القرآن العظيم لأهل مكة، وبينا معانيه وأحكامه لهم، وجعلناه هداية وسعادة لمن آمن به منهم ومن غيرهم.

﴿هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأۡوِيلَهُۥۚ يَوۡمَ يَأۡتِي تَأۡوِيلُهُۥ يَقُولُ ٱلَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبۡلُ قَدۡ جَآءَتۡ رُسُلُ رَبِّنَا

بِٱلْحَقِّ فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَآءَ فَيَشْفَعُواْ لَنَآ أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ ۚ قَدْ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ ﴿٥٣﴾﴾.

فما ينتظر أهل مكة غير عاقبة ما وعدوا به من العذاب، فإنهم عندما يأتي يوم القيامة يقول من ترك العمل به في الدنيا بأن الرسل وخاتمهم محمداً ﷺ قد بلغتهم الأخبار الصادقة فهم من يتحمل تكذيبهم، ولن يجدوا من يشفع لهم ليخلصهم من العذاب، ولن يتمكنوا من العودة للدنيا ليعملوا صالحاً بدلاً من المعاصي ولن يجدوا إلا خسران أنفسهم..

﴿أَفَأَمِنُواْ مَكْرَ ٱللَّهِ ۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٩٩﴾﴾.

فهل أمنوا استدراج الله تعالى لهم بالنعمة حتى يهلكوا في غفلتهم؟ فإنه لا يأمن ذلك إلا الذين خسروا عقولهم فصاروا من أخسر المخلوقات.

﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ بِٱلسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣٠﴾﴾.

فقد أقسم المولى سبحانه بأنه قد ابتلى واختبر فرعون وأتباعه بالجدب والقحط، كما ابتلاهم بنقص في الثمار من كثرة الآفات فكانت النخلة لا تحمل إلا ثمرة واحدة، وذلك لكي يتعظوا..

﴿فَإِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلْحَسَنَةُ قَالُواْ لَنَا هَٰذِهِۦ ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُواْ بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ ۗ أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمْ عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣١﴾﴾.

فكانوا إذا جاءهم الخصب قالوا بأن ذلك لهم وهم مستحقونه، وأما إذا جاءهم الجدب تشاءموا بموسى ومن معه من المؤمنين. فرد عليهم تعالى بأن ما يصيبهم من خير أو شر هو قضاء الله وقدره بسبب معصيتهم لا من عند موسى.

﴿وَأَوْرَثْنَا ٱلْقَوْمَ ٱلَّذِينَ كَانُواْ يُسْتَضْعَفُونَ مَشَٰرِقَ ٱلْأَرْضِ وَمَغَٰرِبَهَا ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا ۖ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ بِمَا صَبَرُواْ ۖ وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُۥ وَمَا كَانُواْ يَعْرِشُونَ ﴿١٣٧﴾﴾.

فقد أورثهم تعالى أرض الشام بجميع نواحيها العامرة بالخيرات والثمار وحقق تعالى لهم التمكين في الأرض بسبب صبرهم على الأذى، ودمر قصور فرعون وجماعته وما فيها من المزارع والبساتين..

﴿قَالَ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَٰهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٤٠﴾﴾.

فهل أطلب لكم معبوداً غير الله يستحق العبادة وأنتم قد فضلكم الله تعالى على عالمي زمانكم؟

﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبْحَـٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [١٤٣].

فلما ظهر من نور الله قدر أنملة الخنصر أو قدر الخنصر ـ كما يقول ابن عباس ـ اندك الجبل وسقط موسى مغشياً عليه، فلما صحا من غشيته نزه الله تعالى أن يراه أحد في الدنيا، وأعلن توبته من سؤاله، وأنه أول المؤمنين بعظمته تعالى وجلاله.

﴿فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا۟ بِأَحْسَنِهَا ۚ سَأُو۟رِيكُمْ دَارَ ٱلْفَـٰسِقِينَ﴾ [١٤٥].

فخذ يا موسى التوراة بجد واجتهاد، وأمر بني إسرائيل باختيار الأفضل منها كالأخذ بالعزائم دون الرخص، مقدمين العفو على القصاص والصبر على الانتصار.. وعندها سترون منازل فرعون وقومه كيف أقفرت منهم ودمرت بفسقهم، ففي ذلك أعظم العبرة..

﴿وَٱخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُۥ سَبْعِينَ رَجُلًا لِّمِيقَـٰتِنَا ۖ فَلَمَّآ أَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّـٰىَ ۖ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآ ۖ إِنْ هِىَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَآءُ وَتَهْدِى مَن تَشَآءُ ۖ أَنتَ وَلِيُّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا ۖ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْغَـٰفِرِينَ ﴿١٥٥﴾﴾.

فقد اختار موسى من قومه سبعين رجلاً ممن لم يعبدوا العجل ليذهبوا معه لجبل الطور للاعتذار عن عبادة العجل، فلما رجف بهم الجبل وصعقوا قال موسى متضرعاً: لو شئت يا رب أن تهلكنا قبل ذلك لفعلت فإنا عبيدك وتحت قهرك وأنت تفعل ما تشاء، أتهلكنا وسائر بني إسرائيل بما فعل هؤلاء السفهاء السبعون في قولهم: أرنا الله جهرة، فلا تعذبنا يا الله بذنوب غيرنا. فما هذه الفتنة التي حدثت لهم إلا محنتك يُمتحن بها عبادك فيضل بها من لا يخرج عن مشيئتك ويهتدي بها من لا يخرج عن مشيئتك، فأنت يا رب متولي أمورنا وناصرنا فاغفر لنا ما وقعنا فيه من المعاصي وارحمنا برحمتك الواسعة وأنت خير من صفح وستر..

﴿وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ ٱسْكُنُوا۟ هَـٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ وَكُلُوا۟ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا۟ حِطَّةٌ وَٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطِيٓـَٔـٰتِكُمْ ۚ سَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٦١﴾﴾.

واذكر لهم يا محمد حين قلت لأسلافهم: اسكنوا بيت المقدس وكلوا من

أكلها من أي جهة أردتم وقولوا حين دخولكم: يا الله حط عنا ذنوبنا، وعندها نمح عنكم جميع الذنوب التي سلفت منكم وسنزيد من أحسن عمله بدخول الجنان. ولكنهم بدلاً من ذلك غيّر الظالمون أمر الله بكلام غير لائق فقالوا بدل حطة: حنطة في شعيرة، وبدلاً من الدخول ساجدين دخلوا زاحفين على أدبارهم سخرية واستهزاء بأوامر الله ﴿فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُواْ يَظْلِمُونَ ﴿١٦٢﴾﴾ فنزل بهم الطاعون فمات الكثير منهم.

﴿وَإِذْ نَتَقْنَا ٱلْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُۥ ظُلَّةٌ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُۥ وَاقِعٌۢ بِهِمْ خُذُواْ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱذْكُرُواْ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧١﴾﴾.

اذكر يا محمد حين اقتلعنا جبل الطور ورفعناه فوق رؤوس بني إسرائيل كأنه ظلة غمام فأيقنوا أنه ساقط عليهم إن لم يمتثلوا الأمر، فلما نظروا إلى الجبل خر كل واحد منهم ساجداً خوفاً من سقوطه، فقلنا لهم: خذوا التوراة بجد وعزيمة واعملوا بما فيها لتكونوا في سلك المتقين.

﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾﴾.

واتل يا محمد على اليهود قصة ذلك العالم الذي علمه الله بعض الكتب فانسلخ من الآيات كما تنسلخ الحية من جلدها، عندما كفر فلحقه الشيطان حتى جعله في زمرة الضالين الراسخين في الغواية بعد أن كان من المهتدين، ويقول ابن عباس بأنه بلعم بن باعوراء، ويقول تعالى بأنه لو شاء بقضائه وقدره لرفعه إلى منزلة العلماء الأبرار ولكنه أخلد إلى الدنيا وآثر شهواتها على الآخرة فانحط ليصبح كالكلب إن طردته لهث وإن تركته لهث، وهذا هو مثل كل من كذب بآيات الله، فاليهود الذين يعرفون صفة النبي ﷺ من التوراة كفروا به وانسلخوا من حكم التوراة، فاذكر هذه القصة على أمتك يا محمد لعلهم يتعظون بها ويتدبرونها.

﴿۞هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّىٰهَا

حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِۦ فَلَمَّآ أَثْقَلَت دَّعَوَا ٱللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ ءَاتَيْتَنَا صَٰلِحًا لَّنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٨٩﴾ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَا فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٩٠﴾﴾.

فقل لهم يا محمد بأن الله تعالى هو الذي خلق جميع البشر من نفس واحدة هي آدم عليه السلام، وخلق منها حواء، ليأنس بها، فلما جامعها حملت به حملاً خفيفاً تطور في بطنها حتى صار حملها ثقيلاً، وفي هذا الوقت بالذات وجد من بني آدم من يخلط الإيمان بالله تعالى ووحدانيته بالشرك بغيره إذ يطلب ويدعو الله تعالى أن يرزقه الولد الصالح ليشكره على نعمته، ولكنه بدلاً من الشكر على هبة الولد الصالح جعل لله شركاء عبدهم وقدسهم سواء كانوا من الأوثان والأصنام أو ما يحل محلهم من المقدسات بدلاً عن الله تعالى، مع أنها كلها مخلوقة لا تملك نصرهم ولا نصر أنفسها ضد من يريد تحطيمها..

من تفسير سورة الأنفال [٨]

سورة الأنفال مدنية في ٧٥ آية

﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ ۖ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَصْلِحُوا۟ ذَاتَ بَيْنِكُمْ ۖ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١﴾﴾.

فقد سأل الصحابة المقاتلون يوم بدر النبي ﷺ عن الغنائم لمن هي، وكيف تقسم؟ وذلك أن منهم من اشترك في قتل الأعداء، ومنهم من ثبت تحت الرايات ولم يقاتل، فأُمر النبي ﷺ أن يجيبهم بأن الحكم في الغنائم أنها لله ورسوله وليست لكم وأن عليكم أن تطيعوا الله تعالى في تقسيمها وتجتنبوا معاصيه، واحرصوا على الائتلاف بينكم وتجتنبوا الخلاف في ذلك وأطيعوا أمر الله وأمر رسوله في هذا الحكم في الغنائم. وقام الرسول ﷺ بتقسيمها على السواء وانتهى الأمر.

﴿يُجَٰدِلُونَكَ فِى ٱلْحَقِّ بَعْدَمَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى ٱلْمَوْتِ وَهُمْ يَنظُرُونَ ﴿٦﴾﴾.

فقد أخذ الجنود يجادلون الرسول عليه السلام في شأن الخروج للقتال بعد وضوح الحق لهم فقالوا بأن خروجهم كان للعير فقط وأنهم لو عرفوا لاستعدوا للقتال،

فكانوا لقلة عددهم وعدم تأهبهم للقتال في فزع شديد من القتال الذي يرونه دفعاً لهم إلى الموت.

﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْ ۚ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ ۚ وَلِيُبْلِىَ ٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَآءً حَسَنًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٧﴾﴾.

فأنت يا محمد في الحقيقة لم ترم أعين القوم بقبضة من تراب عندما رميت بها في وجوه المشركين وقلت: (شاهت الوجوه) فأصابت عيني ومنخري كل منهم فولوا مدبرين، ولكن إيصال ذلك التراب إليهم لم يكن في الحقيقة إلا من الله تعالى وذلك ليقهر الكافرين وينعم على المؤمنين بالأجر والنصر وهو سبحانه السميع لأقوالهم والعالم بأحوالهم.

فسواء كان هذا التدخل المباشر من الله تعالى أو بما يقذفه في قلوب المؤمنين من الاطمئنان للنصر وفي قلوب المشركين من الخوف والفزع، أو بما ييسره لهم من تقوية أجسامهم بالنوم الذي غشيهم حتى ناموا جميعاً إلا الرسول ﷺ، أو بما أنزله عليهم من مطر تطهروا به من الحدث الذي أصابهم وثبتت أقدامهم على الرمل إذ تلبد بالمطر بعد أن كانت أقدامهم تسيخ في الرمل، أو بإنزال ألف من الملائكة متتابعين: خمسمائة بقيادة جبريل عليه السلام وخمسمائة بعد تلك الدفعة بقيادة ميكائيل ليطمئنوا جيش المؤمنين بالنصر، فسواء كانت هذه التدخلات المباشرة من الله تعالى لتحقيق النصر المؤيد ولا سيما ﴿وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ أو كانت من خلال ما بثه تعالى من تقوية العزائم للقتال بكل قوة، فإن النصر يبقى من قضاء الله وقدره متى اتخذت له أسبابه من الإعداد وترك الباقي لله تعالى يجعل من الإعداد البسيط قوياً وناجحاً..

وهذا معنى أن النصر بيد الله بالرغم من كل الاستعدادات له والتي لن تغني عن سند الله تعالى للمجاهدين.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَخُونُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓا۟ أَمَٰنَٰتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٧﴾﴾.

فإياكم أيها المؤمنون أن تقعوا في خيانة الله بالمعاصي وخيانة الرسول بالتخلي عن صحبته، فأحكام الله ورسوله فيها الالتزام بالأمانة، وأي تراخ عن التزامها خيانة. فاحذروا أن تكونوا كما وقع من أبي لبابة عندما أفشى سر رسول الله ﷺ

ليهود بني قريظة عندما سألوه فيما إذا كان الخير لهم في طاعة سعد بن معاذ فيما يحكم بحقهم، فقال أبو لبابة لهم بأن في حكمه الذبح لهم، وكان في ذلك خيانة للرسول ﷺ.

﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ۚ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَـٰكِرِينَ ﴿٣٠﴾﴾.

فاذكر يا محمد ومن معك من المؤمنين حين تآمر عليك المشركون في دار الندوة إما ليحبسوك أو ليقتلوك بالسيف ضربة رجل واحد ليتفرق دمك بين القبائل أو ليخرجوك من مكة، فقد احتالوا وتآمروا عليك يا محمد ولكن ربك دبر لك ما يبطل مكرهم ويفضح أمرهم فكان مكره تعالى أنفذ من مكرهم وأبلغ أثراً. وقد روى الطبري عن ابن عباس بأن إبليس قد حضر اجتماعهم كشيخ من شيوخ العرب وشارك معهم التآمر، فشجعهم على قتل النبي في ضربة واحدة بدلاً من الحبس أو الإخراج من مكة، ولكن الله تعالى أنزل جبريل عليه السلام ليخبره بالأمر ويأمره بالهجرة إلى المدينة، وذكره بهذه الآية بنعمته عليه بعد أن استقر فيها.

﴿وَقَـٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ ۚ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣٩﴾ وَإِن تَوَلَّوْا۟ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَىٰكُمْ ۚ نِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ﴿٤٠﴾﴾.

قاتلوا أيها المؤمنون المشركين حتى ينتهي الشرك من الأرض ويعبد الله تعالى وحده، وحتى لا يبقى إلا دين الإسلام، ولا سيما أن النبي عليه السلام قد قال: (أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله)، واعلموا أنهم إن تخلوا عن الكفر وأسلموا فإن الله تعالى يثيبهم على توبتهم وإسلامهم وإن لم يتخلوا فاعلموا أن الله ناصركم عليهم، فثقوا بنصره ولا تبالوا بمعاداتهم لكم، والله تعالى نعم النصير لكم وهو الذي لا يضيِّع من تولاه.

﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَىْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ ٱلْفُرْقَانِ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤١﴾﴾.

فقد قسم تعالى الغنيمة خمسة أقسام، فأعطى الخمس لمن ذكرهم في الآية والباقي يوزع على الغانمين. والخمس يعطى سهم منه للرسول عليه السلام، وسهم لقرابته

من بني هاشم وبني المطلب، وسهم لليتامى، وسهم للفقراء، وسهم للمنقطع في سفره من المسلمين، فكأن الخمس يقسم على خمسة أسهم يعطى سهم واحد منها لكل جهة من الجهات الخمسة التي ذكرتها الآية.

﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ خَرَجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِم بَطَرًا وَرِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿٤٧﴾﴾.

لا تكونوا أيها المسلمون ككفار قريش حين خرجوا ببدر تكبراً وتفاخراً حيث قال أبو جهل: والله لا نرجع حتى نرد بدراً، فنشرب فيها الخمور وننحر الجزور وتعزف علينا القيان (أي المغنيات) وتسمع بنا العرب، فلا يزالون يهابوننا أبداً. وبالفعل ـ كما قال الطبري ـ قد سقوا كؤوس المنايا بدلاً من الخمر وناحت عليهم النوائح بدلاً من القيان.

﴿وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَٱنۢبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْخَآئِنِينَ﴾ [٥٨].

فإذا أحسست يا محمد، وكل ولي أمر من المسلمين، من قوم معاهدين خيانة للعهد ونكثاً بأمارات ظاهرة فاطرح إليهم عهدهم على بينة ووضوح من الأمر، وقل لهم بأنك نبذت إليهم عهدهم وأنك مقاتلهم، فتكون أنت وهم في العلم سواء لأنك لو قاتلتهم دون أن تعلن لهم نبذ عهدهم لكان ذلك خيانة وغدراً، والله تعالى لا يحب من لا وفاء عنده ولا عهد.

﴿وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِن شَىْءٍ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٦٠﴾﴾.

فعليكم أيها المؤمنون أن تعدو لقتال أعدائكم كل أشكال القوة المادية مع المعنوية، إذ لا نصر من غير استعداد، وبالخيل الممثلة لزواحف القتال من دبابات وغيرها، فبالقوة بجميع أنواع الرمي كما قال ﷺ: (إنما القوة الرمي)، إنما القوة الرمي، إنما القوة الرمي) يتحقق لكم إخافة أعداء الله وأعدائكم ولا سيما أولئك المنافقين الذين لا تعلمونهم، وتأكدوا بأنه لن تنفقوا من شيء في الجهاد في سبيل الله إلا وتعطون جزاءه كاملاً غير منقوص يوم القيامة.

﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِي ٱلْأَرْضِ ۚ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٧﴾ لَّوْلَا كِتَٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَآ أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٦٨﴾ فَكُلُوا۟ مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَٰلًا طَيِّبًا ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٩﴾﴾.

فقد عاتب سبحانه نبيه ﷺ وأصحابه على أخذ الفداء، إذ لا ينبغي لنبي من الأنبياء أن يأخذ الفداء من الأسرى إلا بعد أن يكثر القتل، فهل تريدون أيها المؤمنون بأخذ الفداء حطام الدنيا ومتاعها الزائل بينما يريد الله تعالى لكم الباقي الدائم وهو ثواب الآخرة، والله تعالى عزيز في ملكه فلا يُغلب وحكيم في تدبير مصالح العباد.

ولولا حكم في الأزل من الله سابق وهو ألا يعذب المخطئ في اجتهاده لأصابكم في أخذ الفداء من الأسرى عذاب عظيم.

فكلوا يا معشر المجاهدين مما أصبتم من أعدائكم من الغنائم لأنه حلال لكم ومن أطيب المكاسب لأنه ثمر جهادكم، واحرصوا على الخوف من الله في جميع أمره ونهيه، فهو سبحانه غفور لمن تاب ورحيم بعباده حيث أباح لهم الغنائم.

من تفسير سورة التوبة [٩]

سورة التوبة مدنية في ١٢٩ آية

﴿بَرَآءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١﴾﴾.

فقد أعلنت السورة البراءة من المشركين ومن عهودهم، فبعد أن أخذ العرب ينقضون العهود التي قطعوها مع الرسول ﷺ أمره تعالى بإلغاء عهودهم إليهم، فبعث أبا بكر أميراً على الحج وأتبعه علياً ليعلم الناس بالبراءة فنادى بأربع:

ألا يقرب البيت الحرام بعد العام مشرك، وألا يطوف بالبيت عريان، وأنه لا يدخل الجنة إلا مسلم، وأنه من كان بينه وبين رسول الله عهد فأجله إلى مدته.

﴿فَسِيحُوا۟ فِي ٱلْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي ٱللَّهِ ۙ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُخْزِي ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢﴾﴾.

فسيروا أيها المشركين آمنين لمدة أربعة أشهر لا يصيبكم منا فيها مكروه، وإياكم أن تتصوروا أنكم تتخلصون منه تعالى مع إمهاله لكم هذه المدة. وتأكدوا أن الله تعالى ينزل الكافرين في الدنيا بالأسر والقتل وفي الآخرة بالعذاب الأليم.

﴿فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَٱحْصُرُوهُمْ وَٱقْعُدُوا۟ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّوا۟ سَبِيلَهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥﴾﴾.

فبعد مرور الأشهر الحرم الأربعة اقتلوهم في أي مكان أو زمان من حلٍّ أو حرم حتى في الأشهر الحرم كما قال ابن عباس، وخذوهم بالأسر واحصروهم واحبسوهم عن التقلب في البلاد، واقعدوا لهم في كل طريق، وارقبوهم في كل ممر يجتازون منه في أسفارهم بكل وسيلة من القتال والاغتيال، وعندما يتخلصون من الشرك ويؤدون الصلاة والزكاة فلا تتعرضوا لهم، واعلموا أن الله تعالى واسع المغفرة والرحمة لمن تاب وأناب.

﴿وَإِن نَّكَثُوٓا۟ أَيْمَٰنَهُم مِّنۢ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا۟ فِى دِينِكُمْ فَقَٰتِلُوٓا۟ أَئِمَّةَ ٱلْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَآ أَيْمَٰنَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنتَهُونَ ﴿١٢﴾﴾.

فإذا نقضوا عهودهم الموثقة بالأيمان، وطعنوا في الإسلام، فقاتلوا رؤساء الكفر لأنه لا أيمان لهم ولا عهود يلتزمون بها، وذلك كي يكفوا عن الإجرام ويتوقفوا عن القدح بالإسلام.

﴿مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُوا۟ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ شَٰهِدِينَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِم بِٱلْكُفْرِ أُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ وَفِى ٱلنَّارِ هُمْ خَٰلِدُونَ ﴿١٧﴾﴾.

لا يستقيم أن يكونوا مشركين وفي الوقت نفسه يعمرون شيئاً من المساجد لعبادة الله تعالى، فهم كفرة تشهد عليهم أقوالهم وأفعالهم بالشرك فكانوا يقولون في تلبيتهم: لبيك لا شريك لك، إلا شريكاً هو لك، تملكه وما ملك. وهم يقصدون الأصنام، فشركهم هذا يبطل أعمالهم وينتهون إلى الجزاء بالخلود في جهنم.

﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَجَٰهَدَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا يَسْتَوُۥنَ عِندَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩﴾﴾.

فيا معشر المشركين كيف تجعلون سقاية الحجيج وسدانة البيت كالإيمان بالله

والجهاد في سبيله؟ فإن قولك يا عباس بن عبد المطلب بأنكم تعمرون المسجد الحرام وتسقون الحجاج وإن كان المسلمون قد سبقوكم بالإسلام والهجرة مردود عليكم، لأن الفخر يكون بالإيمان بالله واليوم الآخر والجهاد في سبيل الله تعالى، ذلك لأن التساوي مستحيل بين المشركين والمؤمنين لا من حيث الإيمان ولا صالح الأعمال..

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَابَآءَكُمۡ وَإِخۡوَٰنَكُمۡ أَوۡلِيَآءَ إِنِ ٱسۡتَحَبُّواْ ٱلۡكُفۡرَ عَلَى ٱلۡإِيمَٰنِۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ٢٣﴾.

فيا مؤمنون لا تتخذوا آباءكم وإخوانكم الكافرين أنصاراً وأعواناً تحبونهم إن فضلوا الكفر على الإيمان وأصروا عليه؛ لأن من يتولهم هو مشرك مثلهم لأنه رضي بالشرك، وكان ذلك عندما يهب المؤمن للهجرة يتعلق به أقاربه من آباء وإخوة ليبقى معهم ولا يهاجر فيبقى، مع أن التشديد كان على الهجرة لا البقاء.

﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُوٓاْ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗاۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ سُبۡحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾ [٣١].

فقد أطاع اليهود أحبارهم وأطاع النصارى رهبانهم في التحليل والتحريم وتركوا أمر الله فكأنهم عبدوهم من دون الله، فهم قد أطاعوهم كما يطاع الرب وإن كانوا لم يعبدوهم. وقد سئل الرسول ﷺ عن ذلك فقال: (أليس يحرمون ما أحل الله تعالى فيحرمونه ويحلون ما حرم الله فيستحلونه؟) فقيل: بلى، فقال: (فذلك عبادتهم).

﴿إِنَّمَا ٱلنَّسِيٓءُ زِيَادَةٞ فِي ٱلۡكُفۡرِۖ يُضَلُّ بِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُحِلُّونَهُۥ عَامٗا وَيُحَرِّمُونَهُۥ عَامٗا لِّيُوَاطِـُٔواْ عِدَّةَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ فَيُحِلُّواْ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُۚ زُيِّنَ لَهُمۡ سُوٓءُ أَعۡمَٰلِهِمۡۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٣٧﴾.

فقد كان العرب في الجاهلية يؤخرون شهراً لكي يأتي مناسباً للتحريم أو يؤخرونه شهراً ليناسب للتحليل حسب الشهور الحرم، وفي هذه الآية تبين أن تأخير حرمة شهر لشهر آخر هو زيادة في الكفر لأنه تحريم ما أحله الله وتحليل ما حرمه فهو كفر آخر بالإضافة لكفرهم، وفي هذه العملية من التأخير يضل الكافرون ضلالاً

فوق ضلالهم لأنهم يحلون المحرم عاماً والشهر الحلال عاماً فيجعلون كلاً منهما مكان الآخر وبالعكس وذلك لكي يوافقوا عدة الأشهر الحرم الأربعة فيستحلوا بذلك ما حرمه الله استجابة لأهوائهم التي ظنوها حسنة وما هي إلا من سيئاتهم مع كفرهم.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلْتُمْ إِلَى ٱلْأَرْضِ ۚ أَرَضِيتُم بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مِنَ ٱلْـَٔاخِرَةِ ۚ فَمَا مَتَـٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٣٨﴾﴾.

ما لكم أيها المؤمنون تتباطأون في الخروج للجهاد عندما دعيتم إليه في غزوة تبوك، فهل ملتم إلى الدنيا وشهواتها ومتاعها الزائل بدلاً من نعيم الآخرة وثوابها الدائم؟ واعلموا أن متاع الدنيا ولذائذها قليل وحقير بجانب متاع الآخرة.

﴿لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَّٱتَّبَعُوكَ وَلَـٰكِنۢ بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ ٱلشُّقَّةُ ۚ وَسَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَوِ ٱسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنفُسَهُمْ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَـٰذِبُونَ ﴿٤٢﴾﴾.

فلو كان ما دُعوا إليه مغنماً قريباً سهلاً وسفراً وسطاً ليس ببعيد لخرجوا معك طمعاً في الغنيمة ولكن بعد المسافة وصعوبتها جعلهم يعتذرون عن الخروج بسبب ما تطويه قلوبهم من النفاق، وسيحلفون لكم معتذرين بأعذار كاذبة بأنهم لو قدروا على الخروج لخرجوا سواء من حيث قلة الأموال أو ضعف الأبدان، وهم بكذبهم يهلكون أنفسهم لأن الله تعالى عالم بكذبهم واستطاعتهم الخروج.

﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ٱئْذَن لِّى وَلَا تَفْتِنِّىٓ ۚ أَلَا فِى ٱلْفِتْنَةِ سَقَطُوا۟ ۗ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٤٩﴾﴾.

وقد قالها أمجد بن قيس حين دعاه الرسول ﷺ لمحاربة بني الأصفر فقال: يا رسول الله، ائذن لي في القعود عن الجهاد ولا تفتني بالنساء بحجة أن جمال نساء الرومان يفتنه مع أنه في الحقيقة قد سقط في الفتنة عندما قصد الفرار من الجهاد، فعليهم أن يدركوا بأنه لا مفر لهم من جهنم لأنها تحيط بهم من كل جانب.

هذا وقد برز المنافقون في موقعة تبوك لبعدها أكثر من أي وقت مضى ولذلك نجد الكثير من الآيات هنا تتحدث عنهم وعن قبيح أفعالهم.

﴿وَمِنْهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلنَّبِىَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ ۚ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ ۚ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [٦١].

فمن المنافقين من كانوا يؤذون الرسول بأقوالهم وأفعالهم، ويقولون بأنه يصدّق بكل خبر يسمعه، وكأنهم يصفونه بالسذاجة، فيأمرهم تعالى بأن يقولوا أنه أذن خير لا أذن شر، فهو يسمع الخير ويعمل به ولا يعمل بالشر إذا سمعه، وهو يصدّق الله فيما يقول ويصدّق المؤمنين فيما يخبرونه به لإخلاصهم، وهو عليه السلام رحمة للمؤمنين لأنه سبب إيمانهم، فالذين يطعنون في الرسول لهم عذاب أليم في الآخرة، كما لهم ما يراه الإمام من العقوبة في الدنيا.

﴿أَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ أَنَّهُۥ مَن يُحَادِدِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَأَنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدًا فِيهَاۚ ذَٰلِكَ ٱلْخِزْىُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٣﴾﴾.

ألم يعلم هؤلاء المنافقون بأن من يعادي الله ورسوله فقد استحق دخول جهنم والخلود فيها.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْۚ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٧٣﴾ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ مَا قَالُواْ وَلَقَدْ قَالُواْ كَلِمَةَ ٱلْكُفْرِ وَكَفَرُواْ بَعْدَ إِسْلَٰمِهِمْ وَهَمُّواْ بِمَا لَمْ يَنَالُواْۚ وَمَا نَقَمُوٓاْ إِلَّآ أَنْ أَغْنَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ مِن فَضْلِهِۦۚ فَإِن يَتُوبُواْ يَكُ خَيْرًا لَّهُمْۖ وَإِن يَتَوَلَّوْاْ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِۚ وَمَا لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٧٤﴾﴾.

فقد قال ابن عباس: جاهد الكفار بالسيف والمنافقين باللسان، ولكن اشدد عليهم بالقتال والإرعاب ناهيك عن مسكنهم جهنم فبئس ما يصيرون إليه يوم الدين.

وقد ظهر من المنافقين أسلوب اللجوء للحلف لنفي ما نسب إليهم من الطعن بالرسول وبالمؤمنين عندما قال ابن أبي بن سلول: سمّن كلبك يأكلك، فكشفهم تعالى بأنهم قالوا بالكفر عندما قال ابن سلول ﴿لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّۚ﴾ [المنافقون: ٨] وأظهروا الكفر بذلك بعد إظهار الإسلام، هذا بالإضافة لما فعله نفر منهم عندما همّوا بقتل الرسول ﷺ عند عودته من تبوك وكانوا أقل من عشرين رجلاً، فما الذي عابوه على الرسول ﷺ حتى يفكروا بذلك؟

لقد لمسوا بركته عليه السلام عندما أغناهم تعالى ببركته. فما عليهم إلا أن يتوبوا عن النفاق بالتوبة الصادقة، وإلا فإنهم سيتعرضون للعذاب في الدنيا بالقتل وفي الآخرة بالنار دون أن يجدوا من ينقذهم من ذلك أو يشفع لهم.

﴿فَرِحَ ٱلْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَٰفَ رَسُولِ ٱللَّهِ وَكَرِهُوٓاْ أَن يُجَٰهِدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَالُواْ لَا تَنفِرُواْ فِى ٱلْحَرِّۗ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّاۚ لَّوْ كَانُواْ يَفْقَهُونَ ﴿٨١﴾﴾.

فقد فرح المنافقون الذين تخلفوا عن رسول الله في غزوة تبوك وذلك بقعودهم بعد خروجه مخلفين له حين سار وأقاموا، فقد كرهوا الخروج للجهاد طلباً للراحة وحرصاً على الغنى والمال بسبب كفرهم ونفاقهم، حتى قال بعضهم لبعض: لا تخرجوا في الحر للجهاد، ونسوا بأن نار جهنم التي سينتهون إليها برفضهم للجهاد أشد حراً من حر الدنيا مهما كان شديداً، فهذا زائل وذاك دائم، ولو كانوا يدركون شناعة فعلتهم ومصيرهم لنفروا مع الرسول ﷺ مهما كان حر الدنيا شديداً لينقذوا أنفسهم من حر جهنم.

﴿وَجَآءَ ٱلْمُعَذِّرُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ وَقَعَدَ ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۚ سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٩٠﴾﴾.

فقد جاء المعتذرون من الأعراب الذين تخلفوا عن الجهاد بما انتحلوه من الأعذار لترك الجهاد، وهم أسد وغطفان الذين اعتذروا بالجهد وكثرة العيال فقعدوا مع المكذبين لله ورسوله في الإيمان لينالهم عذاب أليم بالقتل والأسر في الدنيا، والنار في الآخرة.

﴿وَمِنَ ٱلْأَعْرَابِ مَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ قُرُبَـٰتٍ عِندَ ٱللَّهِ وَصَلَوَٰتِ ٱلرَّسُولِ ۚ أَلَآ إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَّهُمْ ۚ سَيُدْخِلُهُمُ ٱللَّهُ فِى رَحْمَتِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩٩﴾﴾.

ولكن من الأعراب من يصدق بوحدانية الله وبالقيامة بعكس أولئك المنافقين، فهو ينفق في سبيل الله طلباً لرضاه ولدعاء الرسول واستغفاره له، فلا شك أن هذا الإنفاق يقربهم لنيل رضى الله تعالى، فيدخلهم في جنته التي أعدها للمؤمنين ويشملهم بمغفرته.

﴿وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ مُنَـٰفِقُونَ ۖ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ ۖ مَرَدُوا۟ عَلَى ٱلنِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ ۖ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ ۚ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ ﴿١٠١﴾﴾.

وفي هذه الآيات دليل على وجود فئتين من الأعراب: فئة المنافقين وفئة المؤمنين، وكانتا خارج المدينة، كما أن منهم فئة المنافقين وفئة المؤمنين ممن كانوا داخل المدينة.

﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًۢا بَيْنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ مِن قَبْلُ ۚ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّا ٱلْحُسْنَىٰ ۖ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَـٰذِبُونَ ﴿١٠٧﴾ لَا تَقُمْ

فِيهِ أَبَدًاۚ لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِۚ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْۚ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ ﴿١٠٨﴾﴾.

ومن المنافقين فئة بالغت في الإجرام حتى بنوا مسجداً لتدبير المكائد ضد المسلمين سُمي مسجد الضرار كان لنصرة كفرهم وتفريق شمل المؤمنين وصرفهم عن مسجد قباء، وانتظاراً لقدوم أبي عامر الفاسق المتآمر ضد الرسول ﷺ وهو الذي أمرهم ببناء المسجد ليكون معقلاً لهم، وكانوا يحلفون بأنهم أرادوا ببنائه الخير، والله تعالى يعلم كذبهم فنهى رسوله عن الصلاة فيه، وليستمر في الصلاة في مسجد قباء الذي بني على تقوى الله وطاعته من أول يوم مما يجعله أولى بالصلاة فيه ولا سيما أن فيه رجالاً أغنياء هم الأنصار يحبون التطهر من الذنوب والله يحبهم في ذلك.

﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْۚ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٧﴾﴾.

فقد تاب الله تعالى على النبي لأنه أذن للمنافقين في التخلف في غزوة تبوك، كما تاب تعالى على المهاجرين والأنصار لما حصل منهم من تباطؤ بعضهم وتثاقل آخرين عن الجهاد، وهم الذين تابوا مما وقع منهم وأنابوا إلى ربهم وقبل تعالى توبتهم، مما يجزم أنه ما من مؤمن إلا وهو محتاج إلى التوبة والاستغفار حتى النبي والمهاجرون والأنصار.

فقد روى الطبري أن أبا بكر قد طلب من النبي الدعاء لربه لينقذهم من شدة العطش، فدعا عليه السلام فنزل المطر وملأوا ما معهم.

﴿وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوٓاْ أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١١٨﴾﴾.

وكذلك شملت التوبة المتبوعة أولئك الثلاثة الذين تخلفوا عن غزوة تبوك وهم كعب بن مالك وهلال بن أمية ومرارة بن الربيع، وبعد أمد ضاقت عليهم الأرض مع شعبها وضاقت نفوسهم بما لحقها من غم وهم وذلك بعد أن أمر الرسول ﷺ بمقاطعتهم من كل الناس والأقارب حتى زوجاتهم فأيقنوا أنه لا خلاص لهم من

عذاب الله إلا باللجوء إليه وقبول توبتهم، وهكذا كان بعد مرور خمسين يوماً على حالهم، وفي هذا عبرة أي عبرة، وأن لولي الأمر الصلاحية بمعاقبة من يتخلف عن طاعة الله ورسوله المتمثلة بطاعة أمير الجماعة، وأن يجعل في هذه العقوبة ما يعينهم على التوبة والإنابة.

من تفسير سورة يونس [١٠]

سورة يونس مكية في ١٠٩ آيات

﴿۞وَلَوْ يُعَجِّلُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ ٱلشَّرَّ ٱسْتِعْجَالَهُم بِٱلْخَيْرِ لَقُضِىَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ ۖ فَنَذَرُ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١١﴾﴾.

وهذا عندما يدعو الرجل على نفسه أو ولده إذا غضب بالهلاك أو عدم التوفيق، فلو يعجل الله إجابة هذا الدعاء كاستعجاله لهم في الخير إذا دعوه به لهلكوا وتعسوا، ولذلك فإن الله تعالى يترك المكذبين بالبعث في تمردهم وعصيانهم ويفيض عليهم بالنعم من باب الاستدراج والإمهال لتلزمهم الحجة.

وفي هذه الآية تحذير من الإنسان رجلاً أو امرأة، لكي يتجنب الدعاء على نفسه وولده..

﴿وَمَا كَانَ ٱلنَّاسُ إِلَّآ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَٱخْتَلَفُوا۟ ۚ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٩﴾﴾.

فقد مكث الناس طيلة عشرة قرون ما بين آدم ونوح عليهما السلام وهم على دين الفطرة، دين الإسلام والتوحيد، ثم اختلفوا في دينهم وتفرقوا إلى شيع عديدة كما قال ابن عباس، ثم عبدت الأوثان فبعث الله الرسل مبشرين ومنذرين، ولولا قضاء الله تعالى بتأخير الجزاء إلى يوم القيامة لعجل عقابهم في الدنيا لاختلافهم في الدين.

﴿وَٱللَّهُ يَدْعُوٓا۟ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَـٰمِ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢٥﴾﴾.

فالله تعالى يدعو الناس إلى الجنة دار السرور والإقامة فيصل من يوفقه تعالى للأخذ بهدايته إلى الطريق المستقيم وهو دين الإسلام.

﴿أَفَمَن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّىٓ إِلَّآ أَن يُهْدَىٰ ۖ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ [٣٥].

أفمن يرشد إلى الحق وهو الله سبحانه أحق بالاتباع أم هذه الأصنام التي لا تهدي أحداً؟ بل لا تستطيع حتى هداية نفسها فضلاً عن هداية غيرها؟ فكيف تسوون أيها المشركون بين الأصنام ورب الأرباب وتصدرون هذا الحكم الباطل؟!.

﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولٌ ۖ فَإِذَا جَآءَ رَسُولُهُمْ قُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [٤٧].

فكل أمة من الأمم لها رسولها الذي أرسل لهدايتهم، فإذا جاء يوم القيامة قضى بينهم بالعدل، فكل أمة تحاسب بحضرة رسولها يوم القيامة، وبحضرة كتاب أعمالها، وبحضرة حفظتها من الملائكة يشهدون عليها، فينالون جزاءهم العادل إذ لا يعذب أحد من غير ذنب.

﴿قُلْ أَرَءَيْتُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ لَكُم مِّن رِّزْقٍ فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلَـٰلًا قُلْ ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ ۖ أَمْ عَلَى ٱللَّهِ تَفْتَرُونَ ﴿٥٩﴾﴾.

فاطلب من المشركين يا محمد أن يخبروك عما خلقه الله تعالى لهم من الرزق الحلال فحرموا بعضه وأحلوا بعضه، كالبحيرة والسائبة والميتة، فمن أين جاؤوا بهذا الإذن، هل أذن لهم الله بالتحليل والتحريم فهم مطيعون له أم هو مجرد افتراء على الله تعالى؟

﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَٱجْعَلُوا۟ بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٧﴾﴾.

فقد أوحى تعالى إلى موسى وهارون أن يتخذا بيوتاً للصلاة ويجعلاها مصلى يصلون فيها بسبب الخوف، وأدوا الصلاة المفروضة في أوقاتها وبشروطها وأركانها، وبشر يا موسى أتباعك من المؤمنين بالنصر والفوز على عدوهم.

﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَـَٔامَنَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ۚ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا۟

مُؤْمِنِينَ ﴿٩٩﴾ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَيَجْعَلُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٠٠﴾﴾.

فلو قضى الله تعالى وقدر أن يؤمن كل الناس لآمنوا، فالمشيئة هنا بمعنى القضاء والقدر، ولكنه سبحانه لم يقض ولم يقدر، فهو سبحانه يريد من عباده إيمان الاختيار لا إيمان الإكراه والإجبار، فهل تكره الناس يا محمد على الإيمان؟ فليس ذلك إليك، واعلم أن أحداً لن يؤمن رغماً عن الله تعالى وأن العذاب على من لا يستعملون عقولهم فيما ينفعهم. فإذنه تعالى بالإيمان يعني سماحه به دون جبر عليه ولا إكراه.

من تفسير سورة هود [١١]

سورة هود مكية في ١٢٣ آية

﴿أَلَآ إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُوا۟ مِنْهُ ۚ أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٥﴾﴾.

فقد نزلت في الأخنس بن شريق كما قال ابن عباس، فكان الأخنس يجالس رسول الله ﷺ ويقسم له بأنه يحبه وهو يضمر عكس ذلك، كما أنها تشمل عداوة المشركين للنبي والمؤمنين، فهم حين يستخفون في ذلك من الله حين يتغطون بثيابهم يظنون أنهم يخفون عن الله تعالى وهو سبحانه العالم بما يبطنون وما يظهرون لأنه عالم بكل ما في القلوب.

﴿فَلَعَلَّكَ تَارِكٌۢ بَعْضَ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ وَضَآئِقٌۢ بِهِۦ صَدْرُكَ أَن يَقُولُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ كَنزٌ أَوْ جَآءَ مَعَهُۥ مَلَكٌ ۚ إِنَّمَآ أَنتَ نَذِيرٌ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٢﴾﴾.

فقد كان المشركون يقترحون أن يأتيهم الرسول ﷺ بكنز أو يأتي معه ملك، وكانوا يسخرون من القرآن، فقال تعالى للنبي: فهل تترك يا محمد بعض ما أنزله

إليك ربك؟ وعندها لا تبلغهم إياه بسبب استهزائهم، وذلك لأن صدرك يضيق من تبليغهم خشية التكذيب، فاحرص يا محمد على التبليغ ولا تبال بمعاداتهم، فإن طلبوا أن ينزل عليك مال كثير أو يأتي معك من يصدقك فيما نزل إليك فاعلم يا محمد وأعلمهم بأن مهمتك هي الإنذار والتخويف من عذاب الله لمن يرفض الإيمان والطاعة. .

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمۡرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ قُلۡنَا ٱحۡمِلۡ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوۡجَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِ وَأَهۡلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيۡهِ ٱلۡقَوۡلُ وَمَنۡ ءَامَنَۚ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٞ ۝٤٠﴾.

فعندما حان موعد الطوفان وفار الماء من التنور الذي توقد فيه النار أمر تعالى نوحاً أن يركب في السفينة هو ومن معه من المؤمنين وأمره أن يحمل معه من كل صنف من المخلوقات اثنين ذكراً وأنثى وكذلك قرابته من الأولاد والنساء إلا من حكم الله بهلاكهم، وهم ابنه الكافر كنعان وزوجته واعلة، وأن يحمل معه المؤمنين من أتباعه وإن كان عددهم قليلاً بالرغم من طول إقامته فيهم، إذ مكث تسعمائة وخمسين عاماً. وقال ابن عباس بأنهم كانوا ثمانين نفساً بما فيهم نساؤهم وإن قيل غير ذلك.

﴿تِلۡكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلۡغَيۡبِ نُوحِيهَآ إِلَيۡكَۖ مَا كُنتَ تَعۡلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوۡمُكَ مِن قَبۡلِ هَٰذَاۖ فَٱصۡبِرۡۖ إِنَّ ٱلۡعَٰقِبَةَ لِلۡمُتَّقِينَ ۝٤٩﴾.

فهذه القصة وأشباهها من الغيب السالف التي لم تعلمها يا محمد والله هو الذي يعلمك بها بالوحي بعد أن كنت أنت وكل قومك لا تعلمون شيئاً منها، واصبر يا محمد على أمر الله بتبليغ الدعوة كما صبر نوح، واعلم أن العاقبة المحمودة لمن اتقى الله وأطاعه.

فقد أراد تعالى بمثل هذه القصة أن يسلّي رسوله لما يلاقيه من إعراض قومه وتعذيبهم له. .

﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمۡ صَٰلِحٗاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥۖ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ وَٱسۡتَعۡمَرَكُمۡ فِيهَا فَٱسۡتَغۡفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِۚ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٞ مُّجِيبٞ ۝٦١﴾.

فقد أرسل تعالى إلى قوم ثمود نبياً منهم وهو صالح عليه السلام، فقال لهم أن يعبدوا الله وحده لأنه لا معبود لهم سواه، وهو تعالى الذي بدأ خلق البشر من الأرض

عندما خلق منها آدم عليه السلام ثم خلق ذريته من نطف الأزواج وجعلهم عمار الأرض وسكانها، وما عليهم إلا طلب المغفرة مما كانوا عليه من الشرك ثم يعودون إلى الله تعالى بالطاعة لأنه سبحانه قريب الرحمة مجيب الدعاء.

﴿وَيَٰقَوْمِ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّى عَٰمِلٌ ۖ سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَٰذِبٌ ۖ وَٱرْتَقِبُوٓا۟ إِنِّى مَعَكُمْ رَقِيبٌ ﴿٩٣﴾﴾.

فقد خاطب شعيب عليه السلام وهو خطيب الأنبياء بلغة التهديد الشديد أن استمروا على طريقتكم وأنا سأستمر على طريقتي، فأنتم تثبتون على الكفر وأنا ثابت على الإيمان، وعندها ستعلمون من الذي يأتيه العذاب المخزي، وتعلمون من هو الكاذب فينا، فانتظروا عاقبة أمركم فإني منتظر معكم.

﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُوا۟ فَفِى ٱلنَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴿١٠٦﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٠٧﴾﴾.

فهم خالدون في النار خلوداً أبدياً، وما ذكر السموات والأرض إلا من باب التأبيد، وأما مشيئة الله فهو استثناء للمؤمنين العصاة الذين يتطهرون بالنار ثم يخرجون إلى الجنة.

من تفسير سورة يوسف [١٢]

سورة يوسف مكية في ١١١ آية

﴿إِذْ قَالُوا۟ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [٨].

فقد أقسم إخوة يوسف العشرة بأن أباهم يعقوب عليه السلام يحب أخويهم يوسف وبنيامين أكثر منهم العشرة مع أنهم الأكثرية، بغض النظر عن كونهما من الزوجة الثانية وليس من أمهم، وأن هذا يوقع أباهم في خطأ واضح، وأنه لابد من التخلص من ذلك إما بقتل يوسف أو إلقائه في أرض بعيدة ﴿ٱقْتُلُوا۟ يُوسُفَ أَوِ ٱطْرَحُوهُ

أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا۟ مِنۢ بَعْدِهِۦ قَوْمًا صَٰلِحِينَ ﴿٩﴾﴾ بأن يتوبوا من فعلتهم بعدها ليصبحوا مرضيين من الله ومن أبيهم.

﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمْرِهِمْ هَٰذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [١٥].

فقد أوحى تعالى ليوسف بأن يخبر إخوته بفعلتهم هذه ضده دون أن يتنبهوا أنه يوسف، فكان ذلك تسكين لنفسه وتطمين بأنه سيتخلص من هذه المحنة.

﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٢٢﴾﴾.

فعندما بلغ كامل قوته ونموه مع السن الثلاثين أعطاه تعالى الحكمة والفقه في الدين، وهذا ما جرت عليه سنة الله تعالى في خلقه مع المحسنين في أعمالهم.

﴿وَرَٰوَدَتْهُ ٱلَّتِى هُوَ فِى بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلْأَبْوَٰبَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ ۚ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ رَبِّىٓ أَحْسَنَ مَثْوَاىَ ۖ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ ۖ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦ ۚ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٢٤﴾﴾.

فقد بادرت زوجة العزيز بمحاولة إغراء يوسف ليواقعها في بيتها، وأقفلت الأبواب كلها عليهما ودعته إلى نفسها، فقال: أعوذ بالله أن أفعل ذلك وأرتكب الفاحشة مع زوجة سيدي الذي أكرمني في بيته وأحسن إليَّ فأخونه في زوجته لأكون ظالماً لنفسي ولسيدي.

ولكنها لشدة هياجها الحيواني عزمت على أن يجامعها، وأما هو فلم يعزم ولقد مال الميل الجبلِّي الطبيعي إليها مجرد ميل توقف عنه عندما حفظه الله تعالى من الفحشاء وعصمه عن مخالطتها، فثبته تعالى على العفة وصرف عنه الفحشاء وأكد ذلك بوصفه تعالى له بأنه ممن أخلصوا لله الطاعة واصطفاهم للرسالة، مما يجزم بُعده عن ذلك كله مهما تطاولت عليه الروايات الإسرائيلية الكاذبة. ولا شك أن في الأدلة الكثيرة من القرآن الكريم ما يؤكد عصمته عليه السلام: فامتناعه الشديد عن الاستجابة لطلبها، ولفراره منها، ولإيثاره السجن على الفاحشة، ولاعتراف امرأة العزيز ببراءته، ولاستغاثته بربه لينجيه من كيد النساء، لإدخاله السجن فعلاً لرفضه لإغراء النساء، ولحرصه على الإقرار ببراءته قبل الخروج من السجن، ولاعتراف النساء مع امرأة العزيز ببراءته أخيراً: فهذه الأدلة العشرة تؤكد براءته عليه السلام من ارتكاب الفاحشة وترد جميع الروايات الإسرائيلية الكاذبة في حقه.

﴿وَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ قَالَ ٱئْتُونِى بِأَخٍ لَّكُم مِّنْ أَبِيكُمْ ۚ أَلَا تَرَوْنَ أَنِّىٓ أُوفِى ٱلْكَيْلَ وَأَنَا۠ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ ﴿٥٩﴾﴾.

فلما جهز إخوته العشرة من أبيه بالطعام والميرة طلب منهم أن يأتوا بأخيهم بنيامين معهم في المرة القادمة وإلا فإنه لن يصدقهم، فهو يتم لهم الكيل بدون أدنى نقص وأنه خير من يكرم الضيوف إذ أكرمهم أتم الإكرام.

﴿قَالُوا۟ فَمَا جَزَٰٓؤُهُۥٓ إِن كُنتُمْ كَـٰذِبِينَ ﴿٧٤﴾ قَالُوا۟ جَزَٰٓؤُهُۥ مَن وُجِدَ فِى رَحْلِهِۦ فَهُوَ جَزَٰٓؤُهُۥ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٧٥﴾﴾.

فعندما أرادوا نفي التهم عن أنفسهم بسرقة صاع الملك أقروا باسترقاق من وجد الصاع في رحله وذلك وفق شريعة يعقوب عليه السلام، وهذا الحكم نسخه الإسلام بقطع يد السارق بدلاً من الاسترقاق.

﴿فَلَمَّا دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ قَالُوا۟ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا ٱلضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَـٰعَةٍ مُّزْجَىٰةٍ فَأَوْفِ لَنَا ٱلْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَجْزِى ٱلْمُتَصَدِّقِينَ ﴿٨٨﴾﴾.

فعندما رجعوا إلى مصر لطلب الميرة والطعام بسبب ما هم عليه من القحط والمجاعة طلبوا من العزيز أن يزودهم بالبيع والشراء بذلك، واعتذروا لهم برداءة عملتهم مع الرجاء أن يوفي لهم الكيل ولا ينقص منه شيئاً بسبب سوء عملتهم، وأن يتصدق في الكيل لهم بإضافة ما يمكنه إضافته لما يستحقونه من الطعام لأن الله تعالى سيجزيه خير الجزاء لتصدقه عليهم.

من تفسير سورة الرعد [١٣]

سورة الرعد مدنية في ٤٣ آية

﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبْلَ ٱلْحَسَنَةِ وَقَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِمُ ٱلْمَثُلَـٰتُ ۗ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ ۖ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٦﴾﴾.

فإن المشركين يستعجلونك يا محمد بالعقوبة قبل الرخاء، فهم يستعجلون ما هُدِّدوا به من عذاب الدنيا من باب الاستهزاء مع أنهم يعرفون ما مضى من عقوبات

أمثالهم من المكذبين، فلماذا لا يعتبرون ولا يتعظون؟ وليعلموا بأن ربك عظيم الصفح عن الناس فلا يعجل لهم العقوبة بالرغم من ظلمهم فهو سبحانه يؤخر عقوبتهم وهو سبحانه شديد العقاب لمن أصر على المعاصي ولم يتب من ذنوبه، وفي هذا جمع بين الحلم والعقوبة ليبقى العبد بين الرجاء والخوف.

﴿ٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تَحۡمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ ٱلۡأَرۡحَامُ وَمَا تَزۡدَادُۖ وَكُلُّ شَيۡءٍ عِندَهُۥ بِمِقۡدَارٍ ۝٨﴾.

فالله تعالى وحده الذي يعلم أحوال ما تحمله كل أنثى في بطنها ليس فقط من الذكورة والأنوثة ولكن أيضاً من حيث الصحة والمرض، والتمام والنقص، والحسن والقبح وغيرها، كما يعلم سبحانه ما تنقص الأرحام بإلقاء الجنين قبل تمامه أو بزيادته عن تسعة أشهر لأن كل شيء من الأشياء عند الله تعالى بقدر محدود لا يتجاوزه.

﴿لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٞ مِّنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ يَحۡفَظُونَهُۥ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡۗ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ سُوٓءٗا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ ۝١١﴾.

فللإنسان ملائكة تتعاقب في حفظه، يأتي بعضهم عقب بعض، كالحرس المترادفين، فمنهم من يحفظه من أمامه ومنهم من ورائه، والكل يحفظه من الأخطار بأمر الله تعالى، وعلى هذا الإنسان أن يعلم بأن الله تعالى لا يزيل نعمة أنعمها على قوم إلا إذا بدلوا ما في نفوسهم وعقولهم من عقائد وأفكار فبدلوا تبعاً لها حياتهم إما من طيب إلى سيئ أو من سيئ إلى طيب، فالأمر في التبديل منوط بالإنسان وتبديله للطاعات إلى معاصٍ أو العكس، وأما إذا قضى الله تعالى وقدر هلاك قوم أو عذابهم فهذا لا يقدر على رده أحد وليس لهم من دون الله تعالى من ولي يدفع عنهم العذاب والبلاء.

﴿وَلَوۡ أَنَّ قُرۡءَانٗا سُيِّرَتۡ بِهِ ٱلۡجِبَالُ أَوۡ قُطِّعَتۡ بِهِ ٱلۡأَرۡضُ أَوۡ كُلِّمَ بِهِ ٱلۡمَوۡتَىٰۗ بَل لِّلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ جَمِيعًاۗ أَفَلَمۡ يَاْيۡـَٔسِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن لَّوۡ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَهَدَى ٱلنَّاسَ جَمِيعٗاۗ وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُواْ قَارِعَةٌ أَوۡ تَحُلُّ قَرِيبٗا مِّن دَارِهِمۡ حَتَّىٰ يَأۡتِيَ وَعۡدُ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخۡلِفُ ٱلۡمِيعَادَ ۝٣١﴾.

فاعلم يا محمد بأنه لو كان هناك كتاب من الكتب المنزلة قد سيرت بتلاوته

الجبال، أو قطعت به الأرض قطعاً، أو خوطب به الموتى حتى أجابوا، لكان هذا الكتاب هو هذا القرآن كامل الهداية والإنذار، ولكنهم ما كانوا ليؤمنوا لشدة غلوهم ومكابرتهم في الضلال والفساد، والله تعالى لم يجبهم لطلبهم بإنزال آيات لأنه سبحانه مالك كل شيء والقادر على كل شيء، فما على المؤمنين إلا اليأس من إيمان هؤلاء الكفار المصرين على كفرهم، كما عليهم أن يعلموا بأنه تعالى لو قضى وقدر هداية أولئك الكفار لهداهم ولكن قضاءه بنى تكليفه على الاختيار، فلهم أن يختاروا الكفر ويتحملوا سوء الجزاء عليه، ولهم أن يختاروا الإيمان ولهم طيب الجزاء عليه، وانظروا أيها المؤمنون إلى ما يصيب كفار مكة من المصائب بسبب سوء أعمالهم وكفرهم سواء كانت تلك المصائب في ديارهم أو قريباً منهم فيفزعون منها، واعلموا أن ذلك سيستمر حتى يظهر الله الإسلام على الشرك ويتحقق فتح مكة، وهذا مما يعد به الله تعالى رسله وأولياءه بالنصر على أعدائه فليطمئنوا لذلك قريباً.

﴿وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمِنَ ٱلْأَحْزَابِ مَن يُنكِرُ بَعْضَهُۥ قُلْ إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ وَلَآ أُشْرِكَ بِهِۦٓ إِلَيْهِ أَدْعُواْ وَإِلَيْهِ مَـَٔابِ ﴿٣٦﴾﴾.

فمن أهل الكتاب من اليهود والنصارى من آمن بك واتبعك يا محمد كعبد الله بن سلام والنجاشي وأصحابه، وهم يفرحون بهذا القرآن لما في كتبهم من الشواهد على صدقه والتبشير به، ومن أهل الأديان الشتى من ينكر القرآن عناداً مع يقينهم بصدقه لموافقته لما معهم، فقل لهم يا محمد بأنك مأمور بعبادة الله تعالى وحده لا شريك له، وأنك تدعو الناس جميعاً لعبادته لأنه سبحانه إليه المرجع والمصير.

﴿أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّا نَأْتِى ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا وَٱللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِۦ وَهُوَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٤١﴾﴾.

فلينظر أولئك المشركون كيف أن الله تعالى يمكّن للرسول وللمؤمنين النصر عليهم ويتحقق بهذا النصر زيادة دار الإسلام ونقص ديارهم، وهذا كله من نصر الله تعالى وحده، لا شريك له، ولا معقب لأمره.

من تفسير سورة إبراهيم [١٤]

سورة إبراهيم مكية في ٥٢ آية

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ۖ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٤﴾﴾.

فقد أرسل تعالى الرسل السابقين كلاً بلغة قومه الذين أرسل إليهم وذلك ليتحقق له بيان شريعة الله لهم بشكل مفهوم فتتم الغاية من الرسالة، لأن مهمة الرسل التبليغ وأما أمر الهداية والضلال فهي إلى الله تعالى، فإن قضى سبحانه وقدر على أمة أو أحد بالهدى أو الضلال فذاك مالا يملك منعه أحد، ولكنه سبحانه قد جعل ذلك كله تكليفاً مبنياً على الاختيار لا الإكراه ولا الفرض ولا الإجبار لينال كل إنسان جزاءه وفقاً لاختياره، وأما ما يخرج عن الاختيار فلا جزاء عليه.

وأما أن الرسل قد أُرسلوا كل بلسان قومه فذاك لأن كلاً منهم كان مرسلاً لقومه فقط وأما الرسول محمد ﷺ فقد أرسل للناس كافة ولكن رسالته لرسوله كانت بالعربية لا لأنه أرسل للعرب خاصة ولكن لأن العرب كانوا أمة الدعوة ليحملوا الرسالة للأمم الأخرى، سواء كان بالعربية أو باللغات الأخرى ليكونوا أمم التبليغ.. وهذا بالطبع مما يحمِّل العرب المسؤولية الكبرى إذ أكرمهم بأن جعل لغة الرسالة الخاتمة بلغتهم وجعل صاحب الرسالة لا يعرف من اللغات إلا لغتهم.

﴿وَقَالَ ٱلشَّيْطَٰنُ لَمَّا قُضِىَ ٱلْأَمْرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ ۖ وَمَا كَانَ لِىَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِى ۖ فَلَا تَلُومُونِى وَلُومُوٓا۟ أَنفُسَكُم ۖ مَّآ أَنَا۠ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَآ أَنتُم بِمُصْرِخِىَّ ۖ إِنِّى كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ ۗ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٢﴾﴾.

فلما فرغ من الحساب، ودخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار وقف إبليس فيهم خطيباً فقال بأن الله قد وعدكم وعداً حقاً بأنه سيثيب المطيع ويعاقب العاصي فوفى لكم وعده، وأما أنا فقد وعدتكم بأنه لا بعث بعد الموت ولا ثواب ولا عقاب على الأعمال ولكني كذبتكم وأخلفتكم الوعد، ولكنني لم يكن لي أي قدرة

أو قهر لأفرض عليكم الكفر والعصيان، وكل ما كان لي هو مجرد دعوتي لكم للضلال بواسطة الوسوسة والتزيين فقمتم بالاستجابة لي باختياركم ومحض إرادتكم، فليس لكم أن تلوموني هذا اليوم ولكن لوموا أنفسكم فإن الذنب ذنبكم والاختيار اختياركم، وما أنا بالقادر على إغاثتكم مما أنتم فيه من العذاب وما أنتم بالقادرين على أن تغيثوني من عذاب الله، وأعلن لهم بأنه كافر بإشراكهم له مع الله في الطاعة، وعليهم أن يتحملوا العذاب الأليم على ذلك.

﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴿٢٧﴾﴾.

فإن الله تعالى يثبت المؤمنين على كلمة التوحيد (لا إله إلا الله) وعلى الإيمان في حياتهم وأما في الآخرة عند سؤال الملكين في القبر فإنه أيضاً يثبتهم على التوحيد والإيمان ولكنه سبحانه لا يهدي الظالمين ممن أصروا على الضلال إلى الهدى فذلك لقدرته تعالى وإرداته.

من تفسير سورة الحجر [١٥]

سورة الحجر مكية في ٩٩ آية

﴿رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْ كَانُوا۟ مُسْلِمِينَ ﴿٢﴾﴾.

ربما تمنى الكفار لو كانوا مسلمين في الدنيا وذلك بعد أن رأوا أهوال يوم القيامة.

﴿وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَظَلُّوا۟ فِيهِ يَعْرُجُونَ ﴿١٤﴾ لَقَالُوٓا۟ إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَٰرُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ ﴿١٥﴾﴾.

ولو فرض أننا أصعدناهم إلى السماء وفتحنا لهم باباً من أبوابها واستمروا في الصعود ومشاهدة الملائكة لقالوا لشدة عنادهم ومكابرتهم بأن أبصارهم قد سدت وخدعت بكل ما تحسه وتراه، وأن ذلك كله من سحر محمد لهم، وهو سحر واضح.

﴿وَأَرْسَلْنَا ٱلرِّيَٰحَ لَوَٰقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَسْقَيْنَٰكُمُوهُ وَمَآ أَنتُمْ لَهُۥ بِخَٰزِنِينَ﴾ [٢٢].

فالرياح تلقح السحاب فيدر الماء، وتلقح الشجر فتظهر أوراقه وأكمامه، وأنزلنا من السماء ماء عذباً، جعلناه لسقي المخلوقات وسقي أرضكم ومواشيكم، وأنتم لستم بقادرين على خزنه وإنما الله تعالى هو الذي يحفظه بقدرته لكي يظهر في العيون والآبار والأنهار ولو شاء الله تعالى لجعله غائراً في الأرض فلا يظهر على وجهها مما يعرضكم للهلاك من العطش.

﴿قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾﴾.

فبعد تكبر إبليس عن السجود تكريماً لآدم طرده تعالى من الجنة فطلب أن يعطى مهلة لحياته إلى يوم القيامة فأعطاه، فقال قولته هذه بأنه بسبب ما خلقتني عليه من الإحساس بالحسد والكبر على آدم فإنني سأقوم بتزيين المعاصي والآثام لذرية آدم حتى أضلهم عن طريق الهدى أجمعين، إلا من استخلصته من عبادك لطاعتك فإنه لا قدرة لي على إغوائه.

هذا وقد تجاهل اللعين الإقرار بأنه خلق على شكل له أن يختار الطاعة أو العصيان، فلم يقرر إلا بالمقدرة التي منحها له تعالى على العصيان.. وهذه القدرة ذات الوجهين هي نفسها التي منحها تعالى بقضائه في خلقه للبشر كما منحها للجن، فكما عصى آدم ربه فغوى فكذلك إبليس عصى ربه فأغوى.

﴿قَالُوٓاْ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ﴿٥٨﴾ إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٩﴾ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ قَدَّرْنَآ إِنَّهَا لَمِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٦٠﴾﴾.

فأجاب الملائكة على إبراهيم عن مهمتهم بأنهم قد أرسلهم تعالى إلى قوم مشركين لإهلاكهم وهم قوم لوط، ولم يستثنوا من الهلاك إلا أتباع لوط والمؤمنين من أهله، ولا يستثنى من ذلك إلا امرأته التي حكم الله تعالى عليها بالعذاب مع مشركي قومها لأنها كانت كافرة مثلهم.

﴿وَإِن كَانَ أَصْحَٰبُ ٱلْأَيْكَةِ لَظَٰلِمِينَ ﴿٧٨﴾ فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ مُّبِينٍ ﴿٧٩﴾﴾.

فأصحاب الأيكة، أي الشجر الكثيف الملتف، وهم قوم شعيب عليه السلام، ظلموا

أنفسهم بتكذيبهم شعيباً وقطعهم الطريق ونقصهم المكيال والميزان، فكانت النتيجة أن أهلكهم تعالى بالرجفة وعذاب الظلة عندما اجتمعوا تحت سحابة لتظلهم من شدة الحر فخرجت منها نار حرقتهم، وانتهى الأمر بقرى قوم لوط وقرى قوم شعيب لنتيجة واحدة، إنها لسبيل واحد هو الهلاك بعذاب الله.

﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَٰبُ ٱلْحِجْرِ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٨٠﴾ وَءَاتَيْنَٰهُمْ ءَايَٰتِنَا فَكَانُوا۟ عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٨١﴾﴾.

وأصحاب الحجر هم قوم ثمود، قوم صالح عليه السلام، والحجر واد يقع بين المدينة والشام وما زالت آثاره مشاهدة حتى الآن.

فقوم ثمود كذبوا صالحاً فكانوا كمن كذب جميع الرسل ما داموا مرسلين برسالة التوحيد والطاعة الواحدة.

﴿فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٩٤﴾ إِنَّا كَفَيْنَٰكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ ﴿٩٥﴾﴾.

فاجهر يا محمد بتبليغ أمر ربك ولا تهتم بما يقوله المشركون فإن الله كافيك يا محمد صناديد قريش العتاة الخمسة وقد قتلوا في بدر فيما بعد.

وكان هذا الأمر بالجهر بالدعوة بعد السنة الثالثة من البعثة، فكان نقلة لها من مرحلة الابتداء السرية إلى مرحلة الانطلاق الجهرية.

من تفسير سورة النحل [١٦]

سورة النحل مكية في ١٢٨ آية

﴿أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١﴾ يُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ أَنْ أَنذِرُوٓا۟ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ ﴿٢﴾﴾.

فقد قرب قيام الساعة فلا تستعجلوا العذاب الذي هددكم به محمد، وقد جاءت (أتى) بصيغة الماضي لقرب وقوع الأمر.

وقد نزه الله تعالى نفسه عما يصفه به المشركون من إشراك الأوثان والأصنام له.

وهو سبحانه ينزل الملائكة بالوحي والنبوة بأمره على من يشاء من الأنبياء والمرسلين، وسمى الوحي روحاً وهو من معاني الروح.

وقد أمر كل نبي ورسول أن ينذر أهل الكفر والشرك بأن يتوقفوا عن كفرهم وشركهم ويعبدوا من لا معبود بحق غيره وهو الله تعالى، وأن عليهم الخوف من عذابه وانتقامه.

﴿وَعَلَى ٱللَّهِ قَصْدُ ٱلسَّبِيلِ وَمِنْهَا جَآئِرٌۚ وَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩﴾﴾.

فالله تعالى وحده هو الذي يبين الطريق المستقيم بما ينزله من وحي، وهذا الطريق وحده هو الذي يوصل من يسلكه إلى جنات النعيم، وأما الطرق الأخرى المائلة عن الحق المنحرفة عنه فإنها لا توصل من يسلكها إلى الله تعالى، وما اليهودية والنصرانية والمجوسية إلا أمثلة من هذه الطرق الجائرة. وليعلم الناس جميعاً أن الله تعالى لو شاء بقضائه وقدره لهدى الناس جميعاً، ولكنه تعالى حكم قضاؤه أن يدع للإنسان حرية الاختيار ليترتب عليه الثواب والعقاب.

﴿قَدْ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَأَتَى ٱللَّهُ بُنْيَٰنَهُم مِّنَ ٱلْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ ٱلسَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ وَأَتَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٦﴾﴾.

فقد مكر المجرمون بأنبيائهم وسعوا لإطفاء نور الله من قبل كفار مكة، فاطمئن يا محمد بأن أولئك كما قلع بنيانهم من قواعده فإنه سيفعل مثله بعتاة مكة، فسيهدم فوقهم سقف بنيان مكرهم وسيرون كيف يجيئهم الهلاك والدمار من حيث لا يخطر على بالهم.

﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ أَمْرُ رَبِّكَۚ كَذَٰلِكَ فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْۚ وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٣٣﴾﴾.

فالذي ينتظره هؤلاء المشركون هو أحد أمرين: إما نزول الموت بهم، أو وقوع عذاب الله العاجل عليهم. فلماذا لا يجدون عبرة فيمن سبقوهم؟ فإن الله تعالى لم يظلمهم بتعذيبهم ولكنهم هم الذين ظلموا أنفسهم بالشرك والمعاصي، فكانت النتيجة ﴿فَأَصَابَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا عَمِلُواْ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٣٤﴾﴾.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَيْءٍ نَّحْنُ وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَيْءٍۚ كَذَٰلِكَ فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْۚ فَهَلْ عَلَى ٱلرُّسُلِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ

﴿٣٥﴾ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٦﴾ إِن تَحْرِصْ عَلَىٰ هُدَاهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَن يُضِلُّ وَمَا لَهُم مِّن نَّاصِرِينَ ﴿٣٧﴾﴾.

فقد قال الكفار والمشركون من كفار قريش بأنه لو شاء الله ما عبدوا الأصنام لا هم ولا آباؤهم، ولا حرموا من شيء، قالوا هذا استهزاء لا إيماناً وهذا التكذيب يماثل ما حصل ممن قبلهم من المجرمين، فقد احتجوا بهذا الاحتجاج الباطل، ونسوا كسبهم لكفرهم ومعاصيهم، وأن ذلك كله كان بمحض اختيارهم بعد أن أنذرتهم رسل الله بعذابه وغضبه، فعليهم أن يدركوا بأن مهمة الرسل محصورة في التبليغ ولا إكراه في الدين والإيمان على أحد، فالهداية بوحي الله بين أيديهم ولهم الخيار بين الأخذ والترك، فالله تعالى أرسل لجميع الخلق الرسل ليعبدوا الله ويوحدوه ويتركوا جميع المعبودات الأخرى، فمنهم من اختار هداية الله تعالى وعبادته، ومنهم من اختار الضلال، فمن استجاب للرسل اختار هدى الله ومن أعرض عنهم اختار الضلال.

فيا مشركي مكة! سيروا في الأرض وانظروا ما حل بالأمم التي كذبت رسلها واعتبروا بذلك، وأنت يا محمد، إن تحرص على هداية هؤلاء الكفار فاعلم أن الله تعالى لا يجبر أحداً على الهدى أو الضلال، ومصير الإنسان يوم القيامة، سعادة أو شقاء مرتبط بحسن الاختيار أو بسوئه، وتأكد أن أحداً لا يجد من ينقذه من عذاب الله تعالى.

﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَّمْلُوكًا لَّا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَمَن رَّزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا هَلْ يَسْتَوُونَ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾﴾.

فقد ضرب الله تعالى هذا المثل لنفسه وللأصنام التي أشركوها مع الله تعالى، فمثل هؤلاء المشركين في اشراكهم مثل من سوّى بين عبد مملوك عاجز عن التصرف وبين حر مالك يتصرف في أمره كيف يشاء، مع أنهما سيان في البشرية والمخلوقية لله سبحانه، فما الظن برب العالمين حيث يشركون به أعجز المخلوقات؟ فالأصنام كالعبد المملوك الذي لا يقدر على شيء، والله تعالى له

الملك وبيده الرزق وهو سبحانه المتصرف في الكون كيف يشاء، فكيف يسوّى بينه وبين الأصنام؟!

فالحمد والشكر لله على بيانه هذا المثال ووضوح الحق، فقد ظهرت الحجة كالشمس الساطعة ولكن المشركين بسفههم وجهلهم يسوون بين الخالق والمخلوق، والمالك والمملوك.

﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا ثُمَّ لَا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾ [٨٤].

فيوم القيامة يحشر الخلائق للحساب، ويبعث في كل أمة نبيها ليشهد عليها بالإيمان والكفر، فلا يطلب منهم أن يسترضوا ربهم بقول أو فعل، فقد فات أوان العتاب والاسترضاء وجاء وقت الحساب والعقاب لأنه ﴿وَإِذَا رَءَا الَّذِينَ ظَلَمُوا الْعَذَابَ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٨٥﴾﴾.

﴿وَأَلْقَوْا إِلَى اللَّهِ يَوْمَئِذٍ السَّلَمَ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٨٧﴾﴾.

فيوم القيامة يستسلم أولئك الظالمون لحكم الله تعالى بعد أن كانوا في الدنيا في استكبار وإباء، وعندها يبطل ما كانوا يؤملون من أن آلهتهم تشفع لهم عند الله.

﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِن يُضِلُّ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ وَلَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾﴾.

فلو أراد الله تعالى بمشيئته لجعلهم على ملة ودين واحد ولكن الله تعالى الذي جعل التكليف للاختيار فإنه سبحانه ترك الواحد منهم لاختياره فإن اختار الضلال فهو المسؤول عن اختياره، وكذلك لو اختار الهدى فله اختياره، والله تعالى سيسأل كل فرد عن اختياره وما أقدم عليه من أعمال.

﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّابِرِينَ﴾ [١٢٦].

فإن عاقبتم المشركين أيها المؤمنون فعاقبوهم بالمثل ولا تزيدوا على ذلك.

وقد نزلت هذه الآية في شأن حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه لما بقر المشركون بطنه يوم أحد فقال النبي ﷺ: (لئن أظفرني الله بهم لأمثلن بسبعين منهم) ولذلك دعاه ربه للصبر والعفو وترك القصاص لأنه الأفضل، فالعقوبة مباحة وتركها أفضل.

من تفسير سورة الإسراء [١٧]

سورة الإسراء مكية في ١٢١ آية

﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا ﴿٨﴾﴾.

وإن عدتم يا بني إسرائيل إلى الإفساد والإجرام عدنا إلى العقوبة والانتقام. وبالفعل فقد عادوا إلى الإفساد ـ كما يقول المرحوم سيد قطب في الظلال ـ فسلط الله عليهم المسلمين فطردوهم من الجزيرة كلها، ثم عادوا إلى الإفساد فسلط الله عليهم عباداً آخرين حتى جاء العصر الحديث فسلط الله عليهم هتلر، وها هم اليوم يعودون إلى الإفساد من جديد بصورة ما يسمونه إسرائيل، ولا شك أن الله تعالى سيسلط عليهم من يسومهم سوء العذاب تصديقاً لوعده القاطع ووفقاً لسنته التي لا تتبدل وإن غداً لناظره قريب.

﴿وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا﴾ [١٣].

فكل إنسان مرهون بعمله ومحاسب عليه، وعمله ملازم له كالقلادة للعنق لا تنفك عنه، ويوم القيامة نظهر له كتاب أعماله مفتوحاً فيه حسناته وسيئاته فيرى عمله مكشوفاً لا يمكن إخفاؤه أو تجاهله، ويكفيه أن يشهد على نفسه من خلال كتابه ﴿اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٤﴾﴾.

وتكون النتيجة ﴿مَّنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۗ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴿١٥﴾﴾.

﴿وَآتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ ۖ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا ﴿٢٧﴾﴾.

فيا من اخترت الإيمان على الكفر والحق على الباطل أعط كل من له قرابة بك حقه من البر والإحسان، كما أعط المسكين المحتاج والغريب المنقطع في سفره حقه أيضاً، وإياك أن تنفق مالك في غير طاعة الله فتكون مبذراً لأن التبذير هو الإنفاق في غير حق، وأما الإنفاق في الحق فليس بتبذير ولو أنفق في ذلك ماله

كله، والمهم ـ كما قال مجاهد وقتادة ـ ألا ينفق في معصية الله مهما كان الإنفاق قليلاً.

وهذا المعنى تؤكده الآية ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴿٢٩﴾﴾ أي احذر من البخل فلا تعط أحداً شيئاً كأنك ربطت يدك إلى عنقك فلم تعد تعطي شيئاً، وفي الوقت نفسه احذر العكس وهو أن تبذر بأن لا يقف عطاؤك عند الحق والحلال بل يتجاوزهما إلى المعصية والحرام، وعندها ستكون مذموماً من الخلق والخالق.

﴿وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۗ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَٰنًا فَلَا يُسْرِف فِّى ٱلْقَتْلِ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورًا ﴿٣٣﴾﴾.

فإياكم أيها المؤمنون أن تقتلوا نفساً محرم قتلها إلا أن يكون مرتداً أو قاتلاً عمداً أو زانياً محصناً، وعند قتله في غير ذلك فقد قتل ظلماً وعندها لوارثه سلطة على القاتل بالقصاص منه أو أخذ الدية أو العفو، ولا يتجاوز ذلك بقتل غير القاتل أو التمثيل فيه أو قتل اثنين بدلاً من واحد.

﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾﴾.

فاحذر يا مسلم أن تتبع مالا تعلم وتثبَّت من كل خبر، واحذر أن تقول رأيت ولم تر، وسمعت ولم تسمع، وعلمت ولم تعلم؛ فإن الله سائلك عن ذلك كله، كما قال قتادة؛ لأن الإنسان سيسأل يوم القيامة عن حواسه من سمع وبصر وغيرهما كما يسأل عن كسب جوارحه وأعماله..

﴿وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِٱلنَّاسِ ۚ وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ وَٱلشَّجَرَةَ ٱلْمَلْعُونَةَ فِى ٱلْقُرْءَانِ ۚ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَٰنًا كَبِيرًا ﴿٦٠﴾﴾.

واذكر يا محمد حين أخبرناك بأن الله تعالى قد أحاط بالناس علماً في الزمن كله فهو تعالى لا يخفى عليه شيء من أحوالهم، وقد علم أنهم لن يؤمنوا ولو أتيتهم بكل ما طلبوا من الآيات والمعجزات، واعلم يا محمد بأن الله تعالى لم يجعل الرؤية العينية التي رأيتها ليلة المعراج من عجائب الأرض والسماء إلا اختباراً لأهل مكة حيث كذبوا وكفروا وارتد بعض الناس.

واعلم كذلك بأن شجرة الزقوم الملعونة في القرآن ما جعلها الله إلا فتنة للناس

حتى قال أبو جهل متهكماً عندما أخبر عنها: هاتوا لنا تمراً وزبداً وجعل يأكل هذا بهذا ويقول: تزقموا فلا نعلم الزقوم غير هذا.

واعلم بأن التخويف للمشركين بأنواع العذاب لا يزيدهم إلا تمادياً في الباطل فلن تنفعهم الآيات ولن تزيدهم إلا استهزاء وضلالاً..

﴿وَٱسْتَفْزِزْ مَنِ ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ وَعِدْهُمْ ۚ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿٦٤﴾﴾.

استفز أيها الشيطان من استطعت من الناس لعمل الفساد مستخدماً جميع أنواع الغواية واللهو، وادعهم بواسطة جميع أعوانك من كل راكب وراجل، واجعل لنفسك شركة في أموالهم وأولادهم فلا يكسبوا مالاً إلا من حرام ولا ينجبوا طفلاً إلا من فجور وزنى، وعدهم الوعود المغرية الكاذبة كالوعد بشفاعة الأصنام والوعد بالغنى، والوعد باللذات والمسرات في ارتكاب الموبقات فكل تلك الوعود من الشيطان ما هي إلا خداع وكذب.

﴿وَإِن كَادُوا۟ لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ لِتَفْتَرِىَ عَلَيْنَا غَيْرَهُۥ ۖ وَإِذًا لَّٱتَّخَذُوكَ خَلِيلًا ﴿٧٣﴾ وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا ﴿٧٤﴾ إِذًا لَّأَذَقْنَٰكَ ضِعْفَ ٱلْحَيَوٰةِ وَضِعْفَ ٱلْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا ﴿٧٥﴾﴾.

فقد حاول المشركون واقتربوا من نجاح المحاولة في أن يصرفوك يا محمد عن بعض ما أوحينا إليك من الأوامر والنواهي لتأتي بغيرها، ولو فعلت ما أرادوا لاتخذوك صاحباً لهم: فقد ساوموه عليه السلام أن يعبدوا إلهه مقابل التخلي عن التنديد بآلهتهم، وساوموه على أن يحرم أرضهم كالبيت العتيق، وساوموه على مجلس خاص بهم دون الفقراء، فعصمه الله تعالى من كل مساوماتهم وشرورهم بعد أن كاد يميل إليهم ويسايرهم، ولو فعل شيئاً من ذلك لضاعف الله له العذاب في الدنيا والآخرة، وهكذا امتنع من الركون إليهم لعصمته تعالى وتثبيته له لأنه لو فعل شيئاً من ذلك لما وجد من يدفع عنه عذاب الله ولا ينصره عليهم.

﴿وَإِن كَادُوا۟ لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ ٱلْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا ۖ وَإِذًا لَّا يَلْبَثُونَ خِلَٰفَكَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٧٦﴾ سُنَّةَ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَا ۖ وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا ﴿٧٧﴾﴾.

وقد حاول المشركون بمكرهم أن يخرجوك يا محمد من أرض مكة، وعندها لو

فعلوا ذلك لما مكثوا بعد خروجك إلا زمناً يسيراً وذلك وفق سنة الله التي لا تتبدل مع من يخرجون رسلهم من أوطانهم. ولكن الله منعهم من إخراجه عليه السلام حين أمره بالخروج إلى المدينة، ولو نجحوا في إخراجه عليه السلام لأي بلد آخر سواء كان الشام أو غيره لأهلكهم الله تعالى لأن هذه هي سنة الله في إهلاك كل أمة أخرجت رسولها من بينهم.

﴿فَأَرَادَ أَن يَسْتَفِزَّهُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ فَأَغْرَقْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ جَمِيعًا ﴿١٠٣﴾﴾.

فقد عزم فرعون أن يخرج موسى وقومه من أرض مصر فأغرقهم الله تعالى جميعاً في البحر، مما يؤكد هذه السنة الإلهية في حق كل قوم يفعلون ذلك بحق رسولهم.

فماذا كانت النتيجة؟ ﴿وَقُلْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ لِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱسْكُنُوا۟ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْءَاخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا ﴿١٠٤﴾﴾ أي أمر تعالى بني إسرائيل من بعد إغراق فرعون وجنده بالسكن في أرض مصر حتى إذا جاء يوم القيامة بعثهم من قبورهم إلى المحشر مختلطين فيهم المؤمن والكافر ثم يفصل بين السعداء والأشقياء.

من تفسير سورة الكهف [١٨]

سورة الكهف مكية في ١١٠ آيات

﴿فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَسَفًا ﴿٦﴾﴾.

فلعلك يا محمد قاتل نفسك ومهلكها غماً وحزناً على إعراضهم عن الإيمان إن لم يؤمنوا بهذا القرآن حسرة وأسفاً عليهم، فإنهم لا يستحقون أن تأسف وتحزن عليهم.

﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴿٧﴾ وَإِنَّا لَجَٰعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا ﴿٨﴾﴾.

فاطمئن يا محمد بأن الله قد جعل ما على الأرض من زخارف ومتاع زينة للأرض كما زين السماء بالكواكب، وما ذلك كله إلا ليختبر الخلق وإظهار مدى

طاعتهم لله وحسن عملهم لآخرتهم، وسنجعل كل هذه الزينة مجرد حطام حتى تصبح الأرض جرداء لا نبات فيها ولا حياة بعد أن كانت خضراء، فلا تهتم يا محمد للدنيا وأهلها فهي مجرد اختبار لهم، فمن يتوب ويؤمن فقد فاز ومن عمي وكفر فقد خاب، فلا تهتم بكفرهم فجزاؤهم بانتظارهم.

﴿إِذْ أَوَى ٱلْفِتْيَةُ إِلَى ٱلْكَهْفِ فَقَالُواْ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴿١٠﴾ فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ فِى ٱلْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ﴿١١﴾ ثُمَّ بَعَثْنَٰهُمْ لِنَعْلَمَ أَىُّ ٱلْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوٓاْ أَمَدًا ﴿١٢﴾﴾.

فاذكر يا محمد قصة أصحاب الكهف حين التجأ الشبان إلى الغار في الجبل كمأوى لهم، ودعوا إلى الله تعالى أن يغفر لهم ويصلح أمورهم ويجعلهم من الراشدين، فألقى تعالى عليهم النوم في الغار فناموا سنين عديدة ثم أيقظهم سبحانه من بعد نومهم الطويل ليظهر أي الفريقين أعرف بالمدة التي ناموها في الكهف فاختلفوا إذ قال بعضهم: يوماً أو بعض يوم وقال آخرون: إن الله أعلم بذلك.

ويذكر المفسرون أن دقيانوس الملك الجبار فيما بعد عيسى عليه السلام قد سيطر على بلدة طرطوس من بلاد الروم وأمر الناس بعبادة الأصنام وقتل كل من لا يفعل ذلك، فهرب أولئك الفتية ليلاً ولجأوا إلى كهف في الجبل ليختفوا فيه، فسد عليهم ذلك الجبار الكهف بالحجارة ليموتوا جوعاً، فمكثوا نائمين ثلاثمائة وتسع سنين حتى أيقظهم الله تعالى ليكتشفوا أن الجبار قد مات وأن الحاكم الجديد مؤمن صالح، ثم ألقي عليهم النوم ثانية ليبقوا عبرة للناس.

﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴿٢٨﴾﴾.

فاحبس نفسك يا محمد مع الضعفاء والفقراء من المسلمين الذين يدعون الله صباح مساء ابتغاء وجهه تعالى ولا تصرف نظرك إلى غيرهم من ذوي الغنى والشرف من أمثال عيينة بن حصن وأصحابه على أمل أن يؤمنوا هم وأتباعهم بحجة أن إبعادهم أو تخصيص أولئك الزعماء بمجلس لهم يجعلهم هم وأتباعهم يؤمنون، فمال الرسول ﷺ ليجيب طلبهم فنزلت الآية فامتنع عليه السلام من الاستجابة

لِطلبهم والتمس الفقراء وقال لهم: (الحمد لله الذي جعل في أمتي من أمرني ربي أن أصبر نفسي معهم).

﴿ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾ [٤٦].

فالأموال والأولاد زينة هذه الحياة الدنيا الفانية، فهي وكل زينتها إلى زوال مما يفرض ألا يغتر بها عاقل، ولولا الأعمال الطيبة التي يجترحها أهل الدنيا لتبقي لأصحابها الخير الذي يرجونه عند الله يوم الحساب لما استحقت أن تعاش. وكما قال ابن عباس بأن الباقيات الصالحات هي كل عمل صالح من قول أو فعل يبقى للآخر، وقد قال ﷺ: (سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، هن الباقيات الصالحات).

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِىَ حُقُبًا﴾ [٦٠].

واذكر يا محمد حين قال موسى لفتاه يوشع بن نون بأنه متابع للسير حتى يصل إلى ملتقى البحرين بحر الروم وبحر فارس.

﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾﴾.

وعندما عادا وجد الرجل الصالح الذي يذكر المفسرون بأنه الخضر عليه السلام، وهو من وهبه الله تعالى كرامات كثيرة أظهرها على يديه، وعلمه علماً خاصاً من لدنه وهو الذي يسمى العلم اللدني.

﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ ۖ قُلْ سَأَتْلُوا۟ عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا ﴿٨٣﴾ إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَىْءٍ سَبَبًا ﴿٨٤﴾ فَأَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٥﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِى عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِندَهَا قَوْمًا ۗ قُلْنَا يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا ﴿٨٦﴾﴾.

فإن اليهود يسألونك يا محمد عن ذي القرنين فقل لهم بأن الوحي قد أخبرك بأن الله تعالى قد يسر له أسباب الملك والسلطان.

ويذكر المفسرون بأن ذا القرنين هو الاسكندر اليوناني الذي كان مؤمناً، ووجد في الفترة ما بين عيسى ومحمد عليهما السلام.

هذا الملك قد سار في طريق فتوحاته باتجاه الغرب حتى وصل مكاناً رأى فيه

الشمس كأنها تغيب في عين حمئة أي من ماء وطين وهي في الحقيقة وراء البحر. وهناك وجد قوماً من الكفار فخيّره الله بين قتلهم ودعوتهم إلى الإسلام فيحسن إليهم، فأكد أنه ينظر نظرة الملك المؤمن إذ قال ﴿أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُۥ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِۦ فَيُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨٧﴾ وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُۥ جَزَآءً ٱلْحُسْنَىٰ ۖ وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا ﴿٨٨﴾﴾ أما من كفر وظلم فيعذبه تعالى يوم القيامة بجهنم، وأما المؤمن فيدخله تعالى جنة الحسنى، فاختار دعوتهم للإسلام والمعاملة الحسنة لهم.

ثم توجه في فتوحه للمشرق حتى وجد قوماً لا لباس ولا مساكن تسترهم من حر الشمس، فهم يختفون منه في النهار في سراديب ثم يخرجون منها في الليل لطلب المعاش، فعاملهم كما عامل أهل الغرب بأن ترك المؤمن وقتل الكافر.

ثم توجه إلى الشمال في فتوحه حتى وصل مكاناً في بلاد الترك بين سدين طلب السكان هناك منه أن ينشئ سداً بينهما يحجبهم من قوم يأجوج ومأجوج، ففعل بمعونتهم، وهذا السد كان من القوة بحيث يبقى إلى يوم القيامة.

من تفسير سورة مريم [١٩]

سورة مريم مكية في ٩٨ آية

﴿يَٰيَحْيَىٰ خُذِ ٱلْكِتَٰبَ بِقُوَّةٍ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا ﴿١٢﴾﴾.

فلما ولد يحيى لأبيه زكريا بدعائه لكبره، وكبر وبلغ سن التكليف جاءه أمر الله تعالى بأن يأخذ التوراة بجد واجتهاد ولا سيما أن الله تعالى قد منحه الحكمة ورجاحة العقل منذ الصغر، فقد كان يقول لأقرانه من الأطفال عندما يدعونه للعب بأنه ما خلق للعب، وقال الطبري بأن الله تعالى قد أعطاه فهم كتاب الله في صباه وقبل بلوغه سن الرجال.

﴿۞ فَحَمَلَتْهُ فَٱنتَبَذَتْ بِهِۦ مَكَانًا قَصِيًّا ﴿٢٢﴾ فَأَجَآءَهَا ٱلْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ قَالَتْ يَٰلَيْتَنِى مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا ﴿٢٣﴾﴾.

وبعد أن انتهى الحوار بين جبريل عليه السلام ومريم العذراء بأنه جاءها بأمر من الله ليهبها غلاماً دون أن تتزوج، بعدئذ نفخ جبريل في جيب درعها فدخلت النفخة في جوفها فحملت بالغلام وتنحت فوراً عن الناس إلى مكان بعيد خشية أن يعيروها بالولادة من غير زوج، فألجأها ألم الطلق وشدة الولادة إلى ساق نخلة يابسة لتعتمد عليه عند الولادة، فتوجهت إلى ربها داعية ومتمنية أن تكون قد ماتت قبل هذا اليوم وكانت شيئاً منسياً لا يؤبه له لأنها عرفت أن الناس لا يصدقونها في خبرها.

﴿فَنَادَىٰهَا مِن تَحْتِهَآ أَلَّا تَحْزَنِى قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴿٢٤﴾ وَهُزِّىٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ تُسَٰقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ﴿٢٥﴾ فَكُلِى وَٱشْرَبِى وَقَرِّى عَيْنًا ۖ فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِىٓ إِنِّى نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنسِيًّا ﴿٢٦﴾﴾.

فما أن استقرت تحت النخلة اليابسة حتى ناداها الملك من تحت النخلة بأن لا تحزني لِهذا الأمر، فقد أكرمها الله تعالى بعدة كرامات: فها هو الجدول الصغير يجري أمامها بعد أن فجر جبريل الأرض بضربة من رجله فظهر الجدول، وها هي النخلة اليابسة تحمل الرطب الشهي وما عليها إلا أن تحركها حتى يتساقط عليها الرطب الطري لتأكل منه وتشرب من ذاك الجدول فتطمئن نفسها بمولودها ولا تحزن، وعندما تسأل عن أمرها بشأن مولودها فلا تجيب أحداً، ليقوم ولدها بأمر الله بإظهار معجزة أخرى بالرد على كل سؤال، وأما هي فلن تجيب على أحد.

﴿فَٱخْتَلَفَ ٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَيْنِهِمْ ۖ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٣٧﴾﴾.

فقد اختلفت الفرق من أهل الكتاب في أمر عيسى عليه السلام وصاروا أحزاباً متفرقين، فمنهم من يزعم بأنه ابن الله، ومنهم من يزعم بأنه ابن زنى، وما عليهم إلا أن ينتظروا على أقوالهم الويل والعذاب الشديد يوم القيامة، يوم يرون هول الحساب والجزاء على ما صدر منهم، هذا بالإضافة لمن قالوا بأن عيسى هو الله سبحانه إذ رأوا أنه تقمص في شكل إنسان.

﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْـًٔا ﴿٦٠﴾ جَنَّٰتِ عَدْنٍ

ٱلَّتِي وَعَدَ ٱلرَّحۡمَٰنُ عِبَادَهُۥ بِٱلۡغَيۡبِۚ إِنَّهُۥ كَانَ وَعۡدُهُۥ مَأۡتِيّٗا ﴿٦١﴾ لَّا يَسۡمَعُونَ فِيهَا لَغۡوًا إِلَّا سَلَٰمٗاۖ وَلَهُمۡ رِزۡقُهُمۡ فِيهَا بُكۡرَةٗ وَعَشِيّٗا ﴿٦٢﴾﴾.

فكل أولئك الأقوام التي انحرفت عن الإيمان والطاعة واتبعت الشيطان فإنها لن تجد يوم الحساب إلا الجزاء الشديد بالعذاب الأليم ولا يستثنى من ذلك إلا من تابوا عن ذلك المنكر وصدق إيمانهم وصلحت أعمالهم فإنهم سيدخلون الجنة دون أدنى ظلم، تلك الجنة التي وعدهم بها الرحمن الرحيم والتي لا يسمعون فيها شيئاً من لغو الكلام بل كله تسبيح ودعاء وسلام بالإضافة لما يجدون فيها من الأرزاق التي لا تنقطع عنهم في كل وقت. وقيل بأن بكرة وعشياً تعبير عن عدد وجباتهم اليومية بأنها وجبة في الصباح وأخرى في المساء.

﴿فَوَرَبِّكَ لَنَحۡشُرَنَّهُمۡ وَٱلشَّيَٰطِينَ ثُمَّ لَنُحۡضِرَنَّهُمۡ حَوۡلَ جَهَنَّمَ جِثِيّٗا ﴿٦٨﴾﴾.

أقسم المولى لرسوله بأنه سيحشر يوم الحساب كل كافر مع شيطانه ويلقون في جهنم ابتداء بالعتاة الكبار ﴿أَيُّهُمۡ أَشَدُّ عَلَى ٱلرَّحۡمَٰنِ عِتِيّٗا﴾ [٦٩].

﴿وَإِن مِّنكُمۡ إِلَّا وَارِدُهَاۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتۡمٗا مَّقۡضِيّٗا ﴿٧١﴾ ثُمَّ نُنَجِّي ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيّٗا ﴿٧٢﴾﴾.

فما من بر ولا فاجر إلا وسيرد على النار ليعبر المؤمن ويستقر الكافر، وهذا الورد قضاء من الله لا يرد، ثم ينجي من جهنم المتقين بعد مرور الجميع عليها ويبقى الظالمون الكفرة في جهنم قعوداً على ركبهم لهول الموقف.

من تفسير سورة طه [٢٠]

سورة طه مكية في ١٣٥ آية

﴿مَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ لِتَشۡقَىٰٓ ﴿٢﴾﴾.

فيا محمد ما أنزل الله عليك القرآن لتشقى به، إنما أنزل رحمة وسعادة. ومما يروى أن الرسول عليه السلام عندما أنزل عليه القرآن صلى وأطال القيام فقالت قريش بأن هذا القرآن ما أنزل على محمد إلا ليشقى فنزلت هذه الآية، وهذا يشير

ليس لأول النزول بل بعد سورة المزمل عندما أمر بأن يقوم الليل إلا القليل منه. وسورة المزمل من أوائل السور في النزول.

﴿إِذْ رَءَا نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓا۟ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدًى ﴿١٠﴾﴾.

فأثناء عودة موسى من مدين إلى مصر بصحبة زوجته ضل الطريق لأنه كان يمشي ليلاً. فعندما رأى النار طلب من زوجته أن تنتظره ريثما يذهب إلى تلك النار على أمل أن يأتي منها بشعلة يستدفئون بها من شدة البرد أو يجد هادياً يدله على الطريق.

﴿وَٱضْمُمْ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ ءَايَةً أُخْرَىٰ ﴿٢٢﴾﴾.

فأدخل يا موسى يدك تحت إبطك ثم أخرجها تخرج نيّرة مضيئة من غير عيب ولا برص، وهذه المعجزة الثانية لك بعد الأولى التي كانت العصاة إذ قلبت إلى حية ضخمة ثم أعيدت كعصا في يد موسى.

﴿وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِى ﴿٢٧﴾ يَفْقَهُوا۟ قَوْلِى ﴿٢٨﴾﴾.

حلَّ يارب هذه اللكنة في لساني حتى يفهموا قولي حينما أبلغهم رسالتك.

ذلك أن موسى أثناء طفولته أجلسه فرعون في حجره فشد لحيته فحدثته نفسه بقتله، فأقنعته زوجته بأنه طفل لا يدرك ما يفعل، وأمر بإجراء تجربة عليه ليتأكد من ذلك، فأعطاه لؤلؤتين وحجرتين فأخذ الحجرتين فتأكد لفرعون طفولته فلم يقتله، وسببت الحجرتان له اللكنة لأنه وضعهما في فمه.

﴿ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾﴾.

فقد تجبر فرعون وتكبر وبلغ الذروة في طغيانه، فقولا له قولاً لطيفاً رقيقاً لعله يتذكر عظمة الله أو يخاف عقابه فيرتدع عن طغيانه.

لما كان الله تعالى يعلم حق العلم ما كان عليه فرعون من الطغيان والإصرار على التكبر، فقد أراد تعالى أن يُعلّم نبيه موسى وأخاه هارون بأن اللطف والرفق في الدعوة حتى مع أعتى الناس يمكن أن يؤثر فيهم ويستجيبوا.

﴿قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ ﴿٤٩﴾ قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴿٥٠﴾﴾.

فقال فرعون لموسى عندما دعاه للإيمان: من هذا الرب الذي تدعوني إليه؟

فإني لا أعرفه، فأجابه بأن ربهم هو الذي أبدع كل شيء خلقه ثم هداه لمنافعه. فقد خلق سبحانه الإنسان على أحسن تقويم مزوداً بجميع القدرات التي تعينه على معرفة الخير من الشر والهدى من الضلال. ثم أنزل له الهدى مع الرسل والرسالات ودعاه للأخذ به وأخبره بأن من يتبع هدى الله هو الذي يعيش حياة السعادة في الدنيا والآخرة، وأما من يعرض عن هذا الهدى فله المعيشة التعيسة.

﴿قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُم بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنِ ٱفْتَرَىٰ ﴿٦١﴾ فَتَنَٰزَعُوٓا۟ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّجْوَىٰ ﴿٦٢﴾﴾ فقد قال موسى للسحرة لما جمعهم فرعون: ويلكم لا تختلقوا على الله الكذب فيهلككم بعذاب شديد، وتأكدوا أن من كذب على الله يخسر ويهلك، فوقعت هذه المقالة في نفوسهم بشكل مثير ولذلك اختلفوا في أمر موسى فقال بعضهم بأن ما يقوله ليس بقول ساحر، وأخفوا ذلك عن الناس وأخذوا يتبادلونه سراً فيما بينهم.

﴿فَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِرَبِّ هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ ﴿٧٠﴾﴾ فلما ألقى موسى العصا صارت ثعباناً ضخماً ابتلعت حبال السحرة وعصيهم عن آخرها تحت نظر الناس فوقع السحرة سجداً لله لأنهم أدركوا أنها معجزة وليس سحراً فكانوا أول النهار سحرة وأخره شهداء بررة كما قال ابن عباس.

﴿قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنۢ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ ٱلسَّامِرِىُّ ﴿٨٥﴾﴾.

فقد كان ذاك السامري منافقاً ساحراً اشتغل فترة بغياب موسى لمناجاة ربه وجمع منهم الحلي وصنع منها عجلاً أخذوا يعبدونه بعد غياب موسى عنهم بعشرين يوماً. ولولا رسوخ بذور الوثنية في قلوب بني إسرائيل لما طلبوا من موسى بعد أن نجاهم من فرعون أن يصنع لهم تمثالاً ليعبدوه ولما استجابوا للضال المضل السامري في فعلته الشنعاء.

﴿فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴿١٢١﴾ ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ﴿١٢٢﴾ قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًۢا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾﴾.

فبعد أن أسكن تعالى آدم وحواء الجنة أمرهما ألا يأكلا من شجرة معينة من أشجار الجنة، وحذرهما من غواية الشيطان، ولكنهما أكلا من الشجرة فظهرت لهما عوراتهما بسبب مخالفة آدم بالأكل من الشجرة مخدوعاً بقول الشيطان ولكنهما أقرا بالمعصية وطلبا الرحمة، فاصطفاه الله، وقربه إليه وقبل توبته وهداه إلى التمسك بالطاعة، ولكن أمرهما تعالى بالنزول من الجنة إلى الأرض وهما يحملان طباع البشر في الاختلاف والعداوة فيما بين ذريتهما، وأخبرهما بأنه عندما تأتيهم الرسل والكتب من الله لهدايتهم فعليهم التمسك بهما والاتباع لهما، ومن يتمسك ويتبع فإنه لا يضل في الدنيا ولا يشقى في الآخرة، وأما من يعرض عن ذلك فإنه يعيش في الدنيا معيشة قاسية مهما كانت ناعمة المظهر، ويحشر يوم القيامة أعمى البصر لأنه تعامى عن آيات الله الواضحة وتركها فنال جزاءه.

من تفسير سورة الأنبياء [٢١]

سور الأنبياء مكية في ١١٢ آية

﴿لَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ كِتَٰبًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٠﴾﴾ فقد أقسم تعالى بأنه أنزل إلى العرب كتاباً عظيماً لا يماثله كتاب فيه شرفهم وعزهم لأنه بلغتهم، فهلا عقلوا هذه النعمة وآمنوا بما جاءهم به محمد عليه السلام؟

﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٢٢﴾﴾.

لو كان في السموات والأرض، وفي الوجود كله آلهة غير الله لفسد نظام الكون كله بسبب ما يقع بين الآلهة من التنازع والاختلاف سواء في الخلق والتدبير أو في المغالبة والسيطرة. فمثل هذه الأوصاف يتنزه الله تعالى عنها وهو الواحد الأحد المنزه من الشريك والزوجة والولد.

﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٠﴾﴾.

أو لم يعلم هؤلاء الجاحدون أن السموات والأرض كانتا شيئاً واحداً ملتصقتين

ففصل الله بينهما ورجع السماء إلى حيث هي، وأقر الأرض كما هي ثم جعل الماء أصل كل الأحياء وسبباً للحياة، ولا يعيش بدونه مخلوق حي من إنسان وحيوان ونبات، أوليس في هذا ما يكفي من الدلالة بقدرة الله تعالى حتى يصدقوا به؟

﴿بَلْ مَتَّعْنَا هَٰٓؤُلَآءِ وَءَابَآءَهُمْ حَتَّىٰ طَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْعُمُرُ ۗ أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِى ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَآ ۚ أَفَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٤٤﴾﴾.

فقد متع تعالى المشركين وآباءهم من قبلهم طيلة أعمارهم حتى ظنوا أنه النعيم الدائم فلحقهم الغرور بحطام الدنيا وزخرفها، أما كان حرياً بهم أن يتدبروا ما يحصل بأراضيهم وهي تنقص بسبب ما يلحقها من فتوح أم أنهم يتصورون أن لهم الغلبة ليتأكدوا بأنهم هم المغلوبون. وهذا ما كانت عليه سنة الله تعالى في خلقه مع أنبيائه ورسله الذين نصرهم الله على عدوهم.

﴿وَدَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِى ٱلْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ ٱلْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَٰهِدِينَ ﴿٧٨﴾ فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ ۚ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَٱلطَّيْرَ ۚ وَكُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿٧٩﴾﴾.

واذكر يامحمد قصة داود وسليمان حين يحكمان في أمر الزرع عندما رعت فيه غنم القوم ليلاً فأفسدته، وكنا مطلعين على حكمهما، ولكننا ألهمنا سليمان الحكم في القضية مع إعطاء النبوة لكل منهما. فقد حكم داود بأن يأخذ صاحب الزرع الغنم، ولكن سليمان حكم بما وافق عليه أبوه، بأن يأخذ صاحب الغنم الأرض ويصلحها ليعود زرعها كما كان، ويأخذ صاحب الزرع الغنم فينتفع بها حتى يعود الزرع كما كان فترد الأرض لصاحبها والغنم لصاحبها.

﴿فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُلْ ءَاذَنتُكُمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ ۖ وَإِنْ أَدْرِىٓ أَقَرِيبٌ أَم بَعِيدٌ مَّا تُوعَدُونَ﴾ [١٠٩].

فإن أعرضوا عن الإسلام فقل لهم بأنك أعلمتهم بالحق دون تمييز بينهم، وأنك لا تدري متى يكون العذاب ولا الساعة وإن كان لا شك في وقوعه.

من تفسير سور الحج [٢٢]

سورة الحج مدنية في ٧٨ آية

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ﴿٨﴾ ثَانِىَ عِطْفِهِۦ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ لَهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ ۖ وَنُذِيقُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿٩﴾ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿١٠﴾﴾.

فهناك من الناس من يجادل في شأنه تعالى من غير علم يهتدي به إلى المعرفة، ولا كتاب يجد فيه الحجة لرأيه بل بمجرد الرأي والهوى، ويصر على الإعراض عن الحق كفراً به وتكبراً بنفسه ليصد الناس عن دين الله وشرعه فجزاؤه الذل في الحياة الدنيا والحريق في الآخرة، وإن ذلك هو ما اقترفته يداه من الكفر والضلال من رب عادل لا يظلم أحداً من خلقه.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ٱلَّذِى جَعَلْنَٰهُ لِلنَّاسِ سَوَآءً ٱلْعَٰكِفُ فِيهِ وَٱلْبَادِ ۚ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍۭ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٥﴾﴾.

فالذين يجحدون بما جاء به محمد عليه السلام ويمنعون المؤمنين عن المسجد الحرام لأداء المناسك كما حصل في الحديبية، مع أن المسجد الحرام قد جعله الله تعالى منسكاً ومتعبداً للناس جميعاً، المقيم الحاضر والقادم من خارج البلاد على سواء، من يرد فيه سوءاً أو يهم فيه بمعصية فإن الله سيعذبه أشد العذاب.

﴿وَٱلْبُدْنَ جَعَلْنَٰهَا لَكُم مِّن شَعَٰٓئِرِ ٱللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ ۖ فَٱذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا صَوَآفَّ ۖ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا۟ مِنْهَا وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْقَانِعَ وَٱلْمُعْتَرَّ ۚ كَذَٰلِكَ سَخَّرْنَٰهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٣٦﴾﴾.

وقد جعلنا الإبل السمينة من أعلام الشريعة التي شرعها الله لعباده، ففيها النفع في الدنيا والأجر في الآخرة، فما عليكم إلا أن تذكروا اسم الله عند ذبحها عندما تكون قائمة مصفوفة الأيدي والأرجل إعداداً للنحر، وعندما تسقط على الأرض بعد نحرها فكلوا من هذه البدن وأطعموا القانع المتعفف، والمعتر السائل، واذكروا أنه لولا تسخيرها لكم لما كانت منقادة مع ضخامة أجسامها، فعليكم شكر الله تعالى على إنعامه بها عليكم.

﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَـٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾﴾

وتعتبر هذه أول آية نزلت في الجهاد ـ كما قال ابن عباس ـ فكان المسلمون يُضربون في مكة فيشتكون للرسول عليه السلام فيقول لهم: اصبروا فإني لم أؤمر بقتالهم، حتى إذا هاجروا للمدينة عندها نزلت هذه الآية تأذن بالقتال بعدما نهي عنه في أكثر من سبعين آية. وتطميناً للمسلمين المأذون لهم بالقتال أكد لهم تعالى بأنه قادر على نصرهم وما عليهم إلا القتال في سبيله تعالى.

﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۖ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَـٰرُ وَلَـٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ ﴿٤٦﴾﴾.

ألم يسافر أهل مكة ليروا مصارع الكفار فيعتبروا مما حل بهم من الدمار؟!

وهلا عقلوا ما يجب أن يعقل عن الإيمان والتوحيد! وهلا استخدموا آذانهم ليسمعوا بها المواعظ والزواجر! ولكن ليس العمى على الحقيقة هو عمى البصر وإنما هو عمى البصيرة، فمن كان أعمى القلب فإنه لا يعتبر ولا يتدبر. وما ذكر القلب إلا كناية عن العقل الذي لا يعمل دون عمل القلب، فإذا توقف القلب عن النبض توقف العقل عن العمل ومات الإنسان حياً، فكأن القلب هو الذي يعقل وليس العقل.

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِىٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى ٱلشَّيْطَـٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَـٰنُ ثُمَّ يُحْكِمُ ٱللَّهُ ءَايَـٰتِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٢﴾ لِّيَجْعَلَ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَـٰنُ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱلظَّـٰلِمِينَ لَفِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ ﴿٥٣﴾ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُوا۟ بِهِۦ فَتُخْبِتَ لَهُۥ قُلُوبُهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٤﴾﴾.

فاعلم يامحمد أنه ما أرسل قبلك من رسول ولا نبي إلا إذا أحب شيئاً وهوته نفسه ألقى الشيطان فيما يشتهيه بعض الوساوس المشغلة بالدنيا، فيهبّ للاستغفار الكثير، فيبطل الله ما يلقي الشيطان ويحكم آياته، ولذلك لا تحزن يامحمد على معاداة قومك لك فهذه سنة المرسلين، واطمئن بأن الله يثبت في نفسك آياته الدالة على الوحدانية والرسالة ويطرد ذلك السهو والوسوسة ليجعل تلك الوساوس فتنة للمنافقين والكافرين وخاصة العصاة منهم أمثال أبي جهل والنضر وعتبة؛ لأنهم في

عداوة شديدة لله ولرسوله، وليعلم أهل العلم أن القرآن هو الحق النازل من عند الله تعالى فيؤمنوا به وتسكن قلوبهم له بخلاف من في قلوبهم مرض، ذلك لأن الله يرشد المؤمنين إلى الصراط المستقيم وينقذهم من الضلال.

من تفسير سورة المؤمنون [٢٣]

سورة (المؤمنون) مكية في ١١٨ آية

﴿وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَآءَ تَنۢبُتُ بِٱلدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِّلْءَاكِلِينَ ﴿٢٠﴾﴾.

ومما أخرجه تعالى من الماء شجرة الزيتون التي تنبت حول جبل الطور الذي كلم الله عليه موسى. هذه الشجرة التي تعطي الزيت بمنافعه العظيمة، كما أن من منافعها أن توفر الأدم للأكل بما تحدثه من أثر على الخبز، مما يجعل زيت الزيتون مضاعف الفائدة؛ فهو دهن، وهو أدم للطعام، حتى قال عليه السلام (كلوا الزيت وادهنوا به، فإنه من شجرة مباركة).

﴿وَقُل رَّبِّ أَنزِلْنِى مُنزَلًا مُّبَارَكًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ ﴿٢٩﴾﴾.

فقد علّم الله تعالى نبيه نوحاً عليه السلام بأن يدعو الله تعالى عندما ينزل من السفينة إلى اليابسة أن ينزل منزلاً مباركاً يحفظه من كل سوء، فإنه تعالى هو خير المنزلين لأوليائه.

﴿وَجَعَلْنَا ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةً وَءَاوَيْنَٰهُمَآ إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ ﴿٥٠﴾﴾.

فقد جعل تعالى قصة مريم وابنها عيسى معجزة عظيمة تدل على كمال قدرته تعالى، وجعل منزلهما ومأواهما إلى مكان مرتفع من أرض بيت المقدس حيث ينبت النبات على أحسن حال، إذ الأرض عالية ومبسوطة وفيها الماء الجاري على وجهها مما يوفر الثمار لسكانها.

﴿فَتَقَطَّعُوٓا۟ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ زُبُرًا ۖ كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٥٣﴾﴾.

فتفرقت الأمم في أمر دينها إلى فرق عديدة وأديان مختلفة بعد أن كانوا على

دين واحد وعقيدة واحدة ﴿وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ﴾. فظهر منهم المجوسي واليهودي والنصراني، وظن كل فريق نفسه هو صاحب الدين الحق وغيره الباطل.

﴿قَدْ كَانَتْ ءَايَٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ تَنكِصُونَ ﴿٦٦﴾ مُسْتَكْبِرِينَ بِهِۦ سَٰمِرًا تَهْجُرُونَ ﴿٦٧﴾﴾.

فقد كُنتم يا مشركي مكة تسمعون آيات القرآن تقرأ عليكم فكنتم تنفرون من سماع تلك الآيات، مستكبرين بسبب حديث القرآن عن الإيمان، أي كنتم تسمرون وتسهرون وأنتم تذكرون القرآن بالكلام السيئ من أنه سحر أو شعر أو كهانة أو غير ذلك من باطل الكلام بحق القرآن والرسول عليه السلام.

﴿قُل رَّبِّ إِمَّا تُرِيَنِّى مَا يُوعَدُونَ ﴿٩٣﴾ رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِى فِى ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٩٤﴾ وَإِنَّا عَلَىٰٓ أَن نُّرِيَكَ مَا نَعِدُهُمْ لَقَٰدِرُونَ ﴿٩٥﴾﴾.

فقل يامحمد: يارب إن كان لا بد من أن تريني ما تعد المشركين من عذاب في الدنيا فيارب لا تجعلني في جملة الظالمين فأهلك معهم. ومع أنه عليه السلام معصوم عن أن يكون مع الظالمين إلا أنه أُمر بهذا الدعاء لمزيد العبودية، واطمئن يامحمد بأن ربك قادر على أن يريك العذاب الذي توعدهم به ولكنه يؤخره لقضاء قضى به.

من تفسير سورة النور [٢٤]

سورة النور مدنية في ٦٤ آية

﴿ٱلزَّانِى لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَٱلزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَآ إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ ۚ وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾﴾.

فعندما أراد أحد أن يتزوج من بغيٍّ ذكر ذلك للرسول ﷺ فنزلت هذه الآية، مما يعني أن المرأة الفاسقة لا يرغب في نكاحها الصالح من الرجال، وكذلك الرجل الفاسق لا يرغب في الزواج منه إلا الطالح من النساء، فليدقق وليتخير

الرجل المسلم التي يريد أن يتزوجها. وكذلك المرأة فإن في ذلك استجابة للرسول ﷺ: «إذا أتاكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه وإلا تكن في الأرض فتنة وفساد كبير» هذا بحق الرجل وأما المرأة فقد قال عليه السلام: «إياكم وخضراء الدمن»، قالوا: ومن هي خضراء الدمن يا رسول الله؟ قال: «المرأة الحسناء في منبت السوء».

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾﴾.

فمن يريد من حديثه في المجالس حول الفسق والفجور أن ينتشر الفعل القبيح ويسهل ارتكاب المنكر من زنى وغيره ولا سيما في ما بين المؤمنين رجالاً ونساء، فإن له عذاباً أليماً في الدنيا بما يقام عليه من حد القذف، وفي الآخرة بعذاب جهنم، وتأكدوا أن الله تعالى يعلم ما يقصده كل متحدث بالفاحشة فيجازيه بقدر فعله.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَدْخُلُوا۟ بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا۟ وَتُسَلِّمُوا۟ عَلَىٰٓ أَهْلِهَا ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾﴾.

فبعد التحذير من قذف المحصنات وبيان العقاب الشديد لمن فعله، جاء التحذير من دخول بيوت الغير إلا بعد الإذن وإلقاء السلام على أهلها وذلك لتجنب الاختلاط المحرم من جهة، وسلامة النساء من التعرض للقذف من جهة ثانية، وإذا تبين للزائر بأن أحداً غير موجود في البيت الذي يريد زيارته، بأن لم يَردَّ على استئذانه أحد بعد أن يكرره ثلاث مرات فليس له أن يدخل البيت حتى يسمع الإذن بالدخول، ولا يتردد القادم بالانصراف إذا دعي لذلك لأي سبب كان، وليمتنع عن الإلحاح بالدخول، لأن الرجوع أطهر للنفوس وأفضل من الانتظار على الأبواب، ولا سيما أن علم الله تعالى بالنوايا من الأعمال يكشف عن توعد لأهل التجسس على البيوت سواء بالنظر في الثقوب أو التسمع للأصوات.

﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ۖ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ ۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِىٓءُ وَلَوْ

لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَٰلَ لِلنَّاسِ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣٥﴾﴾.

بهذا المثل أظهر سبحانه أن دلائل وحدانيته في غاية الظهور، فكل ذي عينين يرى أن الله تعالى هو نور السموات والأرض، السموات بما فيها من كواكب ونجوم والأرض بشرائعه وأحكامه لرسله، فنوره سبحانه الذي يظهر بالإيمان لدى المؤمن يشبه الكوة في الحائط في مصباح مغلف بزجاج صاف، وشعلته تشكل بزيت الزيتون الشديد النقاء والصفاء، فيشتد نوره بما جمع بين الكوة المقفلة النهاية والسراج الزجاجي وزيته الصافي، هذا النور يشبه نور الإيمان، ونور القرآن لمن يؤمن به، الذي يملأ على المؤمن جوانب نفسه وعقله فيجد نفسه في غاية الرضى والطمأنينة في حياته مهما تعرض فيها من ابتلاءات.

﴿وَيَقُولُونَ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَمَآ أُو۟لَٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِذَا دُعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِن يَكُن لَّهُمُ ٱلْحَقُّ يَأْتُوٓا۟ إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ ﴿٤٩﴾﴾.

ويقول المنافقون بأنهم صدقوا بالله وبالرسول وأطاعوا الله والرسول؛ ولكن ما أسرع ما تعرض جماعة منهم عن قبول حكمه بعد أن يصدر منهم الزعم بالإيمان. فهم بالحقيقة ليسوا بمؤمنين، ويظهر ذلك أشد الظهور عندما يدعون إلى التزام حكم الله أو حكم رسوله من القرآن والسنة فهم لا يستجيبون، بل يعرضون حتى عن حضور مجلس الحكم، وأما إن كانوا يعلمون تماماً أن الحق بجانبهم فإنهم ما أسرع ما يحضرون المجلس.

﴿لَّا تَجْعَلُوا۟ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾﴾.

فلا تنادوا الرسول باسمه كما تنادون بعضكم بعضاً ولكن نادوه: يا نبي الله، يا رسول الله، فهذا ما يقتضيه تشريف الرسول ﷺ، وإياكم أن تتركوا الرسول وجماعة المسلمين دون استئذان كما كان يفعل المنافقون في غزوة الخندق، بل التزموا أمره عليه السلام وطاعته وإلا تعرضتم للعذاب الأليم.

من تفسير سورة الفرقان [٢٥]

سورة الفرقان مكية في ٧٧ آية

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّآ إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِى ٱلْأَسْوَاقِ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا ﴿٢٠﴾﴾.

فاعلم يا محمد بأن الرسل المرسلين قبلك كلهم كانوا يأكلون ويشربون ويتكسبون في الأسواق، فهذه سنة الله في المرسلين من قبلك. فليكف هؤلاء المشركون عن قولهم لماذا تأكل الطعام وأنت رسول الله.

ثم اعلم بأن الله قد جعل بعض الناس بلاء للبعض الآخر، فقد ابتلي الغني بالفقير فأصبح يردد الفقير: لو شاء الله لجعلني غنياً مثل فلان، كما ابتلي الصحيح بالمريض فأصبح يردد لو شاء الله لجعلني سليماً مثل فلان، وهكذا فالعبرة بالصبر على الابتلاء والله تعالى وحده العالم بمن يصبر أولا يصبر، وبمن يشكر أو لا يشكر.

﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَّقَدْ أَضَلَّنِى عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِى وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا ﴿٢٩﴾﴾.

فقد أسلم عقبة بن أبي معيط تلبية لطلب الرسول ﷺ في الأكل من طعام وليمته ولكن صديقه أُبي بن خلف أصر عليه أن يتراجع عن الإيمان وأن ينهض في وجه الرسول ﷺ ويطأ عنقه وإلا فلا كلام بينهما، فاستجاب لطلب عقبة، فنزلت الآية وهي تعم كل ظالم وهو يعبر عن حسرته يوم القيامة للاستجابة لصديقه الكافر.

﴿وَلَقَدْ أَتَوْا عَلَى ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِىٓ أُمْطِرَتْ مَطَرَ ٱلسَّوْءِ أَفَلَمْ يَكُونُوا يَرَوْنَهَا بَلْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ نُشُورًا ﴿٤٠﴾﴾.

فكم مرة مررتم يا قريش في تجاراتكم إلى الشام بقرية سدوم، أعظم قرى قوم لوط، فلماذا لم تعتبروا بماحل بها من العذاب والنكال بسبب تكذيبهم لرسول الله لوط عليه السلام ومخالفتهم لأوامر الله، وقد قال تعالى في سورة الصافات [آية

١٣٧] ﴿وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم مُّصْبِحِينَ ﴿١٣٧﴾﴾، فهل إنكاركم ليوم القيامة أعمى أبصاركم فلم تروا ولم تعتبروا؟

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَّحْجُورًا ﴿٥٣﴾﴾.

فإنه تعالى القادر بقدرته أوجد حاجزاً بين البحرين المتجاورين فلا يغلب أحدهما الآخر، مع أن أحدهما عذب بل شديد العذوبة، والآخر مالح بل شديد الملوحة، ولكنه تعالى أوجد بينهما هذا الحاجز الذي يمنع أحدهما من الوصول إلى الآخر والاختلاط به.

﴿قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَن شَآءَ أَن يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴿٥٧﴾﴾.

فقل للمشركين بأنك لا تطلب من أحد أجراً على تبليغ الرسالة لهم، وأما من أراد أن يتخذ طريقاً يقربه إلى الله بالإيمان وصالح الأعمال فليفعل ذلك، فسؤالي لكم أن تؤمنوا وتطيعوا وأجري على الله تعالى.

﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا۟ عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا ﴿٧٣﴾﴾.

فمن صفات عباد الرحمن أنهم عندما يخوفون بآيات الله لم يعرضوا عنها بل يسمعونها بآذان واعية وقلوب خائفة وعيون واجفة.

من تفسير سور الشعراء [٢٦]

سورة الشعراء مكية في ٢٢٧ آية

﴿وَمَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ مُحْدَثٍ إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهُ مُعْرِضِينَ ﴿٥﴾﴾.

فلا يأتي هؤلاء الكفار شيء من القرآن أو الوحي جديد في النزول إلا كذبوا به واستهزؤوا دون تأمل في مواعظه وعبره.

﴿فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٧﴾﴾.

فأتيا يا موسى وهارون إلى فرعون الطاغية، وقولا له بأنكما مرسلان من لدن

رب العالمين، لندعوك إلى الهدى، ولكي تطلق بني إسرائيل من أسرك واستعبادك، ليذهبوا معنا إلى بلاد الشام.

﴿وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٢٢﴾﴾.

فكيف تمن عليَّ يا فرعون بإحسانك إليَّ مع أنك قد استعبدت قومي، فما هو من نعمة في الحقيقة، إن هو إلا نقمة؛ لأن الإحسان إلى فرد دون جماعته ليس بالإحسان.

﴿قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٩﴾﴾.

فقد قال فرعون للسحرة بأنهم آمنوا لموسى قبل أن يستأذنوه، لأنه رئيسهم الذي علمهم السحر، وتواطؤوا معه ليظهر أمره، قال ذلك ليلبس على الناس مع أنهم يعرفون أن موسى لم يلتق بهم من قبل.

﴿فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [٦٣].

فما أن ضرب موسى بعصاه البحر بأمر الله تعالى بالوحي حتى انشق وانفلق وصار فيه اثنا عشر طريقاً، لكل سبط منهم طريق كما قال ابن عباس، وكان كل جزء منه كالجبل الشامخ الثابت.

﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾﴾.

فتوجه إبراهيم عليه السلام إلى ربه بالدعاء الخاشع ألا يخزيه يوم القيامة، يوم لا ينفع فيه المال والولد لأي صاحب مال وولد قد أتى الله على الشرك، ولكن النافع الوحيد هو من يجيء ربه في الآخرة بقلب نقي من الذنوب فلا شرك ولا نفاق ولا حسد ولا بغضاء، والقلب السليم من العيوب والأمراض سبيل الدماغ والعقل للسلامة من العيوب والأمراض.

﴿قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِى كَذَّبُونِ ﴿١١٧﴾ فَٱفْتَحْ بَيْنِى وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجِّنِى وَمَن مَّعِىَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٨﴾﴾.

فدعا نوح عليه السلام ربه أن ينقذه من قومه الذين يهددونه بالقتل رجماً بالحجارة، وطلب من ربه أن يحكم بينه وبين قومه الذين كذبوه ولم يؤمنوا به، وأن يقضي بينهم بقضائه العادل وأن ينجيه والمؤمنين معه من مكرهم وكيدهم.

﴿أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ ءَايَةً تَعْبَثُونَ ﴿١٢٨﴾﴾.

وقال هود عليه السلام لقومه: ما هذا البناء الشامخ الذي تبنونه في كل موضع مرتفع من الأرض المجاورة للطريق، فيكون كالعلم لمجرد اللهو والعبث؟ فقد أنكر عليهم ذلك لأنه تضييع للزمن، وإنهاك للبدن واشتغال بما لا نفع فيه في الدنيا والآخرة.

﴿كَذَّبَ أَصْحَٰبُ لْـَٔيْكَةِ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧٦﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾﴾.

فقد كذب أصحاب مدين بنبيهم شعيب، وكانوا يعيشون في بساتين ملتفة الشجر لشدة الخصب، فقد كذبوا كل من أرسل إليهم من الرسل، وقد أرسل تعالى إليهم شعيباً وهو ليس منهم ولكن من مدين المجاورة لهم وهو معروف حق المعرفة لديهم، ولذا فإن الآية لم تشر إلى الأخوَّة لهم لأنه ليس منهم، بينما وصفت الآيات الأخرى الرسل بـ (أخوهم) لأنهم كانوا منهم.

﴿كَذَٰلِكَ سَلَكْنَٰهُ فِى قُلُوبِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٢٠٠﴾ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِۦ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٢٠١﴾﴾.

فقد دخل القرآن في قلوب وعقول المجرمين فسمعوا به وفهموه، وأدركوا فصاحته ولكنهم لم يؤمنوا به حتى يشاهدوا عذاب الله الأليم فيؤمنوا حين لا ينفع الإيمان.

﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾﴾.

خوّف يا محمد أقاربك من عذاب الله إن لم يؤمنوا، فدعاهم بأسمائهم حتى لا يظن أحد أنه عليه السلام يحابي أقاربه، وكان هذا التخويف في أول عهد الدعوة المكية، مرحلة ابتداء الدعوة.

من تفسير سورة النمل [٢٧]

سورة النمل مكية في ٩٣ آية

﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ ۖ وَقَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيْءٍ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٦﴾﴾.

فقد ورث سليمان أباه في النبوة والعلم والملك من بين جميع أولاده التسعة عشر، فلم تكن وراثة المال وإلالتساووا في ذلك.

وخاطب عليه السلام الناس محدثاً بنعمة الله عليه بأنه أكرمه بمعرفة لغة الطير وجميع الحيوانات وأعطاه تعالى من خيرات الدنيا ما يتوفر للملوك والعظماء، فكل ذلك مما خصه الله تعالى به من أنواع النعم.

فكان يعبّر عن شكره تعالى وحمده ولم يكن يتحدث من باب البطر والكبر.

﴿قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ إِنِّىٓ أُلْقِىَ إِلَىَّ كِتَٰبٌ كَرِيمٌ ﴿٢٩﴾ إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾ أَلَّا تَعْلُوا۟ عَلَىَّ وَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴿٣١﴾﴾.

قالت بلقيس لأشراف قومها: إنه قد أتاها كتاب عظيم مرسل من سليمان وهو يقول: بسم الله الرحمن الرحيم. لا تتكبروا علي كما يفعل الملوك وأتوني مؤمنين موحدين طائعين.

﴿قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ۚ فَلَمَّا رَءَاهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُۥ قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّى لِيَبْلُوَنِىٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّى غَنِىٌّ كَرِيمٌ ﴿٤٠﴾﴾.

قال المفسرون بأن الذي كان من العلماء والذي يعلم اسم الله الأعظم هو آصف بن برخيا، وقد دعا بالاسم الأعظم فجاءه عرش بلقيس بلمح البصر. وعندها قال سليمان: إن هذا من فضل الله عليه وإحسانه إليه لكي يختبره فيما إذا كان سيشكر أنعامه أم يجحد فضله، لأن من شكر فمنفعة شكره له، ومن يكفر ولم يشكر وجحد فضل الله تعالى فإن الله لا يحتاج شكره وهو سبحانه مستغن عنه.

﴿قِيلَ لَهَا ٱدْخُلِى ٱلصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا قَالَ إِنَّهُۥ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ قَالَتْ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٤﴾﴾.

فلما وصلت بلقيس على رأس جيش من اثني عشر ألف قائد إلى قصر سليمان في بلاد الشام ظنته لجة ماء فكشفت عن ساقيها لتخوض فيه فقال لها سليمان: إنه قصر من الزجاج الصافي، فقالت بلقيس: رب إني ظلمت نفسي بالشرك وعبادة الشمس، ولكني الآن تابعت سليمان على دينه ودخلت في الإسلام مؤمنة برب العالمين.

﴿قَالُوا۟ تَقَاسَمُوا۟ بِٱللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُۥ وَأَهْلَهُۥ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِۦ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِۦ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿٤٩﴾﴾.

وكان في مدينة صالح وهي الحِجْر، مدينة قوم ثمود، كان فيها تسعة رجال هم أبناء أشرافهم فهم عظماء المدينة، وكانوا يقودون عملية الإفساد وإيذاء الناس بكل وسيلة، وهم الذين عقروا الناقة كما قال ابن عباس، هؤلاء التسعة حلفوا بالله فيما بينهم على قتل صالح وأهله ليلاً، وأن يقولوا لولي دمه بأنهم لا علم لهم لا بقاتله ولا قاتل أهله، وأن يقسموا لهم أنهم صادقون فيما يقولون، وقال ابن عباس بأنهم بالضحو أتوا دار صالح شاهرين سيوفهم ولكن الملائكة رمتهم بالحجارة فقتلتهم فكان أن ﴿وَمَكَرُوا۟ مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٠﴾﴾ حيث دبروا مكيدة قتل صالح فعاقبهم الله على مكرهم بتعجيل هلاكهم من حيث لا يعلمون.

﴿بَلِ ٱدَّٰرَكَ عِلْمُهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ بَلْ هُمْ فِى شَكٍّ مِّنْهَا بَلْ هُم مِّنْهَا عَمُونَ ﴿٦٦﴾﴾.

فهل تلاحق علم المشركين بالآخرة وأحوالها حتى يسألوا عنها وعن قيامها، فلماذا يسألون عنها مع أنهم لا يصدقون بها؟ إنهم يشكون فيها ولا يصدقون بها لذلك يعاندون في كفرهم وإنكارهم. فهم في عمى عنها فلا يدركون دلائل وقوعها.

﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٧١﴾ قُلْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ رَدِفَ لَكُم بَعْضُ ٱلَّذِى تَسْتَعْجِلُونَ ﴿٧٢﴾﴾.

فإذا كنتم تسخرون من مجيء العذاب فاعلموا أنه قد قرب منكم بعض بما أصابهم يوم بدر.

﴿وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴿٨٢﴾﴾ فتخرج دابة الأرض في آخر الزمان مع فساد الناس فتقول لهم بأن لعنة الله على الظالمين الذين لا يصدقون ولا يؤمنون بالله، وخروجها يعتبر ـ كما يقول الحديث ـ من أشراط الساعة أي علامات قربها.

من تفسير سورة القصص [٢٨]

سورة القصص مكية في ٨٨ آية

﴿فَأَصْبَحَ فِى ٱلْمَدِينَةِ خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا ٱلَّذِى ٱسْتَنصَرَهُۥ بِٱلْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُۥ ۚ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰٓ إِنَّكَ لَغَوِىٌّ مُّبِينٌ ﴿١٨﴾ فَلَمَّآ أَنْ أَرَادَ أَن يَبْطِشَ بِٱلَّذِى هُوَ عَدُوٌّ لَّهُمَا قَالَ يَـٰمُوسَىٰٓ أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِى كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًۢا بِٱلْأَمْسِ ۖ إِن تُرِيدُ إِلَّآ أَن تَكُونَ جَبَّارًا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِينَ ﴿١٩﴾﴾.

وقد أصبح موسى في اليوم التالي الذي ضرب فيه القبطي فمات في حالة خوف يتوقع المكروه، فإذا صاحبه الإسرائيلي الذي خلصه بالأمس يقاتل قبطياً آخر فاستغاث بموسى فقال له: إنك واضح الغواية والضلال لأنك تسببت بقتل رجل وتقاتل آخر، فعادتك الجدال والمخاصمة وأنا لن أقع بورطة أخرى بسببك ثم إنه لما همَّ بقتل القبطي، ظن الإسرائيلي أنه يريد قتله فقال لموسى: هل تريد قتلي كما قتلت غيري بالأمس؟ فأنت ياموسى تريد أن تكون جباراً من المفسدين في الأرض وليس من المصلحين بين الناس.

﴿وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَآءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَىٰ رَبِّىٓ أَن يَهْدِيَنِى سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿٢٢﴾﴾.

فقد قصد طلباً للأمان من فرعون وجنوده إلى مدينة شعيب عليه السلام دون أن يعرف طريقها من قبل ودون زاد ولا راحلة، فاستمر ثمانية أيام في الطريق يقتات على البقل وورق الشجر، فبعث الله إليه ملكاً أرشده إلى الطريق.

﴿قَالَتْ إِحْدَىٰهُمَا يَـٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُ ۖ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ ﴿٢٦﴾﴾.

ولكن كيف عرفت ابنة شعيب أن موسى قوي وأمين؟ لقد أجابت على سؤال

والدها عن ذلك بأنها رأته يرفع صخرة ثقيلة جداً، كما جعلها تمشي خلفه في الطريق إلى أبيها ولم ينظر إليها وهي تكلمه.

﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى فَأَوْقِدْ لِى يَٰهَٰمَٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ فَٱجْعَل لِّى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ [٣٨].

فعندما عرض موسى عليه السلام دعوة التوحيد على فرعون اجتمع هذا مع أشراف قومه وبسبب عدم علمه بإله آخر لهم غيره قال لوزيره هامان بأن يطبخ له الآجرّ ويجعل له قصراً ضخماً لعله يرى ويشاهد عندما يصعد عليه إله موسى الذي يقول إنه أرسله، وقال: إني أظن بأن موسى كاذب في ادعائه بأن في السماء رباً.

﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلْغَرْبِىِّ إِذْ قَضَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَى ٱلْأَمْرَ وَمَا كُنتَ مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٤٤﴾﴾.

فلم تكن يامحمد بجانب الجبل الغربي الذي كلم الله تعالى عليه موسى حينما أوحى تعالى إلى موسى بالنبوة وأرسله إلى فرعون وقومه، ولم تشهد ذلك، فقد أخبرناك يامحمد بالأمر دليلاً على نبوتك أنت، وأنت الذي لا يعلم من الغيب إلا ما يعلمك به الله تعالى.

﴿فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ مِنْ عِندِنَا قَالُوا۟ لَوْلَآ أُوتِىَ مِثْلَ مَآ أُوتِىَ مُوسَىٰٓ أَوَلَمْ يَكْفُرُوا۟ بِمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ قَالُوا۟ سِحْرَانِ تَظَٰهَرَا وَقَالُوٓا۟ إِنَّا بِكُلٍّ كَٰفِرُونَ ﴿٤٨﴾﴾.

فلما جاء أهل مكة القرآن المعجز من عند الله طلبوا استكباراً بأن يعطى محمد مثل ما أعطي موسى من العصا واليد، فرد عليهم تعالى بأن الناس قد كفروا بما أوتي موسى من المعجزات وزعم المشركون بأن التوراة والقرآن من قبيل السحر، كل منهما يصدق الآخر، وأنهم يكفرون بهما.

﴿وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ ٱلْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٥١﴾﴾.

فقد تابعنا نزول القرآن بشكل متتابع وبكل المواضيع لتتعظ قريش وتتذكر ما حلّ بالأمم السابقة.

﴿أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا۟ وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٥٤﴾﴾.

فمن آمن من أهل الكتاب بالقرآن فإن الله تعالى يعطيهم الثواب مضاعفاً من أجل إيمانهم بكتابهم أولاً، ومن أجل إيمانهم بالقرآن آخراً لأنهم صبروا على اتباع

الحق، ومنهم سلمان وعبد الله بن سلام وغيرهما ممن كانوا يدفعون الكلام القبيح بالحسنة وينفقون من الحلال في سبيل الله.

﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾﴾.

فأنت يامحمد لا تملك القدرة على هداية أحد مهما بذلت من مجهود ولكنه تعالى القادر على ذلك لو أراد أن يفرضه بقضائه وقدره على أحد، فهو سبحانه العالم بمن لديه الاستعداد لذلك والمريد له بمحض إرادته. وقد نزلت هذه الآية في حق (أبي طالب) فقد حاول الرسول عليه السلام بكل جهده أن يجعله يؤمن فلم يقدر.

﴿فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَنۢبَآءُ يَوْمَئِذٍ فَهُمْ لَا يَتَسَآءَلُونَ ﴿٦٦﴾﴾.

فخفيت عليهم وغابت عنهم الحجج وأظلمت عليهم الأمور فلم يدروا ما يقولون بين يدي حسابهم، فهم في حالة حيرة لا يدري ما يسأل الواحد منهم الآخر لفرط ما هم فيه من الدهشة.

﴿إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ ۚ قُل رَّبِّىٓ أَعْلَمُ مَن جَآءَ بِٱلْهُدَىٰ وَمَنْ هُوَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٨٥﴾﴾.

فالذي أنزل عليك القرآن يامحمد وألزمك بالعمل به لمعيدك إلى مكة كما أخرجك منها، وهذا وعد من الله تعالى لرسوله قد تحقق فيما بعد.

من تفسير سورة العنكبوت [٢٩]

سورة العنكبوت مكية في ٦٩ آية

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ كَيْفَ يُبْدِئُ ٱللَّهُ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥٓ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١٩﴾﴾.

ألا ترون أيها المكذبون بالبعث كيف خلق الله تعالى الخلق ابتداء من العدم وأنه كما قدر على ذلك يقدر على إعادة الأجسام بعد الموت، وذلك سهل ويسير عليه تعالى إذ من يقدر على البدء يقدر على الإعادة.

﴿وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ ۖ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٢٢﴾﴾.

فيا من تنكرون البعث والحساب! اعلموا أنكم لن تهربوا من حساب الله وعذابه وليس لكم مهرب في الأرض ولا في السماء من عذاب الله تعالى.

﴿وَقَالَ إِنَّمَا ٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَـٰنًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا وَمَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّـٰصِرِينَ ﴿٢٥﴾﴾.

فقد قال إبراهيم لقومه بأن الأصنام التي عبدتموها مع الله تعالى من أجل أن تدوم المحبة بينكم في هذه الحياة ستخذلكم؛ فإن الحال ينقلب في الآخرة فتصبح هذه المودة عداوة إذ تتبرأون من بعضكم فيلعن الأتباع القادة وبالعكس ومصيركم جميعاً جهنم دون ناصر ولا معين يخلصكم منها.

﴿ٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴿٤٥﴾﴾.

اقرأ يامحمد هذا القرآن الكريم، وتقرب إلى ربك بتلاوته، وأقم الصلاة فإنها عماد الدين تنهى صاحبها الخاشع فيها عن جميع الفواحش والمنكرات ما دام مستحضراً عظمة الله وقدرته، وإن تذكر واستحضار جلال الله تعالى في جميع الطاعات والمعاملات كفيل للبعد عن المنكرات، فالصلاة بما فيها من ذكر الله تعالى، وذكر الله تعالى خارج الصلاة في جميع الأحوال كفيلة بتجنب الفواحش والمنكرات، والله تعالى الذي يعلم جميع الأعمال من صلاة وغيرها يعلم أنها قادرة على إبعاد المصلي عن المعاصي كلها لما فيها من الإخلاص والخشية وذكر الله تعالى، لأن الإخلاص يأمر بالمعروف من الطاعات، والخشية تنهى عن المنكر من المعاصي، وذكر الله تعالى يأمر الإنسان وينهاه فيها جميعاً.

﴿وَمَا هَـٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ ۚ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٦٤﴾﴾.

واعلموا أيها الناس أن الحياة الدنيا ما هي إلا غرور ينقضي سريعاً وينتهي كما ينتهي لعب الصبيان ولهوهم حين يتفرقون، بينما الآخرة هي دار الحياة الحقيقية

التي لا موت فيها ولا غصص. ولكن هيهات لو كان عند هؤلاء المنكرين إدراك لهذا الفرق بين الدنيا والآخرة يدفعهم لإيثار دار البقاء على دار الفناء.

﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾﴾.

واعلموا أيها الناس أن من يجاهد نفسه والهوى والكفرة أعداء الله ابتغاء مرضاته فهو من الذين يهديهم ربهم طريق الرشاد بمحض اختيارهم، لأن الله تعالى مع المؤمنين بالنصر والتأييد.

من تفسير سورة الروم [٣٠]

سورة الروم مكية في ٦٠ آية.

﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ ﴿٧﴾﴾.

فللحياة الدنيا ظاهر وباطن، أما ظاهرها فهو الذي يعلمه الناس جميعاً، وهو ما فيها من أعمال وصناعات تشمل الزراعة والعمارة وغيرها، وأما باطنها فهو حقيقتها من أنها دار فناء لا بقاء، وأن العلم بالآخرة وما يؤول إليه كل إنسان من البعث والحشر والحساب هو علم العقلاء والعارفين لحقيقة الحياة الدنيا، وعلم الذين لا يغفلون عن ذلك فيستعدون لتلك الباقية بكل ما يستطيعون في هذه الفانية.

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَن تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ الْأَرْضِ إِذَا أَنتُمْ تَخْرُجُونَ ﴿٢٥﴾﴾.

فمن الأدلة على عظمة الله تعالى وقدرته تماسك السموات بقدرته بلا عمد، وثبات الأرض بتدبيره فلا تنقلب. ثم عندما يأمر إسرافيل فيدعوكم للخروج من قبوركم ما أسرع ما تخرجون.

﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾.

فهذا الدين الحق الذي أمرك ربك يامحمد بالاستقامة عليه هو خلقة الله التي

خلق الناس عليها، وهو فطرة التوحيد كما في الحديث: (كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو يمجسانه أو ينصرانه) فلا تبدلوا فطرة الله على الناس لأنها الدين المستقيم وإن كان أكثر الناس جهلة لا يتفكرون فيعلمون أن لهم خالقاً معبوداً.

﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾﴾.

فظهور هذه النكبات في بر الأرض وبحرها جاء بسبب معاصي الناس، فما يُرى من كثرة الحرائق والغرق وكثرة المآسي هو بسبب معاصي الناس ولا إصلاح لها إلا بالطاعات، إذ يريد الله تعالى أن يذيق الناس بعض أعمالهم في الدنيا قبل عقاب الآخرة لعلهم يتوبون ويتخلون عما هم فيهم من الآثام والمعاصي.

﴿مَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُۥ ۖ وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِأَنفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ ﴿٤٤﴾﴾.

فإن من كفر بالله من الناس فعليه أوزار كفره المؤدية به إلى الخلود في النار، وأما من عمل الخيرات والطاعات فإنه يمهد ويسهل الطريق لنفسه إلى دار النعيم.

﴿وَلَئِنْ أَرْسَلْنَا رِيحًا فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا لَّظَلُّوا۟ مِنۢ بَعْدِهِۦ يَكْفُرُونَ ﴿٥١﴾﴾.

وعندما نرسل على الأرض المزروعة الخضراء ريحاً صفراء مضرة بها فإنهم ما أسرع ما يجحدون نعمة الله عليهم، فهم فرحون عند الخصب جاحدون عند الابتلاء، إنهم الكافرون.

﴿فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ﴿٦٠﴾﴾.

فاصبر يامحمد على تكذيبهم واطمئن إلى وعد الله لك بإظهار دينك بأنه حق لا شك في إنجازه، واحذر أن يجزعك ما يقوله الضالون واصبر على أذاهم.

من تفسير سورة لقمان [٣١]

سورة لقمان مكية في ٣٤ آية.

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡتَرِي لَهۡوَ ٱلۡحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٞ مُّهِينٞ ٦﴾.

فهناك من الناس من يملأ وقته بما يلهي عن طاعة الله ويبعد عن سبيله، فهو كمن يدفع عمره الذي يجب أن تنفعه في دنياه وآخرته كل دقيقة منه، يدفعه ثمناً لحديث لا خير فيه لدنياه وآخرته، وذلك من مثل قضاء الوقت في القصص والمسلسلات الإذاعية والتلفزيونية المضلة، ومن مثل السهرات الغنائية والموسيقية.

﴿وَٱقۡصِدۡ فِي مَشۡيِكَ وَٱغۡضُضۡ مِن صَوۡتِكَۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلۡأَصۡوَٰتِ لَصَوۡتُ ٱلۡحَمِيرِ ١٩﴾.

فمن وصايا لقمان الحكيم، الذي يرى الجمهور أنه كان حكيماً لا نبياً، ويؤكد الحديث ذلك: (لم يكن لقمان نبياً ولكن كان عبداً كثير التفكر حسن اليقين أحب الله تعالى فأحبه فمنَّ عليه بالحكمة) والحكمة هي الإصابة في القول والسداد في الرأي، فمن وصاياه، لابنه التي توجه لكل إنسان ابناً كان أو أباً أو أماً: أن يخفض من صوته فلا يرفعه عالياً إذا تكلم مع الآخرين؛ فإنه لا يليق بعاقل صاحب حجة، لأن أوحش الأصوات صوت الحمير، فتفاخر المشركين برفع الأصوات ليس خيراً لهم وإنما هو من قبيح الأصوات التي إن ناسبت الحمير فلن تناسب البشر العاقلين.

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَلَا هُدٗى وَلَا كِتَٰبٖ مُّنِيرٖ﴾ [٢٠].

فهناك فريق من الناس الجاحدين يجادلون في توحيد الله وصفاته بغير علم ولا فهم ولا كتاب منزل من عند الله، من أمثال ذلك اليهودي الذي جاء إلى النبي ﷺ فسأله عن ربه: من أي شيء هو؟ فنزلت صاعقة فأخذته كما قال القرطبي.

﴿وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوۡجٞ كَٱلظُّلَلِ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمۡ إِلَى ٱلۡبَرِّ فَمِنۡهُم مُّقۡتَصِدٞۚ وَمَا يَجۡحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا كُلُّ خَتَّارٖ كَفُورٖ ٣٢﴾.

فإن من يصبر على الضراء ويشكر في الرخاء يرجى منه الخير في الابتلاء ولكن ليس من السهل الثبات على ذلك، فما أن يغطي الواحد منهم الموج الكثيف في

البحر حتى نجده يهب بالدعاء المخلص لله، ولكن ما أن ينقذهم تعالى من شدائد البحر، فيصلوا للشاطئ بأمان، حتى يقتصدوا في الدعاء الخالص مع أن ذلك مما يستدعي عدم الاقتصاد والتقصير لأنه لا يكذب بآيات الله تعالى إلا كل غدار شديد الكفر بنعم الله تعالى.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلۡغَيۡثَ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡأَرۡحَامِۖ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسٞ مَّاذَا تَكۡسِبُ غَدٗاۖ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسُۢ بِأَيِّ أَرۡضٖ تَمُوتُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرُۢ ٣٤﴾.

هذه آية مفاتيح الغيب الخمسة التي جاءت في الحديث: (مفاتيح الغيب خمس لا يعلمهن إلا الله). فوحده تعالى يعلم متى تقوم الساعة، ووقت المطر ومكان نزوله، وما في الأرحام من ذكر أو أنثى شقي أو سعيد، ولا يعلم أحد ما يحدث له غداً، كما لا يدري مكان موته ومكان دفنه، فالله تعالى وحده العالم بظواهر الأمور وبواطنها.

من تفسير سورة السجدة [٣٢]

سورة السجدة مكية في ٣٠ آية

﴿يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ ثُمَّ يَعۡرُجُ إِلَيۡهِ فِي يَوۡمٖ كَانَ مِقۡدَارُهُۥٓ أَلۡفَ سَنَةٖ مِّمَّا تَعُدُّونَ ٥﴾.

فالله تعالى هو الذي يدبر أمر جميع الخلائق ولا يهمل أحداً، فقضاؤه وقدره لا يترك شيئاً دون تدبير. ثم ينزل ذلك من السماء إلى الأرض، حتى إذا جاء يوم القيامة يصعد إليه كل ما دبره ليفصل فيه، أجرى كما قضاه وقدره أم خرج عن ذلك، ويستمر هذا الفصل طيلة يوم القيامة الذي يمتد طوله لألف سنة من أيام الدنيا لشدة أهواله.

صحيح أن هناك من فهم أن تدبير أمور السماء وأهلها والأرض وأهلها قد احتاج نصف الألف سنة، وعروجها إلى السماء من الأرض للفصل فيها قد احتاج النصف الثاني، ولكن الآية تقرر في نصفها الأول التدبير، ثم تتحدث في نصفها الثاني الذي عطفه بحرف (ثم) الذي يفيد التباعد، بين التدبير والرفع بين الأمرين، مما يجعل الألف سنة خاصة بالرفع وحده.

﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا وَلَٰكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٣﴾﴾.

فإن الله تعالى يؤكد للكافرين بأنه قادر بقضائه وقدره أن يجبر كل نفس على الهدى، ولكنه سبحانه جعل التكليف للإنس والجن مجال الاختيار. ولذلك ينتهي كل فرد من الجن ومن الإنس إلى جزائه حسب اختياره؛ فإن أحسن فله الحسنى وزيادة من فضله تعالى ومن ساء فله السوء من عدله تعالى.

﴿وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَىٰ دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢١﴾﴾.

فإن الله تعالى يهدد الكافرين الفاسقين والكافرين المكذبين بنوعين من العذاب الأول: العذاب الأقرب وهو عذاب الله لهم في الدنيا من قتل وأسر ومحن، والثاني: العذاب الأكبر وهو عذاب يوم القيامة، فلعل لهم في هذا الوعيد ما يردعهم عن كفرهم ومعاصيهم.

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَلَا تَكُن فِي مِرْيَةٍ مِّن لِّقَائِهِ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿٢٣﴾﴾.

فقد أعطى الله تعالى موسى التوراة، فلا تشك يا محمد بأنك تلقى القرآن كما تلقى موسى التوراة، فالذي أنت عليه من الوحي وبكتاب إلهي كما كان الحال مع موسى وكتاب التوراة الإلهي الذي أنزله تعالى لبني إسرائيل ليهديهم من الضلال.

صحيح أن هناك من يرى أن الله تعالى أمر محمداً بعدم الشك بأنه سيلتقي بموسى، كما يذكر في المعراج، ولكن المعراج وقصته لا إشارة لها هنا وإنما الإشارة إلى اللقاء يوم اللقاء الأكبر، يوم القيامة.

﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا الْفَتْحُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٨﴾﴾.

فيقول كفار مكة للنبي عليه السلام وللمسلمين متى ستنتصرون علينا كما تزعمون وتكون لكم الغلبة إن كنتم صادقين في أقوالكم؟

وللفتح معنيان: النصر والغلبة، والحكم، فالحاكم فاتح وفتاح لأنه يفصل بين الناس بحكمه. فكلا المعنيين تشتمل عليه الآية لما فيه من غلبة ونصر للمسلمين على الكافرين، ولما فيه من فصل بين الناس في أمورهم.

من تفسير سورة الأحزاب [٣٣]

سورة الأحزاب مدنية في ٧٣ آية

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [١].

لقد كرم المولى سبحانه رسوله بخطابه بالنبوة ولم يخاطبه باسمه كما خاطب الرسل السابقين، وطلب منه أن يثبت على التقوى ويزداد منها، وهو لا شك طلب لأمته عليه السلام في نفس الوقت، كما دعاه تعالى لعدم إطاعة الكافرين والمنافقين في التساهل معهم بعدم التعرض لآلهتهم بسوء والقول أن لها شفاعة وهي أصنام لا تملك لنفسها فكيف لغيرها ضراً ولا نفعاً.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَآءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٩﴾﴾.

فاذكروا أيها المؤمنون تلك النعمة العظيمة التي أنعمها تعالى عليكم عندما جاءتكم جيوش الأحزاب من قريش وغطفان ويهود قريظة، وكانوا اثني عشر ألفاً وكنتم أيها المؤمنون ثلاثة آلاف فقط، وحفرتم الخندق لتحتموا به من عدوكم، فأنقذكم الله تعالى منهم بما أرسله عليهم من ريح شديدة وجنود من الملائكة لم تقاتل وإنما ألقت الرعب في قلوبهم فهربوا من أرض المعركة دون قتال.

﴿وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢﴾﴾.

واذكر يا محمد ما كان يقوله المنافقون بأن وعد الله ورسوله إليهم ليس إلا باطلاً وخداعاً، وكان قائلهم معتب بن قشير يقول: يعدنا محمد بفتح فارس والروم وأحدنا لا يقدر أن يتبرز فرقاً، وما هذا إلا وعد غرور يغرنا به محمد.

﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾﴾.

فقد كان من المؤمنين المجاهدين مع رسول الله في غزوة الأحزاب رجال

صادقون في جهادهم، ومنهم من استشهد في سبيل الله كأنس بن النضر وحمزة ابن عبد المطلب ومنهم من ينتظر الشهادة دون تردد ولا تبديل عهد ونذر.

﴿وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَٰهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ﴿٢٦﴾﴾.

فقد نزل يهود بني قريظة ـ الذين أعانوا المشركين ونقضوا عهدهم ـ من حصونهم وأُلقي الخوف الشديد في نفوسهم، وذلك بعد أن انصرفت قريش عن المدينة وحاصرهم الرسول ﷺ حتى نزلوا على حكم سعد بن معاذ رضي الله عنه فحكم بقتل رجالهم ـ وكانوا ما بين ثمانمائة وتسعمائة ـ وسبي نسائهم وذرياتهم وهذا هو الأسر المقصود في الآية.

﴿وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِى بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ﴿٣٤﴾﴾.

وأنتن يا نساء النبي اللاتي اخترتن الله ورسوله على الدنيا ومتاعها بعد أن خيركن بينهما، عليكن بالحديث في بيوتكن بما تعلمين من كتاب الله وسنة رسوله فيتحقق منكن العمل بهما والدعوة لهما.

﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴿٣٦﴾﴾.

فلا يجوز لأي مؤمن أو مؤمنة أن يتردد في العمل بأمر الله ورسوله إذا صدر في أمر من الأمور، وقد نزل هذا بحق زواج زينب بنت جحش من زيد بن حارثة إذ كانت تعارض ذلك هي وأخوها، وعندها نزلت عند أمر الله ورسوله وتزوجته، وهذا الأمر بالطاعة عام في كل أمر لأن من يعص الله ورسوله يقع في البعد عن الطريق السوي ليضل بشكل واضح بيّن.

﴿وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ ۖ﴾ [٣٧].

فقد أعلم تعالى نبيه بأن زينب ستكون زوجته بعد أن يطلقها زيد فلا حاجة لإخفاء ذلك خشية الاتهام، إذ قد يعيرونه عليه السلام من الزواج بزوجة ابنه بالتبني زيد، فالله تعالى أمر رسوله ألا يخشى قول الناس لأن زيداً ليس ولده، وزوجته المطلقة ليست بزوجة ولده، وقد أمرك تعالى أن تتزوجها ليزيل هذه العادة الجاهلية التي تحرم الزواج من مطلقات الأدعياء.

﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾﴾.

فقد عرض تعالى التكاليف الشرعية من التزام الطاعات وترك المنكرات عرض تخيير لا إجبار على السموات والأرض والجبال، وهذا كناية عن الثقل الكبير، إذ اعترضن ورفضن حملها مع ما وهبهن الله من حجج وثقل ومقدرة ولكن الإنسان بظنه على قدرة التحمل والحمل وافق على حملها ولم يخش من ذلك فكان في ظنه بنفسه ظالماً بل شديد الظلم لنفسه وشديد الجهل بثقل العبء الذي اختار حمله.

من تفسير سورة سبأ [٣٤]

سورة سبأ مكية في ٥٤ آية

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمْ لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿٧﴾﴾.

فقد قال المشركون في مكة المنكرون للبعث والجزاء، قالوا لأمثالهم من الكفار بأنهم يمكنهم أن يدلّوهم على رجل يحدثهم العجيب من الحديث، وهم بالطبع يعنون محمداً عليه السلام، وقالوا سخرية واستهزاءً، بأنه عليه السلام يقول بأن الإنسان إذا بلي في قبره وتفرق جسده في الأرض وصار تراباً ورفاتاً بأنه سيعود ويخلق من جديد بعد هذا التمزق والتفرق.

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضْلًا ۖ يَٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ وَٱلطَّيْرَ ۖ وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ ﴿١٠﴾﴾.

فقد أعطى تعالى لداود عليه السلام فضل النبوة وكتاب الزبور بالإضافة لتسخير الجبال والطير لتسبح معه، ولكنه سبحانه ميزه بأن ألان الحديد بين يديه، وعلمه صناعة الدروع فأصبح ينسجها في حلقات خفيفة بعد أن كانت صفائح ثقيلة.

وأما ابنه سليمان عليه السلام فقد خصه تعالى من فضله بتسخير الريح لأمره، بالإضافة لإذابة النحاس له حتى كان يجري بين يديه كأنه عين ماء متدفقة من الأرض ﴿وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ ۖ وَأَسَلْنَا لَهُۥ عَيْنَ ٱلْقِطْرِ ۚ... ﴿١٢﴾﴾

فكانت الريح تحمله وجيشه في الصباح ما مسافته تقطع في شهر وتعود به في المساء بالزمن نفسه. هذا بالإضافة لتسخير الجن للعمل بأمره ﴿وَمِنَ ٱلۡجِنِّ مَن يَعۡمَلُ بَيۡنَ يَدَيۡهِ بِإِذۡنِ رَبِّهِۦۖ﴾ [١٢].

﴿فَقَالُواْ رَبَّنَا بَٰعِدۡ بَيۡنَ أَسۡفَارِنَا وَظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ فَجَعَلۡنَٰهُمۡ أَحَادِيثَ وَمَزَّقۡنَٰهُمۡ كُلَّ مُمَزَّقٍۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّكُلِّ صَبَّارٖ شَكُورٖ ١٩﴾.

فمن شدة تعنتهم وكفرهم وبطرهم لم يعجبهم قرب قراهم بعضها من بعض طيلة الطريق ما بين اليمن حيث هم وبين الشام فطلبوا أن تبتعد القرى عن بعضها.

وقد دعوا بهذا الدعاء إلى الله تعالى من باب الاستخفاف فكان ما طلبوا وظلموا أنفسهم، فبعد أن كانت البساتين بثمارها تملأ جانبي الطريق خلا الجانبان من البساتين الطيبة وتعرضوا للهلاك بفعل السيل العرم الذي اجتاحهم بخراب السد.

﴿قُل لَّا تُسۡـَٔلُونَ عَمَّآ أَجۡرَمۡنَا وَلَا نُسۡـَٔلُ عَمَّا تَعۡمَلُونَ ٢٥﴾.

فقد بالغ في إنصافهم عندما أسند لنفسه الإجرام إذا كان فيه ما يتهم به وهو يتحمل مسؤولية ذلك، بينما تلطف معهم فلم يسند إليهم أي إجرام بل وصفه بالعمل، وكل ذلك من باب التلطف في الجدال والخصومة علَّ الطرف الآخر لا ينفر من الكلمات فتضيع المعاني . . . . . إنه تعليم للمسلم على نمط من الجدال مع المجرمين الكافرين.

﴿أَن تَقُومُواْ لِلَّهِ مَثۡنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُواْۚ مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍۚ﴾ [٤٦].

قل يا محمد لهؤلاء المشركين أن يتحروا الحق لوجه الله مجتمعين ووحداناً أو اثنين اثنين وواحداً واحداً ثم تفكروا في أمر محمد وما جاء به فإنكم ستعرفون أنه الحق وأن ما جاء به هو الحق وليس من جنون ولا تخيلات.

﴿وَقَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِهِۦ وَأَنَّىٰ لَهُمُ ٱلتَّنَاوُشُ مِن مَّكَانِۭ بَعِيدٖ ٥٢﴾.

فعندما يرى المشركون العذاب يقولون بأنهم آمنوا بالرسول وبالقرآن، ومن أين لهم هذا الإيمان وهم الآن في الآخرة والإيمان في الدنيا وقد صارت بعيدة عنهم وضاعت عليهم فرص التوبة والإيمان.

من تفسير سورة فاطر [٣٥]

سورة فاطر مكية في ٤٥ آية

﴿أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًاۖ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۖ فَلَا تَذۡهَبۡ نَفۡسُكَ عَلَيۡهِمۡ حَسَرَٰتٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِمَا يَصۡنَعُونَ ٨﴾.

فهل من يزين له الشيطان عمله السيئ حتى يراه حسناً واستحسن ما عليه من كفر كمن استقبحه واختار طريق الإيمان والعمل الصالح؟

واعلم أيها الإنسان أن الله تعالى قادر على أن يضل من يشاء ويهدي من يشاء، وكذلك يا محمد! لا تهلك نفسك حسرة على من لا يؤمن بعد أن اختار الكفر وأصر عليه، واطمئن بأن الله تعالى عالم بكل ما يعملون.

﴿وَمَا يَسۡتَوِي ٱلۡبَحۡرَانِ هَٰذَا عَذۡبٞ فُرَاتٞ سَآئِغٞ شَرَابُهُۥ وَهَٰذَا مِلۡحٌ أُجَاجٞۖ وَمِن كُلّٖ تَأۡكُلُونَ لَحۡمٗا طَرِيّٗا وَتَسۡتَخۡرِجُونَ حِلۡيَةٗ تَلۡبَسُونَهَاۖ وَتَرَى ٱلۡفُلۡكَ فِيهِ مَوَاخِرَ لِتَبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِهِۦ وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ١٢﴾.

إن ماء البحر وماء النهر لا يمكن أن يستويان لملوحة الأول الشديدة ولحلاوة الآخر الشديدة، هذا مع ما يستخرج من كل منهما من الأسماك الطرية والجواهر من لؤلؤ وغيره، مع ما يتيسر للسفن من سير فيهما لتحقيق الكثير من التجارات التي تفرض عليكم شكر المنعم سبحانه.

فقد ذكر سبحانه هذه المقارنة مع ما عليه المؤمن والكافر سواء في تعاطيهما مع شؤون الحياة أو التطلع لشؤون الآخرة، فالمؤمن سهل ميسر والكافر صعب معقد.

﴿أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجۡنَا بِهِۦ ثَمَرَٰتٖ مُّخۡتَلِفًا أَلۡوَٰنُهَاۚ وَمِنَ ٱلۡجِبَالِ جُدَدُۢ بِيضٞ وَحُمۡرٞ مُّخۡتَلِفٌ أَلۡوَٰنُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٞ ٢٧﴾.

ألم تر أيها الإنسان أن الله تعالى قد أنزل من السحاب المطر بقدرته فأخرج بذلك الماء أنواع الفواكه والثمار بألوانها المختلفة وأشكالها وطعومها المختلفة، كما خلق من الجبال أيضاً بطرقها المختلفة الألوان، فمنها المختلفة البياض ومنها

المختلفة الحمرة ومنها المختلفة السواد بل شديدته . . . . وفي ذلك كله العجيب من قدرة الله تعالى وعظمته.

﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴿٣٢﴾﴾.

ثم أورث سبحانه هذا القرآن الكريم لأمة محمد ﷺ التي اختارها على سائر الأمم وخصَّها بهذا الفضل العظيم، ثم قسمهم سبحانه إلى ثلاثة أصناف هي: الأول المقصر في عمل الخير، فهو يتلو القرآن ولا يعمل به، فهو ظالم لنفسه، والثاني المتوسط في عمل الخير، فهو يعمل بالقرآن في أغلب الأحوال، والثالث السباق في عمل الخير، فهو يسبق في فعل الطاعات في جميع الأوقات.

﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُوا۟ مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِۦ بَصِيرًۢا ﴿٤٥﴾﴾.

فمن حلمه تعالى ورحمته بعباده أنه سبحانه لو يؤاخذهم بجميع ذنوبهم ما ترك على الأرض من أحد، ولكن تعالى يمهلهم إلى يوم القيامة، وحينها يحاسبهم على أعمالهم كلّها فإن خيراً فخير وإن شراً فشر.

من تفسير سورة يس [٣٦]

سورة يس مكية في ٨٣ آية

﴿لَقَدْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَىٰٓ أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٧﴾﴾.

فقد أقسم تعالى بأنه قد وجب عذاب النار على أكثر هؤلاء المشركين بسبب عنادهم في الإنكار والتكذيب وعدم استجابتهم للتذكير والإنذار، فهم منكرون ما جئتهم به يا محمد.

﴿إِنَّا جَعَلْنَا فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ أَغْلَٰلًا فَهِىَ إِلَى ٱلْأَذْقَانِ فَهُم مُّقْمَحُونَ ﴿٨﴾﴾.

فمن شدة رفضهم للإيمان صوّرهم تعالى كمن جمعت يداه في غل ثم ربطت

تحت ذقنه فارتفع رأسه فصار مقمحاً، فهم غاضون أبصارهم لا يكادون يرون الحق ولا ينظرون إلى جهته.

﴿إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكْرَ وَخَشِىَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ ﴿١١﴾﴾.

فإنذارك يا محمد لا ينفع إلا من آمن بالقرآن وعمل به وخاف الله تعالى دون أن يراه، فهذا بشره يامحمد بمغفرة عظيمة لذنوبه وأجر كريم يوم القيامة في جنات النعيم.

﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا أَصْحَٰبَ ٱلْقَرْيَةِ إِذْ جَآءَهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿١٣﴾ إِذْ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوٓا۟ إِنَّآ إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ ﴿١٤﴾﴾.

فاذكر يا محمد للمشركين من مكة مثلاً لعلهم يعتبرون به، ذلك أن رسولين ثم تبعهما ثالث قد أرسلوا إلى القرية وهي أنطاكية فكذبوهم بالرغم من معجزاتهم من إبراء الأكمه والأبرص وإحياء الميت.

مما يدل على أنهم كانوا رسل عيسى عليه السلام إليهم. وعندها أعلن أهل القرية التشاؤم من الرسل ودعوتهم لترك أوثانهم، تم توعدوهم بالقتل بالحجارة.

﴿لَئِن لَّمْ تَنتَهُوا۟ لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [١٨].

ولكنهم توقفوا ليسمعوا ويروا ما يقول لهم حبيب النجار، وكان قد أصابه العمى فلم تكشف الأصنام ضره سبعين سنة، فآمن مع الرسل عندما دعوا له فجاء قومه وقال:

﴿قَالَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُوا۟ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [٢٠].

ولم يطل مكثه في مناقشة قومه ودعوتهم للإيمان بالله مع الرسل حتى أعلن إيمانه ﴿إِنِّىٓ ءَامَنتُ بِرَبِّكُمْ فَٱسْمَعُونِ ﴿٢٥﴾﴾ فماذا فعلوا به لقد هجموا عليه وقتلوه، فأدخله الله تعالى الجنة مع الشهداء الأبرار، فتمنى أن يعلم قومه بما هو فيه من النعيم ليتخلوا عن الكفر ويدخلوا الإيمان. ولكن الله تعالى تصغيراً لشأنهم جعل عقوبتهم مجرد صيحة واحدة صاح بها جبريل فإذا هم ميتون.

وهنا توجه الخطاب الرباني لعموم المكذبين لرسل الله لعل قريش فيما تفعله مع الرسول محمد عليه السلام تعتبر:

﴿يَٰحَسْرَةً عَلَى ٱلْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٣٠﴾﴾.

فلماذا لا يتعظون بما حصل مع أصحاب أنطاكية وأمثالهم من المكذبين قبل أن يحيق بهم مكرهم وكفرهم؟

﴿سَلَٰمٌ قَوۡلٗا مِّن رَّبّٖ رَّحِيمٖ ٥٨﴾.

فلأهل الجنة سلام كريم يلقى عليهم من ربهم الرحيم إذ يسمعون كما يذكر الحديث «السلام عليكم يا أهل الجنة، يلقى عليهم من فوقهم من نور يسطع عليهم».

﴿وَٱمۡتَٰزُواْ ٱلۡيَوۡمَ أَيُّهَا ٱلۡمُجۡرِمُونَ ٥٩﴾.

تميزوا وانفصلوا أيها الكفرة المجرمون عن المؤمنين، يقال لهم هذا ـ كما قال القرطبي ـ عند الوقوف للسؤال، وحين يؤمر أهل الجنة إلى الجنة.

﴿وَلَقَدۡ أَضَلَّ مِنكُمۡ جِبِلّٗا كَثِيرًاۖ أَفَلَمۡ تَكُونُواْ تَعۡقِلُونَ ٦٢﴾.

فقد أضل الشيطان خلقاً كثيراً منكم عندما استجابوا لغوايته، فأين كانت عقولهم لتردعهم عن طاعة الشيطان ومخالفة الرحمن.

﴿وَلَوۡ نَشَآءُ لَطَمَسۡنَا عَلَىٰٓ أَعۡيُنِهِمۡ فَٱسۡتَبَقُواْ ٱلصِّرَٰطَ فَأَنَّىٰ يُبۡصِرُونَ ٦٦ وَلَوۡ نَشَآءُ لَمَسَخۡنَٰهُمۡ عَلَىٰ مَكَانَتِهِمۡ فَمَا ٱسۡتَطَٰعُواْ مُضِيّٗا وَلَا يَرۡجِعُونَ ٦٧﴾.

وهنا يهددهم تعالى بأنه قادر على أن يعميهم فلا يعرفون طريقهم كما أنه تعالى قادر على أن يمسخهم وهم في أماكنهم فيجمدون فيها، إنه تهديد لقريش، كما لغيرهم من أمثالهم إلى يوم الدين.

﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلٗا وَنَسِيَ خَلۡقَهُۥۖ قَالَ مَن يُحۡيِ ٱلۡعِظَٰمَ وَهِيَ رَمِيمٞ ٧٨ قُلۡ يُحۡيِيهَا ٱلَّذِيٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٖۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلۡقٍ عَلِيمٌ ٧٩﴾.

فقد ضرب هذا المشرك العاتي أُبَي بن خلف مثلاً بعظم رميم ففتَّه في وجه رسول الله ﷺ وقال ساخراً: أتزعم يا محمد أن الله يحيينا بعد أن نصبح رفاتاً مثل هذا؟ فقال ﷺ: (نعم يبعثك ويدخلك النار).

من تفسير سورة الصافات [٣٧]

سورة الصافات مكية في ١٨٢ آية

﴿دُحُورًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ ﴿٩﴾﴾.

فالشياطين الذين اعتادوا في السابق قبل نزول القرآن على التسمع إلى أخبار الملأ الأعلى، إي الملائكة، لم يعودوا يقدرون على ذلك لترصدهم من الشهب التي تقذفهم من كل جهة من السماء، فهم مدحورون مطرودون عن السماع لأخبار السماء، هذا بالإضافة لما ينتظرهم في الآخرة من العذاب الموصول الدائم الذي لا يتوقف.

﴿بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ ﴿١٢﴾ وَإِذَا ذُكِّرُوا لَا يَذْكُرُونَ ﴿١٣﴾ وَإِذَا رَأَوْا آيَةً يَسْتَسْخِرُونَ ﴿١٤﴾﴾.

فقد عجبت يامحمد من تكذيبهم للبعث مع رؤيتهم لقدرة الله الباهرة وهم يسخرون منك ومن قولك ودعوتك لهم. وعندما تعظهم بالقرآن وتخوفهم به لا يتدبرون، وتجدهم كلما رأوا آية باهرة تدل على صدقك كانشقاق القمر يبالغون في السخرية.

﴿قُلْ نَعَمْ وَأَنتُمْ دَاخِرُونَ ﴿١٨﴾﴾.

فعندما ينكر هؤلاء المشركون البعث والحساب فقل لهم يا محمد بأنهم سيبعثون هم وآباؤهم الأولون وهم صاغرون أذلاء لا يملكون تمنعاً.

﴿احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ ﴿٢٢﴾ مِن دُونِ اللَّهِ فَاهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَاطِ الْجَحِيمِ ﴿٢٣﴾ وَقِفُوهُمْ ۖ إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ ﴿٢٤﴾﴾.

فاجمعوا الظالمين وأمثالهم من المجرمين من نسائهم وغيرهن، أجمعوهم مع الأصنام التي كانوا يعبدونها، وعرفوهم على طريق الجحيم، فقد رفضوا الهداية في الدنيا للجنة فاهدوهم اليوم إلى النار واحبسوهم هناك عند الصراط ليسألوا عن جميع أقوالهم وأفعالهم.

﴿فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَا ۖ إِنَّا لَذَائِقُونَ ﴿٣١﴾ فَأَغْوَيْنَاكُمْ إِنَّا كُنَّا غَاوِينَ ﴿٣٢﴾ فَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴿٣٣﴾﴾.

وهنا وجب عليهم جميعاً حكم الله بالعذاب الذي سيذوقونه لا محالة، فإن السادة والأتباع سيذوقونه، لأن الأتباع استجابوا لتزيين السادة الباطل والغي فاستحق الطرفان العذاب لأنهما كانا في الغواية سواء وكان مصيرهم في العذاب شركاء.

﴿بَيْضَآءَ لَذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ ﴿٤٦﴾ لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ ﴿٤٧﴾﴾.

فعباد الله المخلصون يتمتعون بجنات النعيم، بجميع أنواع الفواكه والشراب ومنه الخمر التي تجري كالماء النابع وهي أشد بياضاً من اللبن، وليس فيها ما يغتال العقل فيفسدها كخمر الدنيا ولا تسكر شاربها، والكل يُقبل على تناولها.

﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٥٠﴾﴾.

أقبل سكان الجنة يسألون بعضهم عما حصل بقرنائهم في الدنيا الذين كانوا يكذبون بالبعث والجزاء، فنظروا فرأوهم في الجحيم ﴿فَٱطَّلَعَ فَرَءَاهُ فِى سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٥٥﴾﴾ فحمدوا الله أن أنقذهم ﴿قَالَ تَٱللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرْدِينِ ﴿٥٦﴾ وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّى لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ ﴿٥٧﴾﴾ فلولا تثبيت الله لنا على الإيمان لكنا معهم في النيران.

﴿فَنَظَرَ نَظْرَةً فِى ٱلنُّجُومِ ﴿٨٨﴾ فَقَالَ إِنِّى سَقِيمٌ ﴿٨٩﴾﴾.

فلما وبخ إبراهيم عليه السلام قومه على عبادة غير الله أراد أن يريهم أن أصنامهم لا تضر ولا تنفع، وأراد أن يخلو بها حتى يكسرها، فاحتال للبقاء وعدم الخروج معهم إلى احتفالات العيد فنظر في السماء، لأن عادتهم كانت هكذا في التنجيم، وأوهمهم أن النجوم تدل على أنه سيسقم غداً إن خرج معهم، وهذا ليس بكذب وإنما هو من باب التعريض الجائز شرعاً كما ورد «إن في المعاريض لمندوحة عن الكذب» وربما أراد أنه سقيم القلب من عبادتهم للأوثان مما جعلهم يتركونه ﴿فَتَوَلَّوْا۟ عَنْهُ مُدْبِرِينَ ﴿٩٠﴾﴾ ولكن قومه رجعوا وأسرعوا إليه يدفع بعضهم بعضاً فقالوا له: ويحك لماذا تكسرها ونحن نعبدها؟ فرد عليهم: كيف تعبدون ما تصنعونه أنتم؟ ﴿قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ ﴿٩٥﴾﴾ فكيف تعبدونها والله تعالى هو الذي خلقكم وخلق ما تعملونه لأن مادتها مخلوقة له سبحانه، فكيف تعبدون المخلوق وتتركون الخالق؟ أين عقولكم؟!

﴿وَقَالَ إِنِّى ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّى سَيَهْدِينِ ﴿٩٩﴾﴾.

فبعد أن نجاه الله من النار وكيد الفجار اعتزل قومه وأعلن أنه مهاجر من بلد قومه إلى حيث أمره ربه إلى أرض الشام مع زوجه سارة. فدعا الله تعالى ﴿رَبِّ هَبْ لِى مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠٠﴾ فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ ﴿١٠١﴾﴾ طلب بدعائه الصادق أن يعوَّض عن قومه، وبالفعل وهبه تعالى غلاماً هو في الحقيقة إسماعيل لأن سير الأحداث يؤكد ذلك إذ يبشره تعالى بابنه إسحاق بعد انتهاء قصة الذبح لإسماعيل ﴿وَبَشَّرْنَٰهُ بِإِسْحَٰقَ نَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١١٢﴾﴾ وذلك بعد الثناء وبعد افتداء ابنه إسماعيل ﴿وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴿١٠٧﴾﴾ وفي هذا رد صريح على كل من يقول بأن الذبيح هو إسحاق سواء كان من المسلمين أو أهل الكتاب.

﴿وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٩﴾ إِذْ أَبَقَ إِلَى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿١٤٠﴾ فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُدْحَضِينَ ﴿١٤١﴾﴾.

فيونس عليه السلام كان من المرسلين لهداية قومه أهل نينوى بجهة الموصل ولكنه غضب من قومه لرفضهم دعوته فهرب منهم إلى سفينة مملوءة بالرجال فألقوه في البحر لأن القرعة جاءت عليه أنه هو الزائد عن حمولة السفينة، فابتلعه الحوت وهو ملوم لأنه ترك قومه دون إذن من ربه، ولكن الحوت قذفه من بطنه لأنه كان يسبح الله تعالى وهو في بطنه بقوله ﴿... لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾﴾ فاستجاب الله نداءه وقذفه الحوت على الساحل ليحميه تعالى بشجرة اليقطين حتى استكمل نموه وقوته فأمره تعالى بالعودة إلى قومه الذين آمنوا معه وعاشوا عمرهم.

﴿وَجَعَلُوا۟ بَيْنَهُۥ وَبَيْنَ ٱلْجِنَّةِ نَسَبًا ۚ وَلَقَدْ عَلِمَتِ ٱلْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٥٨﴾﴾.

فقد جعل المشركون بين الله وبين الجِنَّة قرابة ونسباً إذ قالوا إنه نكح من الجن فولدت له الملائكة، ثم زعموا أن الملائكة إناث، وأنهن بنات الله تعالى، مع أن الشياطين كانوا يعلمون أنهم محضرون في العذاب فكيف جعلوهم بنات الله؟!

من تفسير سورة ص [٣٨]

سورة ص مكية في ٨٨ آية

﴿بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ ﴿٢﴾﴾.

فالمشركون في مكة كانوا بدافع الحمية والاستكبار يرفضون الإيمان ويصرون على الخلاف والعداوة للرسول عليه السلام.

﴿كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ فَنَادَوا۟ وَّلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ ﴿٣﴾﴾.

فكم من الأقوام أهلكهم تعالى بما يستحقونه من العذاب! وعند نزول العذاب بهم استغاثوا بمن ينقذهم من العذاب ولكن النداء والاستغاثة جاءت في وقت لا ينفع فيه الاستغاثة.

﴿أَمْ لَهُم مُّلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۖ فَلْيَرْتَقُوا۟ فِى ٱلْأَسْبَٰبِ ﴿١٠﴾﴾.

فهل يملك هؤلاء المشركون من شيء في السموات والأرض وما بينهما؟ فالتهكم الشديد بهم يدعوهم إن كان لهم ذلك الملك فليصعدوا في وسائل الصعود من سلالم أو حبال أو غيرها ليصلوا إلى السماء ويدبروا شؤون الكون.

﴿وَمَا يَنظُرُ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً مَّا لَهَا مِن فَوَاقٍ ﴿١٥﴾﴾.

فهل هؤلاء المشركون ينتظرون صيحة واحدة يطلقها الملك إسرافيل في الصور فيصعقون دون أن يكون لتلك الصيحة من مجال للتوقف أو الرجوع.

﴿وَقَالُوا۟ رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا قَبْلَ يَوْمِ ٱلْحِسَابِ ﴿١٦﴾﴾.

فقد قال كفار مكة على سبيل السخرية أن عجل لنا ربنا نصيبنا من العذاب الذي توعدتنا به قبل أن يجيء يوم القيامة إن كان الأمر كما يقول محمد.

﴿إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَىٰ دَاوُۥدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ ۖ قَالُوا۟ لَا تَخَفْ ۖ خَصْمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ فَٱحْكُم بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَٱهْدِنَآ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلصِّرَٰطِ ﴿٢٢﴾ إِنَّ هَٰذَآ أَخِى لَهُۥ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِىَ نَعْجَةٌ وَٰحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِى فِى ٱلْخِطَابِ ﴿٢٣﴾ قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦ ۖ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْخُلَطَآءِ لَيَبْغِى بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ ۗ وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ﴿٢٤﴾ فَغَفَرْنَا لَهُۥ ذَٰلِكَ ۖ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ

﴿٢٥﴾ يَـٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَـٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٦﴾﴾.

فهل تعلم يا محمد خبر المتنازعين الذين تسوروا على داود مسجده وقت خلوته في العبادة؟ فخاف منهم لأنهم دخلوا من غير الباب ودون إذن، ولكنهما عجلا بتطمينه بأنهما مختصمان يريدان أن يحكم بينهما بالعدل ويدلهما على طريق الحق. وبدأ أحدهما بسرد الخصومة بأن له نعجة واحدة وأخوه له تسع وتسعون نعجة، فطلب منه أخوه أن يضم نعجته إلى نعاجه لتكون تحت كفالته وشدد عليه في الطلب. فقال له داود بأنه قد ظلمك بهذا الطلب حين أراد انتزاع نعجتك منك ليكمل ما عنده إلى مائة، وإن الكثير من الشركاء يتعدون على بعضهم البعض باستثناء المؤمنين وهم قليل.

وهنا أدرك داود أنه قد اختبر بهذه الحادثة فطلب المغفرة من الله تعالى وسجد له سبحانه وتاب وندم لأنه تعجل في الحكم دون أن يسمع الطرف الآخر، فغفر له ربه خطأه وعفا عنه لأن بدأ بالظن السيئ بالرجلين ثم حكم دون استماع الطرف الثاني مما يخرج الحكم عن العدل.

ولأنه تاب وأناب واستغفر وسجد فقد استخلفه تعالى على الناس لتدبير شؤونهم، وأمره أن يحرص على العدل في الحكم بشريعة الله ولا يتبع هوى النفس في ذلك، لأن ذلك يبعد عن حكم الله ويوقع في العذاب الشديد يوم الحساب.

إن قصة داود عليه السلام مع هذين الخصمين تستقيم مع عصمة النبوة وترد على جميع الروايات الإسرائيلية التي تتحدث عن نسبة الفحشاء لداود عليه السلام الأمر الذي يجعلنا أن لا نستبعد على هذه القصة الإسرائيلية أمثال هذه الافتراءات على أنبياء الله المعصومين.

﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيْمَـٰنَ ۚ نِعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿٣٠﴾ إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِٱلْعَشِىِّ ٱلصَّـٰفِنَـٰتُ ٱلْجِيَادُ ﴿٣١﴾ فَقَالَ إِنِّىٓ أَحْبَبْتُ حُبَّ ٱلْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّى حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِٱلْحِجَابِ ﴿٣٢﴾ رُدُّوهَا عَلَىَّ ۖ فَطَفِقَ مَسْحًۢا بِٱلسُّوقِ وَٱلْأَعْنَاقِ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَـٰنَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ ﴿٣٤﴾﴾.

ووهب تعالى لداود ابنه سليمان عليهما السلام ليرثه في النبوة من بين أولاده الكثُر، وقد كان سليمان أواباً لربه، فقد عرضت عليه في إحدى الأمسيات تلك

الجياد الكريمة فانشغل بها لحبه لها عن ذكر خاص له حتى غابت الشمس وعندها أمر بذبحها وتوزيع لحومها على الفقراء.

وأما الفتنة التي تعرض لها سليمان عليه السلام فهي مرض ابتلي به حتى نحل جسمه وأصبح كجسد ملقى على الكرسي، ثم بعدها ردَّ الله عليه صحته وعافيته، فدعا ربه أن يغفر له، وكما يشير إليه الحديث فإنه لم يقل إن شاء الله عندما عزم على إتيان سبعين من نسائه ليأتينه بسبعين فارساً يجاهدون في سبيل الله، فكانت هفوة تاب منها وأناب فغفر له ربه.

ولا بد من رد القصص الإسرائيلية بهذه المناسبة والتي تتحدث عن وقوع خاتم سليمان عليه السلام بيد الشيطان بعد أن ظهر لزوجته التي تحمله ريثما يخرج من الخلاء على هيئة سليمان، فتحكم الشيطان به بالإنس والجن والشياطين.

﴿وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَٱضْرِب بِّهِۦ وَلَا تَحْنَثْ ۗ إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا ۚ نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿٤٤﴾﴾.

فبعد أن استجاب تعالى لأيوب عليه السلام دعاءه فاستعاد صحته أمره أن يفي بيمينه لزوجته ولا يحنث في يمينه وذلك بأن يضرب امرأته مائة سوط إذا برئ من مرضه لأنها تذمرت من طول خدمتها له مع مرضه، فأمره تعالى أن يأخذ حزمة من قضبان خفيفة فيها مائة عود ويضربها بها ضربة واحد فيبر بيمينه.

﴿وَءَاخَرُ مِن شَكْلِهِۦٓ أَزْوَٰجٌ ﴿٥٨﴾﴾.

وهناك عذاب آخر كالزمهرير والزقوم والسموم وغيرها.

﴿هَٰذَا فَوْجٌ مُّقْتَحِمٌ مَّعَكُمْ ۖ لَا مَرْحَبًۢا بِهِمْ ۚ إِنَّهُمْ صَالُوا۟ ٱلنَّارِ ﴿٥٩﴾﴾.

فتقول لهم خزنة جهنم بأن هذا جمع غفير قد دخلوا معكم النار كما دخلوها معكم في الجهل والضلال لا أهلاً ولا مرحباً بهم لأنهم للنار داخلون.

من تفسير سورة الزمر [٣٩]

سورة الزمر مكية في ٧٥ آية

﴿خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ الْأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِّن بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ۝٦﴾.

فالله تعالى الذي يدعوكم لعبادته الخالصة هو الذي خلق السموات والأرض، وهو الذي خلق البشر من نفس واحدة هو آدم الذي خلق منه زوجه حواء، وقضى بحكمه ثمانية أزواج من الأنعام كل زوج ذكر وأنثى، وهو سبحانه الذي يخلق كل واحد منكم في ثلاث ظلمات هي المشيمة والرحم والبطن فهو سبحانه الذي يدبركم في ملكه كيف يشاء وهو الإله المعبود بحق من بين الآلهة الكثر فمن العجب كيف تنصرفون عن عبادته إلى عبادة غيره.

﴿قُلْ يَا عِبَادِ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ۝١٠﴾.

فقل يا محمد لعباد الله المؤمنين أن يتجنبوا محارم الله، فإن لكل محسن منهم في اختياراته حسنة، فعلى المؤمنين إذا ضاقت بهم أرض فحرموا من طاعة الله وعبادته في أي مكان أن يغادروه كما حصل بالهجرة من مكة إلى الحبشة، وعليهم أن ينتظروا مقابل صبرهم عن المتاعب والابتلاءات الأجر والثواب الجزيل بدون عد ولا حصر.

﴿الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَٰئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ ۝١٨﴾.

فمن صفات عباد الرحمن المخلصين أنهم يستمعون للمواعظ والآيات والأدلة والبراهين فيأخذون بالأحسن والأقوى حجة والأدق برهاناً، كما يحصل في ترجيح الأحكام بقوة أدلتها وسلامة انطباقها على الوقائع. وهؤلاء هم من عملوا بحكم الله

وحرصوا على الالتزام بأمره ونهيه، وما ذلك إلا لسلامة عقولهم وقوة تفكيرهم وشمول درايتهم.

﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا مَّثَانِيَ تَقۡشَعِرُّ مِنۡهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمۡ وَقُلُوبُهُمۡ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهۡدِي بِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنۡ هَادٍ ٢٣﴾.

فالله تعالى هو الذي أنزل القرآن العظيم كتاباً تتشابه آياته في الفصاحة والبلاغة، وتتكرر أحكامه وقصصه ومواعظه بشكل تضطرب معه جلود المؤمنين المتقين وبعدها يشعرون بالراحة والاطمئنان إلى ذكر الله وأحكامه؛ لأنهم مؤمنون مهتدون إلى طاعة ربهم والعمل لمرضاته، وشتان بينهم وبين من ابتعدوا عن ذلك، الذين لن يجدوا الطمأنينة والراحة لا في الدنيا ولا في الآخرة.

﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا رَّجُلٗا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ وَرَجُلٗا سَلَمٗا لِّرَجُلٍ هَلۡ يَسۡتَوِيَانِ مَثَلًاۚ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ٢٩﴾.

فقد ضرب تعالى للعقلاء مثلاً يبين فيه الفرق بين المؤمن والمشرك، فالمشرك يشبه العبد الذي يشترك في ملكيته عدة أشخاص متشاكسون مختلفون في الرأي من حيث خدمته لهم، فهو يعيش بينهم في دوامة لا يعرف كيف يخدمهم، بينما المؤمن يشبه العبد الذي يملكه سيد واحد فهو يخدمه براحة واطمئنان. فالمشرك مشتت بين عدة آلهة، والمؤمن يخضع لإله واحد وشتان بينهما.

﴿أَلَيۡسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبۡدَهُۥۖ وَيُخَوِّفُونَكَ بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦۚ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنۡ هَادٍ ٣٦﴾.

فأعلمهم يا محمد بأن الله تعالى كافيك شرورهم، وأن أصنامهم التي يخوفونك من أذاها لا تضر ولا تنفع. وعليهم أن يدركوا أن من يبتعد عن سبيل الله وطاعته فلن يعرف الطريق السليم .

﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ لِلنَّاسِ بِٱلۡحَقِّۖ فَمَنِ ٱهۡتَدَىٰ فَلِنَفۡسِهِۦۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيۡهَاۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيۡهِم بِوَكِيلٍ ٤١﴾.

فأعلمهم بأن الله تعالى قد أنزل القرآن الكريم فيه كل ما يحقق للناس من خير،

فمن أخذ به فقد حقق الخير لنفسه ومن تركه فقد جلب الشر لنفسه، وأنت يا محمد لا تملك فرض الهداية لهم.

﴿فَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَـٰنَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَـٰهُ نِعْمَةً مِّنَّا قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍۭ ۚ بَلْ هِىَ فِتْنَةٌ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٩﴾﴾.

فالمشرك يدعي عند النعمة بأن ذلك من علمه ودرايته وليس من غيره. وليعلم أن غيره كقارون قال ذلك فكانت نعمة استدراج واختبار فليحذر المشرك ذلك.

﴿أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ ٱللَّهَ هَدَىٰنِى لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٥٧﴾﴾.

فإن الله تعالى أنزل الهداية وبلغها الرسول عليه السلام ولكنك أيها المشرك كذبت بها فكنت من الكافرين.

﴿وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾﴾.

فقد نزل لك يا محمد الوحي كما نزل للأمم السابقة بأن من يشرك بالله سيفشل في عمله ويخسر، مهما ظهر عليه من نجاح في الدنيا.

من تفسير سورة غافر [٤٠]

سورة غافر مكية في ٨٥ آية

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُنَادَوْنَ لَمَقْتُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ مِن مَّقْتِكُمْ أَنفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى ٱلْإِيمَـٰنِ فَتَكْفُرُونَ ﴿١٠﴾﴾.

فيوم القيامة ينادى على الكفار ويقال لهم بأن غضب الله وسخطه عليهم كان في الدنيا لتكذيبهم لآيات الله أكبر من مقتهم وسخطهم الآن على أنفسهم لأنهم كانوا يُدعون إلى الإيمان ليجنبوا هذا الذي هم فيه من العذاب ولكنهم كانوا ينكرون ويجحدون .

﴿رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ ذُو ٱلْعَرْشِ يُلْقِى ٱلرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ لِيُنذِرَ يَوْمَ ٱلتَّلَاقِ ﴿١٥﴾﴾.

فعليكم أيها الناس أن تؤمنوا بالله تعالى وتخلصوا له الدين لأنه ذو مكانة عالية أكثر مما تتصورون، وعرشه أكبر مما تتخيلون، وينزل الوحي على من يريد ممن يختارهم أنبياء ورسلاً من عباده لتبليغ رسالاته ولينذروا هذا اليوم الذي يلتقون فيه في الحشر جميعاً للحساب.

﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَٰنَهُۥٓ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّىَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمْ﴾ [٢٨].

وكان هذا المؤمن ابن عم فرعون، كما قال المفسرون، ولذلك تجرأ على الحديث والاعتراض والدعوة للإيمان وإن تهددوه في النهاية بالقتل ولكن الله أنقذه منهم ﴿فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُوا۟ وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٥﴾﴾ فغرقوا ونجا ذاك الرجل المؤمن.

﴿ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٦﴾﴾.

فهم يعذبون في القبور صباح مساء، ولكن ما ينتظرهم من عذاب النار يوم القيامة أشد وأبقى.

﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ ﴿٥١﴾﴾.

سننصر المرسلين والمؤمنين في الدنيا على الكافرين. فاطمئن يا محمد واصبر على أذاهم فإن ربك ناصرك في هذه الحياة بالحجة والانتقام من المجرمين وسينصر سبحانه الرسل والمؤمنين يوم القيامة عندما يُشهد على الأعمال.

﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾﴾.

فقد وعد تعالى أن يستجيب لمن يدعوه، وتهدد الذين يتعالون عن عبادته والمقصود هنا عن دعائه؛ فإنهم يقعون في الكفر الذي يستوجب دخول جهنم.

﴿فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴿٧٧﴾﴾.

فاصبر يا محمد على أذاهم وتكذيبهم فإن وعد الله لك بالنصر في النهاية عليهم

حق لا شك فيه، وسواء رأيت بعينك شيئاً من العقاب الذي نتوعدهم في الحياة الدنيا أو نتوفاك قبل أن تراه كله فإنهم راجعون يوم القيامة ليروا ما ينتظرهم من العذاب.

﴿فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَٰنُهُمْ لَمَّا رَأَوْا۟ بَأْسَنَا ۖ سُنَّتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى قَدْ خَلَتْ فِى عِبَادِهِۦ ۖ وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٥﴾﴾.

فإن الإيمان عند وقوع العذاب لا ينفع صاحبه، لأن هذه هي سنة الله في جميع الأقوام، فلم ينقذوا أنفسهم من الخسارة والجحيم بهذا الإيمان المتأخر لوقت نزول العقاب الدنيوي.

من تفسير سورة فصلت [٤١]

سورة فصلت مكية في ٥٤ آية

﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ فَٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْعَمَىٰ عَلَى ٱلْهُدَىٰ فَأَخَذَتْهُمْ صَٰعِقَةُ ٱلْعَذَابِ ٱلْهُونِ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿١٧﴾﴾.

فبعد أن أورد لقريش الأمثلة الحية على قدرة الله تعالى عليهم وعلى إنزال العقاب بهم إن استمروا على الجحود والتكذيب، ذكر لهم أخيراً ما فعله بثمود قوم صالح عليه السلام عندما جاءهم ببيان واضح لطريق الهدى ولكنهم رفضوه واختاروا الضلال على الهداية والكفر على الإيمان فأنزل تعالى عليهم قارعة العذاب المهين والمذلّ بسبب إجرامهم وتكذيبهم لنبي الله صالح عليه السلام.

﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَآءُ ٱللَّهِ إِلَى ٱلنَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٩﴾﴾.

فاذكر يا محمد لكفار قريش يوم يجمع الله أعداءه المجرمين في أرض المحشر ليساقوا إلى النار فيحبس أولهم على آخرهم ليتلاحقوا ويجتمعوا جميعاً.

﴿فَإِن يَصْبِرُوا۟ فَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ ۖ وَإِن يَسْتَعْتِبُوا۟ فَمَا هُم مِّنَ ٱلْمُعْتَبِينَ ﴿٢٤﴾﴾.

فإن أولئك المشركين يخسرون أنفسهم وأهليهم المشاركين لهم في الشرك يوم

القيامة، وإن يصبروا على العذاب فالنار مقامهم لا مهرب منها، وإن يطلبوا إرضاء الله فلن يتحقق لهم الرضا بعد أن فات أوانه في الدنيا.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَسْمَعُوا۟ لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْا۟ فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ ﴿٢٦﴾﴾.

فقال الكفار من مشركي مكة وغيرها: لا تستمعوا لمحمد عندما يقرأ القرآن وانشغلوا عنه، وارفعوا أصواتكم حتى لا يسمعه أحد حتى تغلبوه، فكان أبو جهل يقول لهم: إذا قرأ محمد فصيحوا في وجهه حتى لا يدري ما يقول.

﴿مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٤٦﴾﴾.

فقد قضى الله تعالى العدل والفضل، العدل بالجزاء المقام على كل عمل. فمن يعمل صالحاً يجد جزاءه عليه ومن عمل سيئاً يجد جزاءه عليه. وأما الفضل فإنه تعالى يضاعف الأجر والثواب على صالح الأعمال فلا يجازي عليها بالعدل فقط، وذلك من كرمه ورحمته بعباده الصالحين. فالله سبحانه بعيد عن الظلم فيما يجازيه على كسب عباده، ولا سيما وهو يضاعف الثواب على صالح أعمالهم.

﴿لَّا يَسْـَٔمُ ٱلْإِنسَٰنُ مِن دُعَآءِ ٱلْخَيْرِ وَإِن مَّسَّهُ ٱلشَّرُّ فَيَـُٔوسٌ قَنُوطٌ ﴿٤٩﴾﴾.

فالإنسان كل إنسان لا يمل من الدعاء بالخير لنفسه سواء في المال أو الصحة أو غيرهما، ولكن ما أن يصيبه فقر أو مرض حتى يظهر عليه اليأس من رحمة الله وفضله.

﴿وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ أَعْرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ فَذُو دُعَآءٍ عَرِيضٍ﴾ [٥١].

فعندما تنزل نعمة الله على إنسان تجده يعرض عن شكر ربه ويستكبر عن طاعته، ولكن إذا حل به مكروه فما أكثر دعاءه وابتهاله، فهو يعرف ربه في البلاء وينساه في الرخاء. ففي الآية السابقة يكثر من الدعاء للخير، وفي هذه الآية يتكبر عن الشكر عندما يأتيه الخير، فكأنه لم يدع!

من تفسير سورة الشورى [٤٢]

سورة الشورى مكية في ٥٣ آية

﴿وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿١٠﴾﴾.

فعليكم أيها المؤمنون أن تردوا أي خلاف يقع بينكم في أمور دينكم إلى الله تعالى في كتابه وسنة نبيه، لأنه سبحانه وحده هو ربنا الذي يعلم ويشرع لنا ما فيه خير سعادتنا في الدنيا والآخرة، وعليه وحده توكلنا وإليه وحده نعيد جميع شؤوننا كما نعود للحساب على التزام ذلك كاملاً أو ناقصاً.

﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾﴾.

فقد فرض سبحانه للمسلمين ما فرض لأولي العزم من رسله: إبراهيم ونوح وموسى وعيسى من الالتزام بأصول الدين من توحيد وطاعات، وأن يكون ذلك واحداً موحداً وإن تفرقوا في الجزئيات من شريعة دينهم، فالمشركون لا يستجيبون لذلك لكبرهم وعنادهم ورفضهم أن يشتركوا في الإيمان بذلك مع الفقراء الذي يستجيبون لهذه الأصول ويريدون أن يستقلوا في التبعية للرسل. فالأديان عندهم شأنها شأن الدنيا: لهم أن يتحكموا بها وبتوزيع مراكزها وشؤونها ونسوا بأن الاختيار الذي أعطاهم الله في كسب الأعمال لم يعطهم مثله في الأديان، وهي ملك للرب صاحبها ومنزلها.

﴿اللَّهُ الَّذِي أَنزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ ﴿١٧﴾﴾.

فقد نزل تعالى القرآن وجميع الكتب الإلهية بالصدق القاطع والحق الساطع في الأحكام والتشريعات والأخبار، كما نزل مع الحق الميزان، وهو العدل والإنصاف فلا يقبل حقاً كاملاً دون عدل كامل. فكما أمركم تعالى بالحق والعدل نبهكم إلى أن الحساب على ذلك قادم لا شك فيه ألا وهو يوم القيامة.

﴿قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾ [٢٣].

فالنبي عليه السلام مأمور أن يخبر مكة وغيرها بأنه لا يبتغي أجرة على تبليغه هدى ربه وإنما يطلب منهم بصفة ما يجمعه بهم من قرابة أن يراعوها فلا يقفوا في طريقه لتبليغها للناس.

﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ ﴿٣٠﴾﴾.

فلا يصاب أحد بأي مصيبة مهما كانت صغيرة إلا جزاء ما كسبه من شر، وإن كان تعالى يعفو ويسامح عن الكثير من السيئات.

﴿أَوْ يُوبِقْهُنَّ بِمَا كَسَبُوا۟ وَيَعْفُ عَن كَثِيرٍ ﴿٣٤﴾﴾.

فلو قضى سبحانه أن يسكن الريح لما تحركت السفن في البحار، كما لو قضى أن يجعلها عواصف لغرقت السفن وما عليها بجرائم أهلها ولكنه سبحانه يؤجل ويعفو.

﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ﴾ [٥٢].

فقد أوحى أيضاً إليك ربك يامحمد برسالة هي الروح المحيية للنفوس مع أنك لم تكن تعرف شيئاً عن القرآن والشرائع، فكان ضياء يهتدي به المتقون بما بلغتهم به من الإسلام، الدين القويم.

من تفسير سورة الزخرف [٤٣]

سورة الزخرف مكية في ٨٩ آية

﴿أَفَنَضْرِبُ عَنكُمُ ٱلذِّكْرَ صَفْحًا أَن كُنتُمْ قَوْمًا مُّسْرِفِينَ ﴿٥﴾﴾.

فهل تريدون أيها المشركون أن لا نجعل رسولنا يواصل تبليغ الرسالة لكم بمجرد إسرافكم في الجحود والتكذيب؟ لا، إن رسولنا سيواصل التبليغ لكم حتى تقوم الحجة عليكم فمن اختار الهدى فله الرضا ومن كذب وتولى فعليه السخط وله جحيم اللظى.

﴿... وَتَقُولُواْ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقْرِنِينَ ﴿١٣﴾ وَإِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ ﴿١٤﴾﴾.

فقد يسر لكم ربكم مراكب في البر والبحر لتسهل عليكم أسفاركم وتجاراتكم. فتذكروا نعم الله عليكم مرددين هذا الدعاء عند ركوبكم: سبحان الذي سخر لنا هذا، أي يسره وذلّله ولولاه تعالى لما قدرنا على ذلك، ونحن نعلم أننا راجعون إليه تعالى ليجازينا بشكر النعم خير الجزاء، فله الحمد والمنّة.

﴿أَوَمَن يُنَشَّؤُاْ فِى ٱلْحِلْيَةِ وَهُوَ فِى ٱلْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ ﴿١٨﴾﴾.

وهنا ينعي تعالى على مشركي مكة كيف يزعمون أن الملائكة بنات الله سبحانه، وهم لا يطيقون البنت إذا ولدت زوجة أحدهم بها، فكيف ينظرون بهذا المنظار القاصر إلى البنات وهم يعرفون أنها تجبر كسرها بما تمنح من حلي وجواهر، وخاصة عند زواجها، كما يعرف عنها أنها لا تحسن المخاصمة في عدم بيان الحجة عندما تستسلم لأهوائها ورغباتها.

﴿وَقَالُواْ لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴿٣١﴾﴾.

لقد زعم كبار المشركين أن النبوة لصاحب الجاه والمال من أمثال الوليد بن المغيرة في مكة أو عروة بن مسعود الثقفي في الطائف، ونسوا أن الجاه والعظمة هي للنفس ومن له ذلك أكثر من الرسول عليه السلام؟

﴿وَلَوْلَآ أَن يَكُونَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِٱلرَّحْمَٰنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ ﴿٣٣﴾ وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَٰبًا وَسُرُرًا عَلَيْهَا يَتَّكِـُٔونَ ﴿٣٤﴾ وَزُخْرُفًا ۚ وَإِن كُلُّ ذَٰلِكَ لَمَّا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَٱلْءَاخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٣٥﴾﴾.

ولو أن الله جعل الكفار كلهم أغنياء والمسلمين كلهم فقراء لأدى ذلك إلى إقبال الناس كلهم على الكفر رغبة في الغنى وتجنباً للفقر، فالله تعالى قد قضى أن يجعل من الطرفين الأغنياء والفقراء ليتحقق التدبر والاعتبار، وتبقى لا تغيب عنهم أن الدنيا بكل غناها ومتعها ما هي إلا متاع زائل وأن الآخرة هي النعيم الدائم ... وشتان بينهما.

﴿وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ ۖ وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ ﴿٤٤﴾﴾.

وإن هذا القرآن لشرف عظيم وتكريم كبير لك يا محمد، ولقومك قريش، لأنه نزل بلغتهم وعلى رجل منهم وإن هذا القرآن شرف لكل من آمن به واتبع رسوله.

﴿فَٱسۡتَخَفَّ قَوۡمَهُۥ فَأَطَاعُوهُۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَوۡمٗا فَٰسِقِينَ ٥٤﴾.

فاستخف فرعون بعقول قومه واستغفلهم وهو يرى طاعتهم وعبادتهم له عن خفة عقل.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِي فِي ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٞ وَفِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَٰهٞۚ وَهُوَ ٱلۡحَكِيمُ ٱلۡعَلِيمُ ٨٤﴾.

فهو سبحانه معبود أهل السماء وأهل الأرض والكل خاضع وعابد له وحده بحكمته وتدبيره وعلمه وتقديره.

من تفسير سورة الدخان [٤٤]

سورة الدخان مكية في ٥٩ آية.

﴿فَٱرۡتَقِبۡ يَوۡمَ تَأۡتِي ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٖ مُّبِينٖ ١٠ يَغۡشَى ٱلنَّاسَۖ هَٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٞ ١١ رَّبَّنَا ٱكۡشِفۡ عَنَّا ٱلۡعَذَابَ إِنَّا مُؤۡمِنُونَ ١٢﴾.

فانظر يا محمد إلى ذلك اليوم الذي يشتد فيه الدخان في مكة على مضر، وذلك بعد أن دعا الرسول ﷺ عليهم أن تجعل عليهم السنين كسني يوسف عليه السلام؛ أي يعمهم القحط. فاستمر إلى سبع سنين كانوا خلالها من شدة الجوع يعيشون أشد حالاتهم حتى طلبوا من الرسول ﷺ أن يدعو لهم بكشف هذا القحط وتعهدوا أن يؤمنوا بالله ورسوله إن كشف عنهم، ولكنهم كذبوا، فما أن ذهب القحط حتى تبخر الوعد.

﴿وَٱتۡرُكِ ٱلۡبَحۡرَ رَهۡوًاۖ إِنَّهُمۡ جُندٞ مُّغۡرَقُونَ ٢٤﴾.

لا تدع يا موسى لربك ليغلق البحر بل دعه يبقى منفلقاً لكي يتبعكم فيه فرعون وجنوده، وعندها ينطبق عليهم بأمر ربه فيغرقون.

﴿فَمَا بَكَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَا كَانُواْ مُنظَرِينَ ٢٩﴾.

فغرق فرعون وجنده جميعاً ولم يبك عليهم أحد في السماء ولا في الأرض، ولم يمهلوا إلى آجالهم في دنياهم بل كانت بغرقهم، ولم يمهلوا ليعيشوا طويلاً ويحاسبوا على سوء أعمالهم وكفرهم يوم الدين.

﴿وَلَقَدِ ٱخْتَرْنَٰهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٢﴾﴾.

فقد اصطفاهم رب العالمين على علم منه سبحانه بأنهم أي بني إسرائيل كانوا يستحقون ذلك الشرف على جميع الناس في زمانهم وليس في كل زمان، لأن أمة محمد خير أمة أخرجت للناس.

﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَيَقُولُونَ ﴿٣٤﴾ إِنْ هِىَ إِلَّا مَوْتَتُنَا ٱلْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُنشَرِينَ ﴿٣٥﴾﴾.

فهؤلاء أهل مكة يقولون بأنها الميتة الوحيدة التي سنموتها بانتهاء أعمارنا ولا يوجد بعث ولا نشور بعدها، فأهل مكة كقوم فرعون في هذا.

﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ ﴿٤٩﴾﴾.

فأنت يا من تدعي المكانة العالية الرفيعة في مشركي مكة ستكون من أهل الجحيم وطعامك الزقوم وشرابك الحميم، فلتأكل من ذلك ولتشرب فأنت العزيز الكريم ولكن على من، وعند من؟ إنه في تقديرك الخاطئ وظنك الواهم، فأنت لست بالعزيز ولا بالكريم وإنما هي السخرية والتهكم بهذا الزعم الكاذب منهم لهم.

﴿فَٱرْتَقِبْ إِنَّهُم مُّرْتَقِبُونَ ﴿٥٩﴾﴾.

فانتظر يا محمد ما يحل بهم فهم ينتظرون هلاكك، وسيعلمون لمن ستكون النصرة والظفر في الدنيا والآخرة.

إنه من الله تعالى لرسوله ﷺ ووعيد للمشركين، وهذا في مكة وقبل الهجرة، مما يطمئن النبي ﷺ والمؤمنين معه بأن النصر لا شك أنه لهم.

من تفسير سورة الجاثية [٤٥]

سورة الجاثية مكية في ٣٧ آية

﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ۝٧ يَسْمَعُ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ۝٨ وَإِذَا عَلِمَ مِنْ ءَايَٰتِنَا شَيْـًٔا ٱتَّخَذَهَا هُزُوًا أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ۝٩﴾.

فالهلاك لكل كذاب كثير الآثام يسمع آيات القرآن تتلى عليه ثم يستمر على كفره مستكبراً عن الإيمان كأن لم يسمعها، فله العذاب الشديد بشارة من باب التهكم، وقال المفسرون بأن النضر بن الحارث هو الذي كان يروي قصص العجم ويشغل الناس بها عن استماع القرآن، وإن كانت الآية عامة في كل فاعل لذلك الفعل الشنيع، إذ كان لا يبلغه شيء من القرآن حتى يبادر بالسخرية والهزء به فلينتظر العذاب المذل المهين جزاء أفعاله القبيحة.

﴿قُل لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يَغْفِرُوا۟ لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ ٱللَّهِ لِيَجْزِىَ قَوْمًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾ [١٤].

فقل يا محمد للمؤمنين أن يتجاوزوا عن أذى المشركين الذين لا يؤمنون بالآخرة، فإن يشتمك أحدهم يا عمر فلا تتعجل له بالبطش فلعل في ذلك ما يؤلف قلوبهم، وأما مع العناد والإصرار على الباطل فلا حل غير تشريع الجهاد ليجازى الكفرة بما اقترفوه.

﴿وَءَاتَيْنَٰهُم بَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ ۖ فَمَا ٱخْتَلَفُوٓا۟ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۝١٧﴾.

واعلم يا محمد بأن ربك قد رزق بني إسرائيل النعم الكثيرة وفضلهم على أمم زمانهم ولكنهم لم يشكروا وأصروا على الكفر، وكذلك قومك. واعلم أننا قد بيّنّا لبني إسرائيل أمر الشريعة وأمر موسى عليه السلام على أكمل وجه فاختلفوا عندما جاءتهم البراهين القاطعة على ذلك وما فعلوا ذلك إلا حسداً وطلباً للزعامة فكان العناد، ولا بد أن يكون الفصل في ذلك يوم القيامة حين يفصل بين العباد.

﴿هَٰذَا بَصَٰٓئِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ۝٢٠﴾.

فهذا القرآن نور وضياء للناس مقام البصائر في القلوب وهو في الوقت نفسه رحمة لمن آمن به وأيقن.

﴿وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً ۚ كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰ إِلَىٰ كِتَابِهَا الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾﴾.

فترى الأمم يوم القيامة جالسة على ركبها من شدة الفزع حين تدعى إلى صحائف أعمالها، لتنال جزاء أعمالها من خير وشر.

﴿هَٰذَا كِتَابُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِالْحَقِّ ۚ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٩﴾﴾.

كنا نأمر الملائكة بكتابة أعمالكم لإثباتها عليكم، فكان ما يكتبونه نسخة منقولة عما سجل عليكم في اللوح المحفوظ.

﴿وَلَهُ الْكِبْرِيَاءُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾﴾.

فيوم الحساب تبرز عظمة الله تعالى وجلاله في السموات والأرض فهو سبحانه غالب كل شيء فيها وحكيم في صنعه، كل شيء من فعله وتدبيره.

من تفسير سورة الأحقاف [٤٦]

سورة الأحقاف مكية في ٣٥ آية

﴿قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ الرُّسُلِ وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٩﴾﴾.

فقل يا محمد لمشركي مكة بأنك لست أول رسول يأتي للعالم، ولا جئت بما لم يجئ به أحد قبلك، بل جئت بما جاء به كثيرون قبلك، فلم تنكرون ذلك؟! ثم قل لهم: إنني لا أدري ما يقضي الله به عليَّ وعليكم، فما أنا إلا رسول منذر لكم بما ينزله الله تعالى من الوحي، فأنا رسول منذر لكم من عذاب الله.

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَكَفَرْتُم بِهِ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِ فَآمَنَ وَاسْتَكْبَرْتُمْ ۖ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٠﴾﴾.

فقل للمشركين يا محمد: إن كان القرآن كلام الله حقاً وكذبتم به فما هي

حالكم ولا سيما عندما يشهد أحد بني إسرائيل وهو عبد الله بن سلام على صدق القرآن بينما أنتم تنكرونه؟ فمن أفضل ومن أظلم الناس؟ لا شك أنه أنتم وليس غيركم، واعلموا أن الله لا يوفق للخير والإيمان من كان فاجراً ظالماً.

﴿وَٱذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنذَرَ قَوْمَهُۥ بِٱلْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَتِ ٱلنُّذُرُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦٓ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٢١﴾﴾.

واذكر يا محمد لمشركي مكة حكاية هود عليه السلام مع قومه عاد، حين أنذرهم من عذاب الله إن لم يؤمنوا وهم بالأحقاف، تلك الرمال العظيمة في اليمن، وكانت الرسل قد أنذرت قبل هود وبعده، ودعاهم عليه السلام لأن يعبدوا الله فحسب، وحذرهم؛ لأنه يخاف عليهم إن عبدوا غيره عذاب يوم القيامة.

﴿فَلَوْلَا نَصَرَهُمُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ قُرْبَانًا ءَالِهَةًۢ ۖ بَلْ ضَلُّوا۟ عَنْهُمْ ۚ وَذَٰلِكَ إِفْكُهُمْ وَمَا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٢٨﴾﴾.

فهلّا نصرتهم آلهتهم التي تقربوا بها إلى الله بزعمهم ودفعت عنهم العذاب؟! فهي بأمس الحاجة لمن سينصرها وينقذها من عذاب الله معهم يوم الحساب، فهم اليوم يعيشون كذبهم وافتراءهم على الله تعالى.

﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓا۟ أَنصِتُوا۟ ۖ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْا۟ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ﴿٢٩﴾ قَالُوا۟ يَـٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَـٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٠﴾﴾.

واذكر يا محمد جماعة الجن الذين وجهناهم إليك بوادي نخلة عند عودتك من الطائف وأنت تقرأ القرآن في صلاة تهجدك، وقد رجعوا إلى قومهم بعد سماعهم القرآن وإيمانهم به وأخبروا قومهم بما سمعوه، ويظهر أنه لم يكونوا قد سمعوا بعيسى عليه السلام حتى تحدثوا عن موسى قبل محمد عليهما السلام، وأن ما سمعوه كان مصدقاً لما نزل على موسى وأنهم دعوا قومهم ليجيبوا محمداً عليه السلام في دعوته للإيمان وعندها يمحو الله عنهم الذنوب والآثام ويرشدهم إلى الحق القويم والدين المستقيم.

﴿فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ ۚ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍۭ ۚ بَلَـٰغٌ ۚ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ ﴿٣٥﴾﴾.

فاصبر يا محمد على أذى المشركين كما صبر إخوانك من كبار الرسل الكرام، ولا تدع عليهم بالعذاب العاجل، فإنهم ما أن يروا عذاب الآخرة حتى يظنوا أن الدنيا لم تكن أكثر من ساعة من شدة الهول. فهذا بلاغ لمن يعقل ويعتبر، واعلموا أن الهلاك لن يكون إلا للكافرين الخارجين عن أمر الله تعالى.

من تفسير سورة محمد [٤٧]

سورة محمد مدنية في ٣٨ آية

﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّواْ ٱلْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنَّۢا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَآءً حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ۚ ذَٰلِكَ وَلَوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَاْ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ ۗ وَٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٤﴾﴾.

فبعد أن هيأ تعالى لإعلان الحرب على الكفار الذين يقفون في طريق الدعوة إلى الله بيّن سبحانه طريق التعامل معهم عندما يقفون في طريق دعوتكم بأن تقتلوهم بقطع الرقاب وليس بالشنق بالحبال أو غيرها من الطرق، وبعد أن تتمكنوا منهم وتهزموهم وتكثروا الجراحات فيهم ويتوقف القتال، فما عليكم إلا أن تشدوا رباطهم، كناية عن أخذ ما تبقى منهم أسرى، ولولي الأمر أن يقرر ما يفعله بحق هؤلاء الأسرى فإما أن يطلق سراحهم دون مقابل مال أو أي مذلة وإما أن يدفع كل منهم مبلغاً معيناً حتى يستقر موقف الحرب بينكم وبين الأعداء بشكل من الأشكال، وتأكدوا أن الله تعالى قادر على أن ينصركم عليهم دون قتال ولا دماء ولكنه الابتلاء لينال الشهداء أجرهم في أعالي الجنات، والكفار جزاءهم في الجحيم.

﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّىٰٓ إِذَا خَرَجُواْ مِنْ عِندِكَ قَالُواْ لِلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ مَاذَا قَالَ ءَانِفًا ۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَهْوَآءَهُمْ ﴿١٦﴾﴾.

ومن أعداء الإسلام المنافقون الذين يجلسون في مجلسكم ولكنهم لا يحاولون فهم ما تقولونه لهم حتى يلجأون لمن يعلم ممن يسمعون فيطلبون منهم أن يشرحوا لهم ما ذكر في المجلس، فإنهم لا شك ممن أصروا على إقفال آذانهم عن سماع

الحق، وقلوبهم عن التأثر به، وإنما فتحوها فقط لأهوائهم وشهواتهم ولما يعمل لها.

﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ فَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُّحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا ٱلْقِتَالُ رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ ٱلْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ فَأَوْلَىٰ لَهُمْ﴾ [٢٠].

فإن المؤمنين يتمنون أن تنزل سورة في الأمر بالجهاد، ومتى نزلت مثل هذه السورة فإن المنافقين يستولي عليهم الرعب حتى يظهرون كأن الموت قد غشيهم، فلا شك أن أصحاب هذا النفاق هم أولى الناس بهذه الحالة.

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُواْ مَآ أَسْخَطَ ٱللَّهَ وَكَرِهُواْ رِضْوَٰنَهُۥ فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ [٢٨].

فإن أولئك المنافقين الذين كرهوا آيات الجهاد التي تفضحهم يتظاهرون بالمشاركة في الجهاد ولو جزئياً وينسون أن الله تعالى يعلم مدى صدقهم وكذبهم.

﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَن لَّن يُخْرِجَ ٱللَّهُ أَضْغَٰنَهُمْ ﴿٢٩﴾﴾.

فهل ظن المنافقون أن الله لن يكشفهم للمؤمنين؟ وإلى أي مدى خالفوا أمر الله وطاعته فضاعت عليهم حتى أعمالهم التي شاركوا فيها المؤمنين وانكشفت أحقادهم.

﴿وَلَوْ نَشَآءُ لَأَرَيْنَٰكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَٰهُمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ ٱلْقَوْلِ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَٰلَكُمْ ﴿٣٠﴾﴾.

فقد تهددهم تعالى بأن يعرِّف الرسول عليه السلام بهم ولكنه سبحانه أعلمه بأنه حفظاً على أقاربهم من المؤمنين سيكتفي بالتعريف عليهم من شكل كلامهم حتى أصبحوا كلهم معروفين للرسول عليه السلام بمجرد أن يتكلموا.

﴿فَلَا تَهِنُواْ وَتَدْعُوٓاْ إِلَى ٱلسَّلْمِ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ وَٱللَّهُ مَعَكُمْ وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ ﴿٣٥﴾﴾.

فإياكم أن تضعفوا في الجهاد وتطلبوا الصلح مع أعدائكم ما دمتم منتصرين، وتأكدوا أن الله تعالى لن ينقص من أجر أعمالكم.

من تفسير سورة الفتح [٤٨]

سورة الفتح مدنية في ٢٩ آية

﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ﴿١﴾﴾.

أي أن الله تعالى قد وعد الرسول ﷺ بفتح مكة قبل أن يكون، وإن جاء بصيغة الماضي وكأنه محقق بالفعل، وحصل نزول هذه السورة أثناء مرجع الرسول ﷺ من مكة عام الحديبية. ولذلك قال بعض المفسرين بأن الفتح هو صلح الحديبية نفسه لما ترتب عليه من نتائج عظيمة من بيعة الرضوان ودخول الكثير في الإسلام وهذا ما قال به ابن كثير.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٠﴾﴾.

فقد اعتبر تعالى مبايعة المؤمنين للرسول ﷺ في بيعة الرضوان هي مبايعة لله تعالى، ولا شك أن هذا تشريف عظيم للنبي ﷺ.

﴿سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا فَاسْتَغْفِرْ لَنَا يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ لَكُم مِّنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا بَلْ كَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١١﴾ بَلْ ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَنقَلِبَ الرَّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَىٰ أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَزُيِّنَ ذَٰلِكَ فِي قُلُوبِكُمْ وَظَنَنتُمْ ظَنَّ السَّوْءِ وَكُنتُمْ قَوْمًا بُورًا ﴿١٢﴾﴾.

فقد قال المنافقون بأن أموالهم وأهليهم قد شغلتهم عن الخروج مع النبي ﷺ في الخروج لمكة في صلح الحديبية، والحقيقة التي فضحها الله تعالى هي أنهم لم يشاركوا من شدة الخوف على أنفسهم حتى ظنوا بأنهم سيبادون عن آخرهم لقلة عددهم بجانب عدوهم.

﴿سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ إِذَا انطَلَقْتُمْ إِلَىٰ مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ قُل لَّن تَتَّبِعُونَا كَذَٰلِكُمْ قَالَ اللَّهُ مِن قَبْلُ فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا بَلْ كَانُوا لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥﴾﴾.

فقد أراد أولئك المنافقون أن يذهبوا مع الرسول ﷺ في غزوة خيبر ليشاركوا

في الغنائم ولكن الله أمر الرسول ﷺ أن لن يشارك في خيبر إلا من شارك في غزوة الحديبية، فاعتبروا أن منعهم من غزوة خيبر هو من باب الحسد.

﴿قُل لِّلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ﴾ [١٦].

فقد دعوا لقتال مسيلمة الكذاب وقومه بني حنيفة الذين ارتدوا عن الإسلام بعد وفاة الرسول ﷺ على أن يقتلوهم أو يدخلوا في الدين دون قتال.

﴿وَعَدَكُمُ اللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَٰذِهِ وَكَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ عَنكُمْ﴾ [٢٠].

فقد تحقق وعد الله لهم بالغنائم الكثيرة في غزوة خيبر عوضاً عن صلح الحديبية، وأيضاً كف أيدي مشركي مكة عنهم عندما حاول ثمانون منهم الغدر يوم الحديبية فأسرهم المسلمون وعفا النبي ﷺ عنهم.

﴿وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ مِن بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ ۚ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٢٤﴾﴾.

فقد فتح المسلمون مكة دون قتال فلم تحصل فيها حرب بين الطرفين.

﴿إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَىٰ وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا ۚ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٢٦﴾﴾.

حيث منعوا الرسول ﷺ من كتابة البسملة وصفته كرسول في عقد الحديبية.

﴿لَّقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ ۖ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِن شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ ۖ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿٢٧﴾﴾.

فقد دخلوه بعد الحديبية وهم مطمئنون.

من تفسير سورة الحجرات [٤٩]

سورة الحجرات مدنية في ١٨ آية

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۝١﴾.

فاحذروا أيها المؤمنون أن تقدموا أمراً أو فعلاً بين يدي الله ورسوله. فلا تسبقونه عليه السلام في الجواب ولا في الأكل وفي المشي وإياكم القضاء بغير شرع الله ورسوله.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلْحُجُرَٰتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ۝٤﴾.

فعيينة بن حصن والأقرع بن حابس عندما وفدا على النبي ﷺ بسبعين من بني تميم وقت القيلولة، أخذا بالنداء المزعج على الرسول ﷺ ليخرج إليهم مع أن الأولى بهما كان مراعاة الأدب ومقام النبوة.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقُۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوْمًۢا بِجَهَـٰلَةٍ فَتُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَـٰدِمِينَ ۝٦﴾.

فاحذروا أيها المؤمنون من التعجل في تصديق الخبر الهام وخاصة إذا كان مصدره مشكوكاً في الثقة به كالوليد بن عقبة الذين نقل للرسول ﷺ خبر ردة جماعة الحارث بن ضرار لمنعهم دفع الزكاة له فتبين سوء النقل.

﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُواْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَاۖ﴾ [٩].

فاحرصوا على مصالحة الجماعتين من المؤمنين إذا نشب بينهما قتال، ولا بد من الوقوف ضد الباغي منهما حتى يحصل الصلح وتبقى أخوة الإيمان هي الأقوى من أخوة النسب والقرابة.

﴿قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّاۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُواْ وَلَـٰكِن قُولُوٓاْ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَـٰنُ فِى قُلُوبِكُمْۖ وَإِن تُطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَـٰلِكُمْ شَيْـًٔاۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝١٤﴾.

فقد زعم أولئك الأعراب من بني أسد الذين قدموا المدينة في سنة مجدبة وأخذوا يرددون طلبهم للصدقة بالمنّ على الرسول ﷺ بأنهم لم يقاتلوه كما فعل غيرهم، فنبههم تعالى على أن موقفهم هذا يدل على عدم تمكنّ الإيمان من نفوسهم

وإنما هو فقط الخضوع والاستسلام، وإن عليهم حتى يستقر الإيمان في قلوبهم أن يطيعوا أمر الله وأمر رسوله وأن لا يمنوا على الرسول لأن ذلك ينقص من ثوابهم، وأن عليهم الإقرار بالوحدانية مع الإقرار بالرسالة، وأن يبذلوا أموالهم وأرواحهم في سبيل الله وعندها يكونون مؤمنين حقاً.

﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُل لَّا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُم بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٧﴾﴾.

فعليكم أيها المؤمنون مهما كانت أحوالكم المعاشية ألا تمنوا على الرسول ﷺ ولا على أي أحد بإسلامكم لأن نفع ذلك عائد عليكم.

واعلموا أن المنة العظمى هي لله تعالى عليكم، لأنه هداكم للإيمان وثبتكم عليه إن صدقتم في دعوى الإيمان.

واعلموا ﴿إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾﴾.

اعلموا أنه تعالى عالم بما في صدوركم من قوة الإيمان أو من ضعفه؛ لأنه سبحانه علام الغيوب مطلع على كل غيوب أهل السموات والأرض الظاهرة والباطنة.

من تفسير سورة ق [٥٠]

سورة ق مكية في ٤٥ آية

﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ وَعِندَنَا كِتَابٌ حَفِيظٌ ﴿٤﴾﴾.

فإن الله تعالى عالم بأحوالهم عندما يدفنوا في التراب وما تصير إليه أجسادهم من التآكل والتفتت، فعليهم أن يعلموا بأن ذلك في كتاب حافظ لعددهم وأسمائهم وما تأكله الأرض منهم، ألا وهو اللوح المحفوظ.

﴿تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴿٨﴾﴾.

فإن ما دبرناه في السماء والأرض، وما أنبتناه في الأرض من نباتات كلها

تبصيراً منه تعالى لعباده وتذكيراً لهم على كمال قدرته، ولاسيما لكل عبد يرجع إلى الله تعالى في تفكيره وأنه تعالى هو الخالق المبدع لمخلوقاته.

﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَٰبُ ٱلرَّسِّ وَثَمُودُ ﴿١٢﴾﴾.

فاعلم يا محمد أن هناك أقواماً سبقوا قومك أهل مكة وما هم عليه من تكذيبك، فهناك قوم نوح وهناك أصحاب الرس وهم بقية من ثمود الذين رسوا نبيهم في البئر فسموا بها تذكيراً بأسوأ ما فعلوه.

﴿إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾﴾.

فملك عن يمينه يكتب حسناته، وملك عن شماله يكتب سيئاته، وما من كلمة تصدر منه إلا أخذت طريقها للتسجيل عليه ليلزم الحجة يوم الدين.

﴿وَقَالَ قَرِينُهُۥ هَٰذَا مَا لَدَىَّ عَتِيدٌ ﴿٢٣﴾﴾.

فيأتي الملك الموكل بالإنسان ليقدم كل ما لديه عنه وعن أعماله بكل دقة.

﴿قَالَ قَرِينُهُۥ رَبَّنَا مَآ أَطْغَيْتُهُۥ وَلَٰكِن كَانَ فِى ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ ﴿٢٧﴾﴾.

فيقول قرينه، الشيطان الملازم له بأنه لم يضلله ولكنه هو الذي ضل بكامل إرادته واختياره وكأنة يرد على الإنسان اتهامه له بأنه هو الذي أضله.

﴿مَّنْ خَشِىَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ وَجَآءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ ﴿٣٣﴾﴾.

فهذه الجنة التي قربت للمؤمنين يدعون للدخول فيها بوعد قد قطعه الله لهم بأنها لكل عائد يعود إلى ربه دائماً في أقواله وأفعاله، وحافظ بحرص على عهد ربه وأمره ولو لم يره ولكنه قلب الخاشع ويقينه القوي .

﴿لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴿٣٥﴾﴾.

ولهؤلاء المتقين دخول جنة الخلد بأمن من كل عذاب وبقاء دون انتهاء، فلهم في هذه الجنة كل ما تشتهيه أنفسهم وتلذ أعينهم ولهم زيادة على ذلك التكريم ما يروى عن أنس وجابر بأنه رؤية الله تعالى كل يوم جمعة، ولا شك أن هذه الرؤية لن تكون لهذا الإنسان المؤمن بقدراته الدنيوية المحدودة بل يغيره ربه ليكون الإنسان الخالد بصفات الخلود.

من تفسير سورة الذاريات [٥١]

سورة الذاريات مكية في ٦٠ آية

﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ ۝٧﴾.

فبعد أن أقسم تعالى بالعديد من مخلوقاته لشرفها ودلالتها على عجيب صنعه من أن يوم الجزاء لا بد قادم، أقسم بمخلوقات أخرى، إنها السماء بما فيها من طرائق محكمة وبنيان متقن على أن الكفار مضطربو الأقوال في أمر محمد عليه السلام ﴿إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ ۝٨﴾. فمنكم من يصفه بالشاعر، ومنكم الساحر، ومنكم المجنون وتأكدوا أن الإيمان به عليه السلام وبدعوته لن يتحقق لمن يكذب عليه ﴿يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ ۝٩﴾.

﴿قُتِلَ الْخَرَّاصُونَ ۝١٠ الَّذِينَ هُمْ فِي غَمْرَةٍ سَاهُونَ ۝١١﴾.

فهؤلاء الكذابون لعنوا وأهلكوا، كيف لا؟ وهم الغافلون اللاهون عن أمر الآخرة وما ينتظرهم فيها من العذاب الشديد.

﴿وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ۝١٨﴾.

خص تعالى الثناء عليهم لأنهم يستغفرون الله تعالى لتقصيرهم مهما عملوا من الحسنات، إذ يعدون أنفسهم دائماً مذنبين. فهم دائمو الاستغفار في أواخر الليل لما في هذه الأوقات من تجليات.

﴿فَرَاغَ إِلَىٰ أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ۝٢٦﴾.

فعجل بهدوء إلى أهله حتى لا يلفت نظر الضيوف ولا يضايقهم، وتجنباً لمحاولة أن يمنعوه من تقديم الضيافة.

﴿فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ فِي صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ ۝٢٩﴾.

فعندما سمعت زوجته سارة بالبشارة بولد يأتيه من امرأته جاءت في صيحة تستفسر بها عن الخبر، فأخبروها بالخبر فتعجبت أكثر، إذ كيف تلد العجوز العقيم من أمثالها، وكان عمرها تسعاً وتسعين سنة، وعمر إبراهيم مائة وعشرين سنة.

﴿فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ الْمُسْلِمِينَ ۝٣٦﴾.

فلم يكن في قرى لوط غير بيت واحد من المسلمين، هم لوط وابنتاه. وأما بقية السكان من رجال ونساء فكانوا من الكافرين.

﴿وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلرِّيحَ ٱلْعَقِيمَ ﴿٤١﴾﴾.

فكان في ذكر ما حصل لقوم عاد نتيجة تكذيبهم لنبيهم هود عليه السلام عبرة وأي عبرة، إذ أرسل تعالى عليهم الريح المدمرة التي لا خير فيها ولا تحمل مطراً ولا تلقح شجراً فكانت للإهلاك، وهي ريح الدبور التي ذكرها الحديث «نصرت بالصبا وأهلكت عاد بالدبور».

﴿وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَٰهَا بِأَيْيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴿٤٧﴾﴾.

فمن قدرته تعالى وإحكامه أنه شيد هذه السماء بقوته على هذا الحال المحكم، ووسعها حتى لتكون الأرض وما حولها كالنقطة صغيرة بالنسبة لها.

﴿كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُواْ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴿٥٢﴾ أَتَوَاصَوْاْ بِهِۦۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴿٥٣﴾﴾.

فكما كذبك يامحمد قومك وقالوا بأنك ساحر أو مجنون فإن هؤلاء المكذبين الرسلَ قالوا مثل ذلك. وكأنهم أوصى بعضهم بعضاً. إنه الطغيان على التكذيب هو الذي حملهم على ذلك.

من تفسير سورة الطور [٥٢]

سورة الطور مكية في ٤٩ آية

﴿وَٱلْبَيْتِ ٱلْمَعْمُورِ ﴿٤﴾﴾.

هو البيت الذي في السماء يقابل الكعبة على الأرض، ويدخله كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودون إليه ثانية.

﴿وَٱلْبَحْرِ ٱلْمَسْجُورِ ﴿٦﴾﴾.

ويقسم المولى سبحانه ثانية بالبحر الذي أوقد حتى أصبح ناراً يوم القيامة.

﴿يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا ﴿١٣﴾﴾.

تدفعهم ملائكة العذاب إلى النار دون رحمة ولا رأفة.

﴿كُلُّ ٱمْرِيِٕۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾ [٢١].

وهذا حال الكافر يوم الحساب، فجزاؤه بقدر أعماله، وأما المؤمن فرحمة الله تعالى وفضله يجعلان الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف ويزيد.

﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ ﴿٢٤﴾﴾.

إنهم خَدَمة المؤمنين في الجنة يتنقلون فيما بينهم لخدمتهم وهم على أعلى ما يكون الجمال المماثل للؤلؤ المصون.

﴿فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ ﴿٢٧﴾﴾.

فغفر لهم وأدخلهم الجنة بعيداً عن عذاب جهنم ذات الريح الشديدة الحرارة.

﴿أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيْبَ ٱلْمَنُونِ ﴿٣٠﴾﴾.

إن مشركي مكة يزعمون أنك يا محمد شاعر، وإنهم ينتظرون موتك ليتخلصوا منك.

﴿أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُۥ ۚ بَل لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾﴾.

يزعمون أنك يا محمد تختلق القرآن من عندك ولا تأتي به من وحي.

﴿أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ أَجْرًا فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ ﴿٤٠﴾﴾.

فهل تطلب يا محمد منهم أجرة على تبليغ الرسالة لهم حتى ثقلت عليهم الأمور وأصبحوا ثقيلي الدين بسبب ذلك؟!

﴿أَمْ عِندَهُمُ ٱلْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ ﴿٤١﴾﴾.

فهل ما يزعمونه من علم الغيب الذي يطلعهم على أن ما تقوله باطل، فهم يكذبون في زعمهم بعلم الغيب الذي لا يعلمه إلا الله تعالى.

﴿فَذَرْهُمْ حَتَّىٰ يُلَـٰقُوا۟ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى فِيهِ يُصْعَقُونَ ﴿٤٥﴾﴾.

فدعهم للتمادي في غيهم يا محمد حتى يلاقوا عذاب ذلك اليوم الرهيب يوم القيامة الذي يأخذ فيه العذاب عقولهم.

﴿وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٤٨﴾﴾.

فاصبر يا محمد على حكم ربك وقضائه فيما حملك من أعباء الرسالة، ونزهه عن كل نقص حين تقوم من منامك أو من مجلسك، فإنك يا محمد بحراستنا ورعايتنا.

من تفسير سورة النجم [٥٣]

سورة النجم مكية في ٦٢ آية

﴿عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ﴿٥﴾ ذُو مِرَّةٍ فَٱسْتَوَىٰ ﴿٦﴾ وَهُوَ بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٧﴾﴾.

فجبريل الأمين هو الذين أوصل الوحي إلى الرسول ﷺ، وهو عليه قادر لما منحه الله تعالى من قدرة، وقد طلب منه الرسول ﷺ أن يريه نفسه على حقيقته فظهر كذلك في أفق المشرق فرآه ﷺ كما رآه مرة أخرى في السماء السابعة في المعراج عند سدرة المنتهى، كما تقول الآيتان ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾﴾.

فالقول بأن النبي عليه السلام قد رأى ربه لا يستقيم مع الآيات الكريمة التي تؤكد ﴿لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ ﴿١٨﴾﴾ بأنه رأى من مظاهر العظمة والجلال الرباني ما رأى، ولا مجال لصرف الرؤية للذات الإلهية.

﴿ذَٰلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱهْتَدَىٰ﴾ [٣٠].

فهذه الأقاويل بأن الملائكة بنات الله تعالى من مزاعمهم القائمة على الظنون والأوهام، وإلا فأين الحجة والبرهان؟! هذا هو مدى ما لديهم من علم، وأما ما لديه تعالى فهو الحق المبين، والصدق القويم إذ هو سبحانه العالم بمن يختار

الضلال عن سبيله ومن يختار الهدى، وشتان بين العلم الظني الذي لا حجة له ولا دليل، وبين العلم القطعي القائم على الحجة والدليل.

﴿أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى تَوَلَّىٰ ﴿٣٣﴾ وَأَعْطَىٰ قَلِيلًا وَأَكْدَىٰٓ ﴿٣٤﴾﴾.

فقد أغوى أحدهم الوليد بن المغيرة ليبتعد عن الإيمان بالله وعذابه وذلك مقابل أن يتحمل عنه هذا العذاب مقابل مبلغ من المال، ولكنه بدلاً من أن يكمل الدفع توقف عن ذلك وامتنع فجاءت الآيات التالية تؤكد أن الإنسان يتحمل وزره، ولا يتحمل عنه أحد شيئاً.

﴿أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴿٣٨﴾ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ ﴿٤٠﴾﴾.

﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ أَغْنَىٰ وَأَقْنَىٰ ﴿٤٨﴾﴾.

وأنه تعالى إن شاء أغنى بقضائه وقدره من يريد، وأفقر من يريد، فهو سبحانه الذي يعطي فيرضي، كما قال ابن عباس.

﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ رَبُّ ٱلشِّعْرَىٰ ﴿٤٩﴾﴾.

فهو سبحانه رب ذلك الكوكب المضيء المسمى (الشعرى) الذي كانوا يعبدونه، كما كانت تفعل خزاعة.

﴿وَأَنَّهُۥٓ أَهْلَكَ عَادًا ٱلْأُولَىٰ ﴿٥٠﴾﴾.

أين عاد قوم هود الأقدمون والذين جاؤوا بعد نوح عليه السلام؟ لقد أبيدوا جميعاً.

﴿وَٱلْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَىٰ ﴿٥٣﴾﴾.

فقرى قوم لوط حملها جبريل عليه السلام ثم ألقاها أرضاً فدمرت عن آخرها.

﴿وَأَنتُمْ سَٰمِدُونَ ﴿٦١﴾﴾.

السمود هو السهر والسمر في غير طاعة وإنما في اللهو والغفلة.

من تفسير سورة القمر [٥٤]

سورة القمر مكية في ٥٥ آية.

سأل مشركو قريش الرسول عليه السلام أن يأتيهم بآية، وهي أن ينشق القمر فانشق فرقتين بأمر الله عز وجل، ورآه أهل البوادي ولكن عناد المشركين أعماهم وأصروا على أنه السحر الدائم الذي جعلهم يرونه كذلك. والقرآن بهذا النص يؤكد انشقاقه.

﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ ٱلدَّاعِ إِلَىٰ شَىْءٍ نُّكُرٍ ﴿٦﴾﴾.

فأعرض يا محمد عن هؤلاء المجرمين المعاندين وانتظرهم يوم يدعو إسرافيل إلى شيء منكر فظيع، إنه هول يوم القيامة.

﴿تَنزِعُ ٱلنَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ ﴿٢٠﴾﴾.

فكانت الريح تقلع قوم عاد ثم تلقي بهم على رؤوسهم فتدق رقابهم وتتركهم كأنهم أصول نخل قد انقلعت من الأرض، فكانوا يشبهون النخل بطول وضخامة أجسامهم.

﴿فَقَالُوٓاْ أَبَشَرًا مِّنَّا وَٰحِدًا نَّتَّبِعُهُۥٓ إِنَّآ إِذًا لَّفِى ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ ﴿٢٤﴾﴾.

فقد رفضت ثمود أن تتبع رسولها صالحاً عليه السلام بحجة أنه واحد منهم وليس من أشرافهم ولا سادتهم، وزعموا بأنهم لو اتبعوه لكانوا ضالين ومجانين.

﴿وَلَقَدْ رَٰوَدُوهُ عَن ضَيْفِهِۦ فَطَمَسْنَآ أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُواْ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿٣٧﴾﴾.

فحاول قوم لوط أن يخلي لوط عليه السلام بينهم وبين ضيوفه الذين ظنوهم من البشر ففوجئوا بأن جبريل عليه السلام قد ضربهم بجناحه على وجوهم فطمس أعينهم فلم يعودوا يرون أحداً فولوا هاربين ومع الصبح اكتمل عذابهم.

﴿وَلَقَدْ صَبَّحَهُم بُكْرَةً عَذَابٌ مُّسْتَقِرٌّ ﴿٣٨﴾﴾.

﴿وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ كَلَمْحٍۭ بِٱلْبَصَرِ ﴿٥٠﴾﴾.

فشأنه تعالى في الخلق أمر واحد كلمح البصر في السرعة، فما أن يقول سبحانه للشيء كن حتى يكون دون تكرار ولا تأكيد.

﴿وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي ٱلزُّبُرِ ۝٥٢﴾.

فكل ما فعلته الأمم من خير وشر مسجل عليهم في كتب الملائكة الحفظة مهما كان صغيراً أو كبيراً.

﴿وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُّسْتَطَرٌ ۝٥٣﴾.

﴿فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ۝٥٥﴾.

أما المتقون فإن مآلهم إلى جنات الله تعالى وما يجري تحتها من أنهار، وهم يتنعمون في أماكن إقامتهم تحت رعاية رب عظيم جليل قادر على ملكه هو رب العالمين.

من تفسير سورة الرحمن [٥٥]

سورة الرحمن مدنية في ٧٨ آية

﴿وَٱلنَّجْمُ وَٱلشَّجَرُ يَسْجُدَانِ ۝٦﴾.

إن النجوم تنتقل في أفلاكها بنظام الله الدقيق محققة ما ينفع العباد، فهي منقادة لله تعالى فيما يريد فيها، فالنجوم تسبح في أفلاكها والشجر ينبت في التربة ليأتي بثمارها.

وقد رأى الطبري أن المقصود بالنجم هو الشجر أو النبات عديم الساق بالمقارنة مع الأشجار ذوات السيقان ولكن هذا القول مرجح عليه قول مجاهد وما اختاره ابن كثير من أن النجم هو النجم الذي في السماء.

﴿وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلْمِيزَانَ ۝٧﴾.

فقد خلق تعالى السماء بهذا العلو والإحكام في البناء، وأمر بالميزان في التعامل بين الناس لينال كل فرد حقه، ولذلك قال بعدها: ﴿أَلَّا تَطْغَوْا فِي ٱلْمِيزَانِ﴾ [٨].

﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ كَٱلْفَخَّارِ ۝١٤﴾.

فابتداء يكون من تراب، وما أن يخلط بالماء حتى يصبح طيناً لازباً، أي يلصق باليد وما أن يترك حتى يصبح حمأ مسنوناً أي طيناً أسود منتناً، وما أن يترك حتى يصبح صلباً كالفخار وله صوت إذا نقر كما ينقر على الفخار يسمع له صوت.

﴿مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ﴿١٩﴾ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ ﴿٢٠﴾﴾.

فقد خلق البحر المالح والبحر العذب بجوار بعضهما بعضاً، ويلتقيان ولكنهما لا يمتزجان، لأن الله تعالى وضع بينهما حاجزاً بحيث لا يطغى أحدهما على الآخر فيفسد كل واحد منهما الآخر.

﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ ﴿٣١﴾﴾.

سنحاسبكم على أعمالكم يا معشر الإنس والجن، ومتى جاء يوم القيامة سيجري الحساب.

﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾﴾.

جنة له وجنة أخرى لأزواجه وخدمه، وهي في حقيقتها متداخلة فيما بينها، فهي في تداخلها جنة واحدة كثيفة واسعة، وفي تمايزها جنتان وجنات، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ﴾ [٤٥].

وفي كل من الجنتين عين خاصة بها ﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ ﴿٥٠﴾﴾.

ولا يقف الأمر عند الجنتين وما فيهما من عينين بل هناك جنتان أخريان أقل مستوى من تلكما فالأوليان للسابقين والأخريان لأهل اليمين.

﴿وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ﴿٦٢﴾﴾.

وفي هاتين الجنتين الأخريين عينان فوارتان بالماء الذي لا ينقطع.

﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ ﴿٦٦﴾﴾.

وفيهما أصناف من الفاكهة وأبرزها النخل والرمان.

﴿فِيهِمَا فَٰكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ ﴿٦٨﴾﴾.

كما أن فيهما النساء الصالحات الحسناوات كما في الجنتين الأخريين.

﴿فِيهِنَّ خَيْرَٰتٌ حِسَانٌ ﴿٧٠﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧١﴾ حُورٌ مَّقْصُورَٰتٌ فِى ٱلْخِيَامِ﴾ فهن قد قصرن وسترن حسنهن بملازمتهن سكناهن في خيام اللؤلؤ المجوف.

من تفسير سورة الواقعة [٥٦]

سورة الواقعة مكية في ٩٦ آية

﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ ۝٩﴾.

إنهم أصحاب الصحائف الذين يأتون بها بشمائلهم، والمشأمة من الشؤم وهو القبح والسوء، وهم الفئة الثالثة يوم القيامة من البشر بعد السابقين وهم الفئة الأولى، وأصحاب اليمين وهم الفئة الثانية.

﴿عَلَىٰ سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ ۝١٥﴾.

إن أصحاب الفئة الأولى أي السابقون يجلسون في الجنة على أسرة منسوجة بقضبان الذهب ومرصعة بالدر والياقوت.

﴿لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ ۝١٩﴾.

فمجالس تناولهم لخمر الجنة في غاية الإنس، وغلمانهم يطوفون عليهم ويقدمون لهم الشراب، شراباً لا تنصدع منه الرؤوس ولا تذهب العقول كخمر الدنيا، فهم لا يعانون لا من السكر ولا الصداع ولا القيء ولا البول كحال أهل الدنيا.

﴿وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ۝٢١﴾.

ويقدم لهم لحم الطير الذي يشتهون، إذ يمر طير من أمام أحدهم فيشتهيه حتى يقع بين يديه كما اشتهى، مشوياً أو مقلياً، وفي الحديث «تنظر إلى الطير في الجنة فتشتهيه فيخر بين يديك مشوياً».

﴿وَكَانُوا۟ يُصِرُّونَ عَلَى ٱلْحِنثِ ٱلْعَظِيمِ ۝٤٦﴾.

فأصحاب الفئة الثالثة، أصحاب الشمال، كانوا في الدنيا يصرون على ارتكاب الذنب العظيم وهو الشرك بالله.

﴿نَحْنُ خَلَقْنَٰكُمْ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ ۝٥٧﴾.

فإن الله تعالى خلق الناس جميعاً من العدم فلماذا لا يصدقون بالبعث فالله الخالق ابتداء قادر على الإعادة حتماً.

﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾﴾.

فقد عرفتم أيها البشر أن الله أنشأكم من العدم، فخلقكم من نطفة ثم علقة ثم مضغة ثم تنامت القدرات والأعضاء من سمع وبصر وفؤاد، فلماذا لا يكون هذا مذكراً لكم بأن الله قادر على إعادتكم كما خلقكم أول مرة؟

﴿لَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَٰهُ حُطَٰمًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ ﴿٦٥﴾ إِنَّا لَمُغْرَمُونَ ﴿٦٦﴾﴾.

لو قضى تعالى لحطم هذا الزرع فأولى بهم شكره. وما أكثر تفجعكم على ضياع الزرع، وقولكم أنكم حرمتم الرزق وضاع منكم البذر.

﴿نَحْنُ جَعَلْنَٰهَا تَذْكِرَةً وَمَتَٰعًا لِّلْمُقْوِينَ ﴿٧٣﴾﴾.

فقد جعل تعالى نار الدنيا تذكرة لنار جهنم ومنفعة للمسافرين والمقيمين على حد سواء.

﴿فَلَوْلَآ إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ﴿٨٦﴾ تَرْجِعُونَهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٨٧﴾﴾.

فهلا تعيدون الأرواح للأجساد إذا كان لا يوجد بعث ولا حساب!!

من تفسير سورة الحديد [٥٧]

سورة الحديد مدنية في ٢٩ آية

﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْءَاخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣﴾﴾.

فليس لوجوده بداية ولا لبقائه نهاية كما هو حال المخلوقات، كما أنه الظاهر للعقول بالأدلة والبراهين الدالة على وجوده، والباطن الذي لا تدركه الأبعاد والعقول، فلا تعرف كنه ذاته، وهو سبحانه العالم بكل شيء في الأرض والسماء.

﴿... وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤﴾﴾.

إنها معية العلم والإحاطة والسلطان والتدبير، فهو سبحانه بصير بجميع أحوال عباده.

﴿وَأَنفِقُوا۟ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ ۖ﴾ [٧].

فالمال الذي بين أيديكم هو مال الله تعالى وأنتم مستخلفون فيه بالإنماء والإنفاق فلا تبخلوا في الإنفاق منه في سبيل الله صاحبه أصلاً.

﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥ وَلَهُۥٓ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴿١١﴾﴾.

فقد قال أبو الدحداح للرسول ﷺ: فإني قد أقرضت ربي حائطي، أي بستاني وكان فيه ستمائة نخلة، وأخرج زوجته وصبيانه منه وجعل التصرف فيه للرسول ﷺ.

﴿ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ﴾ [١٣].

طلب المنافقون من المؤمنين يوم الحساب أن ينتظروهم ليستضيئوا بنورهم فدعوهم للرجوع للدنيا إن استطاعوا، كناية عن ضياع فرص التوبة والأعمال الصالحة.

﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿١٦﴾﴾.

فقد عاتب الله تعالى المؤمنين في المدينة على فتور عزائمهم في الاستجابة للمواعظ إذ لم يمض على وجودهم في المدينة إلا أربع سنوات، فعليهم ألا تقسو قلوبهم كأهل الكتاب، فيقوموا بتبديل كتاب الله ونبذ الالتزام به فاحذروا ذلك أيها المؤمنون وداوموا على الالتزام بمقتضى الإيمان وطاعة الرحمن بالعمل واللسان.

﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾﴾.

اعلموا أيها المؤمنون أن ما يقع في الأرض من مصائب من قحط وزلازل وغيرهما، وما يصاب الناس به من أمراض وغير ذلك، إلا وهي مكتوبة في اللوح المحفوظ، كناية عن علمه تعالى بها، وذلك من باب الإحاطة والقدرة على كل شيء، فلا يقع في ملكه إلا ما يريد. وهذا ليس فيه دلالة على الجبر في التكاليف، وإنما يدل على علمه تعالى وإحاطته. والإنسان مخير في إيجاد أفعاله.

﴿لِّكَيْلَا تَأْسَوْا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا۟ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿٢٣﴾﴾.

فقد أثبت تعالى كل ما يقع في ملكه قبل أن يقع وهو المحيط بكل شيء، و الله تعالى أراد إعلامنا بذلك حتى لا نبطر بالأرزاق والنعم ولا نيأس بالمصائب والنقم.

﴿يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ﴾ [٢٨].

فيا من صدقتم بالله، عليكم بالخوف من عقابه، والحرص على طاعته وعندها يعطيكم ضعفين من رحمته.

﴿وَأَنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ﴾ [٢٩].

فاعلموا يا أهل الكتاب من يهود نصارى، أن فضل النبوة والرسالة ليس محصوراً بكم بل هو بيد الله يعطيه من يشاء من عباده ليكونوا أنبياءه ورسله.

من تفسير سورة المجادلة [٥٨]

سورة المجادلة مدنية في ٢٢ آية

﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا﴾ [١].

إنها خولة بنت ثعلبة امرأة أوس بن الصامت التي غضب منها زوجها لتمنُّعها عليه، فأخبرت النبي ﷺ بأن زوجها ظاهر منها، أي حرمها عليه كظهر أمه، فأصرت على الشكوى من زوجها، حتى نزل جبريل عليه السلام بهذه الآيات استجابة لدعائها.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧﴾﴾.

فيا من تسمع وتعقل! اعلم أن الله تعالى يحيط علماً بكل شيء، فهو سبحانه يرى الخلق ويسمع كلامهم مهما كان خفياً فيما بينهم، فهو تعالى حاضر مع عباده يطلع على أحوالهم وأعمالهم وهواجسهم، فالمعية في الآيات هي معية علم وإحاطة بكل الكليات والجزئيات في شؤون عباده.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نُهُوا۟ عَنِ ٱلنَّجْوَىٰ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ﴾ [٨].

إنهم اليهود والمنافقون الذين كانوا يتغامزون على المؤمنين، ولم يرتدعوا عن

ذلك رغم نهي الرسول ﷺ لهم عن ذلك. واستمروا في التهامس بالكيد بالمسلمين والطعن في الرسول ﷺ.

﴿إِنَّمَا ٱلنَّجْوَىٰ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ لِيَحْزُنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَيْسَ بِضَآرِّهِمْ شَيْـًٔا إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٠﴾﴾.

فتأكدوا أيها المؤمنون أن النجوى بالإثم والعدوان هي من تزيين الشيطان ليسبب الحزن لكم أيها المؤمنون، ولكن ضرراً واحداً لن يلحق بكم إلا إذا كان الله تعالى قد قضاه وقدره طرحاً للذنوب أو رفعاً للمكانة.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا۟ فِى ٱلْمَجَٰلِسِ فَٱفْسَحُوا۟ يَفْسَحِ ٱللَّهُ لَكُمْ ۖ وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُوا۟ فَٱنشُزُوا۟ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ۚ﴾ [١١].

توسعوا في المجالس فلا يحلُّ أحد محلَّ أحد، وإذا طلب منكم القيام من المجلس فقوموا، وكل ذلك حسب الحال والقصد، فإن تحصيل العلم من المجلس لا شك له أفضليته، ولكن لا يجوز حرمان أحد منه، والجلوس ابتداء للإيمان والعلم تقييد بهما.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْا۟ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مَّا هُم مِّنكُمْ وَلَا مِنْهُمْ وَيَحْلِفُونَ عَلَى ٱلْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤﴾﴾.

فيا عجباً من أمر المنافقين الذين اتخذوا اليهود أصدقاء وأولياء من دون المؤمنين فكانوا ينقلون إليهم أسرار المؤمنين، وكانوا يتذبذبون بين الفريقين.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ٱلْأَذَلِّينَ ﴿٢٠﴾﴾.

فهؤلاء المنافقون الذين يعادون الله ورسوله ويخالفون أمرهما في جملة الأذلاء المبعدين من رحمة الله تعالى.

﴿كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِىٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٢١﴾﴾.

نزلت رداً على ابن سلول رأس النفاق عندما خوف المؤمنين من الفرس والروم بأنهم ليسوا كمن غلبهم المسلمون في العَدَد والعُدَد.

﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ [٢٢].

فلا تجتمع المحبة مع العدواة في قلب مؤمن، فقد قتل أبو عبيدة أباه الجراح يوم بدر، وهمَّ الصديق بقتل ابنه عبد الرحمن، وقتل مصعب بن عمير أخاه عبيد بن

عمير، وقتل حمزة وعلي وعبيدة بن الحارث أقاربهم عتبة وشيبة والوليد بن عتبة يوم بدر أيضاً، فلم تقف الأبوة والبنوة والأخوة والقرابة دون طاعة الله تعالى.

من تفسير سورة الحشر [٥٩]

سورة الحشر مدنية في ٢٤ آية.

﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن دِيَٰرِهِمْ لِأَوَّلِ ٱلْحَشْرِ ۚ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا۟ ۖ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا۟ ۖ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ ۚ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِى ٱلْمُؤْمِنِينَ فَٱعْتَبِرُوا۟ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٢﴾﴾.

فبقدرته ونصره تعالى للنبي والمؤمنين أخرج يهود بني النضير من مساكنهم في المدينة المنورة، وكان ذلك أول مرة يحشرون فيها ويخرجون من جزيرة العرب.

ذلك أنهم نكثوا العهد مع النبي ﷺ بعد أُحُد، وقام زعيمهم كعب بن الأشرف بالتحالف مع أبي سفيان، مما جعل النبي ﷺ يرسل له أخاه في الرضاعة محمد بن مسلمة ليقتله غيلةً، ثم حاصرهم النبي ﷺ فصالحوه على الجلاء إلى الشام وقليل إلى خيبر، وذلك بعد أن هدموا بيوتهم بأيديهم من الداخل وبأيدي المؤمنين من الخارج.

﴿مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ كَىْ لَا يَكُونَ دُولَةًۢ بَيْنَ ٱلْأَغْنِيَآءِ مِنكُمْ ۚ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٧﴾﴾.

فأموال الفيء وهو ما حصل للمسلمين دون قتال، هي لله وللرسول يصرفها على نفسه وعلى مصالح المسلمين، ولأقارب الرسول من بني هاشم وعبد المطلب، ولليتامى والمساكين وابن السبيل. وهذا الفيء يختلف عن الغنائم التي وردت في سورة الأنفال، فتلك غنائم حرب وهذه في صلح. فلذلك قسم عليه السلام أموال بني النضير بين المهاجرين ولم يعط منها شيئاً للأنصار إلا ثلاثة منهم لفقرهم، فطابت أنفس الأنصار بتلك القسمة وكانت علة هذا التقسيم ﴿كَىْ لَا يَكُونَ

دُولَةًۢ بَيْنَ ٱلْأَغْنِيَآءِ مِنكُمْۚ﴾ [٧] أي حتى لا ينتفع الأغنياء فقط بالمال بل يتحقق التوازن في المجتمع برفع الفقراء إلى مستوى الأغنياء وليس بإفقار الأغنياء كما تفعل النظم الوضعية.

﴿لَئِنْ أُخْرِجُوا۟ لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِن قُوتِلُوا۟ لَا يَنصُرُونَهُمْ وَلَئِن نَّصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ ٱلْأَدْبَـٰرَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴿١٢﴾﴾.

فهؤلاء المنافقون يشجعون يهود بني قريظة والنضير على الكفر بالإسلام بأنهم سيخرجون معهم إن خرجوا وهذا ما كذبوا فيه عندما أخرج بنو النضير، كما وعدوهم أن ينصروهم إذا قوتلوا وقد كذبوا في ذلك أيضاً إذ لم ينصروا لا بني النضير في إجلائهم ولا بني قريظة في إفناء مجرميهم وسبي نسائهم وذرياتهم.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍۢ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾﴾.

فقد دعا سبحانه المؤمنين بعد أن نصرهم على أعدائهم اليهود والمنافقين أن يخشوا الله ويحذروا عقابه بالتزام أمره ونهيه، وأن يحرص كل امرئ منهم على الأعمال الصالحة ادخاراً ليوم القيامة، وأن يتقوا الله في السر والعلن، لأن الله تعالى خبير بكل ما يصدر عنهم وسيجدون ذلك حاضراً يوم حسابهم.

﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍۢ لَّرَأَيْتَهُۥ خَـٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۚ﴾ [٢١].

فلو منح تعالى الجبل عقلاً وتمييزاً كما منح الإنسان لتصدع وتشقق عند سماع القرآن خوفاً من الله، ولكن الإنسان قد قسى قلبه وضلَّ عقله ولم يعد حتى كالجبل الأصم.

﴿لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ﴾ [٢٤].

فلله تعالى الأسماء الحسنى وغيرها مما اشتمل عليها الكتاب والسنة، وما على الإنسان المؤمن حقاً إلا أن يدعوه بها ليكسب غاية الدعاء ومقصده.

من تفسير سورة الممتحنة [٦٠]

سورة الممتحنة مدنية في ١٣ آية

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ يُخْرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ﴾ [١].

فقد أرسل حاطب بن أبي بلتعة كتاباً إلى قريش مع امرأة يعلمهم فيها بأن الرسول ﷺ يريد أن يغزوهم ليأخذوا حذرهم، فأخبر الوحي النبي بذلك فأرسل وراءها علياً والزبير والمقداد ليحضروا الكتاب ففعلوا، فسأل الرسول عليه السلام حاطباً عن ذلك فبين بأنه لم يرتد عن الإسلام وإنما هي يد يريد بها أن يحمي أهله في مكة كما أن للمهاجرين من يحمي أهليهم. فطلب عمر رضي الله عنه من الرسول إذناً أن يضرب عنقه على أساس أنه منافق فقال عليه السلام: «إنه شهد بدراً وما يدريك لعل الله اطلع على أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم» فنزلت الآية وفيها ألا يتخذ المؤمنون الكفار أعداء الله وأعداءكم أصدقاء وأحباء، فإن من علامة الإيمان بغضهم، لأنهم أخرجوا الرسول ﷺ كما أخرجوكم من مكة بمضايقتهم لكم ولأنكم آمنتم بالله تعالى وخرجتم في سبيل الله، فإياكم أن تفعلوا ذلك وتفشوا أسرار الرسول ﷺ لأعدائكم.

﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ﴾ [٦].

وهنا أقسم تعالى على حث المؤمنين أن يقتدوا بإبراهيم والمؤمنين معه عندما تبرؤوا من الكفار عندما تبين لهم أنهم ووالد إبراهيم مصرون على الكفر ولا يؤمل إسلامهم.

﴿عَسَى ٱللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةً﴾ [٧].

فطمأن المسلمين المهاجرين بذلك وهذا ما حصل فعلاً مع فتح مكة.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ مُهَٰجِرَٰتٍ فَٱمْتَحِنُوهُنَّ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَٰنِهِنَّ﴾ [١٠].

فقد تضمن عهد الحديبية إعادة من أتى المسلمين مهاجراً، وعدم رد النساء

المسلمات إذا حلفت إحداهن بأنها لم تهاجر كرهاً بزوجها ولا طمعاً بالدنيا وإنما حباً لله ورسوله ورغبة في دين الإسلام.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِٱللَّهِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَٰنٍ يَفْتَرِينَهُۥ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِى مَعْرُوفٍ ۙ فَبَايِعْهُنَّ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُنَّ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾﴾.

فبايعهن على الأمور الستة العامة أولها: عدم الإشراك بالله، ثم عدم السرقة، وعدم الزنا، وعدم قتل أولادهن خشية الفقر أو العار، ولا تنسب لزوجها ولداً لقيطاً ليس منه، وهذا ما كان يحصل عند عدم الحمل لتبقى في عصمة زوجها، والأمر السادس ألا يخالفنك في أمر بمعروف أو نهي عن منكر، وعندها يبايعهن ويدعو الرسول لهن بالمغفرة. ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَوَلَّوْا۟ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُوا۟ مِنَ ٱلْءَاخِرَةِ كَمَا يَئِسَ ٱلْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْقُبُورِ ﴿١٣﴾﴾.

لا تصادقوا الكفار أعداء الدين، وبالذات اليهود لأنهم هم الذين غضب الله عليهم، كما قال الحسن البصري، وإن قال ابن عباس: هم كفار قريش وكل من عادى الإسلام والمسلمين. والظاهر أن الآية عامة كما قال ابن كثير.

فالكفار الفجار يئسوا من البعث والنشور والعودة للحياة بعد أن يموتوا.

وختم المولى سبحانه السورة بالتأكيد على عدم موالاة الكفار أعداء الله مما يعطي للموالاة أهمية خاصة في موضعها.

من تفسير سورة الصف [٦١]

سورة الصف مدنية في ١٤ آية

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٢﴾﴾.

فقد رغب المسلمون أن يعملوا أحب الأعمال إلى الله ليبذلوا فيها أموالهم وأنفسهم، فلما فرض عليهم الجهاد كرهه بعضهم، فأنزل تعالى الآية وألحقها بالآية الثالثة ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٣﴾﴾ وبعدها جاءت آية الجهاد في

سبيل الله ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنۡيَٰنٞ مَّرۡصُوصٞ ٤﴾. فوضح أن أحب الأعمال إلى الله تعالى هو الجهاد في سبيل الله والثبات في صفوف متلاحمة كثبوت البناء.

﴿يُرِيدُونَ لِيُطۡفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفۡوَٰهِهِمۡ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡكَٰفِرُونَ ٨﴾.

فقد أراد المشركون أن يطفئوا الإسلام بأقوالهم المنكرة من أنه سحر وغيره ولكن الله مظهر لدينه في الآفاق رغماً عن كل أقوالهم وأفعالهم حتى قال عليه السلام: «إن الله زوى لي الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها وإن ملك أمتي سيبلغ ما زوي لي منها».

هذا وإن أقوال وأفعال أهل الكتاب من اليهود والصليبيين باتت هي البارزة على كافة الكفار ضد الإسلام والمسلمين سواء فيما يسمونه بحرب الإرهاب أو المكر والدسائس في كل مكان.

وأنى لهم النصر على المسلمين وقد تولى رب العزة سبحانه قرار نصر هذا الدين﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ ٣٣﴾. فهنا المشركون وهناك الكافرون فأنى للكفر بأنواعه وأشكاله أن يقف في طريق الرب العزيز الذي لا يغلبه أحد؟!

من تفسير سورة الجمعة [٦٢]

سورة الجمعة مدنية في ١١ آية

﴿وَءَاخَرِينَ مِنۡهُمۡ لَمَّا يَلۡحَقُواْ بِهِمۡۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٣﴾

فقد بعث الرسول ﷺ إلى العرب الأميين الذين كانوا في زمانه عليه السلام ولمن عاصرهم من الأقوام السابقين، كما بعث عليه السلام إلى آخرين لم يكونوا في زمانهم وسيجيئون بعدهم، وهم جميع من أسلم إلى يوم القيامة لأن رسالة الإسلام ليست خاصة بزمن دون زمن ولا قوم دون قوم.

﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ هَادُوٓاْ إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَآءُ لِلَّهِ مِن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُاْ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٦﴾ وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُۥٓ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧﴾﴾.

فدعاهم النبي ﷺ أن يتمنوا الموت ليثبتوا أنهم صادقون في دعواهم بأنهم أبناء الله وأحباؤه وأنهم وحدهم الذين يدخلون الجنة، ولكنهم لم يتمنوه مطلقاً لأنهم يعلمون كذبهم وتكذيبهم في الأخذ بالتوراة، وبما فيها من الإيمان بمحمد ﷺ. وفي الحديث: «والذي نفسي بيده لو تمنوا الموت ما بقي على ظهرها يهودي إلا مات».

﴿وَإِذَا رَأَوْاْ تِجَٰرَةً أَوْ لَهْوًا ٱنفَضُّوٓاْ إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَآئِمًا ۚ﴾ [١١].

فقد عاتب سبحانه بعض الصحابة الذين تركوا سماع خطبة الجمعة وذهبوا للتجارة، سواء كانت تلك القادمة من الشام أو غيرها. وكان ذلك عندما كان الرسول عليه السلام يقدم الصلاة على خطبة الجمعة وليس كما حددت فيما بعد، الخطبة ثم الصلاة كما قال ابن كثير.

من تفسير سورة المنافقون [٦٣]

سورة (المنافقون) مدنية في ١١ آية

﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَيْمَٰنَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٢﴾﴾.

فقد اتخذ المنافقون الحلف وسيلة يستترون بها من القتل ويتظاهرون بالإسلام فأثروا على بعض المسلمين ممن لا يعرفون حقيقتهم، ذلك أنهم عندما قال ابن أبي بن سلول بعد الخصومة التي حصلت على ماء بني المصطلق بين أنصاريٍّ ومهاجر بأنهم، أي أهل المدينة سيطردون المسلمين من المدينة، فنقل الخبر للرسول عليه السلام فأخذ ابن أبي بن سلول يحلف بأنه ما قال شيئاً من ذلك وهو كاذب، وحتى عندما دعاهم أقاربهم أن يستغفروا ويستغفر لهم رسول الله ويتوبوا من نفاقهم بعد أن انفضحوا رفضوا ذلك كله.

﴿يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ ۚ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨﴾﴾.

فقد قال ذلك ابن أبي سلول فاستنكر عليه ذلك كل الصحابة ولا سيما ولده عبد الله الذي وقف على باب المدينة واستل سيفه وقال لوالده: وراءك والله لا تدخل المدينة أبداً حتى تقول: إن رسول الله هو الأعز وأنا الأذل، فقالها ورفض الرسول عليه السلام طلب ابنه عبد الله أن يقتل والده قائلاً: «بل نترفق به ونحسن صحبته ما بقي معنا».

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٩﴾﴾.

واحذروا أيها المؤمنون أن تشغلوا عن طاعة الله والإنفاق في سبيله بتكثير الأموال ورعاية الأولاد، لأن ذلك هو الخسارة في الدنيا والآخرة.

من تفسير سورة التغابن [٦٤]

سورة التغابن مدنية في ١٨ آية

﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢﴾﴾.

فقد خلق تعالى الناس بهذا الشكل البديع مما ينتظر معه الإيمان بالخالق من كل عاقل متدبر، ولكن الحاصل أن أكثر الناس لا يؤمنون، فقدم الكافر لا المؤمن بسبب هذه الكثرة، وأما الداعي لهذا الكفر فهو الاختيار نتيجة الاستغراق في الدنيا وشهواتها، وأما أن يؤمن القلة فهذا أيضاً من باب الاختيار. ولا شك أن الله تعالى عالم بكل ما يعملونه من كفر أو إيمان فيجازي كلاً منهما بجزائه الحق.

﴿يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ ٱلْجَمْعِ ۖ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلتَّغَابُنِ﴾ [٩].

اذكروا أيها المشركون ذلك اليوم الرهيب عندما يجمعكم تعالى يوم القيامة على صعيد واحد فيحاسبكم حساب رجل واحد. إنه يوم التغابن أي الجمع ومعرفة الكافر الحق بنفسه من الخسارة لتركه الإيمان، كما يظهر غبن كل مؤمن بتقصيره في الطاعات.

﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [١١].

فكل مصيبة في المال والولد بقضاء الله وقدره، فلا رزق ولا موت إلا بيد الله تعالى.

﴿إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ وَٱللَّهُ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾﴾.

فالأموال أكثر فتنة واختباراً من الأولاد فليحذر ذلك من يطلب الثواب العظيم عند رب العالمين.

من تفسير سورة الطلاق [٦٥]

سورة الطلاق مدنية في ١٢ آية.

﴿فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا۟ ٱلْعِدَّةَ﴾ [١].

فطلقوهن في الطهر قبل الدخول في الحيض وبشرط عدم الجماع في ذلك الطهر، واحرصوا على ضبط وإكمال العدة في ثلاثة قروء.

﴿لَا تَدْرِى لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا﴾ [١].

فلا يعرف ما يحدث بعد الطلاق من تغير الأحوال فقد يرجع الزوج إلى محبة زوجته بعد أن كان كارهاً لها.

﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُعْظِمْ لَهُۥٓ أَجْرًا﴾ [٥].

فمن يتق ربه يمح ذنوبه ويضاعف ثوابه، والأمر بالتقوى المكرر هنا جاء لمراعاة الأزواج لمطلقاتهم فلا ينسبون إليهن ما ينفر منهن من بعدهم.

﴿لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ﴾ [٧].

فعلى الزوج أن ينفق على زوجته وعلى ولده الصغير بقدر وسعه وطاقته المالية مما يؤكد اختلاف النفقة باختلاف أحوال الناس.

﴿يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا﴾ [١٢].

قال تعالى: هو الذي خلق السموات والأرضين يتنزل وحي الله ويجري أمره وقضاؤه بين السموات والأرضين لتعلموا قدرة الله وعلمه وهو الخالق لكل شيء.

من تفسير سورة التحريم [٦٦]

سورة التحريم مدنية في ١٢ آية

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَۖ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَٰجِكَۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝١﴾.

فلماذا تمنع نفسك يانبي الله مما أحل الله لك من النساء؟!

فقد عاشر جاريته مارية القبطية في بيت حفصة فعلمت به فغضبت غيرة. فقال لها: «اكتمي علي، وقد حرمت مارية على نفسي» فنزلت الآية وفيها عتاب لإتعاب نفسه استرضاء لزوجته حفصة، مما يرجح أن الأمر تحريم الجارية وليس تحريم العسل كما يقول بعض المفسرين؛ لأنه لا يوجد استرضاء لأحد في أمر العسل.

﴿قَدْ فَرَضَ ٱللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَٰنِكُمْۚ﴾ [٢].

والكفارة بالصيام ثلاثة أيام أو إطعام المساكين أو تحرير رقبة هي تحليل من اليمين.

﴿وَإِذْ أَسَرَّ ٱلنَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَٰجِهِۦ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِۦ وَأَظْهَرَهُ ٱللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُۥ وَأَعْرَضَ عَنۢ بَعْضٍۖ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِۦ قَالَتْ مَنْ أَنۢبَأَكَ هَٰذَاۖ قَالَ نَبَّأَنِيَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْخَبِيرُ ۝٣﴾.

أسرَّ عليه السلام لحفصة بأنه حرم عليه جاريته مارية كما ذكر سابقاً.

﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍۖ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَٰلِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا وَقِيلَ ٱدْخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ ۝١٠﴾.

فقد كانتا كافرتين وزوجاهما كانا نبيين ولكن هذه القرابة الحميمة لم تنفعهما أمام عقوبة الله وجزائه، فإياكم يامشركي قريش أن تظنوا النفع بقرابتكم للنبي عليه السلام.

﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ﴾ [١١].

فقد كانت زوجة فرعون آسية بنت مزاحم مؤمنة فلم ينفعه إيمانها يوم الحساب.

من تفسير سورة الملك [٦٧]

سورة الملك مكية في ٣٠ آية

﴿ٱلَّذِى خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ طِبَاقٗاۖ مَّا تَرَىٰ فِى خَلۡقِ ٱلرَّحۡمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٖۖ فَٱرۡجِعِ ٱلۡبَصَرَ هَلۡ تَرَىٰ مِن فُطُورٖ ۝٣﴾.

أي متطابقة بعضها فوق بعض كالقبة فوق القبة.

﴿وَجَعَلۡنَٰهَا رُجُومٗا لِّلشَّيَٰطِينِۖ﴾ [٥].

فالذي ترجم به الشياطين هو بعض الكواكب وتسمى الشهب تصديقاً لقوله تعالى في سورة الصافات ﴿فَأَتۡبَعَهُۥ شِهَابٞ ثَاقِبٞ﴾ وليست كواكب المصابيح التي زين سبحانه بها السماء الدنيا.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُم بِٱلۡغَيۡبِ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٞ كَبِيرٞ ۝١٢﴾.

فالمؤمنون الذين يخشون عذاب الله تعالى دون أن يروه لهم مغفرة لذنوبهم وثواب جزيل لصالح أعمالهم.

﴿إِنِ ٱلۡكَٰفِرُونَ إِلَّا فِى غُرُورٍ﴾ [٢٠].

فتغرهم ظنونهم بأن آلهتهم تنفعهم أو تضرهم وهم بذلك في جهل عظيم وضلال مبين.

﴿فَلَمَّا رَأَوۡهُ زُلۡفَةٗ سِيٓـَٔتۡ وُجُوهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ [٢٧].

فعندما يرون عذاب الآخرة قريباً منهم وهم يعاينون جهنم يشتد كربهم وفزعهم.

﴿قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ إِنۡ أَصۡبَحَ مَآؤُكُمۡ غَوۡرٗا فَمَن يَأۡتِيكُم بِمَآءٖ مَّعِينِۭ ۝٣٠﴾.

فمن يأتيكم بماء تشربون منه إذا غار هذا الماء في أعماق الأرض غير الله تعالى؟.

في تفسير سورة القلم [٦٨]

سورة القلم مكية في ٥٢ آية.

﴿وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ ﴿٣﴾﴾.

فثوابك يا محمد على تحمل الأذى في سبيل الله غير مقطوع ولا منقوص.

﴿فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ ﴿٥﴾﴾.

فسوف ترى يا محمد ويرى قومك مشركو مكة ما سيحصل لهم عندما يحل بهم العذاب.

﴿وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ ﴿٩﴾﴾.

فقد تمنى عليك مشركو مكة أن تجاملهم فتلين لهم في مطالبهم بأن تعبد آلهتهم ليعبدوا إلهك، فإياك من ذلك.

﴿عُتُلٍّ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ ﴿١٣﴾﴾.

وهو الوليد بن المغيرة الذي كان غليظ القلب عديم الفهم وكان ابن زنى أتت به أمه من راع لأن أباه كان عنيناً.

﴿إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ﴿١٧﴾﴾.

فقد كان لثلاثة أخوة بستان ورثوه عن والدهم الصالح. ولكنهم قرروا عدم إعطاء المساكين منه شيئاً، وأنهم سيجمعون ثماره صباحاً.

﴿وَغَدَوْا عَلَىٰ حَرْدٍ قَادِرِينَ ﴿٢٥﴾﴾.

وفي الصباح الباكر كانوا على استطاعة وقدرة لقطف ثمار البستان، ولكن الله حرمهم من البستان إذ أحرق أشجاره فتابوا وندموا متأخرين وأنتم يا أهل مكة لا تكونوا مثلهم فتضيع عليكم الدنيا والآخرة.

﴿أَمْ لَكُمْ كِتَابٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ ﴿٣٧﴾﴾.

فهل لديكم أيها المشركون كتاب من السماء تقرؤونه وتدرسون فيه فتعرفون أنكم خيرون؟! ﴿إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ ﴿٣٨﴾﴾.

﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٤٢﴾﴾.

فعندما يحل عذاب يوم القيامة يحاول الواحد منهم أن يستعد له بكشف ساقه ولكنه لا يستطيع حتى السجود إذ يتحول ظهره إلى لوح واحد.

﴿سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [٤٤].

فدعني يا محمد لأريك ما ينتظر هؤلاء المشركين من العذاب بعد أن أملي لهم المزيد من النعم فيظنون أنهم محل رضا.

﴿أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ ﴿٤٦﴾﴾.

فهل تطلب منهم يامحمد أجرة على تبليغ رسالة الله إليهم حتى يزعموا بأنهم مثقلون بالديون.

﴿وَإِن يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ﴾ [٥١].

فعيونهم لشدة الغيظ والحسد تكاد تقتلك يا محمد وأنت تدعوهم إلى الله ونبذ أصنامهم.

من تفسير سورة الحاقة [٦٩]

سورة الحاقة مكية في ٥٢ آية

﴿فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ ﴿٥﴾﴾.

بصيحة مدمرة فاقت كل حد في الشدة.

﴿كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ﴾ [٧].

فقد أهلكت عاد بريح باردة شديدة كانت تقطع رؤوسهم وتدخل من أفواههم وتخرج ممن أدبارهم فيتحولون إلى ما يشبه النخلة الخاوية الجوف.

﴿وَالْمُؤْتَفِكَاتُ بِالْخَاطِئَةِ ﴿٩﴾﴾.

قرى قوم لوط التي افترت على الله تعالى فنالت جزاء خطيئتها.

﴿إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ ﴿٢٠﴾﴾.

والظن هنا بمعنى اليقين، إذ المؤمن متيقن من يوم القيامة وما فيها من حساب.

﴿يَٰلَيۡتَهَا كَانَتِ ٱلۡقَاضِيَةَ ٢٧﴾.

فقد تمنى لو كانت الموتة الأولى هي النهائية ولا بعث ولا حساب بعدها.

﴿وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنۡ غِسۡلِينٖ ٣٦﴾.

فطعام الكافرين صديد أهل النار كنوع أطعمة العذاب.

﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَا تُبۡصِرُونَ ٣٨ وَمَا لَا تُبۡصِرُونَ ٣٩﴾.

أقسم بكل ما خلق الله تعالى من المرئيات والمغيبات.

من تفسير سورة المعارج [٧٠]

سورة المعارج مكية في ٤٤ آية

﴿سَأَلَ سَآئِلُۢ بِعَذَابٖ وَاقِعٖ ١﴾.

فقد سأل النضر بن الحارث أن ينزل الرسول ﷺ عليهم ما يتهددهم به من عذاب فقال استهزاء ﴿ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلۡحَقَّ مِنۡ عِندِكَ فَأَمۡطِرۡ عَلَيۡنَا حِجَارَةٗ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئۡتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٖ﴾ [الأنفال: ٣٢] فأهلكه الله يوم بدر ونزلت الآيات بذمه وهي تقرر وقوع العذاب بهم، وعدم تمكن أحد من دفعه عنهم.

﴿فِي يَوۡمٖ كَانَ مِقۡدَارُهُۥ خَمۡسِينَ أَلۡفَ سَنَةٖ﴾ [٤].

قال ابن عباس هو يوم القيامة طوله خمسون ألف سنة على الكفار ثم يستقرون في النار، والجمع بين هذا وبين قوله تعالى ﴿فِي يَوۡمٖ كَانَ مِقۡدَارُهُۥٓ أَلۡفَ سَنَةٖ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ [السجدة: ٥] أن في القيامة خمسين موطناً لكل موطن ألف سنة تكون خفيفة على المؤمن بأقل من صلاة مكتوبة كما قال الحديث الشريف.

﴿يَوۡمَ تَكُونُ ٱلسَّمَآءُ كَٱلۡمُهۡلِ ٨﴾.

أي كالرصاص المذاب. قال ابن عباس كعكر الزيت.

﴿يُبَصَّرُونَهُمۡۚ﴾ [١١].

يرونهم ويعرفونهم ولكن يفرون منهم من هول يوم القيامة.

﴿نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ ﴿١٦﴾﴾.

تنزع جلدة الرأس من شدة الحر، ثم تعاد فتنتزع، وهكذا يواصل العذاب.

﴿تَدْعُوا مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٧﴾﴾.

تدعو جهنم من أعرض من الكفار ومن نافق من المنافقين ليقبل عليها كل باسمه ولا يملكون إلا الإجابة ولاسيما أولئك الذين شغلتهم الدنيا في جمع الأموال وتخزينها في أوعيتها ﴿وَجَمَعَ فَأَوْعَىٰ ﴿١٨﴾﴾ دون مراعاة لحلال أو حرام.

﴿الَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ ﴿٢٣﴾﴾. إنهم يداومون عليها بخشوع وكمال فلا يقصرون فيها لا في سفر ولا حضر وأما الآية التالية ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٣٤﴾﴾ فهذه المحافظة على هيئاتها وشروطها.

﴿وَالَّذِينَ هُم بِشَهَادَاتِهِمْ قَائِمُونَ ﴿٣٣﴾﴾.

يشهدون بالحق على القريب والبعيد وعلى الوجه الأكمل لصون الحقوق.

﴿فَمَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا قِبَلَكَ مُهْطِعِينَ ﴿٣٦﴾﴾.

فلماذا يسرع نحوك يامحمد الكفار مادين أعناقهم وشاخصين بأبصارهم؟

﴿عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ عِزِينَ ﴿٣٧﴾﴾.

يجلسون عن يمينك وشمالك في جماعات جماعات يتحدثون ويتعجبون .

﴿كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ﴾ [٤٣].

كأنهم يسرعون إلى أصنامهم ليعبدوها متسابقين فيما بينهم.

من تفسير سورة نوح [٧١]

سورة نوح مكية في ٢٨ آية

﴿يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ﴾ [٤].

فإذا آمنوا يغفر لهم ما قد سلف من الذنوب فقط، وأما ما يأتي فعليه الحساب.

﴿ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ﴿٩﴾﴾.

وهذه طريقة أو أسلوب ثالث في الدعوة بعد أسلوبَيْ الجهر والسر وفيها الجمع بين الأمرين مما يؤكد أنه لم يدخر معهم وسعاً في دعوتهم.

﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾﴾.

أي لا تخافون عظمته وسلطانه فلا تعظمون الله تعالى حق العظمة.﴿وَمَكَرُوا مَكْرًا كُبَّارًا ﴿٢٢﴾﴾.

مكر بهم رؤساؤهم بشكل عظيم يتناهى في الكبر بصدهم عن الدين وإغرائهم وتحريضهم لإيقاع الأذى بنوح عليه السلام.

﴿وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا﴾ [٢٤].

فقد دعا نوح عليه السلام على قومه بعد أن أعلمه ربه بأنه ﴿لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ آمَنَ﴾ [هود: ٣٦] فاستجاب الله دعاءه وأغرقهم.

﴿وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا﴾ [٢٧].

لأن الآباء كانوا يوصون الأبناء بعدم الإيمان لنوح عليه السلام.

من تفسير سورة الجن ٧٢]

سورة الجن مكية في ٢٨ آية

﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ﴿١﴾﴾.

فقد أوحى الله تعالى لرسوله محمد ﷺ يعلمه بأن مجموعة من الجن قد استمعوا له وهو يقرأ القرآن في صلاة الفجر فآمنوا به وصدقوه، مما يشكل تحدياً لكفار مكة بأن الجن ما أسرع ما آمنت، بينما هم يكذبون!!

﴿وَأَنَّهُ تَعَالَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا ﴿٣﴾﴾.

وتعالت عظمة ربنا وجلاله، ليس له زوجة ولا ولد.

﴿وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى اللَّهِ شَطَطًا ﴿٤﴾﴾.

وأن الأحمق فينا كان ينسب إلى الله ما لا يليق بقدسيته ويقول قولاً شططاً بعيداً

عن الحق، والسفيه هو إبليس الذي دعاهم لعبادة غير الله وكانوا يحسبونه صادقاً فلما سمعوا القرآن تأكدوا أنه كان كاذباً فسموه فاسقاً.

﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ۝٦﴾.

كانوا يستجيرون بهم فزادوهم إثماً وطغياناً وعتواً وضلالاً.

﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلصَّـٰلِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ ۖ كُنَّا طَرَآئِقَ قِدَدًا ۝١١﴾.

فمن الجن مؤمنون صالحون، ومنهم الكافرون أو الأقل صلاحاً، فهم فرق ومذاهب مختلفة.

﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا ٱلْقَـٰسِطُونَ ۖ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ تَحَرَّوْا۟ رَشَدًا ۝١٤﴾.

فمن الجن من هم مسلمون ومنهم الكافرون، فقسط بمعنى جار وظلم، وأقسط بمعنى عدل، فالقاسط هو الجائر والمقسط هو العادل.

﴿وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا۟ يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ۝١٩﴾.

لقد ركب الجن بعضهم بعضاً من الازدحام ليسمعوا القرآن.

﴿قُلْ إِنِّى لَن يُجِيرَنِى مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ۝٢٢﴾.

فلن ينصرني من عذاب الله أحد، ولن أجد ملجأ منه تعالى.

﴿قُلْ إِنْ أَدْرِىٓ أَقَرِيبٌ مَّا تُوعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُۥ رَبِّىٓ أَمَدًا ۝٢٥﴾.

فهل هذا العذاب الموعود به قريب الوقوع أم بعيد؟

﴿عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ۝٢٦ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا ۝٢٧﴾.

فهو سبحانه عالم بجميع الغيوب ولا يعلمها إلا هو إلا إذا أوحى بشيء منها إلى بعض الرسل كمعجزات لهم فإنه يوحي بذلك إليهم مع الحرس من الملائكة الذين يحفظون الرسل وسلامة ما يوحى إليهم من الغيب.

من تفسير سورة المزمل [٧٣]

سورة المزمل مكية في ٢٠ آية

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ ۝١ قُمِ ٱلَّيۡلَ إِلَّا قَلِيلٗا ۝٢﴾.

قم يا من تلففت بثوبك يا محمد لصلاة الليل ولا تنقص من فترة الليل إلا القليل لتستعد للمهمة الشاقة التي ستكلف بها ألا وهي تلبية دعوة ربك للناس. وقد بدأ قيام الليل فريضة على الرسول عليه السلام ثم نسخ بقوله تعالى ﴿فَٱقۡرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنۡهُۚ﴾ [٢٠].

﴿... وَرَتِّلِ ٱلۡقُرۡءَانَ تَرۡتِيلًا ۝٤ إِنَّا سَنُلۡقِي عَلَيۡكَ قَوۡلٗا ثَقِيلًا ۝٥﴾.

فتمهل في قراءة القرآن لتتمكن من فهمه وتدبره مع حضور القلب عند القراءة. فإن الله تعالى سينزل عليك يا محمد كلاماً عظيماً له رهبة وجلال. فالتكليف بقيام الليل ليستعد هو وصحبه لمجابهة خصوم الدعوة والصبر على تحمل المشاق من خلال هذه التربية الروحية التي ملك بها المسلمون مشارق الأرض ومغاربها.

كما أنهم بهذه التربية الروحية يتحملون المهمة الكبيرة في حمل الأوامر والنواهي الربانية ومجاهدة النفس على ذلك، كيف لا و ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيۡلِ هِيَ أَشَدُّ وَطۡـٔٗا وَأَقۡوَمُ قِيلًا ۝٦﴾ فما ينشئه الصبر في الليل من العبادة يثقل على النفس في وقت راحتها، وبه تقوى وتشتد العزائم وتصلب الأبدان.

واعلم أنك يا محمد مطالب بعد الفراغ من الأشغال الدنيوية أن تقدم على الدعوة لربك ليلاً ونهاراً ﴿وَٱذۡكُرِ ٱسۡمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلۡ إِلَيۡهِ تَبۡتِيلٗا ۝٨﴾ فأكثر من ذكر الله تعالى وتفرغ لعبادته بعد الانتهاء من أشغالك.

﴿وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱهۡجُرۡهُمۡ هَجۡرٗا جَمِيلٗا ۝١٠﴾

واصبر في دعوتك للناس على أذى السفهاء المكذبين ولا تبال بما يقولونه عنك فإن الله ناصرك، وتجنب الرد عليهم بأي أذى وشتيمة، وكان هذا قبل الأمر بالقتال، ثم أمره تعالى بقتالهم وقتلهم بعد أن توفر من المسلمين العدد الكافي للتصدي.

﴿وَذَرْنِي وَٱلْمُكَذِّبِينَ أُوْلِي ٱلنَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلًا ﴿١١﴾﴾.

وانتظر يا محمد ما سيحل بهؤلاء الأغنياء الذين يجدون في غناهم بطراً وسترى ما يحل بهم بعد هجرتك عنهم من القحط وما يلحقهم من القتل والأسر في بدر.

﴿إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذْكِرَةٌ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴿١٩﴾﴾.

فهذه الآيات عظة وعبرة للناس فمن شاء الاتعاظ بها من الغافلين قبل فوات الأوان فليفعل فالأمر باختيارهم وليس جبراً عنهم.

﴿عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ فَٱقْرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي ٱلْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَءَاخَرُونَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَٱقْرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ [٢٠].

فإن الله يعلم أنكم لن تطيقوا قيام الليل كله أو معظمه فخفف عنكم، فصلوا ما تيسر لكم من صلاة الليل، وبذلك أصبحت تطوعاً لدى أصحابه كما قال ابن عباس، وأوردت الآية الأسباب المخففة من المرض وطلب الرزق والجهاد، واقرنوا بين الصلاة والزكاة لتعمروا علاقتكم مع الله والناس.

من تفسير سورة المدثر [٧٤]

سورة المدثر مكية في ٥٦ آية

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ﴿١﴾ قُمْ فَأَنذِرْ ﴿٢﴾﴾.

فيا من تدثرت طلباً للنوم والراحة! قم بعزم وحذِّر الناس من عذاب الله إن لم يؤمنوا.

﴿وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ ﴿٥﴾﴾.

اترك الأوثان ولا تقربها، فقد اتخذها الكفار آلهة لهم من دون الله.

﴿وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ﴿٦﴾﴾.

لا تعط أحداً شيئاً وتستكثره ولا تعط وتنتظر العوض.

﴿وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ ۝٧﴾.

واصبر على أذى الناس ابتغاء وجه ربك فأنت مقدم على دعوتهم للتخلي عن معتقداتهم مما لا يقابلونه بالرضى بل بالسخط والأذى.

﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ۝١١﴾.

دعني يا محمد وهذا الشقي الوليد بن المغيرة الذي أغدقت عليه الأموال والأولاد وقابلها بالنكران والعصيان، وهو الذي انتهى لتضليل قريش باتهام الرسول عليه السلام بالسحر، وأن القرآن كلام البشر لا كلام الله ﴿فَقَالَ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ ۝٢٤ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ ۝٢٥﴾.

﴿إِنَّهَا لَإِحْدَى ٱلْكُبَرِ ۝٣٥﴾.

فجهنم إحدى الدواهي الكبيرة الخطيرة فكيف يهزؤون بها ويكذبون؟!

﴿نَذِيرًا لِّلْبَشَرِ ۝٣٦ لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ ۝٣٧﴾.

فإخبارهم بجهنم وشيء من أحوالها إنذار للناس ليخشوا ربهم فمن أراد منهم أن يتقرب إليه تعالى بفعل الخيرات فالسبيل ممهد، ومن أراد أن يتأخر بفعل الموبقات فالأمر لاختياره كما قال تعالى في سورة الكهف ﴿فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ﴾ [٢٩].

﴿حَتَّىٰٓ أَتَىٰنَا ٱلْيَقِينُ ۝٤٧﴾.

فقد انتهى أولئك المجرمون الكافرون إلى سقر لأنهم استمروا على عصيان الله تعالى والكفر بيوم القيامة حتى وافاهم الأجل وانتهت أعمارهم.

﴿فَمَا لَهُمْ عَنِ ٱلتَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ ۝٤٩﴾.

فلماذا يستمرون في الإعراض عن القرآن وآياته ومواعظه وإرشاده.

﴿فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍ ۝٥١﴾.

كحمر الوحش التي تفر من الأسد من شدة الفزع.

﴿بَلْ يُرِيدُ كُلُّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ أَن يُؤْتَىٰ صُحُفًا مُّنَشَّرَةً ۝٥٢﴾.

والعجيب أن كلاً من المشركين يريد أن ينزل عليه الوحي بكتاب كما نزل على الأنبياء والرسل.

﴿كَلَّآ إِنَّهُۥ تَذْكِرَةٌ ۝٥٤ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ۝٥٥﴾.

فهذا القرآن فيه موعظة بليغة لمن أراد أن يتعظ منه وينتفع به، فالأمر إليهم بالاختيار.

من تفسير سورة القيامة [٧٥]

سورة القيامة مكية في ٤٠ آية

﴿وَلَآ أُقْسِمُ بِٱلنَّفْسِ ٱللَّوَّامَةِ ۝٢﴾.

فقد أقسم تعالى بنفس المؤمن الذي يستشعر التقصير مهما فعل من طاعات.

﴿بَلْ يُرِيدُ ٱلْإِنسَٰنُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُۥ ۝٥﴾.

فالإنسان الفاجر يريد أن يستمر على فجوره ولا يتوقف عن المتع والشهوات.

﴿بَلِ ٱلْإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ بَصِيرَةٌ ۝١٤ وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ ۝١٥﴾.

فلا مجال للاعتذار يوم الحساب لأن الإنسان نفسه يشهد على نفسه فلا يملك الإنكار.

﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ۝١٦﴾.

فلا تعجل في قراءة القرآن خلف جبريل لتحفظه، فلن يفوتك شيء منه واطمئن ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ۝١٧ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ۝١٨ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ۝١٩﴾.

فربك يا محمد يجمعه في صدرك لتحفظه ولن يفلت منه شيء عنك، فاستمع لجبريل وهو يقرأ عليك حتى يفرغ، واطمئن أن الله تعالى يبين لك ما أشكل فهمه من معانٍ وأحكام.

﴿وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍۭ بَاسِرَةٌ ۝٢٤ تَظُنُّ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ ۝٢٥﴾.

وأما وجوه الكفرة الفجرة فهي كالحة عابسة تتوقع العذاب الذي يقصم فقار الظهر.

﴿أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ۝٣٤ ثُمَّ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰٓ ۝٣٥﴾.

فأنت يا أبا جهل ويل ثم ويل لك فاحذر العقوبة التي تنزل بك! وبالفعل مات شر ميتة في بدر.

من تفسير سورة الإنسان [٧٦]

سورة الإنسان مدنية في ٣١ آية

﴿هَلۡ أَتَىٰ عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ حِينٞ مِّنَ ٱلدَّهۡرِ لَمۡ يَكُن شَيۡـٔٗا مَّذۡكُورًا ۝١﴾.

فقد أتى على عدم وجود الإنسان على الأرض فترة طويلة قبل حمله في رحم أمه وبعد حمله في رحمها وهو لما يصبح شيئاً يذكر، فلماذا ينسى ذلك بعد أن كبر وعقل؟

﴿إِنَّا خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِن نُّطۡفَةٍ أَمۡشَاجٖ نَّبۡتَلِيهِ فَجَعَلۡنَٰهُ سَمِيعَۢا بَصِيرًا ۝٢﴾.

فقد خلق الله الإنسان من نطفة تكون من التقاء مني الرجل مع ماء المرأة فهي خليط من ماءين، ثم كبر وفهم وميّز فابتليناه فيما كلفناه به من التكاليف الشرعية.

﴿إِنَّا هَدَيۡنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرٗا وَإِمَّا كَفُورًا ۝٣﴾.

فقد عرَّفناه طريق الهدى والضلال ببعثة الرسل وأعطيناه العقل وحرية الاختيار، فله أن يشكر وله أن يكفر وليتحمل مسؤولية اختياره.

﴿... لَا يَرَوۡنَ فِيهَا شَمۡسٗا وَلَا زَمۡهَرِيرٗا ۝١٣﴾.

لا يجد المؤمنون في الجنة حراً ولا برداً، بل هواء معتدل حسب ما يرغبون.

﴿وَحُلُّوٓاْ أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٖ﴾ [٢١].

فهم حسب ما يريدون، مرة من فضة ومرة من ذهب ومرة من لؤلؤ.

﴿إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذۡكِرَةٞۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلٗا ۝٢٩ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمٗا ۝٣٠﴾ فهذا القرآن يحمل للبشر الموعظة البالغة وللإنسان أن يؤمن ويعمل به وإن كان لا يملك أحد أن يعمل شيئاً إلا بمشيئة الله، أي ليس رغماً عن الله تعالى القادر على التدخل والمنع.

من تفسير سورة المرسلات [٧٧]

سورة المرسلات مكية في ٥٠ آية

﴿وَٱلۡمُرۡسَلَٰتِ عُرۡفٗا ١ فَٱلۡعَٰصِفَٰتِ عَصۡفٗا ٢ وَٱلنَّٰشِرَٰتِ نَشۡرٗا ٣ فَٱلۡفَٰرِقَٰتِ فَرۡقٗا ٤ فَٱلۡمُلۡقِيَٰتِ ذِكۡرًا ٥﴾.

فقد أقسم سبحانه برياح العذاب، ورياح العواصف وملائكة نشر السحاب، وملائكة التفريق بين الحق والباطل وملائكة تنزيل الوحي على الرسل لإعذار المؤمنين وإنذار الكافرين وأقسم بهذه الأمور الخمسة بأن يوم القيامة واقع لا شك فيه فاحذروه.

﴿وَإِذَا ٱلرُّسُلُ أُقِّتَتۡ ١١﴾.

أي حدد لها وقت الشهادة كل على أتباعه.

﴿فَجَعَلۡنَٰهُ فِي قَرَارٖ مَّكِينٍ ٢١﴾.

أي جعل سبحانه الجنين في رحم أمه القادر على حمله ورعايته.

﴿أَلَمۡ نَجۡعَلِ ٱلۡأَرۡضَ كِفَاتًا ٢٥﴾.

ألم نجعلها تجمع الأحياء على ظهرها، والأموات في بطنها فالكفت هو الجمع والضم.

﴿فَإِن كَانَ لَكُمۡ كَيۡدٞ فَكِيدُونِ ٣٩﴾.

فإن كانت لديكم حيلة للخلاص من العذاب فاحتالوا، ولكن هيهات!

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱرۡكَعُواْ لَا يَرۡكَعُونَ ٤٨﴾.

فهم عاجزون عن الركوع والسجود لتحول ظهورهم إلى شكل ألواح، ولو أرادوا الركوع فإن الكبر يمنعهم.

من تفسير سورة النبأ [٧٧]

سورة النبأ مكية في ٤٠ آية

﴿أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ مِهَـٰدًا ﴿٦﴾﴾.

أي ممهدة مستقرة للعيش فوقها والاستفادة من سهولها وجبالها.

﴿وَٱلْجِبَالَ أَوْتَادًا ﴿٧﴾﴾.

كأنها أوتاد للأرض تثبتها حتى لا تميد بالخلق.

﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلْمُعْصِرَٰتِ مَآءً ثَجَّاجًا ﴿١٤﴾﴾.

من السحب أنزل تعالى حين هطول الأمطار المياه المتدفقة بشدة.

﴿وَفُتِحَتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ أَبْوَٰبًا ﴿١٩﴾﴾.

فيظهر تشقق السماء يوم القيامة كأنها قد فتحت فيها أبواب.

﴿لَّـٰبِثِينَ فِيهَآ أَحْقَابًا ﴿٢٣﴾﴾.

فالمجرمون يمكثون في جهنم حقباً عقب حقب، دون تحديد بزمن بل على الدوام.

﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ﴿٣١﴾﴾.

لهم الفوز بجنات النعيم والخلاص من عذاب الجحيم، لا كأولئك المجرمين.

﴿وَكَأْسًا دِهَاقًا ﴿٣٤﴾﴾.

للمتقين خمر مملوءة الكؤوس وقد عصرت وصفيت من الشوائب.

من تفسير النازعات [٧٩]

سورة النازعات مكية في ٤٦ آية

﴿وَٱلنَّٰزِعَٰتِ غَرۡقٗا ١ وَٱلنَّٰشِطَٰتِ نَشۡطٗا ٢ وَٱلسَّٰبِحَٰتِ سَبۡحٗا ٣ فَٱلسَّٰبِقَٰتِ سَبۡقٗا ٤ فَٱلۡمُدَبِّرَٰتِ أَمۡرٗا ٥ يَوۡمَ تَرۡجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ ٦ تَتۡبَعُهَا ٱلرَّادِفَةُ ٧﴾.

إنه تصوير لحال البشر يوم القيامة وما يسبقه، فملائكة تنزع أرواح الكفار بشدة، وملائكة تنزع أرواح المؤمنين بنشاط وخفة، وملائكة الوحي تنزل بأمر ربها كالسابحة في الماء، وملائكة توصل أرواح المؤمنين لجنة النعيم في تسابق، وملائكة تدبر شؤون الكون بأمر ربها، هذه الأنواع الخمسة من الملائكة يقسم بها المولى سبحانه تشريفاً لها بأن يوم القيامة موشك قادم حين النفخة الأولى، نفخة الصعق، ثم تتبعها النفخة الثانية، نفخة البعث والخروج من القبور للنشر والحساب.

﴿يَقُولُونَ أَءِنَّا لَمَرۡدُودُونَ فِي ٱلۡحَافِرَةِ ١٠﴾.

يسخرون بقولهم أنهم عائدون للحياة بعد الفناء.

﴿فَإِذَا هُم بِٱلسَّاهِرَةِ ١٤﴾.

فإذا الخلق جميعاً على وجه الأرض بعد أن كانوا في بطنها.

﴿فَأَرَىٰهُ ٱلۡأٓيَةَ ٱلۡكُبۡرَىٰ ٢٠﴾.

أراه معجزة العصا كيف تقلب حية.

﴿يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرۡسَىٰهَا ٤٢﴾.

متى وقوعها وقيامها.

من تفسير سورة عبس [٨٠]

سورة عبس مكية في ٤٢ آية

﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١ أَن جَآءَهُ ٱلۡأَعۡمَىٰ ۝٢﴾.

فقد عاتب المولى سبحانه رسوله ﷺ لأنه عبس في وجه عبد الله بن أم مكتوم عندما جاءه يستفسره عن دينه لأنه كان أعمى ولم ير انشغال الرسول ﷺ بصناديد قريش على أمل إسلامهم وإسلام من خلفهم، فكان ﷺ يقول له كلما لقيه: «مرحباً بمن عاتبني فيه ربي».

﴿كَلَّآ إِنَّهَا تَذۡكِرَةٞ ۝١١ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ۝١٢﴾.

فلا تفعل مثل ذلك العبوس يا محمد في وجه فقير لأن القرآن تذكرة وعظة لمن أراد ذلك وليس خاصاً بأغنياء ولا أمراء.

﴿بِأَيۡدِي سَفَرَةٖ ۝١٥ كِرَامِۭ بَرَرَةٖ ۝١٦﴾.

فالقرآن تتناوله أيدي من جعلهم الله سفراء بينه وبين رسله فهم أتقياء مكرمون عند رب العالمين.

﴿قُتِلَ ٱلۡإِنسَٰنُ مَآ أَكۡفَرَهُۥ ۝١٧﴾.

لعن الكافر وبعد من رحمة الله لشدة كفره رغم الإحسان إليه.

﴿ثُمَّ ٱلسَّبِيلَ يَسَّرَهُۥ ۝٢٠﴾.

ثم سهل الله تعالى له الخروج من بطن أمه للحياة.

من تفسير سورة التكوير [٨١]

سورة التكوير مكية في ٢٩ آية

﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ ۝١ وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ ۝٢﴾.

فمن مظاهر يوم القيامة تكور الشمس وذهاب ضوئها، وتساقط النجوم وتناثرها.

﴿وَإِذَا ٱلْعِشَارُ عُطِّلَتْ ۝٤﴾.

وتهمل النوق الحوامل فلا تجد من يرعاها بسبب انهماك الناس في شؤونهم.

﴿وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ ۝٧﴾.

عندما تقرن كل نفس صالحة مع مثلها، وشقية مع مثلها.

﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلْخُنَّسِ ۝١٥ ٱلْجَوَارِ ٱلْكُنَّسِ ۝١٦﴾.

فالمولى سبحانه يقسم بالنجوم التي تخنس وتختفي في النهار وتظهر في الليل، وتستتر وقت الغروب.

﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ بِٱلْأُفُقِ ٱلْمُبِينِ ۝٢٣﴾.

فقد رأى النبي ﷺ جبريل عليه السلام بالأفق من جهة الشرق وهو بكامل خلقته بستمائة جناح، وكانت هذه أول رؤية على الحقيقة.

﴿وَمَا هُوَ عَلَى ٱلْغَيْبِ بِضَنِينٍ ۝٢٤﴾.

محمد ﷺ لم يكن مقصراً في تبليغ الوحي إليه بل بلغه بصدق وأمانة.

من تفسير سورة الانفطار [٨٢]

سورة الانفطار مكية في ١٩ آية

﴿وَإِذَا ٱلْبِحَارُ فُجِّرَتْ ۝٣﴾.

أي انفجر ماء كل منها فاختلط الماء العذب مع المالح وظهرت بواطنها فأصبحت في ظاهرها عندما تخرج الأرض كل ما فيها إلى سطحها.

﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ ۝٥﴾.

فكل إنسان يعرف يوم القيامة جزاء ما قدم من أعمال صالحة وطالحة وجزاء ما ترك وأخر من أعمال وسنن طيبة أو سيئة اقتدى الناس بها بعد موته.

﴿ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ۝٧﴾ فقد خلق الله الإنسان من العدم، وخلق الله الأعضاء السليمة من سمع وبصر وعقل، وجعله معتدل القامة منتصب الهيئة بدلاً من أن يزحف على الأرض.

﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَـٰفِظِينَ ۝١٠ كِرَامًا كَـٰتِبِينَ ۝١١ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ۝١٢﴾.

فقد جعل الله على كل إنسان ملائكة يحفظونه ويضبطون أعماله، فهم رقباء يكتبون كل ما يصدر عنه من خير وشر من الأعمال، والإنسان ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ۝١٨﴾ فأقواله أيضاً مسجلة عليه.

من تفسير سورة المطففين [٨٣]

سورة المطففين مكية في ٣٦ آية

﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَـٰبَ ٱلْفُجَّارِ لَفِى سِجِّينٍ ۝٧﴾.

فإن كتاب أعمال الفجار الأشقياء في مكان ضيق في أسفل سافلين، والسجين من السجن وهو الضيق.

﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾﴾.

فعلى كل فاجر أن يرتدع عن جحوده ويتوقف عن القول الباطل من أن القرآن هو أساطير الأولين، ويتخلص من مثل هذا القول ومن كل المعاصي والآثام التي اشتد ضغطها على بصيرته حتى صار لا يعرف الحق من الباطل.

﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾﴾.

فالفاجر لا يعطى القدرة الروحانية العالية التي تمكنه من رؤية ربه يوم القيامة كما هو حال الأبرار.

﴿يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ ﴿٢٥﴾﴾.

فالأبرار يسقون من الخمر المختوم والمحفوظ لهم دون غيرهم.

﴿هَلْ ثُوِّبَ الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾﴾.

فهل نال الكفار جزاءهم في الآخرة بما فعلوه بالمؤمنين من الاستهزاء؟

من تفسير سورة الانشقاق [٨٤]

سورة الانشقاق مكية في ٢٥ آية

﴿إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ ﴿١﴾ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ﴿٢﴾﴾.

فعندما تتشقق السماء وتتصدع وتتفتح كأنها أبواب فإنها تؤذن بحدوث ووقوع يوم القيامة مستجيبة لأمر ربها ومنقادة لحكمه، وحق لها أن تسمع وتطيع وتنشق لأهوال يوم القيامة.

﴿يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ ﴿٦﴾﴾.

فيا كل إنسان، اجتهد في أعمالك التي تنتهي بك إلى الموت واحذر ضياع عمرك القصير دون أن تعمل فيه من الصالحات ما يجعلك تطمع أن يكافئك ربك عليها بالخير لا بالشر عندما تقف بين يديه للحساب.

﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ ﴿١٠﴾ فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُورًا ﴿١١﴾﴾.

فمن يعطى كتاب أعماله بشماله من وراء ظهره فإنه يتمنى الموت والهلاك ولا أن يقف هذا الموقف.

﴿إِنَّهُۥ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ ﴿١٤﴾﴾.

فقد كان يظن أنه لن يرجع إلى ربه للحساب فكفر وفجر.

﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلشَّفَقِ ﴿١٦﴾ وَٱلَّيۡلِ وَمَا وَسَقَ ﴿١٧﴾ وَٱلۡقَمَرِ إِذَا ٱتَّسَقَ ﴿١٨﴾ لَتَرۡكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ ﴿١٩﴾﴾.

فقد أقسم تعالى بالشفق عند الغروب، وبالليل وما ضمه من خلق، وبالقمر عند بدره، بأن الكفار سيقابلون طبقات من الأهوال والشدائد يوم القيامة، فليحذروها.

من تفسير سورة البروج [٨٥]

سورة البروج مكية في ٢٢ آية

﴿وَشَاهِدٍ وَمَشۡهُودٍ ﴿٣﴾﴾.

فقد أقسم تعالى بالشاهد على هذه الأمة محمد ﷺ وبالمشهود عليهم وهم الأمم الأخرى التي تشهد عليها الأمة الإسلامية، أقسم باللعنة على أصحاب الأخدود الذين شقوه بالأرض وحرقوا المؤمنين فيه، ذلك أن ملكاً ظالماً فاجراً آمن أهل بلده فحفر أخدوداً في كل شارع ليلقي فيه كل من لم يرجع عن إيمانه.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُواْ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ ثُمَّ لَمۡ يَتُوبُواْ فَلَهُمۡ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمۡ عَذَابُ ٱلۡحَرِيقِ﴾ [١٠].

فإن أولئك الفجار الذين أصروا على فتنة المؤمنين ولو بالحرق بالنار، واستمروا على كفرهم وفجورهم ولم يرجعوا عنه بتوبة صادقة فعليهم أن ينتظروا العذاب الشديد لكفرهم، وبالحرق لإحراقهم المؤمنين، وبكل نوع من أنواع العذاب أوقعوا مثله في المؤمنين.

﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴿١٢﴾ إِنَّهُۥ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ ﴿١٣﴾﴾.

فانتقامه تعالى من الظلمة والجبابرة شديد العذاب، وهو سبحانه الذي خلق الخلق من العدم سيعيدهم بعد الموت ليحاسبهم.

﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْجُنُودِ ﴿١٧﴾﴾.

هل علمت يا محمد ما حل بجنود الكفر والطغيان وهو يبطشون برسل الله وأوليائه سواء كان فرعون أو أمثاله؟!

من تفسير سورة الطارق [٨٦]

سورة الطارق مكية في ١٧ أية

﴿وَٱلسَّمَآءِ وَٱلطَّارِقِ ﴿١﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلطَّارِقُ ﴿٢﴾ ٱلنَّجْمُ ٱلثَّاقِبُ ﴿٣﴾﴾.

أقسم الله تعالى بالطارق وهو النجم الذي يظهر ليلاً ويختفي نهاراً، ثم بين أنه النجم المضيء الذي يثقب الظلام بضيائه، وأقسم تعالى على أن كل إنسان عليه حافظ من الملائكة يحصي عليه كل ما يكسبه من خير وشر ﴿إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ ﴿٤﴾﴾.

﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ﴿٥﴾ خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ ﴿٦﴾ يَخْرُجُ مِنۢ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَٱلتَّرَآئِبِ ﴿٧﴾﴾.

فعلى الإنسان أن يتدبر في أمر خلقه، وأنه قد خلقه الله تعالى من ماء الرجل الذي يندفع عند الجماع في رحم المرأة، خارجاً من صلب الرجل وترائب المرأة حيث يختلط الماءان ليبدأ تشكيل الجنين.

﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلرَّجْعِ ﴿١١﴾﴾.

فقد أقسم الله تعالى بالسماء من حيث إنها ذات المطر الذي يرجع على الناس من حين إلى حين.

﴿وَٱلْأَرْضِ ذَاتِ ٱلصَّدْعِ ﴿١٢﴾ إِنَّهُۥ لَقَوْلٌ فَصْلٌ ﴿١٣﴾﴾.

كما أقسم تعالى بالأرض التي ما أن تنزل عليها الأمطار حتى تتشقق مخرجة النباتات بأنواعها، أقسم تعالى بتلك السماء وهذه الأرض بأن القرآن فاصل بين الحق والباطل.

من تفسير سورة الأعلى [٨٧]

سورة الأعلى مكية في ١٩ آية

﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ① ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ② وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ ③﴾.

فقد أمر سبحانه رسوله محمداً ﷺ أن ينزه ربه الأعلى من كل النقائص، والذي خلق الخلق في أحسن هيئة وأحكم حال، والذي قدر في كل شيء خواصه ومزاياه وهداه لسبيل الانتفاع مما أودعه فيه، فهو سبحانه قدر وقضى لكل مخلوق ما يصلحه وهداه إليه.

﴿وَٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلْمَرْعَىٰ ④ فَجَعَلَهُۥ غُثَآءً أَحْوَىٰ ⑤﴾.

فهو سبحانه الذي أنبت الحشائش والأعشاب في المراعي، وجعلها تتحول من نباتات كبيرة صعبة التناول على مختلف الحيوانات إلى حشائش يابسة هشة تصير طعاماً مناسباً للكثير من الحيوانات.

﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ⑭ وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ⑮﴾.

فقد فاز من طهر نفسه بالإيمان وصالح الأعمال، واستحضر لذاكرته في كل حالات حياته عظمة ربه وجلاله فصلى بخشوع، فسواء قام بالذكر قبل الصلاة أو بعدها فربه في عظمته حاضر في دعائه وصلاته.

﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ⑯﴾.

فالناس يفضلون بطبائعهم القاصرة هذه الدنيا الفانية وينسون الباقية.

من تفسير سورة الغاشية [٨٨]

سورة الغاشية مكية في ٢٦ آية

﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْغَـٰشِيَةِ ۝١﴾.

هل علمت يا محمد بخبر الداهية العظيمة التي تغشى الناس وتعمهم بشدائدها وأهوالها؟ إنها القيامة.

﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَـٰشِعَةٌ ۝٢ عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ۝٣ تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً ۝٤ تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنٍ ءَانِيَةٍ ۝٥﴾.

فإن الوجوه الذليلة الخاضعة تحترق في نار مشتعلة، وتشرب من عيون شديدة الحرارة، هذا بالإضافة إلى أن طعام أصحابها ليس إلا النباتات الشوكية الخبيثة الطعم، السامة المذاق، وهذا صنف من أصناف أطعمة المشركين، وإلا فهناك الزقوم وهناك الغسلين.

﴿لَّا تَسْمَعُ فِيهَا لَـٰغِيَةً ۝١١﴾.

لا يسمع في الجنة إلا الكلام الطيب البعيد عن الأذى والباطل.

﴿وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ ۝١٦﴾.

وهي الطنافس الفاخرة ذات الحمل الرقيق والمبسوطة في أنحاء الجنة.

﴿لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ۝٢٢﴾.

إنك يا محمد لست بمتسلط عليهم ولا قاهر لهم حتى تجبرهم على الإيمان، وهذا دليل أن الإيمان بالاختيار لا بالإكراه والإجبار.

من تفسير سورة الفجر [٨٩]

سورة الفجر مكية في ٣٠ آية

﴿وَٱلْفَجْرِ ۝١ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ۝٢ وَٱلشَّفْعِ وَٱلْوَتْرِ ۝٣﴾.

فقد أقسم تعالى بهذه الأمور الثلاثة لما في كل منها من البركة، فالفجر يملأ الدنيا ضياء بعد الظلمة، وليالي ذي الحجة العشرة الأولى لكثرة ما فيها من الخير الكبير، والشفع والوتر مما خلق سبحانه من كل زوجين اثنين وأفرد نفسه بالوتر أي الواحد الذي لا شريك له.ثم أقسم بالليل ﴿وَٱلَّيْلِ إِذَا يَسْرِ ۝٤﴾ أي عندما يسري ويذهب مع سيره كل ما خلقه من مخلوقات الليل ونواميس الليل.

أقسم تعالى بهذه الأمور الخمسة بأن الكفار سيعذبون..

﴿وَتُحِبُّونَ ٱلْمَالَ حُبًّا جَمًّا ۝٢٠﴾.

فالإنسان بطبعه وفطرته يحب المال كثيراً، وليس في ذلك ذم ولا مدح ولكن من يتكالب عليه حتى ينسيه خالقه فهنا الذم. ومن يطغيه حتى يبخل بإنفاقه في طاعة الله فهنا أيضاً الذم.

﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ۝٢٢﴾.

فانظر يا محمد إلى يوم القيامة وقد حشر الناس للحساب كيف يكون حسابهم جميعاً كنفس واحدة، ففي ذلك اليوم يجيء أمر الله تعالى للفصل بين العباد ومحاسبتهم فيصطف الملائكة صفوفاً صفوفاً ليشهدوا ذلك الحساب فيساق الكفار في سلاسلهم وأغلالهم ليدخلوا جحيم أعمالهم، ويسير المؤمنون في نورهم وضيائهم ليدخلوا جنة ربهم.

من تفسير سورة البلد [٩٠]

سورة البلد مكية في ٢٠ آية

﴿لَآ أُقۡسِمُ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ①﴾.

فقد أقسم تعالى بالبلد مكة لما أكرمها من الكعبة المشرفة، أقسم بها والرسول ﷺ موجود ومقيم فيها، فالتشريف للمكان غير مرتبط بذاته بل بمن فيه.

﴿وَوَالِدٖ وَمَا وَلَدَ ③﴾.

فقد أقسم تعالى هنا بالوالد الأول للبشرية وهو آدم، وأقسم بما ولده وبالذات من المؤمنين من أولاده لأن الكفار لا تشريف ولا تكريم لهم.

فالقسم هذا والذي قبله على أن الإنسان خلقه تعالى في تعب ومشقة ﴿لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ فِي كَبَدٍ ④﴾.

﴿أَيَحۡسَبُ أَن لَّن يَقۡدِرَ عَلَيۡهِ أَحَدٞ ⑤﴾.

هل يحسب ذلك الشقي المغتر بقوته النضر بن الحارث بن كلدة بأن الله لن يقدر على الانتقام منه؟! فلا يغتر بقوته الجسدية والمالية حتى ينفق دون حساب على عداوة رسول الله ﷺ.

﴿وَهَدَيۡنَٰهُ ٱلنَّجۡدَيۡنِ ⑩﴾.

فقد بين له تعالى شيئاً من النعم عليه، من العين واللسان والشفتين ثم أبرز له أخطر شيء للحياة والموت وهو هداية لطريق الخير والشر ليختار، وأن اختياره الخير باقتحام العقبة وتحمل المشاق في طاعة الله تدخله مع المؤمنين وأهل الجنة والنعيم، وإلا يكون من أهل الجحيم والشقاء في الدارين.

من تفسير سورة الشمس [٩١]

سورة الشمس مكية في ١٥ آية

﴿وَٱلشَّمۡسِ وَضُحَىٰهَا ١ وَٱلۡقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا ٢﴾.

فقد قرن سبحانه بين الشمس والقمر في القسم وربط القسم بالشمس بضحاها عندما تشتد إشراقاً وتملأ الكون ضياءً، كما ربط القسم بالقمر بمجيئه بعد الشمس بمعنى اشتقاقه لضوئه منها.

ثم أقسم ﴿وَٱلنَّهَارِ إِذَا جَلَّىٰهَا ٣ وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰهَا ٤﴾.

بالنهار الذي تتجلى الشمس طيلة وقته وينشط طيلة جلائها، فربط النهار بجلاء الشمس فيه، كما ربط الليل بغشيانه للشمس إذ يذهب ضوؤها ويلف الكون بالظلام تعبيراً عن قدرة الله تعالى وعظمته.

ثم أقسم ﴿وَٱلسَّمَآءِ وَمَا بَنَىٰهَا ٥ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا طَحَىٰهَا ٦﴾.

أقسم بالسماء ولم يربطها بالشمس وإنما بدقة بنائها من بانيها القادر على كل شيء. كما ربط الأرض بمدها وبسطها ليتيسر عيش المخلوقات عليها، فربط في القسم بين السماء والأرض لما في ذلك من تتابع في خلقه تعالى.

وعند القسم بالنفس البشرية لم يربطها بشيء آخر بل ربطها بما أفردها به وميزها عندما ألهمها الفجور والتقوى، خلق فيها القدرة على معرفة الشر والخير بعد أن خلق فيها القدرة على الخير والفجور، وربط ذلك باختيار الإنسان للخير أو الشر فيطهر أو يتدنس، فالعقل والتمييز كان لا بد منهما لمعرفة الخير والشر.

من تفسير سورة الليل [٩٢]

سورة الليل مكية في ٢١آية

﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰ ۝١ وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ۝٢﴾.

فقد ربط تعالى في هذه القسم بين الليل وغشيانه للأرض حتى يلقي الظلام كما ربط بين النهار وتجليه حتى يذهب بنوره كل الظلام ويتحقق للإنسان يسر السعي بطلب المعاش وتدبير الشؤون. فالليل هو الأصل والنهار نتيجة.

﴿فَأَمَّا مَنۡ أَعۡطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ ۝٦﴾.

فمن يختار من البشر في سعيه المتنوع العطاء من ماله طلباً لرضى الله فقد اتقى وخشي ربه، فقد ربط ذلك بالإيمان عندما قال بالتصديق، بالتوحيد بدلاً من الشرك والوثنية، فهذا الإنسان الذي يجمع بين الأمرين يسهل له تعالى عمل الخير ﴿فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡيُسۡرَىٰ ۝٧﴾ وعلى العكس من ذلك من بخل في الإنفاق وتجنب عبادة الله لعبادة أوثانه وهواه وأقام ذلك على شركه ووثنيته فلن يتيسر له إلا العسر والحياة السيئة ﴿فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡعُسۡرَىٰ ۝١٠﴾.

﴿إِنَّ عَلَيۡنَا لَلۡهُدَىٰ ۝١٢ وَإِنَّ لَنَا لَلۡأٓخِرَةَ وَٱلۡأُولَىٰ ۝١٣﴾.

فالله تعالى وحده الذي يبين لعباده طريق الهدى من طريق الضلال، وهو سبحانه صاحب الدنيا والآخرة فعلى من يريد الهدى أن يطلبه من الله.

﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعۡمَةٖ تُجۡزَىٰٓ ۝١٩ إِلَّا ٱبۡتِغَآءَ وَجۡهِ رَبِّهِ ٱلۡأَعۡلَىٰ ۝٢٠﴾. فأبو بكر الصديق لم يحرر بلالاً من العبودية لمصلحة شخصية بل لوجه الله تعالى وقد كذب أمية بن خلف عندما اتهم الصديق بذلك.

من تفسير الضحى [٩٣]

سورة الضحى مكية في ١١ أية

﴿وَٱلضُّحَىٰ ۝١ وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ ۝٢﴾.

فقد قرن سبحانه بالقسم بالضحى لما فيه من بداية الهمة والنشاط البشري وبالليل عندما يظلم ويشتد ظلامه لما في ذلك من سبات وركون إلى الراحة وطلبها من طول عناء في طلب العيش مع النهار وضيائه..ففي ذلك ما يلفت نظر العاقل المتدبر لعظمة الخالق وتدبيره لخلقه.

وفي هذا القسم أكد تعالى بأنه ما ترك نبيه محمداً منذ اختياره له ولا أبغضه منذ أحبه، فليخسأ المشركون الذين يدّعون ذلك.

﴿وَلَسَوۡفَ يُعۡطِيكَ رَبُّكَ فَتَرۡضَىٰٓ ۝٥﴾.

فقد بشره جبريل الأمين بقوله تعالى: يا جبريل اذهب إلى محمد وقل له: إنا سنرضيك في أمتك ولا نسوؤك.

﴿وَوَجَدَكَ ضَآلّٗا فَهَدَىٰ ۝٧﴾.

فكان ﷺ تائهاً يبحث عن الهدى حتى جاءه الوحي فعرف ربه وعرف طريقه.

﴿وَأَمَّا بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثۡ ۝١١﴾.

فقد أمره ربه أن يحدث الناس بفضل الله تعالى عليه، وهل من فضل أعظم من رسالة القرآن والإسلام التي كلف بتبليغها للعالمين، فلتحدث الناس يا محمد وتبلغهم بهذه النعمة عليك، وخذ بأيدي العباد إلى طريق الرشاد.

من تفسير سورة الشرح [٩٤]

سورة الشرح مكية في ٨ آيات

﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴿١﴾﴾.

فقد شرح تعالى صدر نبيه ﷺ ووسعه، شرحه بالإيمان ووسعه لاستقبال الدين والشريعة، قال ابن عباس بأن جبريل عليه السلام قد جاءه وهو صغير فشق صدره وغسل قلبه بماء زمزم وأخرج منه حظ الشيطان حتى أن خادمه أنس كان يقول: كنت أرى أثر المخيط في صدره.

﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴿٤﴾﴾.

فتطييباً لنفسه ذكره ربه بأن الله تعالى قد منّ عليه برفع ذكره في الدنيا والآخرة، فقد قرن اسمه باسمه سبحانه في الشهادة والأذان والإقامة والتشهد والخطب وفي أكثر من موضع في القرآن، وألزم الأنبياء والأمم أن تؤمن به ﷺ.

﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٥﴾ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٦﴾﴾.

فطمأن سبحانه رسوله ﷺ بأن ما بعد هذا الضيق في مكة إلا الفرج ولا يلزم إلا الصبر على الأذى في سبيل الله حتى قال ﷺ: «لن يغلب عسر يسرين».

﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ ﴿٧﴾ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَب ﴿٨﴾﴾.

فإذا فرغت من شؤون الحياة فانصب في العبادة بنية صادقة ورغبة أكيدة.

من تفسير سورة التين [٩٥]

سورة التين مكية في ٨ آيات

﴿وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ ﴿١﴾ وَطُورِ سِينِينَ ﴿٢﴾﴾.

فالله تعالى يقسم بهذه الأشياء الثلاثة تكريماً وتشريفاً بعد كل ما لها من ذلك،

فالقسم بالتين والزيتون لما فيهما من الخير والبركة، وهناك جانب آخر هو مكانهما فالتين والزيتون يكثر في بلاد الشام ومركزهما بيت المقدس، وهو مكان مجيء عيسى عليه السلام، وطور سنين المبارك هو جبل طور الذي كلم الله تعالى عليه نبيه موسى عليه السلام، وهذا البلد الأمين هو مكة وهي موضع مجيء النبي محمد ﷺ.

فالقسم بالأماكن الثلاثة بينه المولى سبحانه بقوله ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾﴾ أي أنه خلق الإنسان في أحسن هيئة واستقامة، مما يقتضي شكر هذا المنعم من الإنسان وليس كفره وعدم شكره.

لذلك فإنه نتيجة كفره ﴿ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ ﴿٥﴾﴾ نزول مكانته مع إنكار نعمه تعالى إلى أسفل درجة، وأما إذا شكر وآمن فقد كافأه بالأجر الذي لا ينقطع في جنات النعيم.

﴿فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِٱلدِّينِ ﴿٧﴾﴾.

فما الذي يجعلك أيها الإنسان بعد هذه النعم أن تقدم على التكذيب بيوم الجزاء والحساب فتضيع آخرتك الباقية بعد كل تلك الدنيا الفانية.

﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَحْكَمِ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٨﴾﴾.

فهل لديك أدنى شك بأن الله تعالى هو أحكم الحاكمين: في خلقه وتدبيره وفضله ورعايته! فكان النبي ﷺ كلما قرأها قال: «بلى وأنا على ذلك من الشاهدين».

من تفسير سورة العلق [٩٦]

سورة العلق مكية في ١٩ آية

﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾﴾.

فقد بدأ الخطاب الرباني لنبيه ﷺ بكلمة اقرأ منبهاً إلى أهمية القراءة منذ اللحظات الأولى من حياة الإنسان، وأما أن يكون الإنسان عدو القراءة والكتاب بفعل سوء التوجيه المدرسي والبيتي فهذه مأساة تعيشها أجيالنا ويسعى لها أعداؤنا.

ونعود لأمره تعالى فنجده تعالى يأمر أن يجعل أحدنا قراءته باسم ربه الذي خلقه وأحسن خلقه كما خلق جميع المخلوقات الأخرى مسخرة له، وبيّن له أن ربه قد خلق هذا الإنسان بما له من مميزات عن المخلوقات الأخرى في الشكل والعقل، قد خلقه من دودة صغيرة لا ترى بالعين المجردة، فحري به أن يشكر ربه ويعبده من دون غيره.

﴿ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾﴾.

ما زال الأمر بالقراءة قائماً وهذه المرة مستعيناً بربه الأعظم في الكرم والذي تكرم على مخلوقه البشري بتعليمه بهذه الأداة، إنها القلم التي علمه بها ما لم يعلم، وعلم الإنسان به ما تحققت له به جميع المنافع من تدوين العلوم، وأهمها الكتب المنزلة من عند رب العالمين.

وبهذه الآيات الخمس الأولى انتهى النزول الأول من القرآن في غار حراء.

﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ﴿٦﴾ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ﴿٧﴾ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجْعَىٰٓ ﴿٨﴾﴾.

فاعلم يا أبا جهل، طاغية هذه الأمة وكل طغاتها، أن اتباع الهوى والتكبر بدافع الغنى والثروة سينتهي إلى مصير الجزاء الأوفى يوم الحساب فاحذر هذا الطغيان.

﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يَنْهَىٰ ﴿٩﴾ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰٓ ﴿١٠﴾﴾.

فهل رأيت يا محمد أعجب من هذا الشقي الفاجر الذي ينهى عبداً من عباد الله عن صلاته، فيا له من فعل سخيف شنيع! ولأي شيء انتهيت وقد هممت أن تطأ عنق محمد وهو يصلي؟ ألم تهرب من الملائكة التي كادت تمزقك لو فعلت ذلك؟

﴿أَرَءَيْتَ إِن كَانَ عَلَى ٱلْهُدَىٰٓ ﴿١١﴾ أَوْ أَمَرَ بِٱلتَّقْوَىٰٓ ﴿١٢﴾﴾.

فكيف بك يا أبا جهل وهذا المصلي هو محمد الذي يدعو بالتقوى!

﴿أَرَءَيْتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰٓ ﴿١٣﴾ أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ ﴿١٤﴾﴾.

فماذا يكون حال من كذب بالقرآن وأعرض عن الإيمان والله يراه وسيجازيه أشد الجزاء على أفعاله؟!

﴿كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًۢا بِٱلنَّاصِيَةِ ﴿١٥﴾ نَاصِيَةٍ كَٰذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ﴿١٦﴾﴾.

فإن لم ترتدع يا أبا جهل عن أذى الرسول لنأخذ مقدم شعر رأسك ونقذفه في النار.

﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُۥ ﴿١٧﴾ سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ ﴿١٨﴾ كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب ﴿١٩﴾﴾.

فليستنصر بجماعته ونحن سنأتي بخزنة جهنم. فلا تطعه يا محمد بترك الصلاة، وواظب على سجودك وطاعتك وتقرب بذلك إلى ربك...

من تفسير سورة القدر [٩٧]

سورة القدر مكية في ٥ آيات

﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴿١﴾﴾.

فقد أنزل القرآن الكريم من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا ثم نزل به جبريل عليه السلام إلى الأرض خلال مدة ثلاث وعشرين سنة. فقد نزل القرآن كما قال ابن عباس من اللوح المحفوظ دفعة واحدة إلى بيت العزة من السماء الدنيا، ثم نزل مفصلاً بحسب الوقائع في ثلاث وعشرين سنة على الرسول ﷺ.

وقد نزل دفعة واحدة في ليلة القدر التي حملت هذا الوصف تعظيماً وتكريماً في ليلة الشرف.

﴿لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴿٣﴾﴾.

فقد أبان تعالى شرف وفضل هذه الليلة إذ جعلها خيراً من ألف شهر لما تميزت به عن غيرها من المعاني بنزول القرآن الكريم فيها حتى قال المفسرون بأن العمل الصالح فيها خير من العمل في ألف شهر ليس فيها ليلة القدر.

﴿تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ﴿٤﴾﴾.

وفضل ليلة القدر الثاني أن الملائكة وجبريل ينزلون فيها إلى الأرض تحمل كل أمر قدره الله وقضاه حتى السنة التالية. وفضلها الثالث أنها ﴿سَلَٰمٌ هِىَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ

ٱلْفَجْرِ ﴿٥﴾﴾ أي سلام حتى مطلع الفجر بما تسلم به الملائكة على المؤمنين وما يقدر فيها من الخير والسلامة لبني الإنسان.

من تفسير سورة البينة [٩٨]

سورة البينة مدنية في ٨ آيات

﴿لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ﴿١﴾﴾.

فلم يكن الكفار من اليهود والنصارى والمشركين منفصلين عن كفرهم حتى جاءتهم الحجة الواضحة ببعثة محمد ﷺ، إذ جاءت الآية التالية موضحة ﴿رَسُولٌ مِّنَ ٱللَّهِ يَتْلُوا۟ صُحُفًا مُّطَهَّرَةً ﴿٢﴾﴾ فالصحف المطهرة التي يتلوها محمد ﷺ عليهم هي القرآن.

﴿فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ ﴿٣﴾﴾.

لأن القرآن جاء جمعاً للأحكام الواردة فيه والتي جمعت ثمرة كتب الله تعالى السابقة.

﴿وَمَا تَفَرَّقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ﴿٤﴾﴾.

فقد اختلف أهل الكتاب في أمر الرسول ﷺ بعد أن جاءهم بالقرآن مع أنهم كانوا يعرفونه من كتبهم على اتفاق فيما بينهم قبل ذلك مما يزداد عليهم في التشنيع.

﴿رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ رَبَّهُۥ﴾ [٨]

فجزاء المؤمنين الصالحين على النقيض من جزاء الكفار الفجرة، فهؤلاء في نار جهنم خالدين فيها، بينما المؤمنون في جنات عدن خالدين فيها، وهو جزاء يرضون به برضى الله عنهم.

من تفسير سورة الزلزلة [٩٩]

سورة الزلزلة مدنية في ٨ آيات

﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ۝١﴾.

فعندما يحين يوم القيامة يحرك المولى سبحانه الأرض تحريكاً عنيفاً متتابعاً، بمن عليها، ولا تهدأ حتى تلقي ما على ظهرها من جبل وشجر وبناء.

﴿وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ۝٢﴾.

فتخرج كل ما في بطنها من الكنوز والموتى.

﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ۝٤﴾.

فيأذن لها المولى لتتحدث بكل عمل عمل عليها من خير أو شر، وتشهد على كل إنسان بما فعل على ظهرها حتى قال ﷺ: «تحفظوا من الأرض فإنها أمكم، وإنه ليس من أحد عامل عليها خيراً أو شراً إلا وهي مخبرة به» وذلك بأمر من الله تعالى ﴿بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ۝٥﴾.

﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا۟ أَعْمَٰلَهُمْ ۝٦﴾.

ففي يوم القيامة ذاك ينصرف الناس للحشر متفرقين ذات اليمين وذات الشمال لينال كل منهم جزاءه، وجزاؤه لن يفلت منه زنة ذرة من الصالحات والسيئات كيف لا والله تعالى يقول ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾ [النساء: ٤٠]

من تفسير سورة العاديات [١٠٠]

سورة العاديات مكية في ١١ آية

﴿وَٱلْعَٰدِيَٰتِ ضَبْحًا ۝١ فَٱلْمُورِيَٰتِ قَدْحًا ۝٢ فَٱلْمُغِيرَٰتِ صُبْحًا ۝٣﴾.

فقد أقسم سبحانه بأخطر أدوات الحرب في ذلك الوقت، وما يحل محلها من

الدبابات والمركبات، وركز القسم على ما تقوم به أثناء الجهاد في سبيله تعالى: فهي تسرع نحو العدو فيسمع صوت أنفاسها، وهي تقدح الشرر بحوافرها وهي تجري على الحجارة، وهي تغير على العدو وقت الصباح ليرى فرسانها ما يأتي وما يذر.

﴿فَأَثَرْنَ بِهِۦ نَقْعًا ﴿٤﴾ فَوَسَطْنَ بِهِۦ جَمْعًا ﴿٥﴾﴾.

فهي تثير بحوافرها الغبار الكثيف، وتتوسط جموع الأعداء، وتصيح وسط المعركة فتثير الفزع والرعب في قلوب العدو.

هذا القسم الذي شمل خيول المجاهدين بأحوالها في المعركة على ماذا؟

﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ ﴿٦﴾ وَإِنَّهُۥ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ ﴿٧﴾﴾.

أقسم سبحانه على أن الإنسان جاحد لنعم الله عليه فيذكر المصائب وينسى النعم، وأنه يشهد على جحوده لظهور أثره عليه، وأنه شديد الحب للمال حريص على جمعه وعدم إنفاقه، وهنا يأتي التهديد والوعيد على ذلك:

﴿أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِى ٱلْقُبُورِ ﴿٩﴾ وَحُصِّلَ مَا فِى ٱلصُّدُورِ ﴿١٠﴾﴾.

فليعلم ذلك وليحذر سوء أعماله في جحوده لنعم الله...

من تفسير سورة القارعة [١٠١]

سورة القارعة مكية في ١١ آية

﴿يَوْمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ ﴿٤﴾﴾.

ففي يوم القيامة، يوم القارعة، يخرج الموتى من قبورهم فزعين وقد عادت الحياة لهم، وانتشروا كالفراش التائه المضطرب في حركاته من شدة الفزع والحيرة.

هذا نموذج من تشبيه الناس يوم القارعة، وأما الأرض وما عليها من جبال ﴿وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ ﴿٥﴾﴾ فهي تصبح كالصوف المندوف المتطاير.

فأين الإنسان وضعفه أمام هذه الأهوال؟! إن مصيره مرتبط بقوله تعالى:

﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٦﴾﴾ فمن رجحت موازين حسناته أو زادت على سيئاته فهو في عيش هني سعيد في جنات النعيم التي يرضى عنها كل الرضا.

﴿وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٨﴾ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ﴿٩﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ ﴿١٠﴾ نَارٌ حَامِيَةٌۢ ﴿١١﴾﴾.

ولكن بالمقابل من نقصت حسناته عن سيئاته فمصيره إلى نار جهنم يهوي بها إلى قعرها.

وما سميت هاوية إلا لعمقها، وما سميت بالأم إلا لأنها تحتضن أهل النار كالأم الحريصة على أولادها.

من تفسير سورة التكاثر [١٠٢]

سورة التكاثر مكية في ٨ آيات

﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ﴿١﴾ حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ ﴿٢﴾﴾.

فإنه تعالى يحذر الإنسان من الانشغال في التفاخر بالمال أو الولد عن طاعة الله تعالى والاستعداد للآخرة.

فالحذر الحذر من ذلك حتى يوافيكم الأجل، وتدفنوا في القبور، وعندها تفلت منكم فرصة الإنابة والتوبة والطاعة.

فالإنسان في طبعه يحب المال وتكثيره ولكنه لا بد أن لا يجعله مسيطراً عليه وملهياً له عن طاعة ربه لا في الجمع ولا في الإنفاق.

﴿كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ ٱلْيَقِينِ ﴿٥﴾ لَتَرَوُنَّ ٱلْجَحِيمَ ﴿٦﴾﴾.

فاحذروا ذلك كل الحذر واعلموا العلم اليقيني بأن الانشغال في التكاثر عن طاعة الله سيوصلكم إلى أنكم سترون الجحيم عياناً ويقيناً.

ولم يكتف المولى سبحانه بهذا القسم حتى كرره:

﴿ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ ٱلْيَقِينِ ۝٧﴾.

بأنكم سترون الجحيم رؤية حقيقة بالمشاهدة العينية.

﴿ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ۝٨﴾.

فبعد أن تتحقق الرؤية الحقيقية للجحيم لمن ينشغل في متاع الدنيا عن الآخرة وعن طاعة الله تعالى، يؤكد سبحانه بأن الإنسان سيسأل في الآخرة عن نعيم الدنيا من صحة وأمن وعن خيرات ونعم كثيرة أخرى.

من تفسير سورة العصر [١٠٣]

سورة العصر مكية في ثلاث آيات

﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢﴾.

أقسم تعالى بالدهر والزمان، لما فيه من عجائب وعظات، بأن الإنسان في خسران لأنه يفضل الدنيا على الآخرة، لأنه تغلب عليه الشهوات و الأهواء.

وسواء كان القسم بالعصر بمعنى الزمان أو بمعنى صلاة العصر لأنها أفضل الصلوات، فإن كلاً منهما له تقديره واعتباره في حياة الإنسان في الدنيا والآخرة.

﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ۝٣﴾.

ولم يستثن سبحانه من الخسارة إلا من توفرت فيهم هذه المميزات أو الشروط الثلاثة: الإيمان بالله ورسوله وكتابه وملائكته واليوم الآخر والقضاء والقدر خيره وشره، والشرط الثاني: العمل بالصالحات بدلاً من الشهوات والأهواء، والشرط الثالث التواصي بحيث يوصي بعضهم بعضاً بالحق، وبالخير، وبالصبر على الشدائد والمصائب والمحن، وعلى فعل الطاعات وترك المحرمات. وهذا الشرط الثالث يشمل التواصي بالحق والتواصي بالصبر معاً، فمن جمع بين هذه الشروط الثلاثة فقد فاز وربح الدنيا والآخرة وخرج من جماعة الخاسرين.

من تفسير سورة الهمزة [١٠٤]

سورة الهمزة مكية في ٩ آيات

﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ۝١﴾.

العذاب الشديد للأخنس بن شريق وأمثاله ممن كانوا يغتابون الناس ويطعنون فيهم سراً وعلانية، فقد عرف الأخنس بذلك وإن كان الويل يشمله وأمثاله.

﴿ٱلَّذِى جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُۥ ۝٢﴾.

فقد كان الأخنس كثير الأموال ولا همّ له إلا جمعها والمحافظة عليها حتى لا تنقص، مما جعله لا ينفقه في سبيل الله ولا يؤدي حقه في زكاة ولا صدقة، وكأن هذا المال الذي يجمعه سيخلده في الدنيا فلا يموت أبداً.

﴿يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُۥٓ أَخْلَدَهُۥ ۝٣﴾.

فهل نسي هذا الجاهل أن ماله لن يخلده بل سيموت كغيره.

﴿كَلَّا ۖ لَيُنۢبَذَنَّ فِى ٱلْحُطَمَةِ ۝٤﴾.

فعلى ذاك الجاهل أن يرتدع عن ظنه الكاذب بالخلود وإلا فإنه سيلقى في النار التي تحطمه كما تحطم كل ما يلقى فيها ﴿وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ﴾ ويزيد من حرارتها أنها مغلقة عليهم وهم موثوقون فيها بالسلاسل والأغلال:

﴿إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ ۝٨﴾ فليحذر الناس التكالب على الدنيا على حساب طاعة الله وليحذروا أعراض الناس فإنها الغيبة التي تأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب.

من تفسير الفيل [١٠٥]

سورة الفيل مكية في ٥ آيات

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ ﴿١﴾﴾.

فهل بلغك يا محمد وعلمت علم اليقين ما صنعه ربك العظيم بأصحاب الفيل الذين جاؤوا من اليمن وعلى رأسهم أبرهة الأشرم لهدم الكعبة بيت الله الحرام ثأراً لكنيستهم التي تغوط فيها رجل من كنانة احتقاراً لها؟

هل علمت يا محمد بأن ربك قد أرسل على جيش أبرهة طيوراً سوداء يحمل كل منها ثلاثة أحجار: واحد في منقاره وحجران في رجليه، فرمتهم بالحجارة وأهلكتهم حتى كان الحجر يدخل من رأس الرجل ويخرج من دبره، وأن هذه الحادثة ليست بعيدة عنك يا محمد، إذ حصلت في العام الذي ولدت فيه؟

﴿أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِى تَضْلِيلٍ ﴿٢﴾﴾.

ألم يهلكهم تعالى ويحول حملتهم إلى خسارة ودمار؟

﴿وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ﴿٣﴾﴾.

وسلط عليهم تلك الجماعات من الطيور التي أحاطت بهم من كل جانب، وأخذت تقذفهم بحجارة صغيرة من طين متحجر كأنها الرصاص، فانتهوا إلى أن أصبحوا كورق الشجر الذي أكلته الدواب وراثته:

﴿تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ﴿٤﴾ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ﴿٥﴾﴾.

فاعتبروا يا مشركي مكة وأنتم تذكرون الحادثة من قريب!!

من تفسير سورة قريش [١٠٦]

سورة قريش مكية في ٤ آيات

﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ ۝١ إِۦلَٰفِهِمْ رِحْلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيْفِ ۝٢﴾.

فقد امتن الله تعالى على قريش هذا التسهيل والتيسير لهم في رحلتهم إلى اليمن في الشتاء وإلى الشام في الصيف، فكانتا رحلتين مألوفتين لديهم يذهبون فيهما في أمن وأمان ويعودون منهما بمكاسب وأرباح. ذلك لأن الناس كانت تعرفهم أنهم جيران بيت الله تعالى وسكان حرمه، وأن ما حل بأصحاب الفيل أبرهة الأشرم وجيشه أكبر دليل على ذلك مما جعل الأمراء والملوك يزدادون لهم تعظيماً، أفلا يجب على قريش أن يشكروا هذه المنة العظمى؟

﴿فَلْيَعْبُدُوا۟ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ ۝٣﴾.

ولقد حدد لهم المولى سبحانه وتعالى طريقة شكره سبحانه على منته العظمى عليهم بأن يفردوه في الطاعة والعبادة. فهم إن لم يجدوا ما يعبدوه تعالى عليه لجحودهم وشركهم فلا أقل من أن يجدوا في هاتين الرحلتين المعتادتين ما يستحق سبحانه عليه العبادة والطاعة؟!

﴿ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۭ ۝٤﴾.

فقد طعموا بعد جوع، وأمنوا بعد خوف فأصبحوا يسافرون آمنين مطمئنين لا يتعرض لهم أحد لا في سفر ولا حضر، ولقد صدقت دعوة أبيهم إبراهيم الخليل عليه السلام إذ قال ﴿رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا﴾ [البقرة: ١٢٦] ودعوته ﴿وَٱرْزُقْهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾ [إبراهيم: ٣٧].

من تفسير سورة الماعون [١٠٧]

سورة الماعون مكية في ٧ آيات

﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ①﴾.

فهل عرفت يا محمد ذاك الذي يكذب بالحساب في الآخرة؟ من هو، وما هي أوصافه؟ إنه:

﴿فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ ② وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ③﴾.

إن الذي يكذب بيوم الحساب هو الذي لا يستعد له إذ يدفع اليتيم دفعاً عنيفاً وبغلظة، ولا يحث على إطعام المساكين ناهيك أنه لا يطعمهم، فهو لا يطعم المسكين ولا يأمر بإطعامه لأنه يكذب بالقيامة، ولو آمن بها وبما فيها من جزاء وحساب لما فعل ذلك.

﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ④ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ⑤﴾.

فالمصلي المنافق هو الذي يغفل عن صلاته ويؤخرها عن وقتها وقد فسر الرسول ﷺ الآية جواباً على سؤال: «هم الذين يؤخرون الصلاة عند وقتها» وقد اعتبرت في المنافقين لأنهم يسهون عن الصلاة كلها أصلاً وليس كالمؤمنين يسهون فيها فيجبرون ذلك بسجود السهو.

﴿ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ ⑥ وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ ⑦﴾.

فهم يتظاهرون بالصلاة والخشوع فيها طمعاً في الشهرة، وهم يمنعون الناس المنافع اليسيرة من إبرة وفأس وقدر وملح وماء وغيرها سواء عطية أو عارية.

من تفسير سورة الكوثر [١٠٨]

سورة الكوثر مكية في ٣ آيات

﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ ١﴾.

فقد أعطاك يا محمد ربك من التكريم والتشريف الشيء الكثير في الدنيا والآخرة ومنه الكوثر، وهو كما قال ﷺ (هو نهر في الجنة حافتاه من ذهب، ومجراه من الدر والياقوت، تربته أطيب من المسك، وماؤه أحلى من العسل)

﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنۡحَرۡ ٢﴾.

فصل يا محمد لربك الذي أفاض عليك من الخير الكثير، وانحر الإبل شكراً لله على ما منحك من الخيرات والكرامات.

وجاءت الصلاة والنحر لربك رداً على المشركين بأنهم كانوا يصلون وينحرون لأصنامهم.

﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلۡأَبۡتَرُ ٣﴾.

فاعلم يا محمد بأن مبغضك هو المنقطع عن كل خير.

وقد قال العاص بن وائل عن النبي ﷺ بأنه رجل أبتر لا نسل ولا عقب له بعد أن مات ابنه القاسم، فأخبر تعالى بأن هذا الكافر هو الأبتر وإن وجد له أولاد لأنه مبتور من رحمة الله ولا يُذكر إلا باللعنة، وأما النبي فإن ذكره خالد أبد الدهر على المآذن والمنابر ومقرون بذكر الله تعالى، فعليه وعلى آله وصحبه الصلاة والسلام. . . .

من تفسير سورة الكافرون [١٠٩]

سورة (الكافرون) مكية في ٦ آيات

﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ۝١ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۝٢﴾.

فقد أمر تعالى نبيه أن يقول لمشركي مكة بأنهم كافرون وأنه لن يستجيب لطلبهم فيعبد إلههم لسنة، ويعبدون إلهه لسنة، فأعلنها في المسجد الحرام وعلى الملأ من قريش، فآذوه وآذوا أصحابه.

﴿وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝٣﴾.

وأنتم يا معشر المشركين لستم بعابدين إلهي الحق، فأنا أعبد الإله الحق، وهو الله رب العالمين وأنتم تعبدون الأحجار والأوثان وشتان بين عبادة الرحمن وعبادة الأوثان!؟

﴿وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ۝٤﴾.

واعلموا وتأكدوا أيها المشركون أنني لا أعبد الأوثان لا اليوم ولا غداً.

﴿وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝٥﴾.

وأنتم أيها المشركون لستم بعابدين إلهي الحق الذي أعبده.

﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ ۝٦﴾.

فلكم شرككم ولي توحيدي، وهيهات أن يلتقي التوحيد مع الشرك!!

من تفسير سورة النصر [١١٠]

سورة النصر مدنية في ٣ آيات

﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ۝١﴾.

فعندما نصرك ربك يا محمد على أعدائك أو فتح لك مكة، أم القرى، فقد كان ذلك، وكان من علوم الغيب.

﴿وَرَأَيۡتَ ٱلنَّاسَ يَدۡخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفۡوَاجٗا ۝٢﴾.

ورأيت العرب وهي تدخل في الإسلام جماعات جماعات دون حرب ولا قتال، بعد فتح مكة، فقد كانت القبائل العربية تنتظر فتح مكة وهو يقولون: إن ظهر على قومه فهو نبي، فلما تم فتح مكة دخلوا في دين الله أفواجاً، فلم تمض سنتان حتى كان الإيمان سائداً في أنحاء الجزيرة العربية.

﴿فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَٱسۡتَغۡفِرۡهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا ۝٣﴾.

فعظم ربك يا محمد وأنت تحمده على هذه النعم الجليلة التي أنعمها عليك من نصر على الأعداء إلى فتح البلاد إلى إسلام العباد.

واطلب يا محمد المغفرة لك ولأمتك من ربك الغفور الرحيم، فإنه التواب الكريم عظيم التوبة والرحمة لعباده المؤمنين.

من تفسير سورة المسد [١١١]

سورة المسد مكية في ٥ آيات

﴿تَبَّتۡ يَدَآ أَبِي لَهَبٖ وَتَبَّ ۝١﴾.

فقد جاء القسم الأول من الآية ﴿تَبَّتۡ يَدَآ أَبِي لَهَبٖ وَتَبَّ ۝١﴾ دعاء عليه بذكر يده كناية عنه، وجاءت الكلمة الباقية من الآية (وتب) إخباراً بهلاكه.

فقد كان عبد العزى بن عبد المطلب هو وزوجه أم جميل بنت أبي سفيان شديدي العداء للرسول ﷺ حتى همت بضرب الرسول ﷺ في فمه بحجر عندما علمت بنزول السورة في حقها وحق زوجها، ولكن الله تعالى حماه ﷺ منها فكف بصرها عنه.

أما لماذا التكنية وهي تشريف، فلأنها تبعد عن اسمه المعبر عن الشرك في العبودية (عبد العزى)، والعزى صنم من أصنامهم، لأن أبا لهب يتناسب مع ما ينتظره في جهنم من حريق اللهب، ولأنه كان مشهوراً بالكنية فلو ذكر اسمه لما عرف لدى الناس.

﴿مَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ۝٢﴾.

فمهما كان مقدار ما لديه من مال، وجاه وعز، فإنها لن تفيده يوم الحساب والجزاء الذي ينتظره، وليطمئن أنها لن تفديه، وها هم ولداه عتبة ومعتب يسلمان عند فتح مكة ومات الثالث عتيبة مفترساً من أسد في رحلة إلى الشام، ومات أبوهم بمرض يشبه الطاعون يسمى العدسة بعد موقعة بدر بسبعة أيام وأنتن جسده حتى دفنوه بالحجارة.

﴿سَيَصۡلَىٰ نَارٗا ذَاتَ لَهَبٖ ۝٣﴾ في جهنم.

﴿وَٱمۡرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلۡحَطَبِ ۝٤ فِي جِيدِهَا حَبۡلٞ مِّن مَّسَدِۭ ۝٥﴾.

فستدخل معه نار جهنم جزاء افترائها على الرسول ﷺ بالنميمة وإلقائها الشوك في طريقه. وهي تضرب بحبل من الليف يوم القيامة.

من تفسير سورة الإخلاص [١١٢]

سورة الإخلاص مكية في ٤ آيات

﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾.

فقل يا محمد للمشركين الذين سألوك عن ربك: أمن ذهب أو زبرجد؟ بأنه ﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢﴾.

فقل لهم رداً على استهزائهم بأن ربك واحد أحد لا شريك له، ولا شبيه له، لا في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله، فهو بعيد عن تثليث النصارى وشرك المشركين، فهو واحد لا ثاني له في العدد، وواحد لا نظير له في الصفة، وواحد لا ينقسم ولا يتبعض.

﴿ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢﴾.

هو المقصود في جميع الحاجات لقضائها والشؤون لتدبيرها.

﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣﴾.

لم يتخذ ولداً ولا بنتاً، وليس كما يزعم اليهود بأن (عزيراً ابن الله) ولا كما يزعم النصارى أن (المسيح ابن الله) ولا كما يزعم مشركو العرب أن الملائكة بنات الله، وهو سبحانه ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ الشورى [١١]، فهو سبحانه لم يولد من أي أب ولا أم.

﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾.

فلا شبيه ولا نظير له، لا في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله.

من تفسير سورة الفلق [١١٣]

سورة الفلق مكية في ٥ آيات

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١﴾.

فقل يا محمد بأنك لا تلتجئ ولا تعتصم إلا برب الصبح الذي ينفلق عنه الليل ويذهب به الظلام.

﴿مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢﴾.

الجأ يا محمد لربك، رب الصبح، من شر جميع المخلوقات من الجن والإنس والدواب والهوام...

﴿وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۝٣﴾.

والتجئ إلى ربك يا محمد من شر الليل إذا أظلم واشتد ظلامه، وكثر فيه السباع والهوام وغيرهما مما يؤذي كالأعداء.

﴿وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ۝٤﴾.

والتجئ يا محمد لربك رب الصبح من شر السواحر ذوات الخيوط والعقد وذوات الضرر بعباد الله، ومن هذا الضرر التفريق بين الرجل وزوجه.

ويقال بأن لبيد بن عاصم سحر رسول الله ﷺ بإحدى عشرة عقدة انحلت بالمعوذتين، وإن كانت هذه القصة تتهافت أمام عصمة رسول الله ﷺ القطعية.

﴿وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ۝٥﴾.

والتجئ يا محمد لربك رب الصبح من شر الحاسد الذي يتمنى زوال النعمة عنك ويسخط مما أعطاكه الله تعالى.

من تفسير سورة الناس [١١٤]

سورة الناس مكية في ٦ آيات

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١﴾.

قل يا محمد إني ألتجئ إلى رب الناس وخالقهم ومدبر شؤونهم، وممدهم بالعقل والعلم.

﴿مَلِكِ ٱلنَّاسِ ۝٢﴾.

فقل إنك تلتجئ إلى ملك الناس، ومالكهم وحاكمهم وضابط أعمالهم ومعز من يشاء ومذل من يشاء.

﴿إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ۝٣﴾.

وقل بأنك تلتجئ إلى إله الناس ومعبودهم دون سواه...

﴿مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ﴿٤﴾﴾.

فقل بأنك تلتجئ إلى رب الناس وملكهم وإلههم من شر الشيطان الذي يلقي حديث السوء في النفس بطريق الوسوسة والإغراء، فيختفي ويتأخر إذا ذكر العبد ربه ويعود للوسوسة إذا غفل العبد عن ذكر ربه.

دعاء الختام

بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على سيدي رسول الله
وعلى آله وصحبه ومن والاه

اللهم إنني قد قصدت في بيان هذه الآيات من جميع سور القرآن الكريم أكثر من ذي قبل وجهك الكريم، لتذهب من العقول الشكوك ومن النفوس الحيرة وتستقر فيهما العقيدة الصافية والإيمان النقي.

اللهم حقق هذا القصد بتوفيقك لعبادك قراء هذا الكتاب إنك سميع قريب مجيب.

اللهم إنني أبتغي بهذا الكتاب والكتب الأخرى التي صدرت وتصدر المزيد من الوضوح لأفكار الإسلام ومفاهيمه حتى يتغلب الحق على الباطل في جميع المجالات، فافتح لها العقول والقلوب لتتقبلها القبول الحسن وتعمل بما ورد فيها وأريد منها من العمل الخالص، إنك سميع الدعاء.

اللهم لا ترد كلمة من كلماتي ليُضرب بها وجهي بين يديك ولكن تولاها بقبولك ولطفك وإحسانك، واجعلها نوراً يمشي في ظله القارئ ويهتدي به السامع إنك أنت مجيب الدعاء.

اللهم إنني قصدت أن تكون كل كلمة ثقلاً في ميزان حسناتي يوم الدين فلا تجعل حرفاً منها في ميزان سيئاتي.

يا أكرم مسؤول، وخير مأمول، يا حي يا قيوم، وصلى الله وسلم على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه ومن والاه بإحسان إلى يوم الدين والحمد لله رب العالمين.

فهرس الموضوعات

تقديم ٥
من سورة الفاتحة (١) ٩
من سورة البقرة (٢) ١٠
من سورة آل عمران (٣) ٢٤
من سورة النساء (٤) ٣١
من سورة المائدة (٥) ٣٨
من سورة الأنعام (٦) ٤٦
من سورة الأعراف (٧) ٥٣
من سورة الأنفال (٨) ٦١
من سورة التوبة (٩) ٦٥
من سورة يونس (١٠) ٧٤
من سورة هود (١١) ٧٩
من سورة يوسف (١٢) ٨٣
من سورة الرعد (١٣) ٨٦
من سورة إبراهيم (١٤) ٨٩
من سورة الحجر (١٥) ٩٢
من سورة النحل (١٦) ٩٤
من سورة الإسراء (١٧) ١٠٠
من سورة الكهف (١٨) ١٠٤
من سورة مريم (١٩) ١٠٧
من سورة طه (٢٠) ١٠٩
من سورة الأنبياء (٢١) ١١٣
من سورة الحج (٢٢) ١١٥

من سورة (المؤمنون) (٢٣) ١٢٠
من سورة النور (٢٤) ١٢٣
من سورة الفرقان (٢٥) ١٢٦
من سورة الشعراء (٢٦) ١٢٩
من سورة النمل (٢٧) ١٣٢
من سورة القصص (٢٨) ١٣٥
سورة العنكبوت (٢٩) ١٣٨
من سورة الروم (٣٠) ١٤١
من سورة لقمان (٣١) ١٤٣
من سورة السجدة (٣٢) ١٤٤
من سورة الأحزاب (٣٣) ١٤٥
من سورة سبأ (٣٤) ١٤٨
من سورة فاطر (٣٥) ١٥١
من سورة يس (٣٦) ١٥٣
من سورة الصافات (٣٧) ١٥٥
من سورة ص (٣٨) ١٥٧
من سورة الزمر (٣٩) ١٥٩
من سورة غافر (٤٠) ١٦٢
من سورة فصلت (٤١) ١٦٥
من سورة الشورى (٤٢) ١٦٨
من سورة الزخرف (٤٣) ١٧١
من سورة الدخان (٤٤) ١٧٣
من سورة الجاثية (٤٥) ١٧٤
من سورة الأحقاف (٤٦) ١٧٥
من سورة محمد (٤٧) ١٧٧
من سورة الفتح (٤٨) ١٧٩
من سورة الحجرات (٤٩) ١٨٢
من سورة ق (٥٠) ١٨٣

من سورة الذاريات (٥١) ١٨٤
من سورة الطور (٥٢) ١٨٥
من سورة النجم (٥٣) ١٨٦
من سورة القمر (٥٤) ١٨٧
من سورة الرحمن (٥٥) ١٨٨
من سورة الواقعة (٥٦) ١٨٩
من سورة الحديد (٥٧) ١٩٠
من سورة المجادلة (٥٨) ١٩٢
من سورة الحشر (٥٩) ١٩٤
من سورة الممتحنة (٦٠) ١٩٥
من سورة الصف (٦١) ١٩٦
من سورة الجمعة (٦٢) ١٩٧
من سورة (المنافقون) (٦٣) ١٩٨
من سورة التغابن (٦٤) ١٩٩
من سورة الطلاق (٦٥) ٢٠١
من سورة التحريم (٦٦) ٢٠٢
من سورة الملك (٦٧) ٢٠٣
من سورة القلم (٦٨) ٢٠٤
من سورة الحاقة (٦٩) ٢٠٥
من سورة المعارج (٧٠) ٢٠٦
من سورة نوح (٧١) ٢٠٧
من سورة الجن (٧٢) ٢٠٨
من سورة المزمل (٧٣) ٢٠٩
من سورة المدثر (٧٤) ٢٠٩
من سورة القيامة (٧٥) ٢١٠
من سورة الإنسان (٧٦) ٢١١
من سورة المرسلات (٧٧) ٢١٢
من سورة النبأ (٧٨) ٢١٣

من سورة النازعات (٧٩) ٢١٤
من سورة عبس (٨٠) ٢١٥
من سورة التكوير (٨١) ٢١٥
من سورة الانفطار (٨٢) ٢١٦
من سورة المطففين (٨٣) ٢١٧
سورة الانشقاق (٨٤) ٢١٨
من سورة البروج (٨٥) ٢١٩
من سورة الطارق (٨٦) ٢٢٠
من سورة الأعلى (٨٧) ٢٢١
من سورة الغاشية (٨٨) ٢٢٢
من سورة الفجر (٨٩) ٢٢٢
من سورة البلد (٩٠) ٢٢٤
من سورة الشمس (٩١) ٢٢٥
من سورة الليل (٩٢) ٢٢٥
من سورة الضحى (٩٣) ٢٢٦
من سورة الشرح (٩٤) ٢٢٧
من سورة التين (٩٥) ٢٢٨
من سورة العلق (٩٦) ٢٢٩
من سورة القدر (٩٧) ٢٣٠
من سورة البيّنة (٩٨) ٢٣١
من سورة الزلزلة (٩٩) ٢٣٣
من سورة العاديات (١٠٠) ٢٣٤
من سورة القارعة (١٠١) ٢٣٥
من سورة التكاثر (١٠٢) ٢٣٦
من سورة الهمزة (١٠٣) ٢٣٦
من سورة الفيل (١٠٤) ٢٣٧
من سورة قريش (١٠٥) ٢٣٨
من سورة الماعون (١٠٦) ٢٣٩

من سورة الكوثر (١٠٧) ٢٤٠
من سورة (الكافرون) (١٠٨) ٢٤١
من سورة النصر (١٠٩) ٢٤١
من سورة المسد (١١٠) ٢٤٢
من سورة الإخلاص (١١١) ٢٤٣
من سورة الفلق (١١٢) ٢٤٤
من سورة الناس (١١٤) ٢٤٥
الدعاء ٢٤٦

القسم الثاني: هل كل آيات الله مفهومة للقارئ؟ ٢٤٧
من تفسير سورة الفاتحة (١) ٢٤٩
من تفسير سورة البقرة (٢) ٢٥٠
من تفسير سورة آل عمران (٣) ٢٦٣
من تفسير سورة النساء (٤) ٢٧١
من تفسير سورة المائدة (٥) ٢٨١
من تفسير سورة الأنعام (٦) ٢٨٧
من تفسير سورة الأعراف (٧) ٢٩٢
من تفسير سورة الأنفال (٨) ٢٩٧
من تفسير سورة التوبة (٩) ٣٠١
من تفسير سورة يونس (١٠) ٣٠٨
من تفسير سورة هود (١١) ٣١٠
من تفسير سورة يوسف (١٢) ٣١٢
من تفسير سورة الرعد (١٣) ٣١٤
من تفسير سورة إبراهيم (١٤) ٣١٧
من تفسير سورة الحجر (١٥) ٣١٨
من تفسير سورة النحل (١٦) ٣٢٠
من تفسير سورة الإسراء (١٧) ٣٢٤
من تفسير سورة الكهف (١٨) ٣٢٧

من تفسير سورة مريم (١٩) ٣٣٠
من تفسير سورة طه (٢٠) ٣٣٢
من تفسير سورة الأنبياء (٢١) ٣٣٥
من تفسير سور الحج (٢٢) ٣٣٧
من تفسير سورة المؤمنون (٢٣) ٣٣٩
من تفسير سورة النور (٢٤) ٣٤٠
من تفسير سورة الفرقان (٢٥) ٣٤٣
من تفسير سور الشعراء (٢٦) ٣٤٤
من تفسير سورة النمل (٢٧) ٣٤٧
من تفسير سورة القصص (٢٨) ٣٤٩
من تفسير سورة العنكبوت (٢٩) ٣٥١
من تفسير سورة الروم (٣٠) ٣٥٣
من تفسير سورة لقمان (٣١) ٣٥٥
من تفسير سورة السجدة (٣٢) ٣٥٦
من تفسير سورة الأحزاب (٣٣) ٣٥٨
من تفسير سورة سبأ (٣٤) ٣٦٠
من تفسير سورة فاطر (٣٥) ٣٦٢
من تفسير سورة يس (٣٦) ٣٦٣
من تفسير سورة الصافات (٣٧) ٣٦٦
من تفسير سورة ص (٣٨) ٣٦٩
من تفسير سورة الزمر (٣٩) ٣٧٢
من تفسير سورة غافر (٤٠) ٣٧٤
من تفسير سورة فصلت (٤١) ٣٧٦
من تفسير سورة الشورى (٤٢) ٣٧٨
من تفسير سورة الزخرف (٤٣) ٣٧٩
من تفسير سورة الدخان (٤٤) ٣٨١
من تفسير سورة الجاثية (٤٥) ٣٨٣
من تفسير سورة الأحقاف (٤٦) ٣٨٤

من تفسير سورة محمد (٤٧) ٣٨٦
من تفسير سورة الفتح (٤٨) ٣٨٨
من تفسير سورة الحجرات (٤٩) ٣٩٠
من تفسير سورة ق (٥٠) ٣٩١
من تفسير سورة الذاريات (٥١) ٣٩٣
من تفسير سورة الطور (٥٢) ٣٩٤
من تفسير سورة النجم (٥٣) ٣٩٦
من تفسير سورة القمر (٥٤) ٣٩٨
من تفسير سورة الرحمن (٥٥) ٣٩٩
من تفسير سورة الواقعة (٥٦) ٤٠١
من تفسير سورة الحديد (٥٧) ٤٠٢
من تفسير سورة المجادلة (٥٨) ٤٠٤
من تفسير سورة الحشر (٥٩) ٤٠٦
من تفسير سورة الممتحنة (٦٠) ٤٠٨
من تفسير سورة الصف (٦١) ٤٠٩
من تفسير سورة الجمعة (٦٢) ٤١٠
من تفسير سورة المنافقون (٦٣) ٤١١
من تفسير سورة التغابن (٦٤) ٤١٢
من تفسير سورة الطلاق (٦٥) ٤١٣
من تفسير سورة التحريم (٦٦) ٤١٤
من تفسير سورة الملك (٦٧) ٤١٥
في تفسير سورة القلم (٦٨) ٤١٦
من تفسير سورة الحاقة (٦٩) ٤١٧
من تفسير سورة المعارج (٧٠) ٤١٨
من تفسير سورة نوح (٧١) ٤١٩
من تفسير سورة الجن ٧٢) ٤٢٠
من تفسير سورة المزمل (٧٣) ٤٢٢
من تفسير سورة المدثر (٧٤) ٤٢٣

من تفسير سورة القيامة (٧٥) ٤٢٥
من تفسير سورة الإنسان (٧٦) ٤٢٦
من تفسير سورة المرسلات (٧٧) ٤٢٧
من تفسير سورة النبأ (٧٧) ٤٢٨
من تفسير النازعات (٧٩) ٤٢٩
من تفسير سورة عبس (٨٠) ٤٣٠
من تفسير سورة التكوير (٨١) ٤٣١
من تفسير سورة الانفطار (٨٢) ٤٣٢
من تفسير سورة المطففين (٨٣) ٤٣٢
من تفسير سورة الانشقاق (٨٤) ٤٣٣
من تفسير سورة البروج (٨٥) ٤٣٤
من تفسير سورة الطارق (٨٦) ٤٣٥
من تفسير سورة الأعلى (٨٧) ٤٣٦
من تفسير سورة الغاشية (٨٨) ٤٣٧
من تفسير سورة الفجر (٨٩) ٤٣٨
من تفسير سورة البلد (٩٠) ٤٣٩
من تفسير سورة الشمس (٩١) ٤٤٠
من تفسير سورة الليل (٩٢) ٤٤١
من تفسير الضحى (٩٣) ٤٤٢
من تفسير سورة الشرح (٩٤) ٤٤٣
من تفسير سورة التين (٩٥) ٤٤٣
من تفسير سورة العلق (٩٦) ٤٤٤
من تفسير سورة القدر (٩٧) ٤٤٦
من تفسير سورة البينة (٩٨) ٤٤٧
من تفسير سورة الزلزلة (٩٩) ٤٤٨
من تفسير سورة العاديات (١٠٠) ٤٤٨
من تفسير سورة القارعة (١٠١) ٤٤٩
من تفسير سورة التكاثر (١٠٢) ٤٥٠

من تفسير سورة العصر (١٠٣) ٤٥١
من تفسير سورة الهمزة (١٠٤) ٤٥٢
من تفسير الفيل (١٠٥) ٤٥٣
من تفسير سورة قريش (١٠٦) ٤٥٤
من تفسير سورة الماعون (١٠٧) ٤٥٥
من تفسير سورة الكوثر (١٠٨) ٤٥٦
من تفسير سورة الكافرون (١٠٩) ٤٥٧
من تفسير سورة النصر (١١٠) ٤٥٨
من تفسير سورة المسد (١١١) ٤٥٨
من تفسير سورة الإخلاص (١١٢) ٤٥٩
من تفسير سورة الفلق (١١٣) ٤٦٠
من تفسير سورة الناس (١١٤) ٤٦١

القدس 2009
عاصمة الثقافة العربية
اتحاد الناشرين السوريين

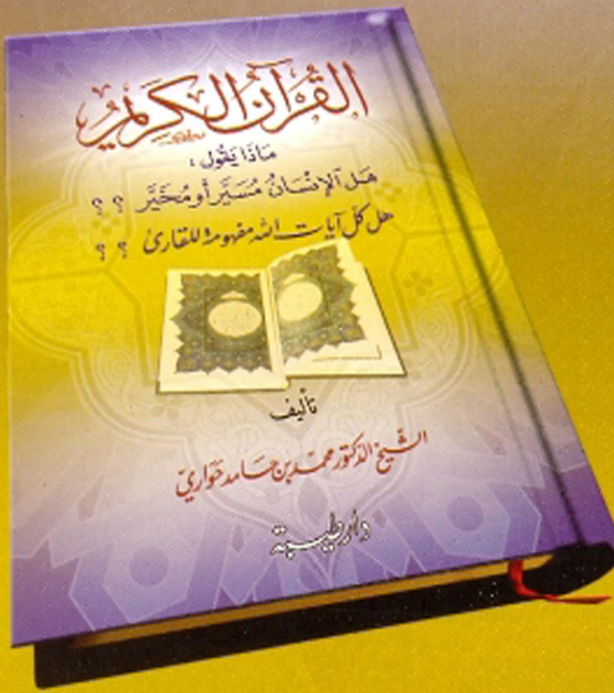

تصميم غسان ٠٣٢٥٢٨/ ٠٩٤٧

ISBN 978-9933-414-17-7
9 789933 414177

طيبة الدمشقية
للطباعة والنشر والتوزيع